

الجزء الرابع

من

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

(تأليف)

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بطبعة

مطبعة البان ابي حنبلين واولاده بمصر

حقوق اعادة الطبع محفوظة

محرم سنة ١٣٤٤ هـ -

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة الانعام هي مكية ﴾

﴿الاست آيات من قوله تعالى - قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم - الى آخر ثلاث آيات وقوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره - الآية وقوله تعالى - ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا - الى آخر الآيتين ويقال انها نزلت جملة واحدة ليلا وكتبوها من ليثهم غير الآيات الست المستثنيات ﴾
﴿ وهذه السورة ست مقاصد ﴾

المقصد الأول . في اثبات الله بالعلوم الطبيعية واثبات الرسالة ومحاورات شتى مع المعاندين من أول السورة الى قوله وهو الحكيم الخبير

المقصد الثاني . في نظرات الخليل عليه الصلوة والسلام في عوالم السموات وفي الأنبياء من ذريته وما يتبع ذلك من قوله - واذا قال ابراهيم - الى قوله تعالى - وصل عنيكم ما كنتم تزهون -

المقصد الثالث . الهجاء الطبيعية العالوية والسفلية من قوله تعالى - ان الله فالحق الحب والنوى - الى قوله - ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون -

المقصد الرابع . بعض صفات الله ومحاجة الجاحدين والرد عليهم من قوله تعالى - وجعلوا لله شركاء الجن - الى قوله تعالى - لا يفلح الظالمون -

المقصد الخامس . الحلال والحرام في الأنعام من قوله - وجعلوا لله محاذراً من الحرث والأنعام نصيباً - الى قوله - وهم يبرهم يعللون -

المقصد السادس . بعض المحرمات والعدل والهدى والثوبة المقبولة ومناخلة الحسنات وأنواع من الفضائل وأندادها من قوله تعالى - قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم - الى آخر السورة

المقصد الأول من هذه السورة قسمان . القسم الأول من أول السورة الى قوله تعالى - ويعلم ما تكسبون - . القسم الثاني من قوله تعالى - وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين - الى قوله - وهو الحكيم الخبير -

(المَقْصِدُ الْأَوَّلُ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَمَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
يَسْتَلُونُ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ
وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَسْمُو سِرًّاكُمْ وَجَهْرًاكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ *

(التفسير اللفظي لهذا القسم)

(الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) تقدم معنى الحمد في سورة الفاتحة ويقول أهل المعاني لفظه
خير ومعناه الأمر أى احمدا الله وصيغة الخبر هذه المتضمنة معنى الأمر أبلغ في البيان من احمدا ثم بيان
الحمد عليه فقد ذكر خلقه للسموات والأرض وجعله للظلمات والنور والجعل بمعنى الخلق أى وخلق الظلمات
والنور فالظلمات كظلمات الليل والكفر والجهل والنور نور الكواكب والشموس والعلم والإيمان (ثم
الذين كفروا) بعد هذا البيان وأن الله مستحق للحمد لهذه النعم العظيمة حمده الحامدون أم لم يحمده
(ربهم يمدلون) أى يمدلون بالله غيره ويحمولونه عديلا من خلقه فيمدون الحجارة مع اقاربهن بأن الله خلق
السموات والأرض والجملة عطف على جملة الحمد (هو الذي خلقكم من طين) أى ابتداء خلق أياكم آدم
منه وهكذا أنتم ترجع أكثر المواد التي تتفنون بها الى عناصر مشبوة من الطين ولاجرم أن خلق الانسان
أشرف من خلق الطير المذكور في السورة السابقة أنه نفخ فيه عيسى فصار طيرا باذن الله فخلق الانسان من
الطين أحق بالعبادة ممن نفخ في صورة الطير من الطين فجى باذن ربه وهذا فيه تفرغ للعقول الانسانية
الصغيرة المقلدة التي تعبد للمسيح جهالة وغفلة وقوله (ثم قضى أجلا) أى أجل الموت وقوله (وأجل مسمى
عنده) أى أجل القيامة (ثم أنتم تمترن) أى تشكون أو يجادلون من المرة أو المراء (وهو الله في السموات
وفي الأرض) أى وهو المعبود فيهما (يعلم سرركم وجهركم) الجملة خبر ثان والأول لفظ الجلالة (ويعلم
ما تكسبون) من خير أو شر انتهى التفسير اللفظي لهذا القسم

اعلم أن هذا المقام يستدعي أن تصل هذه السورة بمقابلها ولما أخذت أكتب حضر صاحبي الذي كان
يسألني في آخر المائدة وقال ان هذه السورة لا بد أن لا من معرفة ربطها بمقابلها * وثانيها قد كنت أنت كتبت
تفسيرا لأول هذه السورة وهو هذا القسم الذي نحن بصدده من أول السورة الى قوله تعالى - ويعلم
ما تكسبون - في جملة الملاحج العباسية وذكرت فيه عجائب النور المشتقة من الظلمات الدنانية والفهم
وكيف يكون الدخان المزدرى بين الناس متعبا للكهرباء تشتت منه فأرجو اثباته هنا لانه يفيدنا عجائب من
هذه الآية التي جمع الله فيها بين الظلمات والنور كما جمعهما في أعمالنا المشاهدة * ثالثا لا بد من معرفة سبب
ترتيب هذه الأربعة وهي السموات والأرض والظلمات والنور . وهل للكشف الحديث أثر في هذا الترتيب
واذا كما ترى الاثمة رضى الله عنهم في سورة المائدة قد أطنبوا في ترتيب أعضاء الضوء حتى ان الشافعي
أوجب الترتيب فيها غسلا لترتيبها في القرآن ذكرنا فن الجلالة أن لا يشكر علماء الاسلام في هذا الزمان في هذه
الذكورات الأربعة ومعلوم أن العلم مقدم على العمل وإذا كانت غاية القصد بالأعمال فلتكن غاية
علماء المستقبل بالعلوم أى العلوم الطبيعية ويقولون لم ذكرت السموات فالأرض فالظلمة فالنور كما ذكر
الوجه فاليدان فالرأس فالرجلان . ما السبب في ذلك (قلت) * أما مناسبة هذه السورة لما قبلها فقلنا
أمور * الأول أن المائدة قد كثر فيها ذكر ما يحصل من الطعام وما يحرم في أول السورة وفي خلاها وفي
آخرها وسورة الأنعام فيها ذلك كما سيأتي حتى انها سميت باسم الأنعام وهي داخلة في باب الحلال والحرام *

الثاني أن السورة المتقدمة مخنومة بقوله آمالي - لله ملك السموات والأرض وما فيهن - والأنعام مستفتحة بقوله - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض - هـ اشك ان سؤال الله لعيسى ابن مريم في أواخر السورة تضمن توحيه أهل الكتاب على طلب البراهين التي تكون من قبيل خوارق العادات كالمائدة التي نزل من السماء وذكر أيضا أن عيسى كان يحيي الموتى وينفخ في الطين فيكون طيرا باذن الله وكأنه قبله اذا لم يكن طلب ازالة المائدة من السماء من الأمور المحمودة وقد أئذ الله المحاربين لمطالبوها وذكر هذه لما سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خوارق للعادات منه وقيل لهم لتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فاذا لم يكن ذلك ممدوحا فما العمل لمعرفة الحقائق قال الله بعد ذلك . اقرؤا هذه الكتابات وأخذ يذكر الحمد على خلق السموات وخلق الأرض وجعل الظلمات والنور . وكأنه يقول اذا كنت أئمت على المسيح أن يخلق طيرا من الطين وينفخ فيه فيكون طيرا باذن فأنا خلقتكم أنتم من طين والتفكر في الطبيعة أهم من التفكير فيها أئمت به على عبد من عبادي وهو عيسى فكيف تتركون أيها الناس هذه السموات وهذه الأرض وهذه الظلمات وهذا النور ثم تنولون لأنبيائكم أرونا آيات وعجائب مثل طلبكم مائدة من عيسى ومثل أسئلتكم لمحمد ونحو ذلك فيقول له الرجل من أبي ويلعنف آخر في السؤال . وكيف تهمزون عيونكم وتسمون آذانكم عن هـ هذه المناظر العجيبة وتطلبون البرهان من الخلق مع أن الخلق أراكم الآيات فأعرضتم عنها

أيها الناس ان العقول الفاصرة والنفوس النائمة والأسم الكسالة هي التي تذر الآيات الباهرات في الطبيعة وتجلس ما هو أقل منها بما لا ينتهى من الأنبياء والأنبياء يشيرون الى الطبيعة وهم مرسلون من عند خالقها ليعرفكم صنعهم ويعلموكم قدره من فعله وبديع خلقه وكيف تكتفون بمائدة نزل على عيسى أو طير من طين أمرته أن ينفخ فيه ومائدتي أوسع مساحة وأبهي نظاما وأجل احكاما وأرق ما كلا وأنا من الطين خلقت آلافا من الطير والحيوان والانسان فماذا في السموات والأرض لا أرغفة وسكة وخل وزيتون بل في هذه الأرض ما تشبه كل النفوس وما يملأ العيون بهجة واقارب حكمة . ولست أقول لكم آمنوا خب بل أقول لكم قولوا - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض - أي فلتحمدوا الله فضلا عن الاعتراف بقدرته والايمان بوجوده فان الايمان في هذا المقام ليس يكفي ذكره بل نطلب منكم أن تحمدوا الله على النعم التي شملتكم والأنوار التي غمرتكم والجمال الذي غشاكم والفضل الذي عمكم

ولما كان هذا المقام عظيما ومبدأ سورة الأنعام في مقام سام لأن هذه المسألة من أهم المسائل وهي مسألة للمجهزات وخوارق العادات والعلوم الطبيعية والانتقال من دور الأطفال الى دور الرجال وخلق أمة تكون أرق من الأمم البائدة ناسب أن يؤتى هنا بالحمد لله

واعلم أنه لم يذكر في القرآن من أوله الى هنا الحمد لله الا في الفاتحة وفي هذا المقام أما الفاتحة فانها أول القرآن وبالحد ابتدئت لأن الحمد شأنه عظيم وقد رخصت معناه هناك أيضا تاما ولم يعد الحمد بعده الا هنا بإقلا للنفوس ومحرىكا لهمم وتربية للنفوس وتنبها لها أن تخرج من دور التقليد الى دور النظر ومن مقام الجهلاء الى مصاف العلماء ومن دركات الضعفاء الى درجات الأقوياء ومن صف العلماء الى مقام الحكماء فالحمد هنا لهذه الحكمة المذكور . ألا ترى الى ما ساقى في هذه السورة من ذكر نظرات التحليل في النجم والقمر والشمس . ألا ترى الى ما بعد ذلك من ذكر خلق الحب والنوى وإخراج الحي من الميت والميت من الحي وفق الاصباح والاعتدال بالتهجم وانزال الماء من السماء وإخراج الثمرات المتشابهات وغير المتشابهات . هـ ألا ترى أيها الذكي الظن أن هذا هو بعينه الآيات الينيات الطبيعية الالهية التي أشار اليها بقوله - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض - فاذا كان الحمد في الفاتحة على تربية العالمين فهو اجمالي ولما استأنس العاقل بذلك

أخذ هنا يفصل العالم فذكر السموات التي هي محل الاشتراق ومنها اشتقت الأرضون ثم كانت تلك الأرضون تأخذ في الجلود شيئاً فشيئاً حتى تصير مظلمة ثم يكون الإنسان من الطين ويأخذ في النور والعلم شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى مبدأ الجمال والبهاء وعالم النور والصفاء ثم تعرج روحه نيرة إلى عالم النور ولا تزال ترقى من نور إلى ما هو أنور منه - وأن إلى ربك المنتهى - كما سيأتي إيضاحه في الجواب على السؤال الثالث . فائدة هنا يقول هذه الآيات والنظم هي التي يجب أن تمقلوها ومعنى عقلوها عرفتم محمداً ثم الله لأنه خلق السموات والأرض هذا ما أردت ذكره في الجواب الأول

(أ) أما الجواب على السؤال الثاني وهو أن أذكر ما كتبه في مجلة الملايحي العباسية في هذا المقام فأقول قلت هناك بعد إيراد الآيات من قوله - الحمد لله الذي خلق السموات - إلى قوله - ويعلم ما تكسبون - يقول الله إن الله يستحق الحمد على نعمه الجسيمة وآلائه العظيمة ومنعته الكبيرة حمده المأمودون أم لم يحمدوا كفر به الناس أم عبده ثم عقد من صنوف نعمه أربع نعم خلق السموات والأرض وإنشاء الظلمات وإنشاء النور فالسماوات ذات الكواكب والشمس والقمر والظلمات كثيرة كظلمة الصخر والبحر والكهف والليل كما أن الضلال متنوع الصور متكثر الأشكال بخلاف الهداية فهي الصراط المستقيم والنور كله هاد للناس لاضلال فيه ولا غرور

وكانه عز وجل يقول الله محمود على هذه النعماء البديعة أي مستحق الحمد لأنه خلقها نعمة على العباد - ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . عن الحمد بل يكفرون بنعم الله عز وجل أو يسوون بربهم غيره كالاولان - وكيف يسوون به غيره مما لا يقدر على شئ وهو الذي خلق هذه النعماء

(س) اذ كرلى مثليان اثنين بحيث يكون المثل شاملاً - لنعمات السموات والأرض - وبدائع الظلمات والنور

(ج) تصور أعظم قصر منيف للملك عظيم . مرقش السقف مزين الجوانب والاركان - والحيطان والسقف بما لا يرى الا في خزائن الملوك وفيه سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمازق مصفوفة وزرابي مبثوثة وترى الطنافس (نحو السجاجيد) طويلاً إلى برخالية الشعر خلافة النظر وفي وسط ذلك القصر حجرة بهية جميلة مزخرفة معلقة على بابها ثمان ستائر فاما السبعة الاولى فانها ذات ألوان مختلفة فمنها الاحمر ومنها الاصفر ومنها الازرق ومنها النيلي ومنها البرتقال ومنها الاخضر ومنها البنفسجي فهذه الستائر السبع المختلفة الالوان فانها تتضام وتتداخل وتتحد وتصور ستارة واحدة ذات لون ابيض تسر الناظرين واما الستارة الثامنة فهي سوداء . فيرجع عدد الستائر إلى اثنتين بيضاء وسوداء

هذان الساتران يتعاقبان على تلك الحجرة التي في وسط القصر وفي داخلها رجال كثير ونساء فاذا أسدل الستار الاسود ظهر ما في القصر من الحجرات والاركان ونقوش السقف والجواهر المرصعة في اكنافه فانفتح بالظلمات ما في القصر من الفرس المرفوعة والاكواب الموضوعة والجواهر المرصعة والهداير الالامعة والبراقيت البهجة

فاذا أسدل الستار الابيض حجب القصر وما فيه وحجب البياض عن سكان الحجرة كل جمال وبهاء ولم يروا الا النقوش البديعة واختلاف الالوان في اشعار الطنافس المنروشة تحت الارجل من احمر قان واخضر ناضر وازرق زاهر واصفر قاتم وابيض تامع فالستار الابيض يحجب القصر عن سكان الحجرة ويضيء داخلها والستار الاسود يظلم داخلها ويضيء خارجها

(س) هذا التمثيل غير معقول وكيف يكون الظلام مطياً لاجبار وكيف يكون الضياء حاجباً عن العيون بدائع القصر وغرائب الفسح

(ج) أما القصر فهو العالم من السموات والأرض وأما السائر الأسود فهو الليل وأما الأبيض للشكل من سبعة الألوان فهو ضوء النهار وأما منقش السقف ومزرق الجدران والحيطان فهي النجوم وأما الخيرة التي فيها السكان فهي الأرض عليها نوع الإنسان والليل إذا أرسل سدوله ونشر مطارفه السود فإنه يحجب عنا ما قبلت الأرض من الاشياء الجيبة والنقوش البديعة . ويرينا النجوم وضياءها من السيارات الصغيرة والثوابت الكبيرة والمنازل العالية والبروج المشيدة ومن ذا يرى النجمة القطبية أو بنات نعش أو الفرقدين الساهرين أو الثريا أو السماك الرابع إذا حجب الظلام زينة الأرض عن الأنام وطمس نقوشها فأبرز جمال العالم في مآته وزينته وبهاته ولا جرم أن الأرض المبرعنا هنا بالجمرة أصغر من كل نجمة من نجوم السماء والنجوم لانهاية لعددها ولا احصاء لاجرامها فهذه الكواكب السابوية هي العالم كله ولستأرواها الا في الظلام فاما الضياء النهارى فإنه يحجب عنا العالم كله . ولا يرينا الا ما تحت أرجلنا وهي الأرض ونقوشها وزينتها من النبات والحايوان والانسان والبر والبحر والطير فقد وضع ان الظلمة أضواء من النور وان النور حجاب الابصار . عن رؤية كل ثابت وسيار (س) لقد فهمت ما وصفت ولكن لم افهم كيف صارت الألوان السبعة لونا واحدا

(ج) ان ما تراه من الضوء للنسب على الأرض الذي يشع من الشمس انما هو الألوان السبعة كما وصفنا فالضياء مركب من سبعة ألوان والظلمة واحد بسيط قال كيف تفسر القرآن وتقول بلا برهان قلت ألم تر اني اوقس قزح الذي يظهر في السماء حين المطر وتراه ذات سبعة ألوان يقابل الشمس أينما كانت فان كانت في الأفق الشرقى قابله في الأفق الغربى وان تبت في الأفق الغربى بدلتاها في الأفق الشرقى فان ارتفعت ارتفع وان انحطت فهو بمعدنها تابع لها . أليست تلك الألوان لون الشمس تحلل ألوانا وتظهر للناس عيانا (س) فاضرب لي مثلا أقرب وانت يبرهان أوضح

(ج) ألم تر البثور المصنع الذي تراه في النعفات التقدات . ألم تركيب حلل النور في زواياه وصار الضياء الأبيض ألوانا وقد تراه في قطرات الماء المتترات في الرشاش ذلك بيان ماعنه سألت وإيضاح ماله طلبت . ألا وان هذه لحة من لمحات قوله تعالى - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور -

(س) اضرب لي مثلا يمثل حالنا على الأرض وحال الكواكب الجارية (ج) ان مثلنا على الغبراء كمثل سمك يجرى في بحر لحى يجرى من فوقه السفن الجاريات في البحر كالجلال فوق سطح الغبراء وما أجهل السمكات بالسفن الجاريات فهكذا حالنا مع الكواكب انهم لي جرين في السماء ولا علم لنا بها الا كما يعلم السمك من حال المسافرين في السفن الجاريات في البحار (س) كيف تعرف أن الألوان السبعة ترجع الى لون واحد ومن أى علم تقف على ذلك

(ج) على المسلمين في أقطار الأرض أن يتعلموا العلوم الطبيعية عليهم أن يفهموا ما ذكر الله في الأرض والسماء عليهم أن يفهموا الحيوان ويدرسوا النبات ويفقهوا ما ذكر الله لهم في العالم من الجمال والبهجة والبهاء ألم تركيب كان معنى الآية التي نحن بصدها . هكذا الله مستحق الحمد على النعم التي أنعمها على العباد من السموات والأرض والظلمات والنور ومع أنه مستحق للحمد والشكر ترى الذين كفروا يربهم الذي رباهم بهذه النعم يعملون من الحمد فيكفرون بنعمه ولا يشكرونه عليها وكيف يشكر المسلمون نعم ربهم اذ جعلهموها بالشكر لا يكون على المجهول . ألا فتعلم هذه العلوم في مدارس الاسلام والاحت علينا كلمة العذاب

(س) اذن تريد أن تقرأ كل علم بما يقرؤه الغربيون وكأن دينا يطلبها كلها (ج) نعم اني أقول بأعلى صوتي مادام المسلمون يجهلون هذه العلوم فانهم عن شكر الله غافلون ولذلك ضرب عليهم الذل خيامه وأودرهم الجهل موارد الملكة وسلط عليهم جبرائهم فأحاطوا بهم من كل فج عميق

فمن نفر الناس عن هذه العلوم فإنه ضال مثل جاهل حقود . هذا كلام الله وهذه شريعة نبيه وهذا حجة الاسلام الغزالي لما شرح باب الشكر في الجزء الرابع من الاحياء ذكر السماء ونجومها والارض وجبالها والسحب وبرقها والرعد وصوته والبرق وضوءه . وقال من عرف الله بهذه الخلوقات وتأمل هذه الكائنات ودرس هذه النظامات فهو الشكور ومنه القطب الشيرازي والفخر الرازي . فهل هؤلاء الاعلام ضالون وأعداءهم ممن يصتقون عن هذه العلوم مهنتون . وإذا كان القرآن ونصوص العلماء لا تنفع الجاهلين فهل الجاهلون هم المحقون اللهم ألهم أمة الاسلام وعلم طلاب الدين جلالك وجلالك وارهم محاسن صنعك حتى يقولوا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فكفنا عذاب النار

(س) لقد قرر الامام البيضاوي في هذه الآية تفسيرين فهل توفيهما وتأني بمثل آخر عليهما

(ج) التفسيران اللذان ذكرهما الامام البيضاوي يرجعان الى تقدير الاعراب فان جعلنا التقديران نعتف الجلة الثانية على جلة الحمد كان المعنى هكذا الله المستحق الحمد على نعمه المذكورة ثم الذين كفروا بالله الذي رباهم بتلك النعم يبدلون عن حده ولا يشكروه وان عطف على جلة خلق صار المعنى هكذا الحمد لله الذي خلق ما ذكر ثم الذين كفروا بسوء ربهم الذي خلق ذلك غيره من الأوثان التي لا تخلق ويكون أول التفسيرين كقوله تعالى - ان الله لنفضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون - وعلى التأويل الثاني كقوله - أفن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون -

(س) فرب لي مثل نعمة الله التي نجعلها وكيف يكون الجهل مانعا من الشكر وكيف تكون العلوم التي يدرسها التلاميذ في أوروبا وشكر الله عز وجل فبين هذا مثال محسوس مشاهد في المنازل ودع السماء ونجومها والشمس وقرها والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس فقد تكرر على أسماعنا ونوالى على عقولنا

(ج) هل تعرف الفحم الحجري والفحم البدي وهل شاهدت الدخان المتصاعد منها الدخان للثياب المسود للفرش الذي يظلم للكان وتدمع منه العينان . أخبر هو أم شر . فقال بل شر قلت ان ذلك الدخان المنبعث عن الفحم الحجري نعمة من الله كبرى على العلماء ومعبية على الجهلاء فان هذه الظلمة المشية للمنازل المدسة للثياب ذات الرائحة الكريهة والمنظر القبيح تعلى للناس نورا وتضيء الثياب بأجل الأوثان ونولد الكهرباء وتدير المولاب وتسوق القطار كما يسوق البخار . وتسير السفن في البحار وقطرات الغرام في شوارع الاسكندرية والقاهرة فتجيب كيف أبدع الله النور والظلمة وسواهما وأحكمهما بحيث اتخذ النور من الظلمة والحركة من السكون والجمال من القبح ان الله لنفضل على الناس ولكن أكثر المسلمين ناثمون

(س) هذا خارج عن المعقول وكيف صار الدخان نورا أوضح لي هذا للمثل

(ج) اعلم أن الله عز وجل أدعش العقول بهجائب حكمه وبدائع صنعه وجعل هذا الفحم الذي تراه في بيوتنا على أربعة أنواع الحجرى والعظمى والنباتى والطبيعى المسمى فحم الجرافت . وهذه الأنواع الفحمية كلها من نوع الظلمات . وهناك فحم آخر يسمى فحم الموجات وهو الذى يتخذ بميتراكم من الدخان المستطير من الفحم الحجري حين احتراقه المتصاعد الى أعلى فيتخذ ويحصر ويضبط عليه ويحبل أشكالا مستطيلات وهذه هي المسماة فحم الموجات . فاذا أخذت قطعة من تلك وألبست من أعلاها قطعة نحاس سميت العمود النحاسى فاذا وضع ذلك العمود النحاسى في إناء من الفخار الذى كثرت مسامته ووضع ذلك في بطارية ثم أتي بعمود من الزنك الذى يسميه علماء الكيمياء بالخالصين ويسميه العامة بالتوتيا وهو الذى يتخذ منه الأذلاء (جمع دلو) التى يستقى بها المساءة (جراول) فيحصل عندنا الآن العمود النحاسى وعمود التوتيا الموضوعان في البطارية ثم يولى بملح النوشادر الذى يبيض به المبيضون ويذاب في الماء ثم يوضع ذلك

الماء للساب فيه ملح النوشادر في البطارية فتحلل أجزاء من التوتيا ويحلل الماء كذلك الى أوكسجين وأودروجين ويحصل تفاعل ما بين الفحم وما أحاط به من المركبات الجديدة فيتولد تيار كهربائي ما بين الموجب وهو هودو الفحم السالب وبين السالب وهو الزنك . فالخلاصة أن دخان الفحم الجبري المنفوط الذي سمي لحم الموجبات اذا وضع في بطارية وقرن بقطعة من الزنك وجمعهما بماء مناب فيه ملح النوشادر فان الله عز وجل يولد بين تلك الأشياء الآفة كهرباء . فتجب كيف كان دخان الفحم المظلم مشرق الأنوار ومولد الأضواء ويجري العربات ومسير السفن والقطارات وسائر القرام وموقد البيوت وشراح الصدور وضارب أجراس المسرة (التلغون)

(س) ماعنى قولك كهرباء .

(ج) انها مثل ما يحصل للفلاح حين يشتر على سمك يسمى (أبا الرعاش) فهذا السمك يحدث حالة في جسم الذي يطلده فهذه كالكهرباء .

(س) كيف يحدث الدخان ضوءاً وهو مظلم

(ج) ان الفحم الجبري اذا أحرق بالنار في إناء عظيم تطاير دخاناً فيستقبلونه في ماء كإبريق دخان مدخن الحشيشة في ذلك الذى يسمونه (الجوزة) فإذا صر من ذلك الماء رسب فيه القطران وصر خالص الدخان الى ماء آخر ثم آخر حتى يصير دخاناً صافياً تاماً ومتخلف في تلك المياه فانه يعطى أصبغاً من أحمر وأصفر وغيرها حتى أولمها بعض الألمانين الى ألنى لون وأما الدخان الصافى فانه يمر في الأنابيب متجهاً الى الشوارع والمنازل ويحصل له منافع في الأمكنة المراد إبقاؤها ففى ليست بالنار اشتعلت وذلك المسمى (غاز الاستمباح) الذى نستنشق به في شوارع القاهرة والاسكندرية وذلك غير ضوء الكهرباء التى شرحناها فانها تولد النار والضوء والحرارة والحركة

(س) عرفت لحم الموجبات والفحم الجبري وكيف ولدت الكهرباء منهما وكيف كانا مصدرين للأضواء والألوان فما فائدة الفحم العظمى والنباتى والجرافات

(ج) الفحم العظمى هو المتخذ من العظام المحرقة ومن خواصه سلب ألوان السوائل الملوثة به حتى ان غسل الأحرار اذا تخلص سلب لونه . والفحم النباتى المتخذ من الأشجار يذهب بالعفونة وله منافع أخرى ليس كلامنا فيها فان الكلام في تفسير قوله تعالى - وجعل في الظلمات والنور - وهكذا ليس لنا أن نشرح لحم الجرافات الذى خلقه الله عز وجل في الجبال كهية صفائح وجعله نافعا للكتابة وهو الذى يسمى بعد وضعه في خشب البردار (أقلام الرصاص) على أن الفحم العظمى والفحم النباتى يصلحان لما يصلح له الفحم الجبري من إحداث الأضواء ولكنه هو المستعمل النافع . ومن عجب أن الناس من الفحم حتى ان العالم (دافى) ضغط على الكربون اخلاص صار ماساً وحلل الناس فرجع الى كربون . أليس من العجب أن يكون الفحم منبع الكهرباء والنور والحركة وأن يصير ماساً تحلى به الفانيات ويجعل ذخيرة في الخزائن فما أجل العلم وما أعجب الحكمة . فمن ذا الذى يعلم هذا ولا يأخذه العجب كل مأخذ من الجهل القاضى الذى حل بنا معشر المسلمين يقول الله عز وجل - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور - يقولونه أهل الحمد على هذه النعم والذين كفروا يصنون عن الحمد على أحد التفسيرين ونحن غافلون عن حكمه في عجائب صنعه فإذا جهلنا نعمة الدخان فكيف نشكره تعالى عليه . اللهم علم أمتنا وأهلنا الحكمة اللهم إني برى عن يصدون عن العلوم اللهم إني أعجب لهذه الأنوار الناجية من تلك الظلمات . أعجب كيف جعلت النور من الدخان . كيف أدركت الصلابة بالكهرباء الناجية من الدخان وهو لحم الموجبات . أعجب كيف خلقت الناس من الفحم . اللهم انك أعززت قوماً بالعلم وأذلت قوماً بالجهل

بالجهل اللهم ألهمنا العلم والحكمة إنك أنت السميع العليم . فهذه جوهرة من جواهر بحور أنوار أسرار قوله تعالى - وجعل الظلمات والنور - وهبة من نعماتها ونقحة من قضاها وسر من أسرارها . اللهم ألهمنا العلم والحكمة وأدق آتينا الإسلامية حلوة العلم كما أذقتها مرارة الجهل وألها درجات النز كما نزلت لسوء طالعها في دركات الجهل إنك سميع عليم

(الآية الثانية والثالثة)

(هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تموتون وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون)

أثبت الله عز وجل فيما تقدم وحدانيته بما أبان من خلق السموات والأرض وما أودع من النور المنبج وما أروى على الكون من ستائر الظلمات فى جنح الظلام فأورد فى هذه الآية دلائل البعث بمصداق من الحق وما أراح من النك وأبان من السلطان والحق والبرهان إذ يقول - هو الذى خلقكم من طين - فان أسلكم وهو آدم منه وأنتم باي آدم من التراب خلقتكم . ألا ترون الى أجسامكم كيف كانت من العناصر الأرضية مركبة وكيف لا وأنتم تفتنون بما أنبت الأرض مما حلت على ظهرها من كل نابتة أنفنت عروقها فى بطنها فاخضرت واستوت على ساقها وازينت . النبات إنما ترعرع ونما بما سقى اليه من الهواء وما أوتى من الماء وأتيح من العناصر الأرضية وليس للحيوان والنبات والمخلوقات العامة من الماء والهواء الخ فليس جسم الانسان غريبا عن هذا العالم فهو من ذلك كله ركب ونظم على أعجب نظام وأبداع أدهان . ومن ذا الذى يذكر عناصر الجسم الانسانى ونظامه وتركيبه ثم لا يوجب كيف ضم عناصرها الى عنصر وهواء الى ماء وفسورا الى حديد ورملا الى جبر فجمعهم عز وجل بمقدار وسواهم بحسبان ووزنهم بيزان . الانسان طين يمشى وجاد يتحرك وموات يعقل . جسمك مركب مما تدوسه بقدمك وتأكله بضمك وتستشقّه بأفك من الأرض والغذاء والهواء . أنت تعقل وتفكر وتصور العالم فى عقلك تزن الدنيا والآخرة بفطنتك وذكائك . ثم اذا حلت جسمك أثبته بماتعافه الأنفس ولا تدبه الاعين فى العظم فسفور وجبر وفى العين رمل مصنوع مع مواد أخرى تكون الجسم الزجاجى فيها كما يفعل الزجاجيون ولولا الحديد ما صلح الدم الحيوانى . لا ينطق الرمل كلا ولا الجبر ولا الحديد ولما اجتمعت وانتظمت هى وغيرها وتألفت واتحدت أحدث الله فيها سره المحزون وعلمه المسكون ونفع الروح وأزل العلم وقال لى جاعل فى الأرض خليفة ومن ذا الذى جعل مقر الشهوة فى المعدة وماحتها ثم أحل آثار النضب فى القلب إذ يحتاج ساكنه ويفى مرجله ويحمى فطيسه اذا ما أغضب الانسان وكيف جعل العقل مستقرا فى الدماغ . تراب وماء وهواء وعناصر شتى اتحدت معا فكان أعلاها ذلك ودولته وأعوانه من سمع وبصر وذوق وشم فالعقل هو الملك الأعلى وله المكان الأعلى (وهى الرأس) فأما القلب فستوى النضب ومثار الدم ومصدره ومورده . ولقد نبج للعلاء والحكماء فضل العقل على القوة النضبية وهى أعلى من قوة الشهوة . فحبب كيف كان الأعلى لأعلاها والأوسط لأوسطها فأما الأدنى فهو أجدر بالشهوات وتعاطى الملاذات الفظيضة من المواد الأرضية فستقرها المعدة والأمعاء ثم كيف نظمت الأعضاء وكوّنت العضلات . أليس هذا كله من الهبات وكيف يكون طول كل انسان ثمانية أشبار بشعره واذا مده يديه الى أعلى كان طوله عشرة أشبار ونكون سرته إذ ذاك فى وسطه بحيث انك لو قست من أسفل القدم الى السرة ومنها الى أصابع يديك للمدودتين لكان كل جزء خمسة أشبار واذا مده يديه الى الجانبين على طول الباع كان طوله كعرضه وكل ثمانية أشبار . ذلك كله من الطين المركب . ذلك الحبب فى صميم الانسان وجسم الانسان مركب من عناصر الأرض والماء والهواء والمعادن وهى لا تنقل ولا تحس ولا تبصر فلما اجتمعت نظمت بأبداع نظام وقسمت ورتبت وهندست

وجعلت بمقياس بحيث صار طول الوجه كطول القنم شبر ورربع شبرا لا إنسان اذا اعتدلت خلقته واستقامت في سائر ما تقدم ثم تحركت ونطقت وعقلت وديرت النفس والمنزل والمدينة وربما أدارت ادارة الكرة الأرضية وهي كالألم عناصر ميثوتة وأجزاء ملقاة فمن ذا الذي كونها ونظمها وهندسها وأنطقها وسواها وعلمها وأهلها بجورها وتقواها نعم هو الله فهذا كله داخل في قوله تعالى - هو الذي خلقكم من طين - ومعنى قوله - ثم قضى أجلا - قدر لكل امرئ وقتا يموت فيه ويطلق الأجل على مدة الحياة ما بين تفتح الروح والموت قوله وأجل مسمى عنده هو أجل القيامة أو المدة ما بين الموت والبعث وعلى ذلك يصير المعنى هكذا استدلالا على البعث هو الذي جمع العناصر المفرقة من الطين وما في معناه فنظمها وهندسها فصوركم منها ونفخ فيها الروح وقضى لكم أجلا تنهون اليه وغاية تالونها وهو الموت وارتضى لكم مدة تعيشون فيها وهي ما بين تفتح الروح في الجسم وقبضها بالموت وعنده أجل آخر قضاء لكم وهو القيامة أو المدة التي ما بين موتكم وقيام الساعة فاذا كان الله عز وجل قادرا على جمعكم من شتات العناصر المفرقة والاجزاء المبددة وعلى ضرب أجل لبقائكم فكيف تموتون وتشكون في البعث وقد شاهدتم أول الخلقين وأول الأجلين ومن قدر على ما سمعتم من المدهشات في خلقكم وترتيب أبدانكم فهو أقدر على إعادةكم فالعطف بهم هنا استبعاد لامتناعهم وشكهم من بعد أن علموا أنه خالقهم وخالق أصولهم ومنظمهم ومحبيهم إلى آجالهم فان من قدر على خلق العناصر وترتيبها وتنظيمها وتصويرها ونفخ الروح فيها وإبقائها إلى ما يشاء كان أقدر على جمع تلك المواد وإحيائها ثانيا فظهر بهذا أن الآية السابقة توحيد واللاحقة استدلال على البعث . ولما كان الناس كثيرا ما يخدعون أنفسهم فيقولون نعم آمنا بالله واليوم الآخر ولكننا لنفعل المعاصي بحيل ننتهبها لقلناها عن السابقين كأن نحتال على عدم الزكاة ببيع المال لولد أو قريب أو زوج قبل أن يحول الحول فينجدد الزمن وتسقط الزكاة ويظن الفقهاء أنه بذلك نجوا من الأثم وتخلص من العقاب أو يأكل الرجل ويشرب في رمضان في كسر ريت يخادعون الله والذين آمنوا ما يخدعون إلا أنفسهم أو يصلحوا بها - وهو الله في السموات وفي الأرض - كأنه عز وجل فيهما الكمال علموا حاطته بالسكيات والجزيات وقوله يعلم سركم وجرهم بيان وتقرير . يقول بعد أن قرر التوحيد والبعث ان الله أحاط بالسموات والأرض علما لا تخفى عليه فيها خافية فساكنه إفيهما فهو يعلم سركم وجرهم كما ينبغي وما يظهر من أهمال أنفسكم فانها من العالم . ويعلم مكسبكم من أهمال الجوارح والأعضاء غافوا عقابه فهذه الآيات الثلاث منظمة هكذا أولاها توحيد والثانية للبعث والثالثة اثبات علم الله بما في الآفاق والأنس ليخاف الناس يوم الحساب ويستقيم أمر الماعاش ليفوزوا يوم القيامة بالثواب وينجوا من العقاب

• ثم الكلام على السؤال الثاني

الجواب على السؤال الثالث . وهو ما كشفه العلم في ترتيب هذه الأربعة وهي السموات والأرض والظلمات والنور

(عجائب القرآن في العلوم الحديثة)

وانه حرام على أهل العلم في أقطار الاسلام أن يخفوا على قلوب الشبان فلا يفتنهم لهذا الجبال لتبتدى الآن في شرح السؤال الثالث . الكلام على خلق السموات ولماذا قسم . فقلت لصاحبي . اعلم أن ترتيب هذه الأربعة هو الذي جاء به العلم الطبيعي والفلسفي وعلم طبقات الأرض . قال حدثني كيف كان ذلك . قلت تصور أنك في مكان خال ليلا في فضاء متسع وقد رأيت حولك ظلاما كالكا وهناك نجوم مبعثرة في أقطار السموات . قال تصورت ذلك . قلت والنسبات تهب عليك وخفيف الاشجار وصرير الماء وأصوات الحشرات في الحدائق الفناء والأحراش والزروع وليس في المكان إلا أنت تسمع هذه النغمات المختلفة وقد صفت نفسك وانشرح صدرك ورأيت جلا يحيط بك . قال تصورت ذلك . قلت وأنت تعلم أن النجوم الجليات التي

أحاطت بك تبلغ مئات الملايين . قال نعم . قلت وكل واحدة منها غالباً أكبر من شمسنا بألاف الآلاف ولكل كوكب من هذه الكواكب سيارات مثل أرضنا . قال نعم . قلت إن لم تكن قرأته في المدارس فقد صم في هذا التفسير قال قرأت هذا ذلك . قلت فهل تدري أى شئ من هذه خلق أولاً قال اعلم أن العالم كان أصله مادة لطيفة جداً لا تؤثر فيها المؤثرات فلا للحر ولا البرد يؤثران فيها وهذه هي السماء بالآثير ثم هذا الآثير يكون منه ضوء وحرارة وحركة وكهرباء ومغناطيس وهذه المشكورات يتقلب بعضها إلى بعض فالحركة تكون حركة والعكس . قلت له لأفصل لك هذا المقام بعض التفصيل . فأقول إن الجرم يشاهد على ثلاثة أحوال إما أن يكون جامداً فتكون فيه الصلابة واللدونة والتبلور مثلاً والأشكال المختلفة وإما أن يكون سائلاً كالماء وهو ينفقدها كلها فلا صلابة ولا لدونة ولا تبلور ولا أشكالاً ثابتاً بل هو سائل لالون له بل هو شفاف ولا كشاف بل هو لطيف وإما أن يكون (غازاً) أى جسماً خائفاً والماء إذا صار غازاً بالبحر مثلاً زاد تمدداً وانبساطاً فيزيد حجمه ١٧٠٠ مرة عن حاله وهو سائل وتصبح الأجسام الغازية كلها شفافة متعددة لا أثر فيها للصلابة ولا للدونة ولا للون ولا للشكل ولا لتغيرها وتعتبر من كل ما متنوع به السوائل والجوامد ولا تختلف الغازات عن بعضها إلا في عوارض قليلة كالوزن وبعض أعراض أخرى

وقد أثبت العلامة كوكس والرابعة بتجارب خاصة تصير فيها المادة أطف من الغازية فيسرع التها بها وتضيء ويكون بها شعاع كهربائي تقوم به أشعة وتنبعث وتسمى الحالة المشعة وهي تبعد في الطاقة عن الغازية أكثر من ابتعاد الغازية عن الحالة المائية . وهناك حال خامسة وهي الآثيرية أى إن تكون المادة أثيراً وهي لا تقبل الوزن وتكون منشطرة مائلة الكون بأسره وباختلاف اهتزازها تولد الحرارة الكهربائية والأشعة المرئية والتي لا ترى . وهناك حال سادسة لم يقل بها العلماء الأرواح إن لروح جسماً سائلاً لا ينفصل فيه أقصى الحر ولا أشد البرد وأى فصل فهذه الأحوال الست هي آخر ما وصل له العلم الحديث في المادة فأطلقها الشفاف التي هي أقرب إلى الأرواح ثم الآثير ثم المشع ثم الغاز ثم السائل ثم الصلب . فترى الزرع والحيوان والأشكال الكثيرة في حال الصلابة فيكون هناك الاختلاف أكثر ويكون الاختلاف في الماء أقل فلا اختلاف في حال الغلط وكما صفا الجسم كان أقرب إلى الوحدة فالوحدة في الطاقة والكثرة في الكثافة . وأصل هذه المولم من مبتدأ أمرها كانت لطيفة بالحالة الآثيرية وما يقرب منها ثم حصل تجاذب وتدافع فتكثفت شمس كثيرة لما تقدم وتلك الشمس هي التي تراها . وهذه الشمس دارت مئات الملايين حول نفسها وهي في حالها التوربية الشفافة ثم أخذت تنقلص شيئاً فشيئاً وأخذ بعضها ينفصل عنها من عند خط الاستواء فيها بسبب سرعة الدوران فتكون السيارات كالأرض والمريخ والمشتري الخ فالأرض إذن تكونت بعد الشمس . وعلى هذا تكون السموات وهي الأجرام الآثيرية والشمس التي تجرى فيها عاصفة قبل الأرضين لأن الأرضين ما هي إلا تلك الكرات المنفصلات بعد تكون الشمس التي خلقت من الآثير أوفيه فثبت بهذا ثبوتاً علمياً لا يشك فيه أحد من أهل الأرض أن السموات خلقت قبل الأرض فهذا هو السبب في ذكر الأرض بعد السموات . فقلل ولماذا أفرد الأرض قلت له أذكر لك باني قلت لك اجلس في أرض قفراء والسماء حولك فهل رأيت الأرض واحدة وهي التي أنت عليها أما الأرضون الأخرى فلم ترها قال نعم قلت هو ذاك . قال حدثني إذن عن الأرض وعن الظلمات وعن النور كما عدت بالكلام على خلق الأرض فقلت أما الأرض فأنها لما انفصلت عن الشمس كانت حارة حرارة شديدة . قال إذن هي كالشمس قلت كلا إن الشمس ربما كانت حاروتها تقترب بمئات الآلاف من المبرجات ونحن لا ندرىها ولكن الأرض أمكننا معرفتها . قال وكيف ذلك . قلت بعلم طبقات الأرض قال حدثني عنه وأوجز . قلت له إن وجه الأرض كانت حرارته إذا ذاك نحو ٣٣٠٠ ثلاثة آلاف وثلاثة درجة من الحرارة . قال أنا أعرف معنى درجة الحرارة ولكن أرجو لإيضاحها لم يقرأ علم الطبيعة فقلت أنت تعلم أن

الماء يكون ثلجا قال نعم قلت فإذا كان مقطرا فإنه في حال سيلانه تسمى درجته صفرا فإذا سألنا عليه النار وغلا وفار فهذه تسمى مائة فالأحوال التي طرأت على الماء حتى أوصلته للغيان قسموها مائة درجة وجعلوا هذه الدرجات مقياسا قال فهمت ولكن قل لي من أين جاء لنا أن الأرض كانت حرارتها ٣٣٠٠ درجة عند انفصالها من الشمس ومن أين جاء لنا أن الشمس كانت أكثر منها حرارة قلت لأن قشرة الأرض تبلغ مائة كيلومتر عند علماء طبقات الأرض وكل ثلاثين مترا تزلها في باطن الأرض ترتفع الحرارة درجة ففي عمق ٣٠٠ متر عشر درجات وفي عمق ثلاثة آلاف متر مائة درجة وفيها يغلي الماء فإذا ضعفنا هذا المقدار ٣٣ مرة وثلاث بأن نعمقنا إلى مائة كيلومتر صار عندنا نحو ٣٣٣٣ درجة أي تكون درجة الحرارة بمدقشرة الأرض مقدار ما يغلي الماء نحو ٣٣ مرة وثلاث أي حرارتها أعلى ٣٣ مرة وثلاث من حرارة غليان الماء وهذه الحرارة أقل من حرارة الشمس لأن الأرض لم تنصل إلا لأنها كانت بالنسبة للشمس قشرة ظاهرة فانصلت فهي أبرد منها والشمس التي نراها يذوب فيها كل شيء فتكون العناصر فيها إماممدومة ولما قبلية فإن النجوم البيضاء التي هي أشد حرارة من الشمس لا تحوي من العناصر إلا الأودروجين والقصفور ولم تظهر عناصر أخرى فيها أما الشمس فلما كانت أقدم عهدا كانت عناصرها كثيرة لتولد لها وطول عمرها والحديد فيها بحسب ما ظهر من أتوار الطيف عنصر مركب من عناصر مجهولة عندنا لكونه هناك أكثر حرارة فانضج أمره فيها أما في الأرض فهو معتبر بسيطا . قال ثم ماذا حصل لما انصلت الأرض . قلت إن الأرض كانت كروية تدور حول الشمس وأخذت حرارتها تنقص بالنسبة لعمر جمهاه قال حسن ثم ماذا قلت أخذت الأرض تبرد وزر في لحاقشرة في ملايين السنين فتكونت ٢٦ طبقة كل طبقة مقبرة عن الأخرى وهذه الطبقات في ستة عصور تقدم ذكرها وهي . العصر الأصلي والانتقال والثانوي والثالثي والطفواني واللاحق للطفواني وهو الحالى . فالقشرة الأولى حجر صوانى شديد الصلابة . والقشرة الثانية في العصر الثالثي كان فيها طبقات راسية وبعض الحيوانات والحيتان . وفي الثالثة ظهرت الأشجار . وفي الرابعة ارتفعت الجبال الشوايع وارتفع مائى جوف الأرض من الإصداق وظهرت الطيور والحيوانات البرية . وفي الخامسة حصل طوفان عام وبرد القطبان فجاء وكانا حارين تحك الاستواء . والسادسة هي التي نحن فيها الآن فلما كان العصر الأول أيام الطبقة الصوانية كانت جميع المعادن من الذهب والفضة والنحاس والقصدير تكون جوا حول الأرض وتطير سحبا كما يطير السحاب الآن . فقال ولماذا قلته لان البلاتين يصهر على ١٧٧٥ من الحرارة والذهب يحتاج الى ١٠٧٥ والنحاس الى ١٠٥٤ والفضة الى ٩٥٤ والالمنيوم الى ٦٢٥ والخراسين الى ٤١٥ والرصاص الى ٢٢٦ والقصدير الى ٢١٠ والكبريت الى ١١٤٥ والفسفور الى ٤٤٣ وهكذا والماء الى صفر

(السحب التي كانت تطير ذهباً وفضة وبقية المعادن)

فأنت ترى أن حرارة الأرض في الأزمان الغابرة لما كانت مرقعة بحيث تبلغ نحو نصف ما ذكرناه بأن كانت ألفا وخمسة أوالتي درجة في الصور السابقة أو أكثر من ذلك كانت للمعادن في تلك الأيام وقبلها تترسب سحبا ثم تؤول بينه ثم يحبله ركنا ثم تنزل في خلجان في باطن الأرض وهي تجري على اليابسة فكان هناك أنهار من ذهب ومن فضة ونحاس وقصدير وخراسين وأمثالها . وأول ما وجد من المعادن التي ذكرناها البلاتين فالذهب فالنحاس فالفضة فالالمنيوم فالخراسين فالرصاص فالقصدير والكبريت فالفسفور . وبينما كنت ترى الخواصين أصبح جامدا إذا لكبريت لا يزال بخارا في الحق والفسفور كذلك فإن الخواصين يوزع حرارة أشد من الكبريت والكبريت يوزع حرارة أشد من الفسفور وهكذا على هذا الترتيب فهذه الأمطار التي صارت أنهارا من المعادن لا تزال باقية لأن أنهارا جدد بالبرودة وموت عليها أجيال في

تلك الطبقات الصخرية ثم حلت زلازل وعوامل هامة فارتفع ما كان باطنا ووصل إلى أعلى بذلك العوامل ورفع ما كان فيه من المعادن وذلك هو الجبال التي نراها اليوم فان الأرض قد رفعتها كما ترتفع أسنان الطفل في فمه . فقال صاحب مامنى كما ترتفع أسنان الطفل . فقلت لأن الجبال لما كانت صلبة وفيها منافع اقتضت الحكمة أن ترتفع إلى أعلى لا أن تبقى في أسفل الطبقات وأسنان الطفل كانت مواد في الجسم فاجتمعت وتجمعت وظهرت في الفم فنفعت في هضم الطعام هكذا جبال الأرض فيها ذهب للنافع وللزينة وحديد ونحاس وقصدير إلى آخره وهذه الآن فضل فعل الأسنان فهي زينة وطاحة للأشجار كالخديد ومهلكة للحيوان وللإنسان فالحيوان يذبح بالحديد وكذا الإنسان يموت بالدافع وهكذا . فالجبال أسنان الأرض والمظالم التي في أفواحنها خلقت لمنافعا . ألت هذا تفهم قوله تعالى - وأزلفنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس - وهذا كقوله - أنزل من السماء ماء - فكلأهما أنزال وكلاهما من السماء . وهذا مطر وهذا مطر وهذا نهر وهذا نهر وهذا تلج وهذا معدن ظهر في جبالنا . فاذا استخرج الناس المعادن اليوم من الأرض تلك أمطار أنزلها الله في قديم الأزمان تبقى لنا عزوة إلى وقتنا الحاضر . إن المسلمين لافاقون إن المسلمين لانمون إن المسلمين لا يقرؤون ولكنهم سيقروا بعد انتشار هذا الكتاب وأمثاله وقد ظهرت بوادره بانتشاره في الأنظار كما ألمت من الملبع الحكيم بل كما برزت بممورا قاء المسلمين في المستقبل القريب

(قشرة الكرة الأرضية والكرة النارية فيها)

قد قلنا ان قشرة الأرض طبقات ٢٩ ولها عصور ستة وانها مائة كيلومتر وقول ان قطر الأرض نحو ١٣ ألف كيلومتر فيكون نصف القطر فوق سبعة آلاف كيلو وهذا المقدار أكبر من القشرة المذكورة نحو سبعين مرة والقطر كله أكبر من القشرة ١٤٠ مرة فليس ذلك كقشرة الفخانة والبيضة والبطيخة فقشرة الأرض قشرة قاحلة وقشرة بيضة والأرض الحقيقية هي النار

(الأرض التي خلقها الله كلها كأرضنا)

ولقد علمت أن هناك شمساً تمتد بمئات الملايين وكل شمس حولها أرضون وبعبارة أخرى حولها سيارات كسيارات شمسنا ومن السيارات ما أصبح له قشرة كقشرة أرضنا ومنها ما لا يزال دخاناً ونارا منفردة جدا . ولقد قال علماء العصر الحاضر أن أقل ما يكون حول كل شمس من الشمس المعروفة من الأرضين لا يقل عن ثلاث فاذا تصورنا ذلك وقلنا ان بقية السيارات حولها لا يزال متقدما فاننا على الأقل نتصور أن هناك ثلثائة مليون أرض باعتبار أن الشمس مائة مليون والتحقيق انها مئات ملايين كما قسم في هذا التفسير فلنقف في العد للأرضين عند ثلاثمائة مليون ولنقل ان فيها سكانا لانه ليس بعقل أن تكون حالية ويكون لها قشرة كقشرة أرضنا وهذه القشرة قد تكون رقيقة وقد تكون سمكة فاذا كانت رقيقة كأرضنا أيام ان كانت حارها حمر تفتت فان اضطرابها وغليانها يمنع سعادة سكانها ويقل راحتهم وإذا كانت سمكة كانوا أقرب إلى الراحة والعلمانية والسعادة

هل كشف العلم عالم جهنم ويكون ذلك مهجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن . أفلا نقول ان الأرض التي تمتد بالمئات كلها نار وإن سكانها اذا كانوا على حال فيه نيران تلظى يكونون أشقياء واذا كانوا في حال أصح يكونون سعداء وإن الشقاوة والسعادة نسبية وإن العوالم التي تكون نورية جميلة غير هذه الأرضين مشرق حقيقه تكون هي الجنة وتلك التي امتلأت ناراً هي جهنم . أوليس هذا عينه ما قسم في سورة آل عمران أن النار في الأرض كما هل عن سيدنا على وغيره وقد ذكرنا هناك أننا نقول ان هذه نفس النار ولكن تشبهها وعلى المسلمين الجنة في البعث فالعلم يعوزه الجدل قد عرفت فيما قسم أن حولة الشمس لا يعرف منتهى درجاتها وعرفت درجات حوارة الأرض وإن

البرودة هي التي بها الثلج والمعادن كلها. وأقول الآن ان أقصى درجات البرودة ٢٧٣ تحت الصفر فالبرودة ههنا درجاتها والحرارة لامتهى لدرجةها فالحرارة والبرودة بالمتوازى والجزر فيه - ما نرى شمسنا وأرضنا ومعادن وأمنارنا وحيواناتنا وأصلنا وحيوانا هذا أول العالم وهذا آخره . وقد تبين لك أن العوالم كلها كانت أقرب الى الجلود كانت ممتازة متفرقة متضاربة وكلما كانت أقرب الى البساطة كانت أقرب الى الوحدة وإن فشرة الأرض هي المظلمة فطبقاتها مظلمات وأصل هذه الطبقات أيضا نور فأصل كل شيء النور والنار بل أصل كل شيء هو هذه الوحدة الصرفة التي لاتنقسم . وكلما كان الجسم ألطف وأقل تركيبا كان أديم بقاءه وكلما كان أكثر تركيبا كان أقل بقاء . ولقد قال العلامة بلفور ستيفن إن جسم الانسان والحيوان والنبات أشبه بالبارود السريع الانفجار الذي يلتهب لأقل احتكاك فالعوامل الحيوية تحلل التركيب النيكلاوى دائما فيه والله يصلح ماثل من الأجسام ببعده المستمر أما التركيب المعدني فإن حياته تطول الى أمد طويل جدا . ألا ترى أن قطعة من الكربون تقرب بسهولة مع الأكسجين فيصدر عنها حامض الكربونيك وإذا أردت أن تفرق هذين العنصرين احتجنا الى ١٢٠٠ ألف وثمانين درجة من الحرارة أى مقدار ما يطفى الماء مضاعفا ١٢ مرة فأما العناصر البسيطة فليس هناك حرارة في أرضنا تفرقها والمادة الأصلية التي منها العناصر لا يمكن تحليلها . ولعلك بهذا فهمت قوله - وجعل الظلمات - فهو أول خلق السموات أى خلق هذا العالم المضيء المشرق ثم جعل الظلمات والجعل فيه معنى التحويل فكأنه يقول حول النور الى ظلمات والظلمات هي الطبقات المتقدمة وهي حقيقة ظلمات بعضها فوق بعض فأما النور فهو في أصله واحد فجمع الظلمات جاء من هذا التحويل فهنا سرّ قوله - جعل الظلمات والنور -

(ارتقاء الأرواح في عالم النور وسرّ قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وكيف كان

الانسان يسمى ليخرج من الظلمات الى النور وكيف أظهر الكشف الحديث هذا كله)

أفلا ترى أن هذا سرّ قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - فانه ظهر لك أن العالم كله نور في نور ولا ظلمة الا فطور الأرض التي تمتد بمئات الملايين وإن هذه الظلمات طارئة وانها لا بد راجعة لحالها الأولى ويقال في الكشف الحديث الروحي ان الأرض مغموسة مغمورة في ذلك الأثير العام المائي لسائر الفضاء وإن الأرواح لها غلاف كما تقدم لطيف ألطف من الأثير وإن هذا الغلاف مما اعترضه من أدران المادة التي في الأرضين كأرضنا هذه . يجب على الروح أن تنسى لتنتج من تلك الادوار لترقى في العوالم الجبلية وتخرج من ظلماتها وكأن المادة تجسستها فهي تتخلص منها لترجع لصفاتها الروحية وحالتها الجبلية . ولقد تقدم لك في جواب سؤالك الثاني أن اللسان تتج منه نور وكهرباء وذلك بالتفاعل ما بين خم الموجات والنحاس والزنك والسوائل المحيطة بها فجاء نور عظيم من ظلام دامس هذا ما ذكرته هناك وأقول هنا إن قوله تعالى - هو الذي خلقكم من طين - فتح هذا الباب وكأنه يقول كما جعلت من الظلمات نارا في الكهرواء المضيئة المشرقة هكذا جعلت في أجسامكم المظلمة هلمية وتحليلا وتركيبا يخرج منه نور لا ترونه أو ترونه كما أن الكهرواء فيها نور ترونه ونور لا ترونه فإذا قال الله هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا في الدنيا لهذا الجسم وأجل مسمى عنده بعد الموت فمعناه أنه يصفيه من هذا الظلام ليجهله خالصا كما قال في آية أخرى - وأن الى ربك المصير - فآلة نور وهو المنور للشمس والعوالم ثم جعل الظلام خلقنا فيه لنجعد حتى نرجع الى النور ككرة أخرى بحال أجل وأسمى وكان السمك لا يقدر أن يعيش في البر والحيوان البري لا يعيش في البحر وعالم الطير لا يعيش في التراب وعالم التراب لا يعيش في الهواء ولا في الماء وذلك لطبعه وخصيسته . هكذا نحن في الدنيا بألف كل منا ما كان على شاكلته صلاحا وفسادا وهكذا بعد موتنا نكون في عوالم على مقتضى جبلتنا فإذا كان الانسان متعلقا بالعوالم المظلمة لم يحمله قوة يدخل بها عالم النور وإذا دخل عالم نور قليل لم يقدر أن يدخل مهابا أو نورا

بل لا يقدر أن يصل اليه ولا يستطيع ذلك كما لا يستطيع في الدنيا أن يطير في الجوق وكما لا يستطيع السمك أن يعيش في البر وإنما هنا يموت السمك في البر . فأما هناك فلن تموت الروح بل تجد جاذبية تجذبها لمركزها كما يجذب الحجر إلى أسفل فاذن عالم الآخرة . بنى على الاستعداد لا غير وهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم • انك مع من أحببت واذن يكون الانسان من الآن عالما بموضعه في العوالم المقبلة • فقال صاحبي هل لك أن تذكر شيئاً من العلم الحديث في هذا ثم تبينه بما قاله القدماء حتى نعتقد ما تقول قلت أما في الحديث فاسمع

(الانسان مضي . وهو في هذا الجسد)

لقد جاء في صحيفة الماتان الفرنسية سنة ١٩٢٤ وتقلتها الجرائد المصرية في شهر مارس من السنة المذكورة أن معهد العلوم الرومية في باريس منذ شهر يواصل العمل مع التسكيم الشديد في تجارب مع الوسيط الإيطالي المشهور (ايرنو) وقد شهد هذه التجارب الدكتور (جبلي) وقد قال الدكتور (ستيفان تشوفيه) وهو من المعانين الخاصين للدكتور جبلي • إن هنا عجائب خارقة للعادة فإن من الوسطاء النؤمنين بفتح الواو من ينح النور منهم شعاعاً ظاهراً ولكن الوسيط الإيطالي (ايرنو) ظهرت منه أتوار أجلى فقد جرد السنيور (ايرنو) من ملابسه تجرداً تاماً ونحست جميع تجايفه الطبيعية فصا دقيفاً وبعد ذلك ألبس غلالة من النسيج صنعت له وهي ضيقة جداً بحيث تلتصق بجلده فلما نؤم تنويعاً مغناطيسياً ظهرت منه أتوار ما كان ليصدقها العقل فكانت تنبعث منه كرات نورية في كل مكان من الحجر غير متصلة بشئ بتاتا في سماء تلك الحجر فلم يكن هناك قوس ضوئي منير بينها وبين الوسيط وتارة ينبعث شرر كل شرارة أربعة أمتار وطورا يرى برق مختلف الابعاد وأحيانا ضوء عظيم ينتشر بين الوسيط والجدار والضوء غالبا يكون أحمر أو أخضر أو فيه بعض غلص قليل وهذه الأضواء لا يمكن اقتعاها بالكهرباء ولا بمواد مضيئة وهذه بشهادة أشهر علماء الطبيعة فقد بحث السنيور (ايرنو) لحصاديقا بأشعة (اكس) في نهاية جلسة عقدت يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٢٤ فلم يعثر على أي أثر غير عادي في جسمه وهذا تأيد نهائي وجود ظاهرات منيرة كغلبة بأن تكرر انقلابا تاما في جميع معلوماتنا الفزيولوجية (وظائف الأعضاء) والبيولوجية (علم الحياة) وفي نظرياتنا في المادة والقوة (وقد حدث انقلاب من هاتين المادتين الأخيرتين منذ بضعة سنوات) ومن الممكن أن تؤدي دراسة هذه الظاهرات في أيام قليلة إلى كشفها الضوء البارد اه

فالظرف كيف كشف الناس نورا في الروح الانسانية بالتنويم المغناطيسي كما أن الأجسام تضيء بالكهرباء . وبغيرها ولكن هذا سر جديد ليس مما عرف قديما الاعلى سبيل السماع من الأنبياء والقديسين وقد امتلأت به كتب البينات من أن الصالحين لهم إشراف ونور جسمي وضياء مشرق يظهر على وجوههم أحيانا فكأنهم يجاهدونهم أخونا يخرجون من الظلمات إلى النور كقوله تعالى - كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور - فأففسنا مضيئة ووضعت في الأجسام المظلمات لتجاهد وترجع إلى النور مرة أخرى فهي باستمرار في الترقى في الأتوار تصل إلى الله قال الله تعالى - وأن إلى ربك المنتهى - وقال - نورهم يسرى بين أيديهم وبأيمانهم شراركم اليوم - فاذن ما ل الانسان النور والجمال • ولانطلق أني اعتبر النور الظاهري المذكور الاقمتة فليس النور الذي شهده أهل باريس في السنيور (ايرنو) هو المقصود من النور في القرآن وإنما هو مقممة له ومعنى هذا ان النفس الانسانية ككفرة أو مؤمنة أو مشركة مستعدة للإشراق بالنور متى جاءت أسبابه بشرط الإيمان فأما النور الظاهري فممكن بالتنويم المغناطيسي وأما الباطني فلا يمكن إلا بجهاد الانسان وهذا هو الذي أذكره من القرآن ومن كلام للتقنين

(ارتقاء الانسان بعد الموت في درجات الكمال إلى أن يكون مع الملائكة النوريين من نفس القرآن)

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى - والنازعات غرقا - . ماملخصه الوجه الثالث في تفسير هذه الكلمات الخمس (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابحات سبحا فالمدبرات أمرا)

يقول الله تعالى أقسم بالأرواح التي تنزع من الجسم نزعا شديدا بمعنى غرقا نزعا شديدا ومعلوم أن نزاع الروح من الجسم يحتاج إلى شدة حتى يخلص الروح ومتى نزعته نشطت للخروج من الجسم فهي الناشطات نشطا بسهولة ومتى خرجت الروح وكانت قوية لاتعلق بالعالم المادي وقول اتصالها به واشتاق إلى عالم أعلى من هذا وهي تريد أن تتخلص من عالم الأجساد فانها تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس أسرع ما يكون فبعد عن ذهابها على هذه الحال بالسباحة فقال والسابحات سبحا . ثم قال بالحرف الواحد إن مراتب الأرواح في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بالعالم المادي مختلفة فكما كانت أتم في هذه الأحوال كان يرها إلى هناك أسبق وكلما كانت أضف كان سيرها إلى هناك أثقل ولاشك أن الأرواح السابقة إلى هذه الأحوال أشرف فلا جرم وقع القسم بها ثم إن هذه الأرواح الشريفة العالية لا يبعد أن يظهر منها آثار في أحوال هذا العالم فهي المدبرات أمرا . ثم قال

أليس أن الإنسان قد يرى أستاذه في المنام ويسأله عن مشكله فيرشده إليها . أليس أن الابن قد يرى أباه في المنام فيهبه إلى كنز مدفون . أليس جالينوس قال كنت مريضا فجزت عن علاج نفسي فرأيت في المنام واحدا أرشدني إلى كيفية العلاج . أليس أن الفزالي قال إن الأرواح الشريفة إذا فارقت أبدانها ثم اتفق إنسان مشابه للإنسان الأول في الروح والبدن فانه لا يبعد أن يحصل للنفس المفارقة تعلق بهذا البدن حتى تصير كالمعاونة للنفس المتلفة بذلك البدن على أعمال الخير فتسمى تلك المعاونة إلهاما ونظيره في جانب النفوس الشريرة وسوسة وهذه المعاني وإن لم تكن منقولة عن المفسرين إلا أن اللفظ محتمل جدا انتهى كلام الرازي

فصار معنى الآية . أن الله يقول أقسم بالنفوس الشريفة التي تنزع من أجسامها ناشطة إلى مقرها سابقة لفرحها بالعالم الجديد الجليل مدبرة للعوالم كاتبة الملائكة لقربها من جلالنا وعظمتنا وهذا الذي قرره الرازي هو بينه ما نقل في العلم الحديث عند محادثة الأرواح في الجيئات النفسية (مراتب الأرواح في العلم الحديث)

قالوا لا نستطيع الأرواح ذات الأميال البهيمية الانتقال إلى مركز أعلى إلا إذا سمحت في تغيير أخلاقها بتجربتها من الأميال البهيمية وإصلاح ما بها من الرذائل والشوائب وتطهرها من الأوزار فبهذه تتدرج شيئا فشيئا إلى المراكز العلوية كما يتدرج رويدا رويدا . انظر من عاش كثيرا في الظلام المأس إلى ضوء النهار ثم إلى نور الشمس . قالوا أيضا وكلما اكتسب الروح رقا في عالم انتقلت إلى ما هو أعلى منه وليست الأجسام بغليظة إلا في العوالم السفلية ثم بعد ذلك تكون ألق وأقل مادة شيئا فشيئا حتى تشابه الجسم الروحاني في لطافتها وهي في كل عالم من العوالم التي تحمل فيها تعطي قوة لترقي بها إلى ما هو أعلى ولا يزال كذلك حتى يصبح من عداد الملائكة الذين يدبرون حركات العوالم

هذا ما جاء في علم الأرواح وهو في مجموعة أشبه بمجاء في الرازي وهي أن آخر درجات الأرواح أن تكون من المدرجات أمرا ولا يكون هذا لرقى الابتكالات والنضائل والعوالم والبصر والعزيمة ويؤيد هذا قوله تعالى - يوم يقوم الروح والملائكة صفا - فجعل الروح والملائكة في صف واحد وهذا ظاهر من أن الأرواح تكون مدرجات أمرا

وأما ما نقله الفخر الرازي من العلاج بالرؤى فهذا كثير ومعلوم أن الرؤى فيها الفتن والسعين وأكثرها

كاذب ولكن قد يصح بعضها

﴿ رؤيا مؤلف هذا الكتاب ورؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم ﴾

أقول أنا نفسي وأنا مجاور بالجامع الأزهر لما توجهت الى بلاد الريف مرضت بعيني أياما كثيرة رأيت كأني واقف بعد الفجر في هواء طلق وقائل يقول لي إني فحيت عيني في الهواء الذي مثل هذا فشفيت فأصبحت وفعلت كذلك يومين أو ثلاثا فشفيت وكان الوقوف في ذلك الوقت بحيث لا يكون هناك غبار ورأيت رؤى كثيرة مثل ذلك لأجل - لذكرها الآن - وأصل تأليفي هذا التفسير من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلقد رأيته وأنا لا أزال تلميذا بالأزهر وقد كنت نائما في منزلنا بكفر عوض الله حجازي والرحوم والذي نائم بجاني وكأني في المكتب الذي كنت أنعم فيه ببلدة تسمى الغار بجوارنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم جالس وأنا واقف أمامه وكأنه أخذ يعلمني تفسير القرآن فأسمعي كلاما ثم قلت زدني فزادني وأنا أقول في نفسي إن هذا هو النبي فيلزم الأدب أمامه هذا هو النبي ثم خرجت من عنده وقابلت والذي في المنام أيضا وأنا خارج من المكتب فقال أين كنت قلت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال وماذا فعلت قلت علمني التفسير وسأكون كالصحابه أقول على القليل من الآيات معاني كثيرة فاستيقظت حالا وأيقظت والذي وأخبرته فسر وقال خيرا إن شاء الله . وأنا أقول هذه أول رؤيا رأيته لأجل القرآن والمعلوم . ولقد تركت ما هو أجل منها وأشرف وأوضح وأثور وأجلى حتى تكون فرصة أخرى أذكرها وسأقص إذ ذاك ما أخبرني به رب العرش جلّ جلاله في المنام وكيف أخبرني بأن العالم الإسلامي سيقرب ويشير الى أن الرق ينمّو هذه المعلوم التي قرؤها في هذا التفسير نحو هواه ولولا هذه المنبهات ماسطرت حرفا واحدا ولكن ذكرت هذه الرؤى الآن لمناسبة كلام الرازي ولأنه قد تحقق أن تفسير القرآن على الخط الذي فسره المنام في نفس المنام "وأني أقول ولا أخشى لومة لائم

﴿ بشرى المسلمين ﴾

أقول ولا أخشى لومة لائم إني يامعشر المسلمين بشرت من اخفى سبحانه وتعالى بارتقاء الاسلام وأن ما كتبه لكم الآن سيكون من المبادئ التي يرتقي بها المسلمون . أقول هذا بعد مشاهدت بنفسي مصداق تلك الرؤيا الالهية التي ربما أذكرها ولم أقل هذا الا بعد ما أثبتت أن للمسلمين في أقطار الأرض قضاة قلوبا على هذا التفسير فعلت أن الله يريد ذلك وأن تلك الرؤيا التي كنت أراها وأنا تلميذ تارة وبعد ذلك أخرى لم تكن أضفأت أحلام بل تحققت فعلا بالاقبال على هذا التفسير الذي أمرني به النبي صلى الله عليه وسلم مرارا وأنا لست ممن يصدقون الأحلام أو يخدعون بالأوهام ولكني ذكرتها لمعلاقها بارتقاء الأمة وارتقاء الأرواح فليعشر المسلمون فقد آن لهم النجاح ولا بد لهم من الفلاح والمعلوم قد فتحت لهم أبوابها وسيردون على زمن السعادة والهناء وتعلمون نبأ قريبا وبعد حين

﴿ عجائب القرآن التي ظهرت في هذا المقام ملخص ما تقدم ﴾

- (١) جمع الظلمات . لأجل أن طبقات الأرض ٣٦ وعصورها ست
- (٢) أفراد النور . لأن أصل العالم مادة واحدة نورية كما اوضح حديثا
- (٣) تقديم السموات . لأن عالم السموات أقدم من الأرضين التي أرضنا واحدة منها لأنها مشتقات من السموات المقدمة عليها
- (٤) كون جهنم في الأرض . لأن جميع الأرضين التي تعد بالملايين أو مئات الملايين كرات نارية فيها حديثة العهد فهي مضطربة ومنها قديمة العهد فهي ثابتة
- (٥) ورد ما يدل على أن نار الدنيا أقل من نار جهنم نحو ٧٠ مرة

وهذا هو الذي جاء في العلم الحديث لأن النار في جوف الأرض وقد برزت مرارا فإذا كانت تحت القشرة الأرضية ٣٣٣٣ درجة فهذه اللهبجات تعادل مايفى للماء ٣٣ مرة تقريبا وكل واحدة منها اذا انقسمت الى قسمين صارت ٧٠ تقريبا فتصبح نار جهنم أقوى من نارنا نحو ٧٠ مرة ومعلم أن الحرارة الجوية اذا كانت مساوية لجسم الانسان لم تؤذنه فان ارتفعت الى ٥٠ أحس بالحرارة فيقول هذه نار وهذه بتكرارها وتضاعفها تبلغ حول السبعين تقريبا وليس المقام للتحديد واتمهاو للتقريب

(٦) يقول الله - نورهم يسى بين أيديهم وبأيمانهم - فقد ظهر أن جسم الانسان في الدنيا فيه نور ويسى للارتقاء في النور كما في الرازي وكما في علم الأرواح

(٧) قديم الظلمات على النور . لأن الانسان يخلق في ظلمات الأرض ثم يرتقى

(٨) نزول الحديد وجمع المعادن من السماء أيام أن كانت الأرض تكون الطبقة الصلبة

(٩) الجبال التي على الأرض التي برزت في العصر الرابع المسمى بالتالي لولاها لماتت الأرض بالزلازل لأن هذه الجبال نابتة من الطبقة الصوانية التي حول النار وهذه الطبقة الصوانية حافظة للكرة النارية التي نحن عليها ومن هذه الطبقة الصوانية برزت الجبال الى الطبقة السادسة وسماها رواسي لأنها ترسو على الطبقة الصوانية وتثبت عليها ومنها نبت ولم يظهر من الطبقة الصوانية لاهذه الجبال والطبقة الصوانية هي التي حفظت الأرض من طغيان النار على ظاهرها فتضطرب . فافهم وتجب واعلم أنه كما خلقت الجبال من الطبقة الصوانية خلق الفحم من الطبقة الثانية للمساء انتقالية ثم ارتفع بعد ذلك بالموامل الطبيعية وفيها المعادن التي كانت تطهرها سحب الذهب والحديد والقصدير الخ وهذا قوله تعالى - أن تعبدكم -

(١٠) - ثم استوى الى السماء وهي دخان - وقد علمت أن الحالة الدنياية هي الحالة العامة للادة كما تقدم

(١١) - قالتا أيننا طائعين - فالسموات والأرض جرتا في السواثر طائعة أي بالتجاذب العام لاكمرة كما يجري الجبر الى أعلى بالحركة القسرية انتهى الكلام على الجباب

(اعتراض على المؤلف وجوابه)

فقال صاحبي لقد أعجبني ماقلت ولكن هناك ما يهيم من أساسه ويضوه . فقلت وما هو ذلك . قال قوله تعالى - قل أنسكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان - وقوله تعالى - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات - . قلت هذا برهان لي ومؤيد لقولي . قال وكيف ذلك . قلت لانه يقول - ثم استوى الى السماء - فاذن السماء موجودة قبل خلق الأرض وغاية الأمر أنه عهد اليها واستوى وهو دائما عهدها ومستو ليقول لها وللأرض أطيعا لطاعة تامة أي يجريهما جريا بالجدائية . وفي الثانية يقول - ثم استوى الى السماء فسواهن - فاذن السماء كانت موجودة ثم عهد لها كما عهد لها دائما وذلك ليسويها فهو دائما يسوي أي ينظم السماء وهو دائما يديرها . فأما خلقها فقد هتمم والافكيف يقصد اليها فافهم

(تصميم الكلام على قوله تعالى - وجعل الظلمات والنور - يذكر سلسلة المخالقات الأرضية من

ابتداء كون كرة الأرض نارية الى أن يصل الخلق الى أعلى علاه)

(١) عصر الطبقة الصوانية التي تكاملت فوق الكرة النارية الأرضية بعد انفصالها من الشمس وفيها خلقت المعادن ويقترنون بمتها بنحو ٣٠٠ مليون سنة كما قال العلامة ليل

(٢) عصر الطبقة الثانية الانتقالية . ظهرت فيها الحشائش والحيوانات البحرية والسماك والغابات

المطعمة المتلاصقة المتسكارة فكان منها النعم الحجرى

(٣) العصر الثانى وفيه كوت الطبقة الثالثة . كانت حيواناته أرقى وكانت تمسحيه متجاذز
عشرين وثلاثين ذراعا

(٤) العصر التالى فيه تكوت الطبقة الرابعة . ارتجت الأرض بعنف وزلزلت زلزالها وأخرجت
أقفاها فظهرت الجبال الشواخ والطبقات الصدفية وبعض أماكن من الطبقات الصوانية الأولى . ظهرت
كأبرز أسنان الصبي ولذلك نجد المعادن فى جبالنا وهى إنما تكوت هناك من أمطار الذهب والحديد الخ
وفى هذا العصر ظهرت الوحوش البرية الهائلة كالنيل والكركدن والماموث الخ

(٥) العصر الطوفانى . فى هذا العصر حلت نكبة فى الأرض قلبت كل شئ حتى ان القطبين
كانا بلادا حارة فاقبلتا جأة أرضا مكسوة بالثلج ورى النيل الآن لا تزال مطمورة لما فاجأها الزلزال فدفنت
وهى الى الآن باقية قدعثر عليها الكاشفون وكأنها كانت خط استواء فاقبلت حالا قطبين

(٦) العصر الحالى وفيه زاد الهواء قاروة وقدعثر الناس فى هذا العصر على عظام عديدة من الوحوش
والكواصر عاشت قبل حصول تلك العاجه فوجدوها مطمورة فى المغاور فى أعلى الجبال فهلكت هناك جوعا
أو افتقرت بعضها بضا أو خفا فى وسط المياه المتدفقة عليها ونسبوا ذلك كله الى زمان العصر الطوفانى . وليس
هذا هو الطوفان الذى جاء فى الكتب السماوية لأنه قبل مئات الملايين من السنين ولكن طوفان الكتب
السماوية فى هذا العصر كان يمتد من البحر الأسود الى الاوقيانوس الشمالى وان بحر الخزر والاندون
والبجيرات العديدة الماخطة فى التتر وروسيا إنما هى من بقايا بحر عظيم كان هناك فلما ارتفعت جبال
القوقاس اندفع قسم عظيم من المياه الى الاوقيانوس الشمالى وقسم آخر الى الاوقيانوس الهندى ففرقت بلاد
ما بين النهرين وجميع البلاد التى يسكنها أسلاف العبرانيين (جسد الحياة على الأرض)

(٧) أولها مادة هلامية تسمى (بروزو بلاسما) فى قعر البحار وهى مادة رخوة لزجة تشكل بسائر
الأشكال وابتجاع مقادير منها تكوت مايسمونه فى الاصطلاح (الخلية) وابتجاع الخلايا تكوت الأعضاء
وتفرع هذه الخلايا يكون بالتكاثر وهذا التكاثر يكون منظما بطريق الانقسام ٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ وهكذا
الى ما لا نهاية له وهذا به يكون الخلق مع النظام فى الأعضاء طولا وعرضا

(٨) ابتجاع هذه الخلايا ظهر النبات فى البحر والبر فأولا كان النبات

(٩) نباتا حيوانيا كأنواع القوفيت فهى حيوانات على شكل النبات وأنواع الاخطبوط وهى
هلامية الجسم ولا تمتاز عن النبات إلا بحكم التنقل وفيها معدة وبعض ظواهر الأعصاب وليس لها نظر
ولاشم ولا سمع

(١٠) السود هو أكل أعضاء وأشد نشاطا وأكل من الاخطبوط

(١١) الحلزونات وذوات الأصداف التى ليس لها فقرات

(١٢) سرطان البحر

(١٣) عقرب البر له سمع وبصر وحركة غذاء ودورة الدم

(١٤) ذوات الفقرات كالسمك له نخاع شوكى

(١٥) الديدان الأرضية

(١٦) الطيور وهى تبيض

(١٧) حيوان باستراليا الآن له كيس يحمل فيه صغاره ودماعه بسيط جدًا

(١٨) ثم ذوات الأربع الباقية وأعلاها القرد فالإنسان

- (١٩) جنين الانسان في بطن أمه يكون أولا خلية بسيطة كالتي في البحر
 (٢٠) ثم دودة (٢١) خنزيرة (٢٢) فسمكة (٢٣) فذئابة (٢٤) فقردا
 (٢٥) ويتوارى ذنبه بعد ذلك في بطن أمه
 (٢٦) ومنه متوحشون (٢٧) وعقلاء (٢٨) وعلماء (٢٩) وأنبياء
 (٣٠) ثم ينتقلون في العوالم النورية طبقا عن طبق - وان الى ربك المنتهى -

هذه السلسلة ذكرتها لتكون مطالعا في كلمات قليلة على النظام واشتقاق الحياة من الجاد وانها سلسلة واحدة أى انها منظمة بحيث لا تفترق درجة الاخلاق فيها نوع . وليس معنى ذلك أن كل نوع خلق مما قبله كلاب بل هو النظام السائد . فانظر كيف كانت طبقات الأرض في عصورها الست وكيف تولد النبات والحيوان وكانت هذه السلسلة منتظمة . ألا ترى سرّ قوله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - . أفلم تستر أن حياة الخلية ابتدئت في البحر وعلماء العصر الحاضر يقولون ان كل حيوان أصله من البحر . أولست ترى هذا سرّ قوله تعالى - أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسوها وأغطش ليلها وأخرج منها ماءها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومصرعها وأرجعها إلى أصلها من البحر . أولست ترى بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومصرعها والجبال أرساها - فقوله والأرض بعد ذلك دحاها هو عين ماجاء في العلم الحديث إن طبقات الأرض بعد السموات وانفصال الأرض من الشمس وقوله أخرج منها ماءها ومصرعها إشارة للعصر الثاني وقوله والجبال أرساها إشارة للصورة التي تلتها فان بروز الجبال الى أعلى لم يكن الا بعد العصر الثاني كما تقدم . أليس القرآن اليوم أصبح يفسر فلا يعلم الحديث تفسيراً لفظياً . وإذا كان قوله تعالى هنا الحمد لله الذي خلق السموات يدل على أن خلق السموات قبل الأرض بطريق الإشارة كما قدمنا في هذه الآية صارت الإشارة فيها عيارة والكنابة صريحا والقوة فعلا فجعل العلم

وأينما هذه السلسلة التي ظهرت في الحيوانات وفي الجنين في بطن الأم هي التي يشهد لها قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وقوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - فهو لا يخلق الأعلى الا بعد خلق الأدنى فلم يخلق الحيوان الا بعد النبات ولم يخلق الانسان الا بعد الحيوان ولم يخلق الجنين الانساني في بطن أمه الا بعد ما يمر على الطبقات الثلاثة لان الطفرة محال فلا بد أن يمر على حال الأحياء في أول أمرها وهي في البحر ثم ينتقل الى أعلى وأعلى كما قال تعالى - خلق الانسان من نطفة - وقال - من ماء مهين - ولقد أطلت في هذا المقام في أول سورة آل عمران وذكرت هذه الطبقات واعلم أن ما كتبه هنا وهناك ليس يمر على سائر الطبقات بل فيه الاكتفاء بالبعض تقريبا للأذهان . فأما السلسلة التي هنا فليست كلها واحدة . ألا ترى أن أول نبات بحري وحيوان بحري لم يكن بعد الصور الستة الأرضية بل ابتدئت الحياة في العصر الاتقالي التي كان فيه الفحم الحجري ولكن ذكرناها سلسلة لتسهيل النظر على القارئ فتأمل في عجائب العلم والحكمة

فأنت ترى أن الأرض ظلمات والحيوان خلق في ظلماتها والانسان كذلك . والعلم والعقل والدين آثار الأَبصار فيرجعون للنور ككرة أخرى فهذا قوله - وجعل الظلمات والنور - . أقول الحمد لله على التوفيق لهذا المقال . انتهى تفسير الآيات من يقوله - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض - الى قوله - ويعلم ما تكسبون -

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا
 جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ
 قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * وَلَوْ تَرَىٰ
 عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلْيَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذَيْنِ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ *
 وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ
 مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَائِلِيْسُونَ * وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ رِئُوسُ مِنْ قَبْلِكَ خَفَاقَ
 بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قُلْ لِلَّهِ ، كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ
 لِيَجْمَعَ كُفُوكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا
 سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُضِرِّفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ
 فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ
 يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْغَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ *
 قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ
 بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ
 وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
 إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَيَوْمَ نَخْشَعُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا ابْنَ شَرِّكُمْ
 الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ *

أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
 وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا
 حَتَّى إِذَا جَاءَكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ
 وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا
 يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ
 مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا
 نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ
 قَدْ وَقَفُوا عَلَى الْحَقِّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ
 السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ
 مَا يَكُونُونَ * وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِيسٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ *
 قَدْ نَسِمْ إِنَّهُ لَيَخْرُتُكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 يَجْحَدُونَ * وَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا
 وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ * وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ
 فَإِنْ اسْتَطَلَمْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
 لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى
 يَسْمِعُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ
 يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ
 إِلَّا أُنِمْ أُمْثَالُكُمْ مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْمِلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُنْكِرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى
 أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا

وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
 فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ *
 فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ
 وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ
 يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنَا كُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ
 الظَّالِمُونَ * وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * قُلْ لَا أَقُولُ
 لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ أُلْقِيتُ إِلَّا مَا يُوحَى
 إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ * وَانذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا
 إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
 بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ
 شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنْ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ * وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
 تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ سُبْحَانَ
 الْحَمْدِ لِلَّهِ * قُلْ إِنْ نُهَيْتُمْ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ
 ضَلَلْتُ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ
 بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ
 لَقُضِيَ الْأَمْرُ يَنْبَغِي وَيَنْتَظِرُكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ
 وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا
 رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ
 ثُمَّ يَبْسُطُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا
وَهُمْ لَا يَفِرُّونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ *
قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ *
قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ
يَلْبِسَكُمْ شِيَمًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ *
وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَنْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ
غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُفْسِدُ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَا عَلَى الَّذِينَ
يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ يَتَّبِعَ نَفْسُ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُوَفِّدُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ
شُرَكَاءُ مِنْ دُونِهِمْ وَعَذَابُ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا
يَضُرُّنَا وَتَرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ
الْمُصَابِقُ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إِنَّهُ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *
وَأَنْ أَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ السَّيِّئِ
وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ *

(التفسير اللفظي لهذا القسم)

(وما تأتاهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) من الأولى زائدة ومن الثانية لبيان والامراض
ترك النظر (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) وهو القرآن (فسوف ياقيم انباء ما كانوا به يستهزئون) أى
يظهر لهم ما كانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم فى الدنيا كانهزامهم فى الحرب وكظهور الاسلام وفى
الآخرة بعذاب جهنم (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) القرن الأمة من الناس وأهل كل زمان قرن
وليس له عند معلوم * فاذا جعل مائة أو أكثر أو أقل فنلك ليس حاصره ولا المعنى قاصره عليه (مكناهم
فى الأرض ما لم تكن لهم) جعلنا لهم فيها مكانا وأعطيناهم من القوى وسعة الرزق والقصر فى الأرض ما لم

نطعمكم (وأرسلنا السماء المطر عليهم مديرا) مقرأوا (وجعلنا الأنهار تجري من تحته) فغشوا في الخصب والرفيع بين الأنهار (وأنشأنا) وأحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين ولونزلنا عليك كتابا في قرطاس) مكتوبا في ورق (ففسوه بأيديهم) فسوه بالأيدى (لقال الذين كفروا) منهم (إن هذا الاسحريين) نعتا وعنادا (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) هلا أنزل عليه ملك يكلمنا انه نبي (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) وهذه سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستصوابه (ثم لا ينظرون) لا يبهلون (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولابننا عليهم ما يلبسون) أى ولوجعلنا قريبا لك ملكا يابنونه لثلاثة رجلا فان القوة البشرية لم تتأهل لرؤية اللانكة في الصور الأصلية ويراها الأنبياء بقوة أخرى قسبة ولوجعلناه رجلا خلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم . وسياقى لإصلاح هذا من العلم الحديث بعد تمام التفسير اللفظي لهذا المقصد . فهو يقول ان الملائكة من إرسال الملك أمران • الأول ان الملك إنما ينزل بالعذاب لمن يقترحون الآيات • والثاني ان الملك لن يراه الناس بصورته الأصلية فاذن يكون رجلا واذن يختلط الأمر عليكم فتقولون هذا رجل ونحن نرى ملكا . ثم أخذ يسلي النبي ﷺ بذكر الأنبياء السابقين وأنهم فقال (ولقد استهزى برس من قبلك خاق) أحاط (بالذين سخرنا منهم ما كانوا به يستهزئون) أى وبالاستهزائهم . ثم أخذ يذكرهم بالأمم السالفة ويأمرهم بالسير في الأرض ليرى الأمم الهالكة بالتكذيب فقال (قل سيرا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) سيرا في الأرض على سبيل السفر تارة وعلى سبيل الفكر والاعتبار تارة أخرى بحيث يكون النظر العقلي تابعا للسير الجسمي . فانظروا كيف أهلك الله الأمم بمذاب الاستتصال لما كذبت (قل لمن مافى السموات والأرض) خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت (قل لله) وهو التعمين للجواب (كتب على قسمة الرحمة) التزمها فضلا واحسانا منه والرحمة في العارفين (ليجمعكم الى يوم القيامة) اللام للقسمة والجهة بدل من الجهة قلبها بدل بعض لان جمع الناس يوم القيامة بعد موتهم من الرحمة (لاريب فيه) لاشك فيه (الذين خسروا أنفسهم) بتضييع القطرة الانسانية وهي رأس ما لهم والذين مبتدأ خبره (فهم لا يؤمنون) وقوله (وله ما سكن) عطف على لله أى لله مافى السموات والأرض وما سكن بالليل والنهار من السكى أو من السكون • ما سكن فيها أو تحرك فاكنتي بأحد الضدين عن الآخر . وعلى الأول يكون معنى ما اشتغل عليه (وهو السميع) لكل مسموع (العليم) بكل معلوم وههنا فضول الفصل الأول في الرد على دعوى الكفار للنبي ﷺ أن يتخذ وليا أى ربا ومعبودا وناصرا ومعينا من معبودات العرب قال واذا كان الله له مافى السموات ومافى الأرض المتحرك والسكن فكيف اتخذ وليا غيره وهذا قوله تعالى (قل أغيرائه اتخذ وليا) انكار لاتخاذ غيرائه (فاطر السموات والأرض) مبدعهما • قال ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني إعرابان يختصان في بئر فقال أحدهما أنا فطرهما أى ابتدأتهما . ولما كان أمر الطعام به بقاء الأجسام خصه بعد التعميم فقال (وهو يعلم) يرزق الحيوان والانسان (ولا يعلم) لانه ليس من جنس المخلوقات . ثم ارتقى الى ماهو أخص وأبدع وهو الاختصاص في العلم والحكمة والنفع العام فقال (قل إني أصمت أن أكون أول من أسلم) أول من انقاد لله وأخلص له من أمته فكيف إذن اتخذ وليا غيره • أأخذ غير المبدع العلم وهو لا يعلم الفنى خصنى بالحكمة والعلم وهداية الناس وفي هذه معنى أقرب الى الأخلاق الاطية كإثبات الحديث تخلقوا بأخلاق الله ولذلك قال (ولا تكونون من المشركين) لما لك من ذلك الاختصاص الرفيع والعلم العظيم ولو أنك بعد هذه المعركة أشركت لعظم عذابك لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم والعالم عذابه أكثر من الجاهل والفنى القادر والقوى الجسم يعذبان على إهمال النفع بما للنااس وهذا ما يشير اليه قوله (قل إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) فكيف تطعمون بعد هذا كله ان أعبد غيره اطاعة لدعوتكم ثم وصف العذاب بقوله (من يصرف عنه

بومئذ) أى يوم القيامة (فقد رجع) بأن أنجاه من العذاب (ونلك) أى صرف العذاب وحصول الرحمة (القوز المين) ولما كان فى العادة أن المرء يخاف من قوى قادر وهذا القوى قد يكون له نظراء فهو ان عصاه فربما صرف العذاب عنه غيره من القادرين بحاجتهم أو شفاعتهم وإن أطاعه وأنعم عليه فربما منع هذا الانعام غيره من القادرين فقال كالا (وان بمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وإن بمسك بغير فبوعلى كل شئ قدير) فهو الجالب للخير المانع للضرر فاتخذة وليا لك ونصيرا ثم شتم تلك الصفات الالهية بأهمها وأشملها فقال (وهو القاهر فوق عباده) القاهر لهم وهم المقهورون وهذه صفة عامة دخل فيها النفع والضرر وإصال الخير والشر ولما كان القاهر قد يكون ظالما باطشاجارا عنيدا يفعل ما لا تقتضيه الحكمة قال (وهو الحكيم) فى تدييره (الخير) بشؤون عباده . وإذا كان الله هو القاهر فوق عباده فهو الحكيم بينى وبينكم (قل) أى شئ أكبر شهادة) يقال ان أهل مكة قالوا سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر (قل الله) أكبر شهادة وهذا جواب الاستفهام فلا علماء اليهود ولا النصارى ثم ابتدأ فقال هو (شديد بينى وبينكم) وهو الذى يخص من يشاء بما شاء ويكون هذا التخصيص آية بينة وشهادة ناطقة أبطل من شهادة اللسان الانسانى الذى قد يعتاد الحكم الكاذب والقول المخطئ فإذا أعطى الله الأم قوة الارضاع والعالم قوة الافصاح والجاهل المتواضع حب الاستماع فتلك القطر الظاهرة فى هؤلاء شهادات من المبيع الحكيم انهم يقومون بما خلقوا له وإذا خلقت العين للنظر والأذن للسمع والعقل للفكر فهى أيضا شهادات ناطقة أنما أهل لما خلقت له من سمع وبصر وفكر فهكذا شهد الله لى بالرسالة بأن أنزل على هذا القرآن لأتذكركم به يا أهل مكة ومن بلغه من الأسود والأحر وهذا قوله تعالى (وأوحى الى هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ) وإذا ثبت لكم أن هذه شهادة من الله لى أن أتذكركم أيها الموجودون ومن بلغهم بكم فلا يبلغ رسالتى بعد أن رفضت دعوتكم بالشرك وتخاصمت لى بها وأقت الحجة على عدم قبولها فأقول لكم هل أنتم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى فهذا قوله (أنتم كنتم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى) وهو استنهام تقريرى مع الانكار والاستبعاد (قل لا أشهد) بما تشهدون (قل إنما هو إله واحد) أى بل أشهد أنه إله واحد (واتى برى مما تشركون) يعنى الأصنام وبما تم الكلام على شهادة الله له . ثم أخذ يذكر شهادة الخلق له أيضا بشهادة الله سبحانه وتعالى إذا دعت قريش أن علماء اليهود والنصارى زعموا أنه لم يذكر فى كتابهم كما تقدم فقال (الذين آتيناهم الكتاب) من علماء اليهود والنصارى (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) كما قال عبد الله بن سلام لمبر بن الخطاب لما أسلم يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولأننا أشد معرفة بمحمد ﷺ منى بابنى قال وكيف ذلك قال أشهد أنه رسول الله حقا ولا أدري ما يصنع النساء . فإذا شهد الله برسالتى وشهد علماء النصارى واليهود كذلك فلم يبق الا الخسران على من لم يؤمن وليس خسران ذهب ولا فضة بل خسران النفس بحرمانها من كاملها اخص بها وهو قوله (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) ثم وصفهم بعد الوصف بالخسران بأنهم ظالمون بل هم أظلم من غيرهم فقال (ومن أظلم من اقترى على الله كذبا أو كذب بآياته) كهؤلاء الذين قالوا ان الملائكة بنات الله افتراء عليه وكذبوا بالقرآن والمجزات وسموها سحرا (انه) ضمير الشأن (لا يصلح الظالمون) ولما فرغ من إثبات ظلمهم أخذ يذكر نتائج يوم القيامة فقال (ويوم نحشرهم جميعا) يوم منصوب بمحذوف (ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم) أى أهلكم التى جعلتموها شركاء (الذين كنتم تزعمون) أى تزعمونهم شركاء فيكون جوابهم أن يجيبوا كعادتهم فى الأرض عند القضاة فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين وهذا قوله (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) والفتنة هنا المعتدة التى يتخلصون بها تقول فتنت الذهب اذا خلصته (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) بنى الشرك (وصل عنهم) غاب وزهبت عنهم (ما كانوا يقولون) أى ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الأصنام تشفع لهم

وتنصرهم فبطل ذلك في ذلك اليوم. ثم أخذ يصف قريامتهم فقال (ومنهم من يستمع اليك) حين تناولوا القرآن كأبي سفيان ومن معه فقالوا لننصر ما يقول فقال والذي جعلها بينه ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين فقال أبو سفيان لآي لا ترى حقا فقال أبو جهل لا قال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغشية جمع كان وهو ما يستر الشيء كراهة (أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) صمما وقلوبهم من استعمله (وان) يروا كل آية لا يؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى إذا جاءوك مجادلونك) أي إلى وحشي هذه هي التي تقع بعد الجدل والاهمل لها والمعنى بلغ تكذيبهم إلى أنهم إذا جاءوك حال كونهم يجادلونك (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) والأساطير الأباطيل جمع أسطورة وأسطارة وأساطير جمع سطر والسطر الخط (وهم ينهون) الناس (عنه) أي عن النبي والإيمان به وبالقرآن (وينأون) بأنفسهم (عنه) فلا يؤمنون به كأبي طالب (وان يهلكون إلا أنفسهم) أي ما يهلكون إلا أنفسهم (وما يشعرون) أن ضرره لا يتعداهم وجاء في تفسيرها وجه آخر أن أبا طالب كان ينهي قريشا عن إضرار النبي ﷺ وهو كان ينأى عن الدين حتى أن قريشا قالوا له خذ شابا من أصبحنا وجها وادفع اليها محمدا فقال ما أنصفتموني أربي ابنكم وأدفع ابني لتقتلوه. ولما دعاه ﷺ للإيمان قال لولا أن تعبرني قريش لأفترت عينك ولكن أذب عنك ما حيت ومن آيات منسوبة له

والله لن يصلوا اليك بمجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك مضاعفة * ابشر بذلك وقررت منك عيوبنا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديننا قد جعلت بأنه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أوحذار مسببة * لوجدتني سمعا بذلك مينا

ثم قال تعالى (ولتري إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) أي ولتروا هم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها فيقولون ياليتنا نرد إلى الدنيا الخ وجواب لو محذوف أي لرايت أمرا عجيبا وموقفا شديدا ثم ضرب عن قلوبهم الرد وهم التكذيب والإيمان فقال (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) أي ظهر لهم ما كانوا يخفون من قبائح الأعمال فتمنوا ذلك للشجر لا للزينة (ولردوا) عادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي لأنها صارت سجيبة فيهم (وانهم لكاذبون) فجاؤعدوا من أنفسهم (وقالوا) عطف على عادوا (إن هي إلا حياتنا الدنيا) وضمر هي للحياة (وما نحن بمبعوثين ولتري إذ وقفوا على ربهم) عرضوا على ربهم (قال أليس هذا بالحق) أي يقول يوم القيامة أليس هذا البعث والفسخ بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (قالوا بلى وربنا قال فنفقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) إذ فاتهم النعيم وكال أنفسهم (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة غابة) لكذبوا وبغتة غابة (قالوا يا حسرتنا) أي تعالى فهذا أوانك (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) في الحياة الدنيا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) هذا تمثيل لاستحقاقهم الأثام (الأساء ما يزرون) أي بئس شيا يزرون وزرهم (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) أي وما أعمالها إلا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة وهذا جواب لقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا (وللدار الآخرة خير للذين يتقون) لهم وأما ولأنه لائق فيها ولا تأثم ولا تكيف ولاغم (أفلا تعقلون) أي الأمرين خير (قد نعلم) قد هنا لزيادة الفعل وكثرته كما قال الشاعر * قد يهلك للمال نائله * (انه) أي الحال والشأن (ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك) فقد قال الاخفش لآبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس أحد هنا يسمع كلامك غيري فقال أبو جهل والله ان محمدا صادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بشوقه بالواء

والساقية والحجابة والتدوة والنبوة فإذا يكون لسائر قريش وهذا تمزية للنبي ﷺ فان قومه لا يكذبونه وانما هم يريدون أن لا يعلو عليهم أحد أي فاتهم لا يكذبونك في السر (ولكن الظالمين) أي الكافرين (بآيات الله يجحدون) في الملاينة وقال في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا . ثم أخذ يسليه نسليه أخرى فقال (ولقد كذبت رسل من قبلك ففسبوا على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وإيذاهم (حتى أتاهم نصرنا) وهكذا جيع الصابرين على الحق وأنت منهم (ولا مبتل لكلمات الله) لوعايدهم ومنها وعده للصابرين فلا يبدل وعده معك . ومعلوم أن هذه السورة نزلت بمكة ولم يكن هناك نصر بل كانوا في حال ضعف فنصر بعد ذلك وهذا في الحقيقة معجزة نبوية (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أي من قصصهم وما كابدوا من قومهم ومن هنا صلة كما قال الأخفش كقولهم أصابنا من مطر أي مطر وهذا نسليه للنبي ﷺ وأن الأنبياء بعد تكذيبهم قد نصروا على أنك يا محمد على كل حال مأثور بالصر على اعراضهم والوقوف عند حد ما أمرناك به واقتضت حكمتنا أن نقله معك ولم يكن في حكمتنا أن نزل الآيات التي يطلبها قومك لان تلك الآيات ما كان نزلها الا تخويفا فانزال الملك يقضى عليهم بالعذاب فلم يبق الا أن تنتظر الفرج انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في طلب الكفار الآيات عنادا ﴾

(وان كان كبير عليك اعراضهم) أن اعراض قريش لما طلبوا آية خارقة للعادة كما كان للأتقياء السابقين آيات قطعت في ذلك وأحببه ونحن لم نزل ذلك حكمة (فان استطعت أن تبتي) تطلب (نفقا في الأرض) سربا والنفق سرب في الأرض تخلص منه الى مكان آخر (أو سلما في السماء) يعني أوتخذ مصعدا الى السماء والسم مشتق من السلامة (فتأتيهم بآية) أي ان كان كبير وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت أن تذهب في الأرض أو تصعد الى السماء فتأتيهم بآية تدل على صدقك فافعل فانا الذي حكمت بأن قوما يؤمنون وقوما لا يؤمنون (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) فان الناس مختلفون استعدادا كما اختلف كل شيء وجداد فكيف أشاء اتحادهم وأنا الذي ربيت الدرجات كدرجات السلم ولا يرى اتحاد الناس في كل شيء مرضا ومحنة . وغنى وقرا . وعدا وجهلا . وطولا وقصرا . الا الذين تبرؤا من الحكمة وابتعدوا عن العلم وحاشا أن تكون منهم (فلا تكونن من الجاهلين) وإذا كان الناس فرقتين فهل يؤمن الا المستعدون للايمان كما لا يعقل الا من استعد للعقل في سن معلوم (انما يستجيب الذين يسمعون) سماع تعقل وتدبر وأما هؤلاء فكلو في فكيف يسمعون (والموقي) أي الكفار الذين هم كلو في أنهم لا يسمعون (يبعثهم الله) يوم القيامة فيسمعهم فيؤمنون حيث لا يفهمهم الايمان (ثم اليه يرجعون) للجزاء ولما أعلم النبي ﷺ أنه لن ينزل عليه ما يطلبون من الآيات كالألم السابقة أخذ يعلمه كيف يرده عليهم حين طلبهم فقال (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي لما اقترحوه أو آية أخرى سوى ما رأوه من الآيات الكثيرة (قل) يا محمد (إن الله قادر على أن ينزل آية) مما اقترحوه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) عاقبة انزالها فانه سبب البلاء والهلاك والاستئصال . وكيف نزل آية من خوارق العادات التي تخرق النواميس الطبيعية المعروفة وأنا ربيت العوالم ونظمت الكائنات وأقت الأمم والطوائف كلا بنظامه ولو اتى خرق النواميس لاختل نظام مخلوقاتي وبدلت كلماتي ولا مبتل لكلمات الله . فانا الذي أقت الطير في الهواء والبول على اليابسة والهولم في التراب والسماك في الماء وأعطيت كل حيوان خلقه وهديته لمعاشه ونظمت طوائفها وأحكمت ألفتها وجعلت بينها تقاضا بلغاتها الخاصة بها وعلمت ذكرائها واناثها أن تعيش جماعات ومنظمات ولم أدر مخلوقاتي يتخطون في دياجير الحياة . وأنا لولم أحافظ على تلك القوانين لاسود وجه الحياة ومات معظم الجماعات ولم تكن لها حياة بل كل ذلك مسطور . انكم يا معشر بني آدم أمة تسكنون مع

أَمْ أُخْرَى مِنْ هَذِهِ الطَّوَافِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَأَنَا الَّذِي رَزَقْتُهَا وَعَرَفْتُ مَسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا وَكُلَّ قَوَائِمِهَا وَأَنْظَمْتُهَا وَأَحْوَالَهَا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ أَى اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ • فَهَلْ تَرَوْنَ فَرْقًا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ إِلَّا فِي قُوَّةِ الْإِدْرَاكِ فَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ فَهَمَّ وَالْحَيَوَانُ سَوَاءٌ فَلَهَا جَمَاعَاتُ مَنْظُمَاتٍ وَذَكَرَانٌ وَإُنَاثٌ وَقَوَائِنٌ وَأَدَابٌ عَلَى نَسْرِطَاقِهَا وَلَهَا سِيَاسَاتُ كِبَمَاةَاتِ الطُّيُورِ فِي الْجَوِّ وَالْجَرِّ وَالْحُوشِيَّةِ وَالْفِيلَةِ وَالْبَقَرِ وَالْحُشَى وَالسَّمَكِ وَكُلِّ مَا دَبَّ وَدَرَجَ وَمَا أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ذَاتِ الْفَرَاقَاتِ فَلَنْتُمْ أَرَقَعْتُمْ عَنِ الطَّيْرِ ذِي الْبَيْضِ وَكَانَتْ صَفَارِكُمْ تَرْضَعُ الْبَيْضَ مِنْ أَمْهَاتِهَا بِجَمِيعِ الْهَوَابِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ تَشَارِكُكُمْ فِي هَذِهِ الْمَزِيَّةِ وَلَنْتُمْ كُنْتُمْ تَسُوسُونَ مَدَنَكُمْ فَإِنَّ النِّحْلَ يَسُوسُ خَلِيَّتَهُ وَالنَّحْلَ يَحْفَظُ مَدَنَهُ وَإِنْ كُنْتُمْ تَحْفَظُونَ أَوْلَادَكُمْ فَأَكْثَرُ الْحَيَوَانِ لِأَوْلَادِهِ حَفِيفٌ وَلَنْتُمْ كُنْتُمْ تَذْبَحُونَ الْحَيَوَانِ وَتَأْكُلُونَ لَحْمَهُ وَكَذَلِكَ تَنْحَرُونَهُ وَتَسْرِبُونَ لَبَنَهُ فَمَا ذَلِكَ فَضِيلَةٍ فِيكُمْ فَكَمْ مِنْ أَكَلٍ لَحْمٍ أَضَرَّهُ الطَّعَامُ وَشَارِبٍ لَبَنٍ أَوْرَثَهُ السَّقَامَ • عَلَى أَنَّ الْأَسَادَ شَارِكُكُمْ فِي أَكْلِ الدَّحُومِ وَبِالْجَلَّةِ فَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ أَمْ أَمْثَالُكُمْ وَلَسْتُ غَافِلًا عَنْ مَخْلُوقَاتِي أَيُّهَا كَانُوا • وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عَدْنَا خَزَائِنَهُ وَمَانَتْ لَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ • فَأَنَا أُعْطِيَ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْ هَذِهِ الطَّوَافِ مَا هِيَ أَهْلُهَا وَلَا تُعَدِّي الْحِكْمَةُ كَأَنِّي بِأَحْمَدٍ أُرِيدُ أَنْ قَوْمًا مِنْ تَدْعُوهُمْ لِلْإِسْلَامِ لَا يُؤْمِنُونَ وَذَلِكَ عَلَى حَسَبِ نِظَامِي الْعَالَمِ وَهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى (وَمِمَّنْ دَابَا فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ) فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ (مِنْ شَيْءٍ) وَكَأَنَّكُمْ تَحْشَرُونَ إِلَى رَبِّكُمْ فَهَمَّ كَذَلِكَ يَحْشَرُونَ فَهَذَا الْعَالَمُ لِنِظَامٍ وَاحِدٍ وَلَهُ مَقْصِدٌ وَاحِدٌ مُتَّجِهٌ إِلَى حَالٍ يَجْهَلُهَا النَّاسُ وَالْعُلَمَاءُ وَأَفْاضِلُ الْقَوْمِ مِنْ أُمَّةِ الْأَرْضِ يَبْغِثُونَ وَهُمْ مَحْدُودُونَ فَهَذِهِ الْأُمَمُ سَائِرَةٌ عَلَى نِظَامٍ تَامَ جِيلٌ فِي الْحَيَاةِ (تَمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يَحْشَرُونَ) لَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ • رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ يُوْخَدُ لِلْجَلَمَاءِ مِنَ الْقُرَنَاءِ • وَفِي رِوَايَةٍ مُسَلَّمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَتُؤَدِّينَ الْحَقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلَمَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقُرَبَاءُ وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَالَمَ الْحَدِيثَ • أَيْدَتْ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَلَغْتَ مَبْلَغَ التَّحْقِيقِ أَى أَنَّ الْحَيَوَانِ بَاقٍ بَعْدَ الْمَوْتِ كَالْإِنْسَانِ سَائِرُ غُرُضٍ يَجْهَلُهُ وَعَنْ هُنَا عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَسِبْنَا فِيهَا لِمَعْرِفَةِ مَا فِي هَذَا الْعَالَمِ ثُمَّ تَكُونُ فِي عَالَمٍ آخَرَ فَلَمَّا نَاظَرْنَا نَظَرَ عَلَى مَا هُوَ أَدْقُ وَأَلْطَفُ وَأَجَلُ • ثُمَّ أَخَذَ يَتِمُّ الْكَلَامَ عَلَى مَوْضِعِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ وَهُمْ قَدْ جَعَلُوا فِي مَنَازِلِهِمْ فَلَمْ يَقُولُوا كَلَامَ رَبِّهِمْ وَكَلِمَاتِهِ عَلَيْهِ عَلَى مَقْتَضَى نَقْصِ نَفْسِهِمْ فَقَالَ (وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ) فَهَمَّ لِإِزَالَتِ الْظُلُمَةِ الْأَرْضِيَّةِ الَّتِي تَقْدِمُ ذِكْرَهَا فِي أَوَّلِ السُّورَةِ وَلَمْ يَنْفُذْ نُورَ الْهُدَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ لَمْ يَسْتَعِدُّوا لَهَا لِعَادَتِهِمْ وَنَقْصِهِمْ بِحَسَبِ دَرَجَتِهِمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا لَمْ يَسْتَعِدُّوا لَأَدْرَكُوا مَا أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ عَجَائِبِ الْحَيَوَانِ وَغَرَائِبِ الطَّيْرِ وَبَدَائِعِ الْحَيَوَانِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا أُودِعَ فِيهَا مِنْ فُطْرٍ وَفَهَمَ وَذَكَرًا وَتَقَدَّرَ وَتَدِيرَ فَيَعْرِفُونَ خَالِقَهَا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَصَالُوا إِلَى دَرَجَةِ الْفَهْمِ • إِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ • فَهَمَّ صَمٌّ لَا يَسْمَعُونَ وَبِكُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِالْحَقِّ ثُمَّ يَبْنِيهِ فَقَالَ (مَنْ يَشَأْ اللَّهُ) إِضْلَالَهُ لِأَنَّهُ رَضِيَ فِي مَوْضِعِهِ الْإِلَاقِيَّ بِهِ كَمَا وَضَعَ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنَ الْأُمَمِ فِي مَرْكَزٍ أَحْفَظُهَا لِلنِّظَامِ (وَمَنْ يَشَأْ) هُدَايَتَهُ بِجَعْلِهِ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَمُسْتَجِيلٍ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ الْإِسْتِعْدَادِ • وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عَدْنَا خَزَائِنَهُ وَانْتَزَلَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ • مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ • فَتَحْنُ لَانْفَعِ الْإِحْكَمَةَ • وَلَمَّا كَانَ الْكَلَامُ فِي خَوَالِقِ الْعَادَاتِ وَفِي إِزَالَةِ آيَةِ كَلَامِ السَّابِقَةِ قَدْ اتَّيَمَّ الْقَوْلُ فِيهِ كَانَ الْأَجْمَدُ أَنْ يَنْظُرَ فِي أَمْرِ نَافِعٍ لِلْإِيمَانِ وَلَا شَيْءَ أَفْضَلَ مِنَ الْبَحْثِ فِي أَمْرِ النَّفْسِ وَالْبَحْثِ فِي الْأَحْوَالِ الْعَارِضَةِ لَهَا فَأَمَّا الْأَحْوَالُ الْعَارِضَةُ لِلْعَوَالِمِ فِي الْأَفَاقِ بِالْخَوَارِقِ فَلَا فَايِدَةَ مِنْهَا • وَأَنَّ النَّفْسَ إِذَا نَزَلَ بِهَا لَمْ أَوْحَدَتْ لَهَا حَدَثٌ عَظِيمٌ كَأَن يَنْزِلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا عَاقَبَةُ أَوْ مِنَ الْأَرْضِ كَزَلْزَلَةٌ أَوْ قُومُ السَّاعَةِ فَيَأْتِيهِ مَاذَا يَحْسُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ لِأَجْرٍ أَنَّهُ يَحْسُ بِإِضْطِرَارٍ وَاتِّجَاهٍ إِلَى قُوَّةٍ فَوْقَهُ يَلْتَجِئُ إِلَيْهَا فَيَدْعُوهَا وَمَا هِيَ هَذِهِ الْقُوَّةُ هِيَ الْحَضَرَةُ الْعَلِيَّةُ فَإِنَّ النَّاسَ عِنْدَ عَظَامِ الْبَلَايَا يَلْتَجِئُونَ إِلَى رَبِّهِمْ بِفُطْرِهِم

ولا يحسون بأصنام ولا شيوخ ولا عظماء . فهذا هو البرهان على وجود الله تعالى . فأنتم يا أهل مكة ليس ينبغي أن تعرفوا الله بطريق الأمور المزججة في العوالم العالوية والسفلية أو بأن جبال مكة تصبح قاعا صفيضا ويحل محلها الجنات أو تكون أنهارا أو يأتي لكم بكتاب من السماء فهذا كله لا يغيدكم اليقين وإنما اليقين يأتي لكم من طريق أنفسكم فأنفسكم إذا حل بها كرب تلجأ إلى الله فهذا هو البرهان على وجوده من هذا القبيل فأنتم نظرت إلى الأرض وتركتم الجوهر وهذا هو قوله (قل أرأيتمكم) استفهام تهجيب ومعناه أخبروني تقول أرأيتمكم زيدا ماشأنه أي أرأيتم زيدا ماشأنه فالكاف حرف خطاب لاجل لها من الاعراب وهي مجرد تأكيد الخطاب وأصله أرأيتم وتقول العرب أرأيتمك بمعنى أخبرنا بحالك (إن أنا كم عذاب الله) بالصواعق أو الخسف في الدنيا كما حصل في الأمم السابقة (أو أتسم الساعة) القيامة (أغير الله تدعون) في كشف العذاب (إن كنتم صادقين) أن الأصنام آلهة (بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه) أي ما تدعونوه إلى كشفه (إن شاء) أن يفضل عليكم (وتنسبون ما تنسركون) وتكون أهلكم في ذلك الوقت لما ركز في الفطر من توجه النفوس إلى من فطرها . فمن هذا فلتؤخذ البراهين والدلائل على وجود الله . ولقد جعل لنا الله الفقر وشدة . والمرض ووقعه . والبلايا وكثرتها . بابا من أبواب هدايتنا ونعمة من نعمه علينا فهي في الظاهر عذاب وفي الحقيقة نعمة عظيمة فهي - باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب - تسلطه على من نشاء من عبادنا كي يتفطنوا لما نزل بهم ويفكروا في أمور قوسهم فاما أن يعرفوا فيتضرعوا واما ألا تلبس قلوبهم حينئذ نهلكهم فالعذاب يكون أشبه بامتحن فمن آمن أبقيناه ومن لم يؤمن أهلكناه لأن النفوس الجامدة التي لا تعرف زمانها ولا تسير في طريق الصلاح هالكة حقا وهذا قوله (ولقد أرسلنا إلى أم من قبلك) من زائدة فكفروا (فأخذناهم بالأساء) الشدة والنقر (والضراء) الضر والآفات (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتوبون ويرجعون عن ذنوبهم (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) لولا هنا للتنديم لدخولها على الماضي وهي للحض إذا دخلت على المضارع ويدخل في معناه انهم لم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) فلامانع لهم إلا قساة قلوبهم وإعجابهم بأفعالهم التي زينها الشيطان لهم

والأم إذا لم توقظها الحوادث ولم تنبهها التوائب بقيت مجبة بأنفسها مبهجة بما زينه لهم شياطين الانس والجن من الأعمال يلحقها البطر ويلبثها الأشر ويمتلي إعجابا فتجاذى في غيها ولا تسمع نصيح الناصحين ولا تذكروا المذكرين وتكون أشبه بالذين يملئون من الماء كل الدسمه من اللحم واللبن والبيض ولا يصيبهم مرض في أجسامهم بل تزداد وجوههم لضره وجسومهم قوة وغيرهم مهزلون مرضى يعترهم ما يمتخرج من أجسامهم كثيرا من المواد فهو لاء كما قال أطباء العصر الحاضر بأوروبا لاسيا في النمسا وألمانيا بأنهم الموت جفاة ويموتون ولا هم يدركون وعلاوا ذلك بأن أجسامهم القوية إنما نشأت من تلك الماء كل التي هي كثيرة التفتنة فإذا دخلت في خلايا الأجسام دخلت بكثرة فلاتها بلاتوان بخلاف الأطعمة الخفيفة فاما تدخل بالتدريج في الخلايا حتى إذا جاء أجلها خرت صريعة للبدن وللم في يوم أو بعض يوم . فاما أولئك المرضى فان أجسامهم قوية أن تطرد عن أجسامها تلك الأمراض أي الخارجة بالبور والقرح مثلا والأمراض المتنوعة فمن يظنه أكثر الناس صحيا هو المريض ومن يظنونه مريضا هو الصحيح لأن الجسم الضعيف ظاهرا أصبح قادرا على طرد البقايا المتخللة فيه . فاما ذلك الذي ملأ جوفه من الطعام الدسمه فقد قتل نفسه وملأ الجسم بارودا وحشا نارا فتفتك به بعد حين وقالوا ان الامتلاء من الأطعمة الدسمه هذا عمله وأمرها أن يظل الانسان منه وأن يكثر من القواكه والأطعمة الخفيفة والمحبوب والخضر . هذا ما جاء في الطب الحديث وهو عينه ما يحصل في الأم التي أنذرها المتنورون وحذرها المحنرون وهي لا تسمع

ما يقولون ولا تقي ما يذكرون وسارت على طريقها المرسوم ولم ترجع عن غيبها المعلوم وهذا قوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) من النعم لتكمل الحجة فيكونون قد ذاقوا العسر واليسر والنفع والضرة والخير والشر (حتى اذا فرحوا) أعجبوا (بما أوتوا) من النعم كالصحة في الأبدان والسعة في المعيشة والأمن في الأوطان (أخذناهم بئسمة) كما حصل في أجسام الناس الذين لا يتقون الماء كل الدسة (فأذاهم مبلسون) آيسون متحسرون (قطع دابر) أخريقال دبره دبرا ودبوروا اذا اتبعه (القوم الذين ظلموا والجد لله رب العالمين) على قيام الحجة وظهور الحقيقة وذهاب دولة الجاهلين وانتصار الحق على الباطل فالجد جدان حمد في أول السورة على نعم النور والارض والسماوات والارتقاء • وحمد هنا على البدة

الجهل واحلال العلم محله وغلبة الحق على الباطل فهو رب العالمين ولما كان العذاب اما من خارج واما من داخل وقد قدم العذاب الخارج بخفف أولزلة أخذ يذكرونا ما في داخل الأجسام فيقول لوأن الله سلبكم موهبة السمع والبصر فلا تسمعون ولا تبصرون وموهبة العقل فلا تعقلون فهل غير الله بآتيكم بأمثال ما فقدتم

ولما كان العذاب ربما يتوهم أنه ينصرف لغير الظالمين قال ان العذاب مهما جاء سواء أكل بفته أوجاه بعد مقدمات فهل يهلك الا القوم الظالمون وهذا قوله تعالى (قل رأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم) فلا تسمعون ولا تبصرون ولا تعقلون (من إله غير الله بآتيكم به) بما أخذ (انظر كيف نصرنا الآيات) كيف نبين لهم العلامات الدالة على توحيد الله بأنواع مختلفة فرة بأحوال الأمم وصرمة بالتخويف وصرمة بالنظر في أنفسهم فانهم لو فكروا فيها لعلوا أن السمع والبصر والقلب وما يشعر به كل واحد من نفسه لا يخلقه سوى الله تعالى وكذلك اذا وقع في غرق أو مرض عظيم فانه لا يرى في نفسه مدعوا سوى الله تعالى فنحن نصر لهم ذلك (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها ويطلبون غيرها كالآيات التي كانت تنزل على الأنبياء السابقين وفيها هلاك أمهم هلا كلهم نوبيا لانها لا توثق اليقين فأما الأوهام العقلية فانها أضعف للضميمة (قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله بفته) من غير مقدمة (أوجهرة) يتقدمه اماره تؤذن بمحاولة وقيل ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) وبعد أن استوفى الكلام على المرسل اليهم أخذ يصف حال المرسلين فقال (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) المؤمنين بالجنة (ومنذرين) الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ما ليس لهم أن يصنعوه فيتلهم بهم أناس (فمن آمن وأصلح) ما يجب اصلاحه على حسب الشريعة (فلا خوف عليهم) من العذاب (ولا هم يحزنون) بفوات الثواب (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) أي بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة • ثم أخذ يصف حاله ﷺ

﴿ الفصل الثالث في أقواله ﷺ مع المتواضعين ﴾

يقول ﷺ ليس عندي خزان رزق الله ولا علم لي بالقبيل ولا أنا من جنس الملائكة فأقدر على ما يقدرون عليه ولست أتبع إلا ما يوحى الي • وهذا الوحي إما يعرفه المستعقون له المبصرون فأما هي القلوب فهم لا يفهمونه وهذا قوله تعالى (قل لا أقول لكم عندي خزان الله) فأوسع عليكم وأمنع فقركم وأجعل ما حول مكة جئات بدل هذه الجبال الجرداء (ولا أعلم الغيب) وهو من جهة القول فأخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل كما تفتحون على أن أطلب لكم من الله سعة الرزق في الأول وأخبركم بمصالحكم ومضاركم في المستقبل (ولا أقول لكم اني ملك) حتى لا أكل الطعام ولا أمتنى في الأسواق ولا أتزوج النساء كما فاتم - ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق - وحينئذ أقدر على ما لا يقدر عليه غيري من الاخبار بالمستقبل فأنا لست كذلك (إن أتبع إلا ما يوحى الي) وإنما الأمر يرجع لاستعداد النفوس فن تكبر وأعجب بنفسه قتله الاعجاب وباء بالنكال ولم يجب الدعوة وهم الأغنياء والمتكبرون (قل هل يستوى الأحمى والبصير

أفلا تتفكرون) فتهمسوا (وأذنبه) أى القرآن (الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم) وهم المؤمنون
المضطرون في العمل . وهكذا كل من يجوز الحشر من المؤمنين والكافرين فالانذار نافع لكل كافر يجوز
للحشر ولكل مرتد . ولكل مؤمن مذهب . فأما أولئك الجاحدون المكذبون فكيف ينتجع فيهم الانذار
ولا انذار إلا حيث يجوز النفوس ما أذنت به . وهى نفوس الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم حال كونهم
(ليس لهم من دونه ولي) قريب ينفعهم (ولا شفيع) يعنى يشفع لهم وليست الشفاعة التى تكون من الأنبياء
والعلماء والشهداء وأعمها شفاعة سيدنا محمد ﷺ اننى بيناها أيمانيان في سورة البقرة وحققنا هذا المقام
تحقيقا مستفيضا هناك . ليست هذه الشفاعة للمؤمن الا باذن الله فأصبح الشفعاء شافعين بأمر الله فهى إذن
ليست من دون الله فلا إشكال . واعلم أن الشفاعة التى ذكرناها في البقرة لاندع شك المراتب . انها غير
ما يفهمه كثير من الناس بل تحقيق فهى مكرزة على التعلم وعلى الاقتباس والقدرة فلم يجعل الله الدين الا
للهداية ولا الأنبياء والشهداء والعلماء الا لتعلم الناس بالملم وبالقدرة لا أن يسلك الناس عليهم فافترأ هذا
الموضوع هناك فان المعنى هناك جمع جميع الأقوال وأصبحت الشفاعة مناسبة للترية العالية الاسلامية في
المستقبل والله هو الهادى

(الفصل الرابع في معاملة رسول الله ﷺ للفقراء من المؤمنين وأمر الله له باكرامهم
وهو اتمام الفصل الثالث)

أمر الله النبي ﷺ بانذار غير المتقين فلما فرغ من الكلام عليهم أخذ يذكر حكم المتقين فلاؤلون غالبا
كانوا من ذوى الجاه والنسب والثروة الطائلة فهم متكبرون فهم أشبه بنرى الأجسام القوية الممتلئة بلما كل
الدسة كما تقدم فهم في الظاهر أقوى وفى الباطن ضعفاء فأما الفقراء فانهم أشبه بالأجسام الضعيفة التى وصفها
الأطباء في العصر الحاضر انها كثيرا ما تكون أقوى كما حصل للضعفاء الأتى ذكرهم فانهم لصفاء نفوسهم
وسلامتها من الاعباء . الهنيوية والترور بالمال والولد والعيت والقوة والجاه قبلت نفوسهم الدين فهم عند الناس
ضعفاء وعند الله أقوى . فيألت شعري أى فرق بين هؤلاء وبين أمثالهم في المرضى والأعماء المشابهة
بينهما صحيفة تامة

والنبوة لانهم بالمظاهر واذا كان الطب الذى لايهمه الا الأجسام لم يرعه قوة الأجسام بل قال القوى عندى
قد يكون ضعيفا والضعيف قد يكون قويا . هكذا هنا

(١) قال ابن مسعود صرا ملا من فريش بالنبي ﷺ وعنده صهيب وهمار وبلال وخباب ونحوهم
من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد وضيت بهؤلاء بدلا من قومك هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا نحن
نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فملك ان طردتهم ان تبعك قتل هذه الآية

(٢) قال عكرمة جاء عقبه بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومعلم بن عدى والحارث بن نوفل في أشراف
بنى عبد مناف من أهل الكفر الى أبى طالب عم النبي ﷺ فقالوا يا أبا طالب لوأن ابن أخيك محمد يطرد عنه
موالينا وحلفاءنا فانهم عبيدنا وعسفاننا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لتابعنا اياه وتصديقنا
له فأتى أبو طالب النبي ﷺ خدمته بالذى كلفه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى نظرم ما الذى
يريدون والى ماذا يصيرون فانزل الله النهى بالآية فاعتذر سيدنا عمر من مقاتله

(٣) وروى نحوه عن سلمان وخباب بن الاثر فقد قال ان الأقرع بن حابس الغنصى وعيينة بن حصن
حقرا أن يجلسا مع صهيب وبلال وهمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين وطلبا أن يجلس النبي ﷺ
في صدر المجلس ويبعد هؤلاء لراحتهم فقال - ما أنا بطارد الذين آمنوا - فطلبوا أن يكون لهم مجلس ليس
معه في هؤلاء الفقراء فلما دعا عليا ليصكب زلت الآية فأتى النبي ﷺ الصحيفة من يده ثم دعا هؤلاء

الفقراء فاتوه وهو يقول - سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة - فكننا نقتطع معه فاذا أراد أن يقوم قام وبركا فأنزل الله - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية - فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد ذلك وندنومه حتى كانت ركبتان خمس ركبتيه فاذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها فناما وركنا حتى يقوم

(٤) هكذا روى عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر فطلب للمشركون طرد هؤلاء الخ وهذا أخرجه مسلم

(٥) وقال الكلبى قال أشرف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما فأبى قالوا فويل ظهرك اليهم وأقبل علينا فأبى

(٦) وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد يعنى ابن مسعود لباعناك هذه الروايات التي ذكرتنا مختصرة لاحضرك أيها الذكرى ماورد في هذا المقام في كل رواية يقال قُذِلَتْ هذه الآية وكل هذا محفل ولكن التزول لا يكون إلا في واحدة فاذا كان سلمان الفارسي وهو باللهينة يقول فينا نزلت وسورة الأنعام مكية فان التزول انما يكون بمكة كما في رواية عكرمة وابن مسعود والكلبي فعلى هذا لاتنافي بين الروايات إلا في اثبات الانزال وذلك من تصرف الرواة الذين فسروا الآية برواياتهم والخطب سهل في ذلك

والمقصود من الآية مكارم الأخلاق فإياك أيها الذكرى أن تمنيع وتترك في جمع الروايات والتجميع بينها فالمقصود من هذا كله الأخلاق والفضيلة لتتقدي بالأنبياء في أخلاقهم وتعمل لاصلاح المجتمع الذي خلقنا فيه ولتكون آية تقتدى بتجوعنا العظيم فتقرأ الآية وتفسرها وإياك وضياع الوقت بل سرفي الآية وهي (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الصبح والمصر والمراد القوام حال كونهم (يريدون وجهه) أى محتملين في الدعاء (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) أى ما عليك حساب رزقهم وإيمانهم فانه رزقهم وإيمانهم ربما كان أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في إيمانهم ولأنوا وليس عليك اعتبار البواطن فاذا كان بلطنهم ليس فيه اخلاص لحسابهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك لا يتعداك اليهم (تطردهم) فتجدهم وهذا جواب النفي (تسكون من الظالمين)

(الكلام على الفريقين الكافرين والمؤمنين)

هنا يذكر الله عاداته في خلقه وأنه يبتليهم ويختبرهم . فاعلم أن الله عز وجل جعل التربية علمة في خلقه فكل ما بعثنا في حياتنا الدنيا انما يكون نتيجة لتربيته شئنا أم يئنا وليس في الأرض من الكمال الا لنادر والناس اذا قلّ علمهم ونقص اختبارهم وسادت نفوسهم كانت التعم العامة ممية عليهم فيصبحون وهمومهم محصورة في الموازات والمشايات وللناظرات وكل يقول في نفسه لم فضل فلان بالعلم أو بالمال أو بالصحة أو بقبول الناس أو بالجمال وما أشبه ذلك . وما من امرئ في الأرض الا وجد من هو أحسن منه في صفة أو صفات فاما أن يصبر ويرجع ويدرس الحياة درسا نافعا حتى يعقل واما أن يتعبر نفسه وتعدل ويصبح حاسدا لنعم يجب أن يتصف بها الناس ليساعده في حياته ولكن لنباوة أكثر الناس لا يبالون بهذه القضايا ويحزنون ولذلك قال الله (وكذلك) أى مثل ذلك الفتن وهو اختلاف الناس في أحوالهم في الدنيا سمة وضيقا فجعلنا أمثال عينة بن حسن الفزارى أغنى من مثل سلمان الفارسي مثلا (فتنا بعضهم ببعض) في أحوالهم العقلية وأمورهم النفسية فجعلنا أمثال سلمان الفارسي أرق عقلا وأحلم نفسا لإيمانه بالله تعالى (ليقولوا) أى الذين ارتقوا في المال والمصطفى في العقائد (أهؤلاء) الفقراء والضعفاء (من الله عليهم من بيننا) بالعلم والإيمان والاعتداه وكيف يكون ذلك ولو كان خيرا ما سبقونا اليه فنحن أولى بالعلم وأهدى سبيلا فالقوة سائدة ههنا علما

ومالا فأجابهم الله قائلا (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أى الذين هم مستعملون للعلم والايمن وليس في هذا العالم عطاء الاعلى مقدار الاستعداد . وهؤلاء لما هذبت قلوبهم وارتاضت بالفقر تارة والخصف وقلة الصيت أخرى خفف حمل الحياة عليهم ولم يؤثر في قلوبهم الشره والطمع والرياسة والحرص والحسد والكبرياء وأمثالها مما يغطي على العقول قسما فيكون الرآن عليها فلا يلقى ما يقال لها كبرياء وحسدا . فهؤلاء لما سلخوا من ذلك استعنت قلوبهم لسماع الوحي وأخذت تقرب من الفضائل والسعادة النفسية فكما خفف الدين سهل الوفاء والمال والجاء والكبرياء والبطنة كل ذلك مبدعين العلم والحكمة والله هو الذى جعل الدرجات متفاوتة كما تفاوت للعادن كما في الحديث الناس معادن كعادن الذهب والفضة تغيركم في الجاهلية خياركم في الاسلام فمن كان اصدق قولا وأصح رأيا وأقبل للحق في الجاهلية بما أودع في فطرته فانه في الاسلام كذلك يقبل الحق فالأمر يرجع الى الفطرة الانسانية والقابلية النفسية . والشمس تشرق على البر والبحر فيغوبها النبات ولا يغوبها الحجر ولا التراب ولا الطين ولا للعادن وليست الشمس بمعجوبة لأجل أن الأجسام لا تغوبها بل هي طامعة لتصل القابلين الحياة باذن الله . هكذا الأنبياء يعلمون الناس ولا يهيمهم أن يتعلم الا الشاكرون كما أن المؤلفين يضعون كتبهم والمدرسين يلقون دروسهم ويقصدون بذلك المستعدين فأما غيرهم اذا لم يعبأ بكتبهم ولم يسمع لدروسهم فليس ذلك بضارهم كما لا يضر الشمس أن ضوءها لم يؤثر في الحجر وانما يحيا بضوئها النبات كما يحيى القرآن والعلم والتأليف الشاكرين المستعدين لقبول النعمة فالنعم بالشيء الحريص عليه هو القابل له والقابل باستعداده هو الشاكر لأن الشكر صرف العبد نعم الله عليه فيما خلقت له وهذا صرف نعمة الله وهو الاستعداد فيما خلقت له وهو النعم وهكذا متى تعلم أفاد الناس فيصرف العلم في المنفعة العامة كما خلقت الشمس في ارسال ضوئها . هذا هو الشكر وهؤلاء هم الشاكرون ولذلك وصى الله عليهم فقال (واذا جاءك) يا محمد (الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) ولا تكلف بضم طردهم من مجلسك وبقائهم مع الأغنياء بل حيهم بالسلام وبشرهم بانى كتبت على نفسى الرحمة . فأنما أغفر ذنب من أذن منهم اذا تاب فأنما استغيا بالاقلوب ولا أنظر الا الى النفوس فأما مظاهر الأجسام والنعم الظاهرة من المال والولد فلم أجعلها مقياسا للكمال ولا دليلا على الارتقاء والعزة القصاص وانما هي آلات تصلح للخير والشر والنفع والضرر فهي اما أن ترفعهم الى العلياء واما أن تنزل بهم الى السركاات ويؤخذ بعض هذا من قوله (أنه من عمل منكم سوءا بجهالة) بفتح أن على البدل من الرحمة أو بكسر هاء على الاستئناف وقوله بجهالة في موضع الحال وذلك كما كان من عمر رضى الله عنه لما اعتذر من مقاتله التى قالها فيما تقتم في هذا المقام فلما نزلت الآية اعتذر . فممر وغيره اذا عمل سوءا بجهالة (ثم تاب من بعده وأصلح) بالتدراك والعزم على أن لا يعود (فأنه غفور رحيم) لمن تاب من ذنوبه بفتح أن وهو اما خبر لمبتدأ مضر أى فأمره غفرانه واما مبتدأ خبره محذوف أى فله غفرانه

(الفصل الخامس في ذكر نتيجة ما تقدم في الفصول السابقة على سبيل اللف والشر المرتب)

ولما اكمل الكلام على الجاحدين والمؤمنين أخذ يلقي درسا عاما يرجع لأصل اللقال من دعوتهم له الى الشرك وعبادة غير الله ومن اقترحهم عليه آية من السماء فلما قتل هذا الموضوع درسا وتحقيقا وقال لا أتبع دينكم وأما الآيات المقترحة فان الله لا يأذن لى فيها ولست ملكا وليس عندى خزان الله الخ وأرجع الأمر كله الى الاستعداد وأن النفوس المستعدة للايمان تؤمن فأما القلوب المتكبرة فهي لا تؤمن . رجع الى أصل الموضوع ليحصله نتيجة فهو هناك كفضية يراد البرهنة عليها فلما أتى بالبراهين على هذه الأمور أخذ يذكر النتيجة فقال (وكذلك) مثل ذلك التعميل الواضح (تفصل الآيات) آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين واتزال الآيات وكيف كان المقترح منهم ليس ينفع في الحياة ولا الايمان ليظهر الحق (ولتستبين سبيل المجرمين)

أى ولتين سبيلهم على قراءة رفع سبيل أولستين أى تسوضح يا محمد سبيلهم على قراءة النصب فتعامل كلا بما يلائمه . واعلم أن مثال هذه الجملة تقال في المواضع العظيمة من القرآن وهذا الموضوع فيه أسرار تقدم بعضها وسيأتى كثير منها فيما سيأتى بعد آخر هذا المقصد والحق أن هذه السورة منبع حكمة وستراها قريبا . ثم شرع في نفس النتيجة بعد التهديد لها بالأجال فقال (قل أتى نهي) صرف بما نصب لى من الأدلة وأنزل على من الآيات في أمر التوحيد عن (أن أعبد) أى عن عبادة (الذين يدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم) وهذه الجملة تأكيد لقطع أطماعهم (قد ضلت اذا) أى ان اتبعتم أهواءكم فقد ضلت (وما أنا من المهتدين) وما أنا في شئ من الهدى وفي هذا تعريض انهم هم غير مهتدين وإذا كنت لا أتبع أهواءكم فأتبع ما يوجب الى (قل أتى على بينة من ربى) على بيان وبصرة في عبادة ربى (وكذبتم به) الضمير لربى فانكم أشركتم به غيره وهذا نتيجة لبعض اتباعهم في الشرك بالله كاطلبوا فيها تقم . ثم أعقبه بالنتيجة الثانية وهي أن لاقى لهم في اقتراح الآيات فقال (ماعدنى ما تستجولون به) من الآيات المقترحات كما تقدم تقريره (إن الحكم الا لله) كما تقدم فهو الذى جعل العالم درجات وكما رتب الحيوان ورتب الانسان في الدنيا والأخرى وفقن بعض الناس ببعض ليقول الغنى كيف أصبح الفقير علما ويقول الفقير كيف صار هذا الكافر غنيا وبهذا يتم ما أريد منهم كما سبق توضيحه (بقص الحق) أى يتبع الحق والحكمة فيها يحكم به على مقتضى ترتيب الدرجات التى رتبها لاذنظم العالم من أعلاه الى أسفله ثم من أسفله الى أعلاه أى من عالم العقل الى عوالم النماء والتور وهي الأجسام الأثرية فالشمس فالأرضون فالحيط بهامن الطبقات فالخلوقات التى فوقها مرتبة درجات بعضها فوق بعض فالتى يتبع الحق الواضح في هذه الدرجات التى رتبها ونظمتها يقال قصص أثره اذا تبعه هكذا يتبع الله الحكمة فى العمل وليس بضر الله شئ أن الناس يعجلونها وانما ينزلها في القرآن لتتلى حتى اذا جاء جيل رشيد أخذ بقص الحق الذى قصه الله فيقف على شئ منه في الدنيا ثم اذا مات أخذ النور الذى أشرق على النفس في الدنيا وهو العلم والحكمة يضى بين أيديهم ليهديهم الى ما هو أنور وأشرق هذا هو المقصود من قوله بقص الحق أى فليس الله يتبع أهواءكم في ازال الآيات فيخرم النظام المتبع في الطبيعة ويجعل العالم مضطربا لأن عالم الطبيعة اذا اختل نظامه لم يبق له وجود واقتراحكم بضاد هذا وأنا لا أتبع الاحكام في عملى فعلى الناس أن ينهجوا نهجى ويقرأوا نظامى ويدرسوا حكمى في دواب الأرض ونظامها وانما أم أمثالك فادرسوها لتكونوا حقيقة أرقى من فى الأرض فأما اذا عشم كما تعيش العامة والبهائم فلستم منزلة فى الآخرة على قدر عقولكم وقوسكم وأنتم محرومون من العالم الأعلى الذى هو فى جوار الملائكة والأرواح العلية وإذا اتبع الله الحكمة فى عمله فهو قاض بفصل العدل على مقتضى القوانين التى منها (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو أن عندى ما تستجولون به) من ازال العذاب (لقضى الأمر بينى وبينكم) أى لو ثبت أن فى قدرتى وامكانى ما تستجولون به من العذاب لأهلككم عاجلا لنصب ربى واقصا صامكم لتكديكم (والله أعلم بالظالمين) أى انه أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذى يستحقونه فيه

{ الفصل السادس فى شرح علم لما تقدم كله }

- (١) وهو يرجع الى أنه يعلم التنب كما تقدم من أنه جعل الحيوانات أمما أمثالا فهنا يقول هو محيط علما بالعالم كلها فى البر والبحر والورق والحبة فى ظلمات الأرض والربط واليابس كل هذا فى كتاب مبین
- (٢) والى أنه يتوفى الناس ليلا ويشم نهارا
- (٣) والى أنه قاهر فوق العباد بدليل انهم تارة وإقظهم تارة أخرى فهكذا يمدونهم الذى هو كالتوم يحميم بعد الموت كما أيقظهم بعد النوم

(٤) والى أنه كما قهر أجسامهم فأجأها للنوم واليقظة سلط عليهم شدايد البر والبحر فيستغيثون وهو الذى ينجيهم

(٥) والى أنه كقهر الأجسام وأرواحها بالنوم واليقظة وبالظلمات فى البر والبحر سلط عليهم صواعق من السماء أوزلازل من الأرض وقذف فى قلوب بعضهم كراهة بعض لإمحاء وإماتة دينا

(٦) فكل هذه الأمور الخفية للفضول السابقة تلخيصاً أكل ندعو العقل الانسانى أن يفكر هل هذه الحياة تستحق أن تكون نهاية كلال بل هى مقدمة والا فلماذا هذا الاضطراب والقهر والزلازل والحروب والنوم واليقظة كلا ان هذا أمر له ما بعده فلذلك أتى آخر بما يفيد أن قومك يا محمد كذبوا به وهو الحق فأعرض عنهم اذا خاضوا فى القرآن والرسى مكذبين ولا تجالسهم وكيف تجالس من اتخفوا دينهم لعبا ولطوا وتروكوا العلم والحكمة والجد ولم ينظروا الى ما يحيط بهم من العوالم والحقن هؤلاء قوم لا يعقلون فنفسهم سفسل الى الهلاك لا ضيع لها ولا تقبل منها فدية وليس لهم الاشراب من ماء ملى فى بطونهم وهذاب أليم فى أجسامهم وقل لهم أئدعو من دون الله لا ينفعنا ولا يضرننا وتكون كلئى أفضله الشياطين فى الأرض متعبين ومعه رفقة يقولون اتقنا قل لهم لا تقبل ذلك فلاحدى الاهدى الله ونحن مأمورون أن نخلص له وأن نقيم الصلاة لانا سنحشر اليه وهو الذى خلق السموات والأرض الخ . هذا اجمال هذا الفصل السادس وهو (وعنده مفاتيح) جمع مفتاح بكسر الميم كلفاتيح جمع مفتاح وهو ما يفتح به الخالق وان جعل مفاتيح جمع مفتاح بفتح الميم فهو الخزان وسواء كان الأول أو الثانى فالمنى أن الله عنده القيب كله فمن عنده المفاتيح لشيء ففنده ذلك الشيء . الا ترى أن من عنده مفاتيح الخزائن فانه يتوصل بها الى ما فى تلك الخزائن وان جعل للمنى الثانى كان للمنى وعنده خزان القيب (لا يعلمها الا هو) قال ابن مسعود أوتى نبيكم كل شيء الا مفاتيح القيب ومفاتيح القيب لذلك كورة أهم مما جاء فى الحديث المروى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال مفاتيح القيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون فى غد الا الله ولا يعلم أحد ما يكون فى الأرحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا تدرى متى يجيى للمطر أحد الا الله . وفى رواية أخرى لا يعلم أحد ما تفيض الأرحام الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخارى . وأعم أيضا ما روى عن مقاتل والضحاك أنها خزائن الأرض وعلم تزل القلوب . وما قاله هؤلاء وهو ما غاب من الثواب والعقاب وما قاله غيرهم كقضاء الآجال وعلم أحوال اعيان من سعادة وشقاء وخواتم الأهمال وعلم ما لم يكن بعد وعلم خزائن غيب السموات والأرض من الأقدار والأرزاق وغيرهما بل فوق ذلك علم كل ممكن وجد وكل ممكن لم يوجد . ففاتيح القيب شاملة لتلك كله وكل هذه الأقوال داخلة فيها وانما يقال فى كل مقام بحسبه على حسب قبول الخاطئين . ثم أخذ يشرح هوم علمه بالمشاهدات ليعرف الناس كيف يعلم العاقبات فيقول ان المقبيات فى علمه منتظمة على مقتضى ما روي فى هذا العالم للمشاهد ولذلك قال (ويلم ما فى البر والبحر) فليدرسها الناس ليظهر لهم كيف كانت خزائن علمه مقلدة على الناس قبل أن تجز هذه الغائب فى البر والبحر . ان الذى يرزى فى البر والبحر من عجائب الخلق يود أن يعنى الصنعة من أنواع الجداد والنبات والحيوان والانسان يدلنا على كيفية ترتيبها فى علمي القديم وهو بعض ما كان معلوما لله ولا يزال معلوما فاستر الغائب التى لا تحصى وهى عنده مخبوءة من العوالم التى قدرها وستكون فى المستقبل لها نظام يشبه ما نشاهدون ومتى درستموه دلستم على حسن الاتقان وأدركتم طرفا من الجبال يسوقكم الى استكناه الحقائق وفهم البقائق وعلى مقدارها تقفون من خالقها مع علمكم أنكم لا تصلون الى نهاية علمه ومهما درستهم وصفت نفوسكم فانكم لا تدركون مثناه وهذا ما يديم لكم الشوق والجد لتسبروا فى أنوار المعارف محذرين . ان جميع الأرض اما بحر أو بر

فكأنه قال جيع مافي الأرض (وإنسقط من ورقة الابلعها) أي فهو عالم بالجزئيات ماعظم منها وماهو أدق من ذلك (ولاحبة في ظلمات الأرض ولارطب ولايابس) معلوقات على ورقة (الافى كتاب مبین) مقدارها وقتها والكتاب المبين اما علم الله أو اللوح المحفوظ . ومعلوم أن جيع الأشياء امارطة أو يابسة فعمم تارة البرّ والبحر وأخرى بالرطب واليابس وذكر السقائق في الورقة والحبّة فملخصه أنه يعلم السكل وهو البرّ والبحر والرطب واليابس والأعم منه هي مفاتيح القيب والجزئيات الحقيقية كالورق والحبّة في باطن الأرض وهي الحبّة قبل أن تنبت فإذا نبتت لم تكن حبة وقوله الا في كتاب مبين بدل من قوله لا يعلمها الا هو بدل السكل على أن الكتاب علم الله وبديل اشتغال على أنه اللوح المحفوظ . الى هنا انتهى مافي المقام الأوّل من هذا الفصل

(للمقام الثاني)

(وهو الذي يتوفاكم بالليل) ينمكم فيه ولارب أن النوم أخو الموت فكل منهما نزال للاحساس ولكن الموت أشد استئصاله فاستبرله (وبعلم ما جرحتم بالنهار) كتبتم فيه كما هو العادة أن الليل للنوم والكسب للنهار (ثم يبعثكم فيه) يوقظكم وهذا ترشيح للاستعارة المتقدمة فإن البعث من ملائكة المشبه به وهو الموت (ليقبض أجل مسمى) ليليلغ التيقظ آخر أجله الذي قتره في الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم يبعثكم بما كنتم تعملون) يوم القيامة بالمجازاة . وهذا القول خطاب للكفار ولكل عاقل فهو يقول أيها الناس انكم في الليل كالخيف للقاء وفي النهار تكسبون الآثام والليل والنهار بدوران عليكم لا يفران فأما أنتم فانكم لم تستيقظوا من غفلتكم بل المؤمن منكم والكافر جميعا لا يفكرون في أكثر الأحوال كيف كان نظام الليل والنهار واليقظة والنوم وهما دأبيان فأما أنتم فساهون لاهون أو ما علمتم أيها الناس أن هذه الحوادث المتكررة التي لا مفر منها تسهر بطريق البرهان الاقنأى والقياس الظاهري أن هذا النوم وهذه اليقظة فمضربا مثلا لنوم الأكبر واليقظة الكبرى وإن ذلك الاثمين على الموت والحياة فان من فلا تجزعوا من انقطاع الحياة لانها لا مقطوعة ولا ممنوعة ولكن اجزعوا من غفلتكم فأنتم لابد من مبعوثون بدليل استيقاظكم من نومكم وهذا من احدى الأدلة التي ذكرها سقراط لتلاميذه وأفهمهم أنه برهان اقنأى يورث الظن لا اليقين فقال . ألم تروا أن الفئريته الفنى والفنى يتبعه الفقر والمرض بعده صفة والصحة بعدها مرض وهذه قاعدة أن الضد يتبعه ضده فالاضداد متتاليات والليل يتبعه النهار . هكذا فلتكن الحياة يتبعها الموت والموت يتبعه الحياة . هذا كلام سقراط وقد قسّم في سورة البقرة . فانظر كيف ذكر الله النوم واليقظة والليل والنهار ثم أمّأتهما بقوله - ثم اليه مرجعكم - ياليت شعري أين جزيرة العرب وأين سقراط وأنا موثق أن المسلمين ليس بينهم الاقليل قد اطلعوا على هذا البرهان من كلام سقراط وفيها هذا البرهان . وكيف يذكر النوم واليقظة وبنو آدم جميعا لا يفكرون فيها الا الأطباء لأجل الصحة والمرض والا العشاق للاحتجاج بمن يحبون والا المرضى لتمام ما أصابهم وهكذا وأهل الأرض جميعا الاحكامهم لا يفكرون في اليقظة والنوم من حيث ان الحياة الأخرى تعرف بالقياس لهما . فإذا كان الناس اليوم يقرؤن اللغات هذه القصة في كلام سقراط مع تلاميذه ولا يطلع عليها بلسنة الانجليز والفرنسيين وغيرهم الاقليل من المسلمين وقابلك بالعرب في جزيرتهم أيام النبوة فلمعرفكم لم يسمعو بعديده هنا ولا كانوا يحسنون الكتابة العربية الاقليل منهم فكيف باللغات الأخرى وكيف بلسنتهم أن إيراد مثل هذا البرهان في هذه السورة من عجائب الحكمة التي تأتي في البيانات والناس عنها لاهون ساهون . يمثل هذا تكون اللهجات ويمثل هذا تكون الينيات على صدق النبوة ويمثل هذا يجب على المسلمين أن يكونوا أوّل حكماء الأرض وفلاسفتهم . أيها المسلمون ها نحن أولاء بينا لكم ما يجب عليكم فاقفوا أثر القرآن وادرسوا هذه الدنيا ونظامها فلا اتباع

للقرآن ما لم تدرسوا البر والبحر والسموات والأرض

﴿ المقام الثالث من هذا الفصل ﴾

(وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ أعمالكم (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) ملك الموت وأعواله وهم لا يفرطون بالتواني أو التأخير (ثم ردوا إلى الله) إلى حكمه وجزائه (مولاهم) الذي يتولى أمرهم (الحق) العدل وإذا كان كذلك فهو يحكم بالعدل (آلا له الحكم) وحده (وهو أسرع الحاسبين) بحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب

إن قهر الله لعباده غلبته لهم والقهر مجده فوق كل شيء وبهذا القهر ثبتت هذه الكائنات فقهر الليل بالنهار والنهار بالليل والحر بالبرد والبرد بالحر ووضع الحر والبارد والرطب واليابس في النبات والشجر وكسر هذا بهذا فحصل التفاعل كما هو ظاهر في علم الكيمياء فلا مركب من المركبات إلا والقهر هو الذي حفظ تركيبه وأبقى هيئته وشكله وبنى الأجزاء الداخلة في تركيب النبات من الأكسجين والهيدروجين والاوزون والكربون والأملاح المختلفة وكذلك الحيوان كل هذه العناصر تتفاعل في الأجسام العضوية فكل لكل قاهر فينزع الجسم ولولا قهرها وتذليلها ما عاش حيوان ولا نما نبات ولبقيت العناصر ممقاة كهيئتها يوم خلقها الله بل الماء نفسه لولا القهر الطاريء على جزئيه الأكسجين والهيدروجين ما كان سائلا جاريا ولا نلجا ثابتا بل كان جسا غازيا منتشرا في الكون هو أيا لا يصلح للأحياء . فالقهر هذين العنصرين أبرز هذا الماء من العدم حول الكرة الأرضية . ومستحيل أن يكون ماء أو نبات أو حيوان إلا بحساب متقن على مقتضاه يكون دخول هذه الأجزاء في التركيب وعلم الكيمياء الآن أشهر من نار على علم يفهم منه هذا الحساب بسهولة . إذا فهمت هذا فتعجب كيف يذكر بعدها قوله - ويرسل عليكم حفظة - فهو يقول قهرت العناصر فتفاعلت بالحساب . فإذا كان القهر عم كل شيء فالناس مقهورون والعناصر الداخلة في أجسامهم بحساب لأنها مقهورة أيضا ومن قهرها أن المواد الزجاجية التسافهة لا تكون إلا في الأعين بحيث تقابل الضوء الداخل إليها ولولا هذا القهر مارأيت شجعا . هكذا فتسكن أعمالكم فأنا أحفظها في سجل مكنون عندي فهناك ملائكة يحفظون أعمالكم بل أنتم ترمم في نفوسكم كل ما هملتموه من خبر أو شئ فإذا عرفه الحفظة فأنتم كذلك كما في قوله تعالى - بل الإنسان على نفسه بصيرة - فكل أعماله مرسومة في نفسه وتبرز يوم القيامة واضحة فيندم ويحزن على التبع الذي يشاهده من نفسه - ويجدوا ما هموا حاضرا - فإذا كان المرء يشهد على نفسه ويقال له - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - فبالأولى تشهد عليه الملائكة فهذا قوله - ويرسل عليكم حفظة الخ - وأما قوله - وهو أسرع الحاسبين - فذلك ظاهر في علم الكيمياء وتراكيبها وعلم الفلك فان النبات والحيوان وكذلك حركات الفلك كلها تمر فكيف كان سريع الحساب . وقد ذكرنا هذا مفصلا في سورة البقرة وغيرها بأمثلة علمية مفيدة في السموات والأرض

﴿ المقام الرابع في هذا الفصل ﴾

إن الناس من عاداتهم جميعا أنهم إذا نزل بهم مكره من غم أو هم تمنوا زواله واستأنوا برهبهم وفزعوا ونذروا أنهم إن خرجوا من ذلك المكره ألقوا عن الذنوب وأخلصوا في أعمالهم ونفعوا الناس . وهذه قاعدة مطردة في الناس حتى إذا ذهب عنهم وزال بأسهم رجعوا إلى عاداتهم ونسوا عهودهم وساروا على طرقهم الأولى اعتبر ذلك في الذين يدمجون الخمر والميسر وشرب الخمر وسائر الذين يعتادون شهوة من الشهوات فانهم حينما ينفقون ذرعا من الشهوات يلقعون عنها ثم لا يلبثون أن يغمسوا فيها انغمسا وهكذا الفقراء فانهم يقولون إن أغنانا الله كما أرحم بالفقراء فإذا صاروا أغنياء كانوا أشد حرصا على المال منهم في أيام فقرهم . وهكذا المرضى يقولون لو كنا أصحاء لقلعنا كيت وكيت ثم إذا صحوا رجعوا لعاداتهم ونقضوا عهودهم مع ربهم

فمر الله عن هذا كله قائلا (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) أى من الأحوال والشدائد المبرح بها بالظلمات على سبيل الاستعارة يقال لليوم الشديد يوم مظلم فظلمات البر والبحر جميع المصائب الواقعة على الإنسان (تدعونه لضرع وخفية) معنيين ومسررين (لأن أحييتنا من هذه لتكونن من الشاكرين) الذين يعطون الحقوق لأهلها ويعملون النعم في مواضعها التي خلقت لها ولا يرضون بمجاهد ولا مال ولا علم ولا قوة أى يقولون لأن أحييتنا الخ (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب) غم سواها (ثم أتم تشركون) تعودون للشرك ولا توفون بالعهد وكان مقتضى النظم أن يقال ثم أتم لانشركون فمير بالشرك عن رأس الخطيئة لأن الحراف القلب عن الحقائق هو الذى يحرف الجسم عن العمل النافع

(المقام الخامس)

إن الله عز وجل كثيرا ما يأمر السماء أن تنزل صواعق ويأمر الأرض بالزلزلة ويضع في قلوب الناس الطمع والشهوة والحسد والحرب فيكون الحرب لئال وللدن ولاحتلال الأرض كما هو الحاصل في كل زمان فالزلازل في الأرض كثيرة وأهمها زلزلة بلاد اليابان في هذه السنة وهكذا قد نزل الصواعق وترى هذه الحرب الكبرى فيها قتل الناس في الشرق والغرب بعضهم بعضا وزالت عروش وقامت أمم واقسمت دول ووضع العزيز ورفع الدليل وهذا قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم) يلبسكم (شيئا) فرقا متحيزين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم (ويذيق بعضكم بأس بعض) بأن يقتل بعضكم بعضا • روى البخارى عن جابر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية - قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم - قال رسول الله ﷺ أعوذ بوجهك - أو من تحت أرجلكم - قال أعوذ بوجهك - أو بلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض - قال هذا أهون أو هذا أيسر • وفى حديث مسلم ما يفيد أنه ﷺ سأل الله ثلاثة أشياء فأجيب إلى اثنين وهما ألا يهلك أمته بالفرق وبالجذب ومنع الثالثة وهى ألا يجعل بأس أمته بينهم شديدا • وفى رواية الترمذى بدل الفرق ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم • وأعلم أن الآية عامة لسائر الناس وهى بيان لما عليه هذه الدنيا والحياة فيها وأنها مضطربة فعلى الناس أن ينكروا في أمورها قبل الخروج منها • وما هذه الذكريات الالتيقظ الناس وينفكروا على أن كل امرئ متى ضعف أو كبر أو دنا أجله مات فهذا قد قامت قيامته والدنيا في حقه قد ذهبت فلا سماء ولا أرض لديه بما عندنا فهذه الحن للتذكير بما نحن عليه من قلب الأحوال فنحن على كل حال راحلون من الأرض فان لم يكن بصواعق السماء ولا زلازل الأرض ولا بحرب فيما بيننا فان أجسامنا فيها من التبدل والتغير والتفاعل ما يجعل أعلاها أسفلها فنذهب من الوجود فعلى أن نتفكر في هذه العوالم عسى أن نهتدى للحقائق فان لم يكن موتنا باضطراب الجسم العالم وهو العالم كله فليكن ذلك باضطراب أجسامنا لافرق بين الاضطرابين (انظر كيف نصراف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون)

(المقام السادس)

(وكذب به قومك وهو الحق) الواقع لامحالة (قل لست عليكم بوكيل) بحفظ وكل إلى أمركم فكيف أنتمكم من التكذيب أو أجازيكم (لكل نبا مستقر) أى لكل خبر يخبر به الله في القرآن وقت ومكان يضع فيه (وسوف تعلمون) عند وقوعه في الدنيا والآخرة وهذه السورة نزلت بمكة وقد تم وهذا الله وفتح مكة وانتشر الاسلام وظهر صدق القرآن فانه لما قرأ هذا بمكة لم يكن هناك غزوات ولا فتوح ولا أم دخلت في دين الله أفواجا ولم يكن هناك هلاك لقريش كالثى في وقعة بدر وأحد ولا غيرهما وأما حاصل هذا كله بعد هذه السورة وأمثالها بزمان طويل وهذا هو الاعجاز الحقيقى (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) بالتكذيب والاستهزاء والطمع فيها (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) غير القرآن لأن الآيات

منه (ولما يسببك الشيطان) بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي (فلا تقصد بعد الذكرى) بعد أن تذكره (مع القوم القوم الظالمين) أى معهم وضع الظاهر موضع المضمر لانهما ظلموا حيث استهزأوا بما يجب أن يؤمنوا به (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) أى ليس على المتقين المجالسين لهم شيء بما يحاسبون عليه (ولكن ذكرى) ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى يمتنعوا عن الخوض ويظهروا كراهة فعلتهم (لعلهم يتقون) يجتنبون ذلك حياء أو كراهة لمساكنهم

واعلم أن الكفار في زمن النبي ﷺ كان دينهم عبارة عن لعب وطهو كاتخاذ الأصنام والاستهزاء بالقرآن لانهم يستهزئون به معتقدين أنهم يحافظون على دينهم الفاسد بل يلعبون ويلعبون عند سماع القرآن ولكل أمة عيد في دينها شرقا وغربا فلك الأعياد اتخذتها الأمم لها ولعبا بخلاف عيد المسلمين فهو صلاة وتكبير واحسان فلذلك قال (وفى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) يشمل هؤلاء كلهم (وغرهم الحياة الدنيا) حتى أنكروا البعث (وذكر به) بالقرآن مخافة (أن تبسل نفس) تسلم إلى الهلاك وزعم وتحبس ومنع من الثواب (بما كسبت) من الآثام وأصل البسل في اللغة التحريم تقول هذا عليك بسل أى حرام يمنع فالقرآن تذكير للنفوس حتى لا تمنع من الثواب وتحبس في جهنم (ليس لها من دون الله ولي) أى قريب يلى أمرها (ولا شفيع) يشفع في الآخرة (وإن تصل كل عدل) وإن تعد كل فداء والعدل القديس لأنها تعادل المفدى (لا يؤخذ منها) أى ذلك العدل والقديس (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) أسلحوا إلى العذاب بسبب سوء أعمالهم وانحراف عقولهم (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) فيشربون ماء مغليا في بطونهم وتحرق أجسامهم في جهنم بالنار (قل أئدعو) أئسبد (من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا) ونرجع إلى الشرك (بعد إذ هدانا الله) إلى الاسلام (كأذى استوتوه الشياطين) كأذى ذهبت به مردها إلى الملهام والاستهواء استفعال من هوى يهوى هويا إذا ذهب (في الأرض حيران) متحيرا ضالا عن الطريق (له أصحاب) لهذا السنوى رفقة (يدعونه إلى الهدى) أى يهدهونه إلى الطريق المستقيم يقولون له (ائتنا قل إن هدانا الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال (وأمرنا) بذلك (لنسلم رب العالمين وأن أقموا الصلاة) أى للإسلام ولأقامة الصلاة (وهو الذى إليه تحشرون) يوم القيامة . ثم أفاد أن خلق السموات والأرض إنما يكون لحكمة وهكذا قول الله الحق حين يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء يخلقه الخلق لحكمة وقوله حق يوم يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء ونكون نتيجة ذلك أنه يخلق بالحكمة ومنى قال قولا يقتضى الإيجاد ثم وتحقق وهذا قوله (وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق) والحكمة فكيف يترك هؤلاء الضالين وشأنهم فالحكمة تقتضى أن يهذبوا ويؤدبوا . وكل من فعل بالحكمة من المخوفين كالهندسين والتجارين والمصورين يصعب عليهم العمل ولا يطاوعهم المصنوع من حديد أو ذهب أو حجارة فيحتالون ويحتنون فأما هو فإن قوله الحق كائن حين يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء بلا نصب ولا تمب ولا آلات هندسية ولا حفر ولا تنقيب ولا مدارس ولا معلمين وهذا قوله (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) فيوم واقع خبرا لقوله قوله الحق أى وقوله الحق كائن حين يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء فهو نافذ في الكائنات بخلاف الناس (وله الملك يوم ينتفخ في الصور) جمع صورة والنفخ فيها لإحيائها بنفخ الروح فيها ولتدعوا إلى رسول الله كيف تفعل قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وأجمع أهل السنة أن المراد بالصور القرن الذى ينتفخ فيه اسرافيل فتضخضخ نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب والقول الأول لأبى عبيدة (عالم الغيب والشهادة) يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغييب عن علمه شيء (وهو الحكيم الخبير) هذه الجملة ملخص الآية . فذلكه لها . انتهى المقصد الأول من السورة تفسيراً لفظياً

(وفي هذا المتصل لطائف)

الطيفة الأولى • في قوله - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض - وكيف كان أول فكر للمؤلف فيها إذ قرأ أول كتاب في علم الفلك

الطيفة الثانية • سؤال أحد الفلاحين له في نهاية العالم من حيث المكان

الطيفة الثالثة • قوله تعالى - ولوبطناه ملوكا لجلعناهم رجلا - وكيف كان العلم الحديث تدين هذه بيانا شافيا وبه فهنا معنى - وللبسنا عليهم ما يلبسون -

الطيفة الرابعة • قوله تعالى - كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة - وكيف كانت القيامة رحمة لانقمة لأنها احياء • وبيان المجزة في قوله - وله ما سكن الخ -

الطيفة الخامسة • قوله تعالى - وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير - وكيف كان القهر في علم الكيمياء وغيره مصعوبا بالحكمة

الطيفة السادسة • قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر الخ - وبيان ما كان من اختلا المؤلف في المزارع لئلا تنسكه في أمر الحيوان وذكر الفرائض الحيوانية الجيبة التي تدل على نوع ادراك الحيوان ومحادثة المؤلف مع فلاح في أمر الضفادع واجابة امرأة مع عجيز الرجل وتبيان ان هذه المسألة من أتمته المسائل التي عجزت عنها أهل الأديان وان المسلمين قد قصروا تركهم هذه المباحث العالية المرفقة للأمم

الطيفة السابعة • قوله تعالى - وعندنا مفاتيح الغيب - وبيان أقوال علماء الهند في علم الله للغيب وقول علماء الأمم في ذلك وعلماء العصر الحاضر ثم اظهار أن ذلك كله تقرب

(الطيفة الأولى)

(أقصص عليك أيها الله كي نبأ ما كنت أزاوله في أول حياتي وأنا مجاور بالجامع الأزهر)

كنت في الجامع الأزهر حوالي أول القرن الرابع عشر الهجري ولم أكن إذذاك أعرف شيئا عن المدارس المصرية التي كانت حافلة بالطلاب والتلاميذ فيها يقرؤون علم الفلك والعلوم الرياضية ولكن هو التقليد يعمي ويصم فلم أكن لأعلم أن في الأرض من يقرأ علم الفلك الا القدماء وهذا يدلك أن الانسان يحبب عما حوله وأمامه وخلفه مادام الأستاذ لا يعلمه وكان الناس في هذه الأرض مسجونون لاقى سجن جسمي بل سجن عقلي وبينهم سجن قد أسدل فتكم من علم يعرفه صاحبك وأنت تنسكه بما أسدل من الحجب العقلية على الأنفس فتوارت بالحجاب • أقول فكرت ليلة في هذه السجاء وبحجوها وصار فكري حائما واشتعل القلب نارا وصرت أسأل فلا أجاب حتى اذا قابلني أحد العلماء فقال عندي كتاب فأخذته وكان ذلك وقت العطلة فأخذته وسافرت مع المجاورين في المراكب الشراعية والكتاب هو (الجنبين) فقرأته في يومين وأنا لا أتذكر ساعة - حتى اطلعت على البروج والنمازل والأفلاك وسير الشمس مع أتى لاذ ذلك لم أقرأ علم الهندسة والحساب ففرت ذلك معرفة عامة وهو يحيل في البراهين على اقليدس • الكتاب على طريقة القدماء وهو يصور الأفلاك التسعة وكواكبها واسما طبقات بعضها فوق بعض الخ • وأنت تعلم أن هذه الطريقة جاء بعدها غيرها كما قلتمناه في هذا التفسير • والمقصود أتى بعدما اطلعت على ملخص الكتاب فرحت فرحا كافي أعطيت ملك سليمان وصرت أشد الناس غبطة ولما توجه المجاورون الى أهلهم بقيت خارج القرية قبيل الغروب وجلست في أرض قرية (بردين) بين الحشائش الخضرة والأشجار النضرة والنسبات تهيب والأوراق ترف والأرض قد اكنتت بجلايب صفراء وهي تسر الناظرين وبجانب نهر فيه لجين قدوشاه ذهب الأصيل

والريح تهب بالقصون وقسجى • ذهب الأصيل على لجين الماء

فأخذت أصلي العصر وأنظر لشمس وقد دنت من الغروب وأرض طرفي الى السماء وأجد الله أن أراي

ما كنت اليه مشتاقا وبقيت كذلك فرحا مستبشرا حامدا شاكرا حتى اذا أقبل الظلام توجهت الى البلدة
قري العيين . وكانت العطلة لا تزيد على أسبوعين فصرقتها في نقل هذا الكتاب ولكن بعد مقدة دخلت
مدرسة دار العلوم فعملته بعد علم الحساب والجبر والهندسة - ويأتي لله الا أن يتم نوره -

ولعمري ما أوردت هذه القصة الا لأبشر المشتاقين للعلم المترمين بالحكمة أن الله حاضر عندهم سيدهم
رشدهم ويعطيهم طلبتهم . ولقد تعلمت بعد يأسى من العلم ولكم كنت في ظلمات الليالي أرقب النجوم
ويجيبني جهالها وأسأل لمرآها وأقول ماذا وراءها . وما كنت أعلم أن في الأمم من يرقبون ويظفرون
فلما دخلت المدارس وقرأت عن أهل الغرب ألفت الفرام بالعلم علما ولا يمشق العلم الا الأكابر
فقر بعلم تمش حيا به أبدا . الناس موتى وأهل العلم أحياء

(اللطيفة الثانية)

كنت مرة في قريتنا ببلاد الشرقية فقال أحد أقاربي يا ابن أخي أنظر هذه الأرض أليس لها آخر
عندكم في العلم . قلت بلى . قال ووراء الأرض السماء . قلت نعم . قال وهكذا سماء وراء سماء وماذا
بعد السموات . هل يعلم أحدياً . هل أحد في الأثر عندكم يعرف ذلك . وكان هذا السؤال من أسباب
البحث في هذه العلوم

واقعد كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر كثير الشغف بحمال النجوم وكم ليلة بتها ساهرا أحس في القلب
بحزن عميق لجهل بهذه العوالم وكنت أقول في نفسي ليت شعري ماذا يقول الناس في هذه العوالم . ولقد
بت ليلة ولما قريتنا يتدبى على ميت من سرات القرية وهن يرتلن أصواتا منتظمت ناديات هذا السرى
والقوم جالسون في خيمة في الخلاء والنجوم باهرة في السماء تتلا لا فكان لأصواتهن رنة حزن . ودام
ذلك الحزن ليالى ذوات عند فكانت رنة الأصوات تحدث في النفس رقة محزنة وكأن الباكيات يتدبى لاني
جاهل بمآق العالم من الجبال

(اللطيفة الثالثة)

يقول الله - ولوحنا ملكا لعلنا رجلا - ومعنى هذا أن الملائكة لا يظهرون للناس الا بصورة
بشرية . ولقد ظهر في العلم الحديث وذلك أنهم قد بحثوا في علم الأرواح . كيف تظهر الروح فوجدوا أن
أرواح الأموات التي تتجلى للأحياء تستعير من جسم الوسيط (أى الشخص المتوهم بالفتح) المواد التي تشكل
بها وجسم الوسيط إذ ذاك ينقص وزنه على مقدار ما أخذ منه . وهذا الأمر حقيقه العلامة (اسكا كوف)
والسيو (أرمسترانج) والعلم (أولكوت) الانكليزي وخلافهم من المجرمين الذين أجمعوا على أن جسم
الوسيط ينقص وزنه عند انتقال مادته الى جسم الروح ويقولون ان للأرواح جسما لطيفا يدوم لها أمدا
طويلا كأنه غلاف للروح وهذا الجسم اللطيف كأنه قالب للجسم المشاهد لنا وفناء الجسد المشاهد لا يغير
هيئة الروح مع غلائها وانما كان ذلك في الأرواح فهو في الملائكة أولى لأن للملائكة أظلف من الأرواح
يقول الله لوجلت الملك مرسل اليكم لعلته رجلا قدوته ويرجع اليه ولا بد من مادة حقيقية
لا مجرد وهم أو خيال فبهنا وافق الكشف الحديث القرآن وهو أن عالم الأرواح لا يشاهد الا بشكل مادي
فما دمتنا في الحياة فلا نرى ذلك العالم الاعلى أشكال حسية مصرية . قالت مدام ماريا الانجليزية في
تأليف لها في الحادثة الروحاني أوقفني العلامة ويليام كروكسي وقت الجلسة لمراقبة وزن الآتسة فلورنس
كوك بعد أن وضعها على آلة للوزن اخبرها بنفسه فوجدت ثقل الوسيطة قبل تجلى كاتي ١١٢ ليبره ولما
تجلت الروح تناقص وزنها الى ٥٩ ليبره أى زهاا النصف انتهى

﴿ الطيف الرابع ﴾

قوله تعالى - كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة - هذه الآية تعرف الناس رحمة الله . فهو يقول خلقتكم في الأرض مفترقين متحاسدين متعادين واني وان كنت شملتكم برحمتي فيها فهناك رحمة أوسع ومجال أوسع وكما أبدع وهو اجتماعكم في عالم السموات وأكاف العوالم الطيفية المزدانة بالجمال المفرغة في قالب الكمال وأتم هناك مجتمعون بعد التفرق وأي رحمة أعظم من إطالة الحياة وانها ليست متبته بالموت بل دائمة البقاء . وقوله - وله ما سكن في الليل والنهار الخ - في هذه الآية عجب عجيب من دلائل النبوة وعجائب الحكمة فكيف جمع الله بالتصير بسكن بين لطائف العوالم التي نشاهدها . فانظر هناك الله كيف ترى أن الأرض والكواكب والشموس والأقمار جميعها متحركة لا تسكون لها فلا أرض ولا شمس ولا قمر بل للأثرة في هذا الوجود ساكنة فالتصير بالسكون مناقض لخال هذا العالم المشاهد ولكن اذا وقتت ليلا تنظر النجوم وتلاحظ الأرض حولك لا تجسروك كالكواكب والأرض والعوالم حولك تراها ساكنة ثابتة وأنت مطمئن قريح العين بسكون هذه العوالم هذه هي الحكمة بل المجردة . كون متحرك ولكنه ساكن مطمئن للنفوس . هذا هو سر قوله - وله ما سكن - كأنه يقول ان الابداع في العالم جعله ساكنا مع أنه متحرك انتهى

﴿ الطيف الخامس ﴾

قوله تعالى - وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير - القهر فوق العباد مصحوب بالحكمة والعلم واعتبر ذلك في كل ما هو ضروري للبقاء ونعمة الحياة . وتأمل كيف ترى أن كل شيء من إنسان وحيوان مقهور على الغذاء مفلور على طلبه فهناك في داخل جسمه دماغ حيث يقهره على طلب الغذاء وألم باطن يسمى بالجوع ودماغ آخر يسمى بالشبع وهو كراهة الأكل ولولا سائق الجوع وقائد اللذة في الطعام وسائق العطش وقائد اللذة في الشراب وسائق الشبق وقائد اللذة في الوقاع ما أكل الناس ولا شربوا ولا ولدوا فالأولان بهما بقاء الأشخاص والاخير به بقاء الأنواع في كل حيوان . ومعلوم أن حياة الأشخاص وحياة الأنواع هي المقصود الأعظم من هذه الدنيا ومن عليها فكيف كان قهر الحيوان على الحياة . ومن عجب أنه لم يترك البنا أمر البقاء ولا التناسل بل قهرنا عليهما قهرا ولم يترك فيهما الاضطرين بخلاف بناء المنازل وزرع الأرض وحراثتها والتجارة فانا نهندس ونحفر الترع وليس هناك الاقائد وسائق عقليان . فأما حيواننا فقد وجدنا أن نفوسنا فيها لكل شيء سائق بسوطة ليقهرنا ويلجئنا أن نأكل ونشرب ونواقع وقائد مشوق لذلك كما يكون للحيوان في الأمكنة الخفية رجل يقود وآثر يسوق حتى يسلم من العطب مباغلة في المحافظة عليه وكما يجعل للدابة سائق بالمصا وآخر معه حشائش تنظرها لتنبه فيكون ذلك أعون على سرعة سيرها . فهذا هو القهر والعلية ولكن لامع الظلم ووضع الشيء في غير موضعه بل هو القاهر وهو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه وهو الخبير بما يصنع

واعتبر ذلك في المرأة ترضع ولدها والناقة ترضع فصيلها والسجاجة والحامدة والنعامة تحضن بيضها فانهم جميعا مقهورات على ذلك العطف قهرا لا مفر منه بل اعتبر ذلك أيضا في المتعربين والمؤلفين الذين يجتهدون في أعمالهم وهم لا يعلمون شيئا في مستقبل أمرهم ويجتهدون ليلا ونهارا وربما ضاعت أمواهم في سبيل أعمالهم ومهنتهم وحياتهم وليس يعني الثمرة الا أنهم كما لم يجن ثمرة الحياة الافضل الناقدة وولد الطليبة وكل لكل مسخرون وهم لا يعلمون بل العالم هو الحكيم الذي سخر الآباء والأمهات بالعطف والحنان ومن عجب أن الناس مسخرون ولا يعلمون أنهم مسخرون ومقهورون وهم لا يشعرون . والناس يضربون المثل في الظلم بجامع الرافعي بمصر قديما وهو قريب من قلعة الجبل بمصر ويقولون ان الوالي كان اذا

أمر رجلا أن يعمل فيه وأبى أن يطاعه يقول له الوالى لا بلاته ويظهره على العمل فيه حتى سعى للمسجد إذ ذاك
(بمسجد لابلته) وقيل فيه

بنى مسجدا لله من غير حله • فكان بحمد الله غير موفق

فهذا القمر ضرب به المثل ولكن نحن مقهورون في دأه الأوقات قهرا بحكمة وعلم فلم نحس بأننا مقهورون •
وترى القمر في السموات فوقنا فالكواكب تسير بالقمر والشمس والقمر وهذا القمر منظم لانها أطول منا
فلذلك قال - فأبين أن يحملتها وأشفقن منها وحلها الانسان إنه كان ظلوما جهولا - فلم يسم هذه العوالم
ظلمة لانها لا تختلف منها فترى مواعيد الكواكب لا تفسر فيها وكذا الحيوان لا يقرب أثناء أيام حملها ولا يأكل
الامايصلح جسدا ما الانسان فكثيرا ما يخطئ في تقدير الأكل والشرب والوقاع فيقع في الضر فقل مرض
الحيوان وكثير مرض الانسان وخطؤه وذنبه لاسيا في المدن والقري بجهله وخطئه فهنا حل الانسان الأمانة
والتكليف ووجب عليه أن يتجافى عن أشياء ضارة به كالأدخار وكلف يبدل المال والعبادات وما أشبه ذلك
وحتم عليه تربية القضاة لفصل قضايا الأطباء لدلواة مرضاه في المدن وقل ذلك في الأعراب بالبوادي • فأما الحيوان
فهو غير محتاج الى الأطباء مادام بعيدا عن الناس لصفا عيشه وحسن تقديره لطعامه فتكون الحيوانات
الوحشية في الأحراش والغابات والقلوات وطيور السموات سليمة لأنها سائرة في القمر مع حكمة الحكيم كما
سارت الكواكب والشمس والقمر فلم تتكف بما يصلح خلقها كما كلف الانسان

ولما جرت الكواكب والشمس والقمر بحساب أرسلت الحرارة على الأرض فقهرت الثلج قذاب فصار
ماء والماء أقرب الى البساطة لأنه مركب تركيبا قليل العناصر فأصبح وهو جامد ثلجي منظما نظاما بديعا
فان قطرات الماء اذا ضربها البرد في درجة أقل من الصفر وقت ثلجها في البيوت بالبلاد الشديدة البرد فاذا
اجتمع خلق كثير في قاعة صغيرة هناك وفتح نافذة من نوافذ القاعة والبرد شديد جد البخار في هوائها
ووقع ثلجا وثلج مركب من بلورات من الجليد ابرية الشكل يصل بعضها ببعض على أشكال تدهش الناظر
وتبهر النواظر وقد رسم بعضها بالأشكال الستة المسقمة في سورة آل عمران • فانظر كيف كانت
مسددة الشكل وليس في الأشكال مسدس منها يشابه للمسدس الآخر • فتجد وحدة في القديس واختلافا
في الأشكال كما ترى نظام بيوت النحل فهو مسدس الشكل ولكن شكله واحد • أما هنا فالقديس
واحد والنظم مختلف لان مسدسات النحل في بيوتها من صنع حيوان ضعيف أما هنا فانه صنع الحكيم الخبير
فهنا العمل واسع وهناك ضيق وهذا هو قوله تعالى - وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير -

اعلم أن الأكسوجين لم يوجد حرا في الطبيعة خالصا من الشوائب وهو داخل في التراب ومع الكربون
أي الفحم في حامض الكربونيك وهو داخل في تركيب المواد التي حولت لمثل الصخور والزمل والتراب
وكذا المعادن اذا حصل لها الصدا وكل ماصدئ وزاد وزنه فزيادة الوزن ناجمة من الأكسوجين الذي هو داخل
في الهواء وفي الماء وهو المصلح لسمنا بالتنفس • فانظر قهر الله وحكمته أنظر كيف ترى أن المعدنين
المتشابهين كالرماس والقصدير اذا تركبا كان للمركب قريبا منهما • أما العنصران اللذان لا تشابه بينهما
كأكسوجين والأودروجين فانهما غزان والأقل ضروري للاشتعال والثاني قابل للاشتعال ويكون منهما سائل
ليس من طبع أحدهما وهو الماء فهو يطفى النار ويمنع الاشتعال • فتعجب من قهر الله فوق عباده حيث قهر
الغازين ضارا سائلا وهذا السائل أطفأ ما شلا ومنع ما قبله انتهى

(اللطيفة السادسة)

قوله تعالى - وبامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمثالكم - لقد كنت أيام مجاورتي

بالجامع الازهر أرجع الى بلاد الريف أيام العطلة فإذا غابت الشمس وأخذ الليل يرسى سدوله وأقبل الظلام من المشرق خرجت من البيوت طالبا الحقول والخلوات فأجلس حتى لا يهوش على عتلى المهوشون وكنت أُنشد قول مجنون ليلي

وأخرج من بين البيوت لعلى • أحدث عنك النفس بالليل خاليا

وكانت النظرات في تلك الخلوات لتنجوم وجالها والحقول وسماج النفات بجمع الحشرات فيها تلك الظلمات والنجم مشرق والقلب مستيقظ والنفس تواقه • وتارة أحضر القرون الخالية والأيام الماضية وعمر الجيوش وتال الجيوش والملوك تالوا الملوك على الأرض التي أنا عليها من القراعة العظام والملوك الفخام وكان يحيل إلى أنها دول تتبعها دول قد صرت في مكافئ الذي أنا جالس فيه والزمان مقبل والمواكب حافلة والجنود مصطفة وكل مطيعون ولسادتهم خاضعون • وتارة أنظر في ذلك الحق البعيد المدى الكثير الجدا الواسع الأكثاف البعيد الأطراف وأرى كيف خيم على الحقول والأشواش والنياض والغابات وأناأمل كيف جلس قبلى أناس فسمعوا ما سمعت من نفث الحشرات في ديبى الظلمات وهم لا يسمعون ما تقول ولا يسمعون إلا أصواتا • وهم جلس جالس قبلى وهو دهن من حيث يرى ولا يرى ويحبب قائلا كيف تحبب الليل بالأشواش والنفثات وقد هبت النسمات ونمايت الأغصان وأخذ الصكر يجرى مجراه وهو لا يعلم الاقبيلا والنظام الليلي في أصواته وهواه وحقوله واحد لا يتغير فاهواه يهيب والرج تلعب بالنصون والحشرات المغنيات الفرحت بالخبب والريف لم تنقص نعمتها ولم تتغير بهجتها فمن سمعها منذ ألف سنة وسمعها الآن يظن أنها هي بينها وذلك لشدة النظام وحسن الاتقان كما تقوم العولة اثر العولة والولد اثر أبيه بعد موته والآخر يتبع الأول والمتأخر يتبع المتقدم

(حكاية الانسان والحيوان)

بينما أنا جالس ذات ليلة إذ مرّ ذئب أو قملب سريعا فقلت في نفسي يا لهجب أظن عاقل وكيف رأينا الذئاب والثعالب وسائر الحيوانات البرية لديها ذكاء كأنه عاقل وكيف كان علمنا لا يقولون لنا الآن هذه غريزة فأخذت أشك فيما قرأت وقلت في نفسي يقولون الانسان حيوان ناطق فالناطق الصكرى خاص بالانسان ومع ذلك نرى هذه الحيوانات عندها من الذكاء ما لا ينكر ومن ذلك الوقت أخذت أفكر في أنواع الحيوانات ووايت العرس والتعجب ورأت بعض رجال الدين يقولون ان الحيوان لا يحشر لأنه ليس كالانسان وان حشر لا يدوم وهكذا فكانت هذه الأقوال عندي مربكة للفهم من عجة للنفس فهل كانت هذه الحيوانات كلها مخلوقة للآفة ثم فطرت فوجدت الام الحالية قد صرقت كثير من المتعلمين منها من الهينات بشكوك ومنها هذه المسألة قالوا كيف يكون الانسان والحيوان مخلوقين معا في درجات الرقي منتظمة من أدنى حيوان الى أعلى انسان ثم لا يحظى بارتقاء بعد الموت الا الانسان ولم هذا الاختصاص وكيف كان أدنى الانسان يحيا بعد الموت وهو قريب من الحيوان والحيوان لا يحيا وهكذا • والقرآن يقول - ومن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون - فالآية صريحة واضحة والناس لا يبالون بالدين والبال عقل واعمال المتعلمين في ديار الاسلام محصور في أمرين العلوم الفقهية للسائل القضائية والكلمات الفلسفية في الكتب الوراقية فأما غير ذلك فالعقول في غطاء والناس نيام وهذا القرآن جاء ليفك العقول من عقلا وينشط الناس الى العمل والفكر فمكس الناس الامر وأرخوا على العقول حجبها وحبسوا النفوس في أقفاصها ومات قوم شهداء الجهادة قتلى التقليد صرعى الارواح فلم ينبغ تابغون الا في سطره المؤلفون من اللغات وأورثه المتقدمون من المجادلات مع أن العقول مصنوعة صنعا لإبداعها مفضولة فطرة قوية فكان حقها أن يطلق سراحيها وأن لا يكبح جماحها وأن يطلق لها العنان فتنتظر في كل شيء نظرا

يرضيا وتسرح الطرق فيأيرقها فيا أسفا على أم درست وعقول غفلت وقوس هلكت وهم مسجونون
الهم الا قليلا من شرفهم الله وأنهم عليهم برضاء فكتموا العلم خوفا من السيف والسنان وجور السلطان
وقول الجهة الطغام فأولئك هم السادة الأخيبر . وكان حق المسلمين أن يكونوا أول العالمين مفكرين
ناظرين لامقلدين جامدين

اقرأ هنا صريح أن الحيوان له حياة تماثل حياتنا فله مستقر ومستودع وله علم بحياته وهكذا
سيحشر كما يحشر . هذا هو الحق الصراح فأما مستقبله فجهول كاستقبلنا لأننا لانعرف ماذا يكون الا
عما سمعنا أو فكرنا

﴿ الهداة تخاطبني قائلة قد سخر لي مافي السموات ومافي الأرض

ورأى المرحوم أستاذي الشيخ حسن الطويل ﴾

يقينا أنا يوما واقف بقريننا أمام منزلنا إذ لمحت حداة ترزف بجناحها كي تبعث بحدة نظرها عن حيوان
صغير تحتظفه أوميت لتلتقطه تغيل لي وهي في الجو ترزف أنها تقول لي لقد سخرت لي الممالك والملوك
والزراع والزرورع والحيوان والنبات وعالم الأفلاك . ألم يكن عيشي على فراخ دجاجكم التي ربيت في أحضانكم
وتحت إشرافكم واقتات من حبيكم الذي زرعتموه ومن حقلكم الذي رويتموه ومن أنهاركم الجارية
ونيلكم العظيم . وهل يتم هذا النظام أويقوم هذا العمل الا بمهندسين ومنظمين ومدارس ومدرسين
وحاكين ومحكومين وقضاة ومتقاضين وجيوش وعليها مهيمنون . أتم المربون للدجاج وأنا الخاطفة لها
ولا يتم لكم شيء من هذا الانظام تام وحكومة صادقة ولا يتم شيء على أرضكم الا بعمالة جوية وإشرافات
شمسية ودوران الكواكب النورية . فالحالم مسخر لي فأين دعواك إذ تقول سخرت لي الأفلاك وأنا
شريكك في دعواك . فأتم الزروعون المربون للحيوان وأنا قاطنة الثمرات فإذا ادعيت أنك سخرت
لك الأرضون والسموات فهذه دعوى السكاذيين فلئن سخر لك الحيوان فقد سخرت أنت وهو لي كل
لكل مسخر فما هذا الضلال والافك والبهتان . ومن عجب أن الهداة ظلت ترزف بجناحها حتى انتهى
الفكر الى هذا كأنها كانت تعطيني هذا الدرس ثم طارت الى حيث تريد ورجعت حازرا في أمرى حتى اذا
رجعنا الى المدرسة حدثت أستاذي الشيخ حسن الطويل وكان طويل الباع رحمه الله في هذه الآراء . فقال
نعم هذا حق ولكن الانسان أوسع مجالا وأكثر نوالا وأبعد رقلا وأغزر أملا وأعز قرا لأنه لانهية
لكمالته ولا غاية لسعادته . وهذه أقوال إقناعية على الطريقة المعروفة والآراء للوروثة قطع السامع إقناعا
وقبيا ورضيه مليا . ثم يرجعه الفكر كرتين ويؤتبه طالب اليقين ولا يقين الا قوله تعالى - وما من دابة
في الأرض ولا طائر يطير بجناحه الا أم أمثالكم - يا حشرة على الأمة التي داسها القرنجة وهم نائمون وسخر
منها القرب وهم ساهون لاهون ماتوا وهم أحياء وكانوا أعزاء شقوا وكانوا أسعفاء . ذلك للبلاء النازل
على العقول والكسل النجيم على النفوس والنوم الذي أحاط بالناس . فلا حوادث بصرتهم ولا الكتاب
أيقظهم ولا العقل بصرحهم . فلتكن الأجيال المقبلة والعقول الجديدة بدنا أصنى وأنى وأرقى وليرجعوا
عجدا ضاع وعزاهب وليوقدوا نارا خبت وليكونوا خير أمة أخرجت للناس

﴿ نظري في الحقول ومحادثة مع فلاح وإجابة امرأة عنه ﴾

كنت يوما ملزما في حقول قريننا وما كنت في الحقول الادارسا ولا أمرت فيها الاقارنا فالقراءة انما
تكون في الحقول وفي نظر النجوم فأما القراءة العقلية فما أبصمها عن الأمور العقلية وكان الخطأ في أول
أمرى هكذا - وأوصي ربك الى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يبرشون ثم كل من كل
الغرات فاسلكي سبل ربك فلا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم

يتفكرون - وتارة يكون هذا الخطر - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير - وتارة - ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر - الخ الآية في سورة البقرة وكنت أجد ذلك ملازماً لنسرى لا يشارك على

ولقد حدث أحد الفلاحين مرة عن العسل الذي يشتاره الناس من الجبال وأنه يكون هناك بكثرة وقد يجرد في الجبل وفي حلاوته ميل الى طعم للملح لانها تشرب من الماء العين . وكان الحديث ليلاً والهواء صافياً فكنت أشعر بميل شديد وشوق الى معرفة عجائب النحل وكان الحديث والسمعون يتذكرون القطع الصلبة التي يحملها المسافرون من ذلك العسل . فأما ما فقد كنت مشغول القول مشغول القبول مهم القلب بعجائب النحل وفوائده

(محادثة)

ومرة مررت بجانب ممر فيه ماء قليل من بقايا ماء النيل وفيه حيوانات صغيرة تسمى (أبازينية) ترى ذاهبة جاثية في المستنقعات وكنت في تلك السنة قد قرأت في مدرسة دار العلوم أن هذه الحيوانات أصل الضفادع ولم أكن لأعلم ذلك الا من المدرسة قتلت لرجل من الفلاحين يا ابراهيم أتدري ما هذا . فقال ومن أين أعرف وكانت امرأة تحمل جرة على رأسها قد ملأتها ماء قد سمعت هذا القول فقالت أيها الرجل كيف تجهل هذا وأنت شارب . ألم تعلم بأن هذا هو أصل الضفادع قد ولدتهم الضفدعة فنجبت من قوتها غايه الحبب وقلت ان في القرى والفلاحين من هم أهل الحكمة والعلم رجالاً ونساء ولكن قلة التعليم منعت الناس من السعادة والارتقاء وهاك عجائب مما جاء في العلوم في الحيوان

(عجائب الحيوان)

الحجبة الأولى . قد شاهد العلماء قروداً في الممالك المتحدة تبني فطرة من أغرب ما سمعه البشر وذلك أنها اذا أردت عبور نهر امتحنت أفراداً منها وأمسك واحد بصن شجرة على شاطئ النهر وأمسك يديه ورجليه ثم أمسك آخر فآخر حتى تنظم سلسلة من القردة ثم يصنع أسفلهن اهتزازاً في السلسلة فلا تزال في ارتفاع وانخفاض حتى يمسك القرد الذي في طرف السلسلة شجرة على الشاطئ الآخر وتكون فطرة محببة من القردة ثم تمر عليها مائات منهم عبوراً باعتبارها بلا خوف حتى ان الصغار ليتغاضن من فوق تلك القطرة فاذا انتظم عقد جمعها في الشاطئ ونحوها جميعاً سألين أنزل الذي أمسك بالشجرة في الشاطئ الأول يديه ومعلوم أن الآخر مثبت يديه في الشاطئ الثاني فتنتقل السلسلة للشاطئ الآخر ويصبح أول القردة امساكاً بالشاطئ الأول أدناها في الشاطئ الثاني وقد خرج بالسلامة فيه ثم يتبعه بقية السلسلة مع باقي القردة . وهذا قوله تعالى - وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين - وقوله هنا - وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين - انتهى من كتابي جبال العالم قلاع من الكتب الافرنجية

(الكلب وفوائده وذكره)

الحجبة الثانية . حكى أن امرأة كانت في سفينة بخارية معها قطة تحمل ولداً فوقفت القطة في نافذة مشرفة على البحر وأطلقت على الماء والصبي يدها فذره رأسه فسقط في البحر فصرخت القطة واهتاج أهل السفينة وأما أمه فأغشى عليها وكان في آخر يات الناس شاب في يده كتاب وبجانبه كلب من بلاد الأرض الجديدة فأسرع الى القطة وقال لها هل معك شيء من أثر الصبي فقالت لا الا خوفاً من ثيابه بقيت في يدي حين سقط في البحر فأخذها منها وأشار الى الكلب بها متوجهاً الى الموضع الذي سقط فيه الصبي فما كان الا كلع البصر حتى وثب الكلب الى تلك النقطة وغاب تحت الماء وكان هناك سفن شراعية تحاول أن تنقذ الصبي على أثر فلم يمكنها فينها هم كذلك والناس منتظرون اذا بالكلب قد أقبل يضارب الأمواج وفي فمه شيء قد قتل عليه فأسرعوا

اليه من هكل صوب حتى اقتلوه والصي في فقه حيايلها فلما رأت أمه ذلك خرت مشيا عليها ثم دنت من الكلب وأخذت تمسحه وتقبله وتمشط رأسه ثم قالت لمالكه انني غنية ذات ثروة واسعة فهل تعطيه لي بكل ما تطلب من ثروتي ولو كانت كلها فتبسم ضاحكا وقال الحمد لله إذ أدنى لك الكلب هذه الخدمة ولكن لا أبيعهم ولو بعل الأرض ذهبا فرؤى الكلب إذ ذاك يتمسح برجل سيده كأنه فهم ما يقولان انتهى من كتابي جمال العالم

(الهجينة الثالثة كلب البحر)

من كتابي جمال العالم أيضا هذا الحيوان في جهات كندا وفي أمريكا الشمالية وهو يكون جماعات تتحد على الأعمال وتفضل فصل الأم الراقية في المصانع وفنون المهارات ولها مفارقات وسرايب تحت الأرض لتسكن فيها زمن الحر ولا تزال فيها حتى إذا أقبل الشتاء وهجم بحمله ورجله عرفت تلك الحيوانات بواديه فاجتمعن زرافات وجماعات ما بين المائتين وثلاث المائة فأخذن يردن الأماكن وينظرن أصلحها وأحسنها على شرطه أن يكون على شاطئ نهر جار لينين مسكنهن فيه ليكون الماء حضا حينا من هجمات الأعداء كاستري ومحزنا قيسا بقيا من النتائج اقارص القابض وعلى ذلك تأتي هذه الكلاب ليلا إلى الأشجار المقطعة على ضفتي النهر وتقطع غصونها وتكلمها الكبيرة حتى تسقط على سطح الماء الجارى فيأخذها في ثيابه ويسير بها حتى إذا حاذت المكان المنتخب للبناء أوقف أولئك الكلاب سيرا لأخشاب ثم أخذن يكسرنها قطعاً قطعاً حسبما يقتضيه بناء الد ثم أخذن يرسنها في أسفل النهر بحيث تكون سداً منتظماً بين الشاطئين معارضا جري الماء كسد العرم بلقيس وخزان اصوان وملآن ما بين تلك الأخشاب بالأحجار والطين ولورأت ثم رأتهن غاديات رائحات والطين والأحجار بين أقوامهن وأيديهن وبعد الفراغ من ذلك يجتمعن كل عشرة أو اثني عشر منهن وبينهن بيتا ذا غرفتين عليا للسكنى وسفلى مخزن الأقوات من قشور خشب الأشجار كالخور ويسكنون من تلك البيوت هيئة قريبة . ومن الهجيب أن الأبواب لا تفتح الا تحت الماء بنحو ثلاثة أقدام أو أربعة حتى لا يصل إليها أحد بسوء وليس لها أبواب سواها فإذا اشتتت الأكل وهي في الشرف العليا تدلت إلى السفلى المماودة بالماء الداخل من الباب فتناولت تلك القشور الآمنة من النتائج المتراكمة على سطح البسيطة والماء لإذاعة الماء من أسفل أن يوقى من النتائج ولما علم أهل تلك الجهات ذلك وأن هذا الحيوان حريص على سده أخذوا يبتالون على صيده بفتح سده فتخرج تلك الحيوانات سراعا سراعا إلى سده في أسرع من لمح البصر فيصطاد منها الصيادون أثناء محاربة اصلاح السد فتأمل كيف اتحد هذا الحيوان على المصلحة وكيف عرف مآدره الانسان في قضايا ارشמידس التي بها تجرى السفن في البحار وكيف اتحد على الأعمال وقيل فعل أعظم الأم للتمدينة وكيف عجز أهل الشرق عن تقليده في اتحاده وكيف وضعته أسنان حادة بها يقطع لك الأشجار أغشته عن الآلات والأدوات وكيف عرف ذلك كله بلاتعلم ولا تعليم (فسبحان اخلاق العظيم)

(الهجينة الرابعة الكلب الذى هو نوع يسمى الدرواس)

روى المعلم بال في المجلة العلمية حادثا شهده عيانا قال سار كلب من نوع الدرواس على ماء مجدد وإذا بالجليد انقض تحت وتكسر وكاد يفرق يحاول التثبت بطرف فخص مدلى لينجوبه من الفرق فلم يتوصل اليه وإذا بكلب آخر من نوع (التروف) كان مراقبا للحادثة فأسرع إلى نجاته وسار على الجليد بما أمكن من التحفظ إلى أن دنا من الثقب الذى سقط فيه الدرواس وعض على طرف الفص وأدناه من رفيقه فتثبت هذا به ونجا من الفرق . قال المعلم بال ان التعقل والحزم والشهامة التي بدت من هذا الكلب في عمل لم يكن له فيه محرك آخر الا وجدانه الداخلى تدل على وجود عقل فيه قريب من العقل البشرى . انتهى

(الهجبة الخامسة القرد ولعله)

ان أغرب رواية دلت على فعل الحيوان ذكرها للم (جواتوله) في تأليفه قال حدثني (تور بيبانكا) انه كان جالسا مع أسرته في غرفة الخادم مشغول بشئ كنية من (الكستنا) أى (أبى فزوة) وكان هناك قرد داجن ينظر اليها بنهم ولا يخرج الخادم لقضاء حاجة نظر القرد الى ماحوله واذ لم يجد شئ يستعين به على انتشال الكستنا من وسط الرماد وثب على قط راقده هناك وأمسك يده بمنف وجعل يحرق بها النار ويخرج الكستنا واذ سمع أهل البيت ولولة الهرت أسرعوا الى المطبخ فوجدوا القط يسبح أما والقرد يأكل ماغمم اه

(الهجبة السادسة)

ان القردة المعروفة (بالادرنجوتان) و (الشانباوا) تكتشف من نفسها بسهولة كيفية فتح الأقفال وقد ذكروا عن القرد للدعو (مافوكا) في حديقة الحيوانات في مدينة (درسد) انه سرق مرة مفتاح قفصه ليتيسر له الخروج منه متى شاء . وكثير من الكلاب والقطط واللواعز تتعلم من نفسها فتح الأبواب وقد روى ذلك أيضا عن البقر والخيول والحير والبغال . أخير للمعلم (هرمان فول) انه في إحدى زرائب مدينة (لانسي) اضطر صاحب الزريبة بعد بناء الخوض بمدة الى أن يستبدل لوب الماء البسيط بلوب آخر ذى مفتاح لأن البقر كانت تلمت من نفسها فتحه ومثل ذلك حدث في مدينة أخرى بناها (أري بوريت) في مدينة (تورينو) ولقد نرى القردة تتعلم ظهور الكلاب لتسير بها بحمولة أسوء بالخيالة . اه من الكتاب المذكور

(الهجبة السابعة . القرد والقط والكلب يحفن من الاستهزاء)

قال في الكتاب المذكور ان القرد والقط والكلب يحشون المزق ويحرقن على من يكرههن . روى المعلم (رومانس) عن كلب له طفق يوما يقتص ذبابا من فوق زجاج شبك ولما رآه المسبو (رومانس) يخطئ الفرض أخذ بهزأ به ويضحك بهقهة لكل اخفاق يصيبه حتى الكلب غيظا وسولت له نفسه أن يظهر يقتص ذبابة وسحقها على الأرض فلحظ صاحبه الحيلة وأبانتها له فتصاعف عندها فجعل الكلب وهرول مستترا تحت الأثاث

(الهجبة الثامنة . القرد والقردة وشفتقهما)

روى العلامة (لوره) عن قرد مات أثناء فأخذ يعنى بجروها الرضيع أشد من اعتناء الأم بواحداه فكان يحمله كل ليلة على ذراعيه ويحشى به لينيمه وفي النهار لا يفل عنه لحظة واحدة . وذكر أيضا عن قردة نادرة الاشفاق كانت لا تقتصر على تربية صغار القردة التي من غير نوعها بل كانت تسرق أيضا جراء الكلاب جروا وجروا وهكذا صغار القطط لترضعها وترى بها فاتفق مرة أن قطيطا صغيرا خشيا فاعتراه مزبد الاندهاش وشرعت تبحث في يديه الى أن أحست بأظافره فقرضتها بأسناتها بكل لطف اه

(الهجبة التاسعة . حكاية عن الدب من كافي (جمال العالم) نقلا عن الكتب الافرنجية)

حكى أن رجلا رأى ذبيين كأنهما يتساوران في أمر ثم أسرع أحدهما الى حفرة في عرض الوادى وأسرع الآخر الى الناحية الأخرى منه فيها قطع من الظباء برعين فأزجمحت حتى جرين الى تلك الحفرة التي فيها صاحبه فاقص ذلك الحنفى على واحدة فأخذها وأتى الثاني معه فقتلها وأكلها فثأمل قوله تعالى - الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - اه

(الهجبة العاشرة . الثعلب وتعلمه والدب ومحبه)

روى المعلم (رومانوس) في أحد أعداد المجلة العلمية سنة ١٨٧٩ أن ثعلبا غم بقة داخل حقل ولما تعذر عليه بعد أن حاول ثلاثا أن يقفز من فوق الحائط وفريسته في فمه مكث قليلا يتأمل في الحائز القائم أمامه ثم وثب

بعد قليل وأخذ البطة برأسها وارتفع بيديه ما أمكنه على الحائط وأنشبت منقار البطة في شق هناك ثم وثب على رأس الحائط وقضى إلى أن بلغ فريسته فأخذها ورمى بها إلى الناحية الأخرى وبعدها انحدر من مكانه وأخذها فشمه ومضى . وأخبر العلم (فلوران) أنه لما تمكثرت الدببة في حديقة النباتات عزم أولياء الأمر على قتل اثنين منها فألقوا اليهما أقراصا مشربة بمخاض البروسيك وهو سم زعاف فما كادا يشمان الأقراص حتى أحفلا وهربا ولكن الشره تغلب عليهما فأخذاهما بأيديهما وجعلتا ينفضان منها السم في حوض الماء وأكلاه

بعد نظائر السم منها فحبوا لذكنتهما وفطانتها وكفوا عن قتلها

(الحبيبة الحادية عشرة منه أيضا شقة الثريان والحليل)

أخبر المسيو بليت عن غربان رآها تطعم ثلاثا من رفقائها فأقضى البصر . وهكذا المسيو بورتون شهد بقاء له كانت تغتنى بطائر قلفت رجلاه من غير جنسها فتنظف ريشه وتطعمه وتدفع عنه صدمات الجوارح وأعرب رواية من هذا القبيل ذكرها المسيو (بوسانيل) قائد فرقة (البوفيليه) قال في سنة ١٧٥٧ طعن في السن جواد أسيل من حصن فرقنا وقلفت أسنانه إلى حد أنه لم يعد في وسعه مضغ علفه فجعل الحصانان للذنان كانا يرفقانه في الجرى بمنة وبسرة بأذن كل ليلته علة . وبعد أن مضاه جيدا بليقانه في المظف ليأكله واستقامت الحال هكذا إلى أن فطس الجواد بعد شهرين وشهد هذا الحادث كثير من القواد والجنود

(الحبيبة الثانية عشرة طائر هندي يبنى بزخرف قصورا تسر الناظرين)

ان الطائر الهندي المعروف (بطير الفردوس) لا يكتفي ببناء عش بسيط بل يشيد أيضا أوكارا للزينة في غاية الاتقان والجمال والابداع وتكون هذه المساكن أحيانا فسحة الأرجاء وداخلها أروقة مسقوفة أكثرها موشاة بالصدف والتجارة للامعة وريش البغاء وقطع النسيج وكل ما يصلح للزخرف والتزيين . وأما النوع المعروف (بالامبليورنيس) فيحوط مسكنه بحديقة صناعية يصوغها من تراب مكسو بالخضر ويزينها بخمار وزهور يجدها كل يوم . وكما للطيور من بنايات هندسية ضر بنا عنها صفحا اجتزاء بالقليل وعسى أن نرى في دنيا التفسير عجائب من هذا النوع في غير هذا المقام

(الحبيبة الثالثة عشرة هل للحيوان لغات)

قال في الكتاب المذكور . ان النطق اللفظي خص به الانسان وحده ولكن الحيوانات التي من نوع تستطيع أن تظهر مقاصدها كل منها لأخيه . فالكلب الداجن يلك من النطق ما لم ينله أسلافه في وحشيتها فله عواء مخصوص دال على الغضب وآخو على الجزع وآخو على اليأس وآخو على الفرح وآخو على الالتماس هكذا الدلالة بالإشارة يبلغ أمدته في الحيوانات التي تعيش بالألفة كالخيل الوحشية والفيلة وكلاب الماء والفيل والنحل الخ . وأمراب الخطاطيف تتفاوض وتتساو قبل الرحيل إلى أفطار بعيدة . وبالأجمال ان أفكار البهائم بسيطة محدودة ومقصورة على حاجاتها الطبيعية للاحتياج للتعبير عنها إلا إلى حركات وأصوات بسيطة اه

(الحبيبة الرابعة عشرة الزنبور وذكائه)

روى العلامة (داروين) أن زنبورا حمل ذبابة وطار بها ولما لوبت بك من مصادمات الرياح في طيراته لتلاعها بجناحي الذبابة هبط بها إلى الأرض وبز جناحيها وعاد فطار بها

(الحبيبة الخامسة عشرة التنويم للغاطيسي وأثبت وجود الأرواح الحيوانية بعد موتها)

قال في الكتاب المذكور . روى داسيه ماتيرييه . كنت مقما بمدينة (توردو) في أواخر سنة ١٨٦٩ اذا بصديق لي في إحدى الليالي دعاني إلى حضور جلسة مغناطيسية فليت الدعوة ولم أشهد في هذا الاجتماع شيئا جديدا يختلف عما يجري في اجتماعات كهذه إنما حصل في هذه الجلسة أمر ذوال أذهاني وهو أن أحد الحضور رأى في الأرض رتيلا (هيكبوت) فداها برجله وإذا بالناثمة تفتت قائلة أرى روح رتيلا يرتفع

من الأرض فسألنا ما شكل هذا الروح قالت شكل الزنبل بعينها . وذكر داسيه في هذا الصدد شواهد أخرى عديدة تؤيد وجود الشكل السيل في الحيوان حتى انه يمكن انطلاقة من الجسد في مدة الحياة وأخبرت المجلة الروحانية الافرنسية في أحد أعدادها سنة ١٨٩٤ عن وسيطة ناظرة رأت حول الكونت دى ليقوف شبح كلب له مات منذ بضع سنين وكان الشبح على قول الوسيطة يقفز فرحا ويهز ذنبه كالكلبي عند تذكر صاحبه له اه

يقول مؤلف هذا الكتاب ان هذه الحكايات كلها وأمثالها هي تفسير قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أهلكم الخ - وبهذا وأمثاله يظهر سر القرآن وعجائبه وحكمه البليغة البديعة . اه

ثم انه أثناء طبع هذا الكتاب جاء في احدى جرائدنا المصرية في تاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٥ ما يأتى فأحييت أن أثبتة هنا تفسيراً للآية تحت هذا العنوان

﴿ بحث تاريخي طبيعي في مجانب ذكاء الجرذان ونظامها ﴾

اطلعنا في احدى الصحف الانجليزية على نبذة غريبة في بابها مما أسفرت عنه أبحاث تاريخية طبيعية قام بها بعض علماء التاريخ الطبيعي فيما يختص بشؤون الجرذان . وهاك ملخص هذه النبذة يرى الكثيرون من الأوروبيين والامريكيين في هذه الأيام أن الجرذان السمر الألوان هي أشد الحيوانات غير الأليفة خطراً وأكثرها ضرراً فخذ وضعت الحرب الأوروبية أوزارها أبان بعض البحوث أن هذا النوع من الجرذان يشق في ذكائه وفي قدرته على تنظيم شؤون معيشته حتى على الخلل والتحل وما كشفه فيها السرجون لبوك من مجانب الصفات

وقد قضت الضرورة بعد الحرب على أهل مدينة نيويورك الأميركية أن يدققوا البعث في حياة الجرذان لكي يكشفوا نظمها الحكومية المختلفة (كذا) ويعرفوا وهل هذه النظمات كاملة . ففي أثناء الحرب تكسدت مقادير عظيمة من المؤن هناك حتى يأتى الوقت الذى تقضى فيه الضرورة بنقلها الى أوروبا فجمعت الجرذان في المكان الذى وجعت فيه تلك الأكدا س مجعاً عظيماً حتى يقدر ما يجمع منها الآن في جزيرة مانهااتن ثلاثين مليون فأر

ومعلوم أن قسماً من مدينة نيويورك قائم على تلك الجزيرة بحيث لم تنجح مجهودات كثيرة بذلت للقضاء على هذا الجيش من الجرذان أو طرده من تلك الناحية فبدلاً من أن تعنى تلك الجرذان بالنصراف الى ناحية أخرى تكون فيها المعيشة أسهل . تبينت انها محصورة في بقعة تحيط بها المياه من كل جهة . فلمت تلك الجرذان شعنها ونظمت شؤونها وصفوفها وازدادت مكرها ودهاء وأظهرت من المهارة والحنكة في مقاومة تلك المجهودات ما اضطر أولياء الشأن الى استنباط وسائل جديدة لمحاربتها

وقد كشفوا الآن أنها لاتوجه هناك بصفة فرادى أو وحدات أو أزواج أو عائلات بل بصفة هيئات اجتماعية منظمة كالهياكل الاجتماعية الانسانية التى توجد في المستعمرات وكل عضو في هيئة جرذان اجتماعية خاضع لنظام أدبي معين . وهاك مثالا للنظام الذى تعمل به تلك الهيئات

توجد ناحية واقعة تحت مناقبة أولياء الشأن ويوجد فيها خمسة وسبعون مخزناً أو أكثر تخزن فيه المؤن والجرذان متفشية في جميع تلك الأبنية ماعدا بناء واحداً يخزن فيه القمح والذيق ولم يدخله جرذ واحد من هذا النوع الأسمر الكبير . وإنما اكتظ بفيران صفرة من النوع اللسمى (بالسيسى) الذى يفرسه هذا النوع من الجرذان السمر فكان من العجيب أن لا يدخل هذا الأخير في ذلك المخزن ولقد عنى الرجال بمراقبة ذلك المخزن المنعزل شديد المراقبة ووجه الحراس أن الجرذان الكبيرة بدلاً من

أن تتدخل في شؤون ذلك الخزن وبعبارة أخرى ذلك المكان الذي اتخذته الفيران الصغيرة كستعمرة طاعنت باستحضار أغذية إضافية لجعل تلك الفيران الصغيرة ذات سمن ومهجة وعافية إذ كانت الجرذان تجلب إلى تلك الفيران خضراوات ولحوما وقشور الفاكهة مع جواهرها وألبانها أي كانت تلك الجرذان تصلح غذاء الفيران بما كانت تحبب إليه من أنواع الادم . فلا تجب إذا سمعت هذه الأخيرة وصحت أجسامها

ثم أتى على الذين كانوا يلاحظون تلك التدابير وقت لاحظوا فيه عددا من الجرذان الكبيرة يتقدم إلى بلدة أو مستعمرة الفيران الصغيرة وسرعان ما حملت تلك الجرذان إلى فتحات موجودة في جدران ذلك البناء وكانت الفيران الصغيرة تتعدها كداخل ومخارج لها فوسعت الجرذان تلك الفتحات لكي تتمكن أجسامها الكبيرة من الدخول والخروج منها ثم دخل فيها أكبر الجرذان وأكثرها وحشية وماهى إلى الحظالت حتى خرج الفزاة يحمل كل منها فأرا سميتا ثم يرضعه ويعود إلى داخل البناء . ويخرج بفار آخو وهكذا استمرت هذه العملية حتى تجتمع في خارج البناء أكادس من الفيران وعادت الجرذان لحملتها إلى مستعمراتها ليتفكك بها صفارها فظهر من هذا أن الجرذان ما كانت تمد الفيران بالطريف من الأغذية لتسميتها إلا لأن مثل عجزن الفيران لحيها لم يكن إلا كتل الاحشاش التي يربى فيها الأترياء من بنى الانسان مختلف الحيوانات ليصيدها متى نمت وترعرعت

فلما أثبت هذا المقال قال صاحب لي أصدق أنت ما تقوله الأرواح . قلت له أصدق ما يقوله القرآن نص القرآن على بقاء الحيوانات وجعلها أئمة أمثالنا فاذن قلنا ان العدل يقتضى بقاءها لحكم لا نعلمها والا كان خلقها أشبه بالعبث والله يقول - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا - وأتى بطل أضل من خلق حيوانات لا تنقضى ثم تذرهما الرياح فلا يكون لها وجود وما للمانع أن تكون أمثال أرضنا محل زرع لادائل الحيوانية ثم ترتقى في عوالم أخرى على مقدار درجاتها في النمو الروحاني . وإذا سكا في شك من كلام الروحانيين وجب علينا أن نبحث في علومهم فالجهل هو العائق عن السعادة ومن جهل شيئا لم ينله كما أن من جهل التجارة والزراعة والصناعة مثلا لم ينل الفنى هكذا الجهال بالعوالم لا يحظون بالرقى فيها والدنيا دار التجربة والعلم والعمل

(اللطيفة السابعة - وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر إلخ -)

لقد يعلم الناس الحوادث المستقبلية ببعض القواعد فانك لا تشك أن الليل والنهار والشهور والسنين والكسوف والكسوف لها أوقات محدودة وساعات معينة ودقائق ثابتة فترى الناس يعرفون الكسوف والكسوف والأيام والشهور بعد آلاف السنين فيحكمون على المستقبل القريب والبعيد من حيث ظهور الكواكب والكسوف والكسوف وغيرها حتى ان الشيخ محمود الشيرزورى ذكر في كتابه الشجرة الالهية كثيرا من آراء الأمم في الأنوار والأقوار فقال مالمخصه . ان العقول التي هي أرقى من عقل الانسان تقدر أن تعرف المستقبل الذي لانهاية له وذلك بمعرفة الأدوار الفلكية فكل دور من أدوار الفلك يكون مابعد مائلا له سنة فسنه وقرنا فقرنا فإذا كان ذلك العقل مطلقا لسعته على حوادث ذلك القرن فإن كل قرن بعده إلى مالا نهاية له مثله وتكون الحوادث واحدة فيها ويقال حينئذ انه عرف مالا نهاية له . أقول وقد تقدم في هذا التفسير من المسائل الفلكية الحساسة للمطردة التي تقرب أمثال هذا القول

وإذا كانت حوادث العوالم الأرضية تتبع السارية فاذن يتم العلم بالمستقبل . وترى علماء العصر الحاضر يرصدون حوادث المريخ فيوما عسى أن يجدوا سبيلا لهم ما يكون في السنين المقبلة من أدوارها الحاضرة وفي هذا اليوم وأنا أكتب في هذا التفسير قلت بعض جرائدنا المصرية يوم الجمعة ٢٨ مارس سنة ١٩٢٤ سبر العلم في شهر مارس من هذه السنة وقد كثرت السيول والمواسف في إيطاليا وإن جلالا إيطاليا يسمى الأب

غريبال قتم قفروا الى أكاديمية العلوم الفرنسية في ١٧ مارس الحالى عن العواصف والسيول وامكان التنبؤ بها قبل وقوعها بأشهر وسنوات فقد أعلن أن تجاربه التى قام بها فى حياته أثبتت أن العواصف والسيول لها أدوار كأدوار الفلك وقال ان الأربعين سنة التى تبتدى من سنة ١٨٨٣ وتنتهى سنة ١٩٢٣ تضمنت ثلاثة أدوار بالنظر الى السيول والعواصف وشرحها شرحا وافيا ولكل دور عواصفه . ثم قال ونحن الآن فى الدور الأول الخ وقد أتى عليه رجال الأكاديمية فناء عاطرا لأنه سينفع الناس بهذا الكشف وسجل أيضا كشف آخر قدمه الاستاذ بريثون لأكاديمية العلوم وهو ما توصل اليه العلماني (لومان وكوماندون) اللذان صوروا حركات القلب والرئتين والمعدة وسائر أعضاء الجسم الداخلية بالسينماوغرافيا بمساعدة أشعة رنتجن . وقد أصبح من الممكن رؤية كل ما يحدث فى داخل الجسم من الحركات الغريبة على ألواح الصور المتحركة فى دور السينما قالوا وهذا الكشف سيحدث انقلابا كبيرا فى أساليب التعليم ويسهل على الأطباء معرفة كثير من الأمراض الداخلية . وكذلك اخترع الدكتور بازسكى من مدينة (كييف) من أعمال روسيا آلة حجمها كحجم آلة التصوير الشمسى وقال انه عرف بها الأمراض الانسانية من بدنية وأدوية وعقلية وقال انه امتحنها فى مئات من المجرمين المسجونين بسجون مدينى (كييف ودارسو) فكان فى بضع ثوان يقرر أن المجرم غمرة (١) قاتل عمدا وأن السجين غمرة (٢) متهم بالقتل ظلما وأن فلانا غمرة (٣) لص شكس وغمرة (٤) مبهيج سياسى عنيف وغمرة (٥) برى . ولما وقف على ذلك رجال الشرطة الروسيون اعترفوا بصحة جميع النتائج ويقول ان لألخ ٧٨ خلية رئيسية هى مدار كل أعمال الانسان فاذا أريد معرفة ما يستعمله الطالب من العلوم فليرسم رأس صناعى من الجبس ولترسم هذه الموائر عليه وليصنع بواسطة الكهرباء أعمال تبين مقدار استعداد الطالب فى علم الطب أو الأدب وما أشبه ذلك بهيئات مخصوصة بحيث ان الكهرباء المسطرة على خلية من خليات المنح الصناعى المائل لألخ الانسانى صورة تؤثر فى نفس ذلك للمتحن (فتح الحاء) متى اتصلت تلك الكهرباء به اذا أمسكها بيده فأنبرا يختلف باختلاف تلك الخلايا المسطرة عليها الكهرباء فى الرأس الصناعى وعلى مقدار التأثير بحكم باستعداده وعلمه . وليس من المطلوب لنا أن نفرط الطريقة بتأملها وإنما المراد معرفة ما وصل اليه الناس فى أيامنا . ولقد أوقفناك على جل مايجوز فى عقول الناس قديما وحديثا من علم الغيب وان القدماء يلجئون الى الفلك وأدواره حتى أن بعضهم كان يجعل حساب حروف الجمل ذا تأثير فى علم الحيات وهكذا المحدثون يبحثون فى باطن الأعضاء ويعرفون أخطاير وكذلك الأمطار والعواصف المستقبلية . هذا ماوصل اليه البشر كما يعرفون الانسان بخطوط ابهامه اذا ختم بها على الورق وحملت به الحكومات

{ حل هذا علم غيب }

أقول ان هذا كله أشبه بما يفعله الأطباء من الاستدلال بالبول وبالحارارة على نوع المرض فاذا صح بعض ما تقدمت أو أكثر فلم يخرج عن استدلال على أمور عامة أو خاصة كاستدلال الطبيب بحمرة اللثة أحيانا على مرض فى الرئة . فهذا وأمثاله لا يبعد علما بالغيب اذا صح ولكن علم الغيب ومفاتيحه فوق طاقة البشر ولو أن البشر علموا الغيب لكانت حياتهم وبالا عليهم لأنهم لا يعرفون فالارتقاء يكون بالجلد والتشمير والعمل والاقدم فاذا عرف المستقبل ساءت الحال ونام الناس . فأما بعض الرؤى التى يراها الناس وقد نصيب نادرا فذلك لمساعدة المرء مساعدة قليلة فى النادر . هنا ما أردت ذكره وفيه الكفاية

{ مفايح العلوم فى هذه السورة }

اعلم أن الله عز وجل لما ذكر فى هذه السورة أن عنده مفايح الغيب لا يعلمها إلا هو لم يخل هذه السورة من مفايح العلوم فذكر مفتاحين منها . مفتاح تفتح به علوم السموات وهو ما قصه من نبأ ابراهيم ونظرة فى

الكوكب والقمر والشمس حتى انتهى الى الله هذا هو المفتاح الأول من مفاتيح العلوم
 المفتاح الثاني ما قصه الله من فقه الحب والنوى وهكذا حتى انتهى الى قوله - انظروا الى ثمرة اذا أنعموا به -
 ولا جرم أن الثمر لا يكون الا بعد الزهر والزهره سترى رسمها هناك إن شاء الله في هذه السورة وستعجب من
 كونها مع بساطة مجملها كانت مفتاحا لعلوم النبات وعبرت بنظامها واختلاف أعدادها عن مئات الآلاف من
 النبات . هذان مفتاحان سترهما في هذه السورة مفتاح للسموات في قصة ابراهيم وسترى الصور السابوية
 التي هي مفتاح العلوم هناك وكيف اجتهد العلماء اليوم في هذا ومفتاح للعلوم النبائية الأرضية في الزهرة
 للمرموز لها بالثمر . فهذان للمفتاحان المذكوران بعد قوله - وعنده مفاتيح الغيب - يفتح بهما الله على
 الناس علم السموات وعلم الأرض ايضا لقوله تعالى في أول السورة - الحمد لله الذي خلق السموات
 والأرض الخ - ولما كانت السموات والأرض لا يعلمان الا بتعليم جعل لهما مفتاحين على سبيل القواعد والنشر
 المرتب المنظم تعجب من القرآن ولطافه وسبرك ما ترى من الصور السابوية والجهاب النبائية وليست كمفتاح
 العلوم الصلابة السكاكي وفرق بين مفتاح الله ومفتاح السكاكي ففتح علوم اللسان العربي
 أي بعض القواعد التي تعرف بها البلاغة والبلاغة مقدمة لاعتقاد أن القرآن مجز . فأما مفاتيح الله هنا
 فليست لتعليم اللغة التي هي مقدمة للعلوم لانها هي العلوم المقصودة بل هي لتعليم الحقائق التي لأجلها نزل
 القرآن ولأجلها أرسل الله الرسل وما الرسل إلا مبلغون ولا يبلغون إلا بلسان فهذه علوم اللسان وليست
 مقصودة إلا للعاني فهذه هي المعاني وهذه هي العلوم التي ارتقت بها أوروبا والمسلمون يأمون ساهون لا يحون
 يفتح الله لهم باب العلوم فيقولونها على أنفسهم وقد آن أوان رقي الأمم الاسلامية - والله يهدي من يشاء الى
 صراط مستقيم -

هنا ما أردت ذكره في علم النيب ومفاتيح العلوم والله علام الغيوب . انتهى تفسير المقصد الأول من
 سورة الأنعام

(المَقْصِدُ الثَّانِي)

وفيه المفتاح السابوي للمفتاحين المذكورين قال الله تعالى
 وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ *
 وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَكِيدًا مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ
 عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ
 بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا
 رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ
 إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْعِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ
 قَالَ أَنُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ
 بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَلِلَّهِ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِّلْعَالَمِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْء قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْمَلُونَهُ فَراحِلِينَ يُدَوِّنَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَغُلَّتُمْ عَلَيْكُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَذَا كِتَابُ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادًى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَلَكُونًا كَمِ وِرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ قَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ زَعَمُونَ *

(التفسير اللفظي لهذا المقصد)

(وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) هو اسم أبي إبراهيم (أستخذأصناما آلهة) تعبدوها من دون الله (إني أراك وقومك في ضلال مبين) ظاهر الضلال (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) أى ومثل

هذا التبصير نبصره بحجاب السموات والأرض وبدائعهما ولللكوت أعظم الملك والتاء فيه للبالغة ليستدل
(وليكون من المؤمنين) الذين تزول شبهاتهم بسبب التأمل والتفكير والايقان أعظم من الايمان لأن الايمان
بالقسيم والايقان بالاستدلال والعقل والتأمل وهو الغاية العظمى للانسان في هذه الحياة (فلما جئ عليه الليل)
ستره بظلامه (رأى كوكبا) هو الزهرة أو المشتري (قال) مجازاة اقومه ليبين لهم فساد عقائدهم (هذا ربي
فلما أفل) غاب (قال لا أحب الآفلين) فضلا عن عبادتهم وكيف يتقبل ويحتجب ويتغير وصف من هو إليه
العللين (فلما رأى القمر بازغا) مشددا في الطلوع (قال هذا ربي فلما أفل قال لأن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين) أظهر العجز وكل الأمر الى الله لتعاقب الظواهر المحيرة للمقول في الألوهية (فلما رأى
الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر) كما يشعر به قومه ليقيم الحجة عليهم (فلما أفلت قال يا قوم اني برى
بما تنشرون) من الاجرام المحدثه التي تحتاج الى موجد (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض
حينفا وما أنا من المشركين) وقوله (وحاجه قومه) جادلوه وبخاصموه في التوحيد (قال أتعاجون في الله) في
وحدانيته (وقد هدان) الى توحيدهم ولما خوفه قومه آلهتهم أن تضره قال (ولا أخاف ما تشركون به) أي
لا أخاف معبوداتكم لأنها لا تضر ولا تنفع (إلا أن يشاء ربي شيئا) أي لكن أن يشاء ربي شيئا كان ما يشاءه
لأنه قادر على النفع والضرر هذا استثناء منقطع وإنما استثنت ما يشاء الله فأقررت بأنه يقع لأنه (وسع ربي
كل شيء علما) أي أحاط به علما فلا مانع أن يكون في علمه أصابي بمكرهه (أفلاتذكرون) أي أفلا تعجبون
أن هذه الأصنام جادات لا تضر ولا تنفع ثم قلب الموضوع عليهم فقال وكيف أخاف أصنامكم وهي لا قوة لها
وأتم لا تخافون من الله وقد أشركتم به فأينا أحق بالأمن من يعصى القادر أم من يطيعه وينبذ الأبطال التي
أتم عليها أنا أحق بالأمن وأتم لا تخوف وهذا قوله (وكيف أخاف ما أشركتم) أي معبوداتكم وهي
مأمونة اخوف ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به (باشرا) كه (عليكم سلطانا) حجة إذ الاشراك ليس يكون
عليه حجة أي وبالكتم تنكرون على الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف
(فأي الفريقين) أي فريق الموحدين والمشركون (أحق بالأمن) من العقاب (إن كنتم تعلمون) ما يحق
أن يخاف منه ان الذين يستمعون الأمن يوم القيامة هم (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) معصية
(أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) أي الى سبيل الرشاد فهؤلاء يأمنون العذاب في أودية جهنم لأن نفوسهم
خلعت من هذه الأرض ومن المدة وظلامها • فأما الذين ارتكبوا الآثام أو مات نفوسهم الى الحياة الدنيا
وظنوا أنها هي كل مقصود من الوجود فأولئك يعذبون وينتهي أمرهم بالنجاة • وعلى هذا ما روى في
البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال لما نزلت - الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم - شق ذلك على
المسلمين وقالوا أيننا لا يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعون قول لقمان عليه
السلام لابنه - يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم - • وفي رواية ليس كما ظننوا إنما هو كما قال لقمان
لابنه وذكره • فانظر قوله ﷺ ألم تسمعون قول لقمان لابنه وذكره - ان الشرك لظلم عظيم - وهذا
من أدق الأجوبة كأنه ﷺ يقول لهم الظلم للمؤمن أو باقيانما هو الشرك فأما الظلم الذي يزول أثره بعذاب
مؤقت فهو الذنوب وأكثر الناس إنما يخافون من العذاب الدائم ولو نظروا الى الخلق الذين لا يعذبون فانهم
قليلا • فالأمن العظيم لمن لم يذنب أو لم يذنب نصوحا ورد الحقوق الى أهلها فأما للذين ذنبوا فانهم أقل
دوجة من أولئك فانهم أقل • هذا هو المفهوم من جوابه ﷺ فالمقصود من ذكر الظلم العظيم أنه لا يؤبد
العذاب إلا به وللمؤمنين لا يؤبد لهم العذاب هذا هو المقصد قوله (ولئك محبتنا) أي ما جرى بين ابراهيم
وقومه (آيينا ابراهيم) أرشدناه اليها وعلفناه حجة (على قومه) محبتنا بدل من تلك وآيينا ابراهيم حجة
على قومه خبر (نرفع درجات من نشاء) في العلم والحكمة (إن ربك حكيم) في ربه وخضفه لأنه يعطي على

حسب الاستعداد (عليه) بحال كل واستعداده (وهو بنا له اسحق ويعقوب كلا) منهما (هدينا ونوحا هدينا من قبل) من قبل ابراهيم (و) هدينا (من ذريته) ذرية نوح (داود وسليمان وأيوب) وهو من ذرية اسحق بن ابراهيم (ويوسف وموسى وهرون وكذلك) للجزء (ينجزى المحسنين) أى ينجزى المحسنين جزاء جزاء ابراهيم إذ رفعنا درجاته وباركنا في ذريته كثرة ونوبة (وذكر يا ويحيى وعيسى والياس) وهومن نسل هرون النبي بن عمران (كل من الصالحين) الكاملين في الصلاح وهو الايتان بما ينبغي والتحرز هما يانقي (واسماعيل واليسع) هو اليسع بن أخطوب ابن الجوز (ويونس) بن متى (ولوطا) هو ابن أخى ابراهيم وأبوه يسمى هاران وهو أخو ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين • ومن آباؤهم وذرياتهم وأخوانهم) أى فضلنا كلا من هؤلاء بالنسبة والاسلام على عالمي زمانهم • يقول فضلنا كلا من هؤلاء على العالمين وبعض آباؤهم أى أباء الدين سميناهم وذرياتهم وأخوانهم ثم عطف على فضلنا قوله (واجتبتناهم) اصطفتناهم (وهديناهم الى صراط مستقيم) أى قيناهم على طريق مستقيم فأما آباؤهم فمثل شيث وأما الذرية فمثل أولاد يعقوب وأما الاخوة فمثل اخوة يوسف (ذلك) الصراط المستقيم (هدى الله) دين الله (يهدى به من يشاء من عباده) لأن الله هو المتفضل على الناس لأنه هو أصل الوجود والخلق منه واليه (ولواشركوا) أى ولو أشرك هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع عظيم قدرهم (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) فهم كفبرهم في سقوط الثواب بالشرك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) أى جنسه (والحكم) أى الحكمة أو الفصل في الامور على ما يقضيه الحق (والنبوة) الرسالة (فان يكفربها) بهذه الثلاثة (هؤلاء) أى قريش (فقد وكلنا بها) جراحاتها (قوما ليسوا بها بكافرين) من الأمم الأخرى كالفرس والتتار والترك وأهل جزائر الهند الشرقية وأهل الصين وقوم من السودان وأم أخرى لا يعلمها إلا الله سيلها الزمان المقبل لأنى لا أنزل علما ولا أخلق نباتا ولا شجرا إلا فيه مصلحة مستقبله وهذا القرآن أنزله الى أهل الأرض لا الى قريش وحدهم فاذا كفروا بها فكفروا من أم • ستأتى كقوم من الانجليز في هذه الأيام وآخرين من أمريكا وسيظهر من العجائب ما لا يحيط به العقول قريبا • أقول أنا وستأتى أم تفهم الاسلام على الحقيقة التى فسرت القرآن بها في هذا الكتاب عاجلا أو آجلا • بهذا أنا موقن وتكون أم أرقى من الأمم الماضية واسلام الأمم التى ذكرتها مهزلة لأن النبي ﷺ كان بمكة وليس معه إلا قليل وهؤلاء جاؤا من بعد حتى الأنصار لم يكونوا أسلموا (أولئك) الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فى أمر الدين الذى اجتمعوا عليه من توحيد الله وتزويده ووصفه بالصفات التى تليق به وفى جميع الأخلاق الحميدة والصفات الرفيعة كالصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم فلتكن كريما ومجاهدا كابراهيم وصابرا كاسحق ويعقوب وأيوب وشاكرا كداود وسليمان وجامعا بين الصبر والشكر كيوسف وصاحب مهجة باهرة وشريعة ظاهرة كموسى وزاهدا كزكريا ويحيى وعيسى والياس وصاحب صدق كاسماعيل وصاحب نضرة كيونس فعليك يا محمد أن تجتمع فيك هذه الصفات وعلى أمتك أن تقلدك فى ذلك حتى يكونوا - خیر أمة أخرجت للناس - والهاء فى قوله - اقتده - للوقوف وقد أثبتنا فى الوصل فأجواء مجرى الوقف ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وجعلوها ساكنة وبحذف الهاء فى الوصل جزء والكسائي وهناك روايات أخرى لا تليق بها وقوله (قل) يا محمد (لا أسألكم عليه) أى على التبليغ (أجرا) جعلنا من جهنكم كالم يسأل من قبل من النبيين وأنا أمرت أن أقضى بهم (إن هو) أى التبليغ أو القرآن (إلا ذكرى للعالمين) إلا لذكرك وموعظة لهم (وما تدروا الله حق قهره) ما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد (إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) هذه السورة وإن نزلت بمكة فإن فيها آيات نزلت بالمدينة كما قال ابن عباس أنها نزلت جملة واحدة ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات منها فانها نزلت بالمدينة وهى - قل تعالوا أنزل ما حرّم ربكم عليكم - الى آخر الثلاث آيات

وقوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره الآية - وقوله - ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى
ولم يوح إليه شيء - إلى آخر الآيتين فالتين قالوا - ما أنزل الله على بشر من شيء - هم اليهود • ذلك أن
مالك بن الصيف خاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في
التوراة أن الله يبغض الجبار السمين وكان جبرا سمينا فغضب وقال - ما أنزل الله على بشر من شيء - فغضب
عليه قومه بعد ذلك وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت - ما أنزل الله على بشر من شيء - فقال
مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت انا غضبت قول على الله غير الحق فزعزعه عن
الخبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وفي ذلك ومحوه نزل قوله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به
موسى) حال كونه (هدى للناس مجاولونه) تكتبونه (قراطيس) أى في قراطيس أى في صحف مقطعة
(تبدلونها) أى تظهرون كثيرا منها مما لا يخالف أهواءكم (وتخفون كثيرا) مما يخالف أهواءكم كصفات النبي
ﷺ (وعلمتم) يا أهل الكتاب وبالمسلمين على لسان محمد ﷺ (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من قبل
زيادة على ما في التوراة عندهم كإيهام اليهود وبيان لما التبس عليكم وعلى آباؤكم كما في آية أخرى - إن هذا
القرآن يقصص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون - ثم أجاب على قوله - من أنزل الكتاب الخ -
فقال (قل الله) أى أنزله الله أمر الله رسوله أن يجيب عنهم اشعرا بأن الجواب متيقن (ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون) أى في أباطيلهم فانما عليك البلاغ (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) كثيرا الفائدة والنفع (مصطفى الذي
بين يديه) الكتب التي قبله فهذا الكتاب أنزلناه للبركة (ولتندم أم القرى) أى أهل أم القرى وهي مكة لأنها
جمع القرى وأعظم القرى شأننا (ومن حولها) من أهل المشرق والمغرب (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون
به وهم على صلاتهم يحافظون) فان من خاف الآخرة تدبر ومن تدبر آمن وأهم الإيمان الصلاة فانها عماد
الدين فيها يخاطب العبد ربه بطلب الهداية ويستحضر الصالحين جميعا واعداء لهم بالسلامة والأمان برحمة الله
بعد وصف الله بأنه هو المستحق للحماد وله كل الطيبات والصالحات • فهو لا يتكرركذلك على أنفسهم وهم
مستحضرون بقلوبهم تفرغ قلوبهم على ذلك العالم الأهل فيقربون من ذي الجلال والاكرام وكما قال
اليهود - لم ينزل الله على بشر من شيء - سيأتي قوم بعد ذلك يدعون أنه يوحى إليهم كذبا وزورا فالأولون
بانكارهم النبوات كالآخرين بآدعائهم نبوات كاذبة وكلاهما في ضلال والذين يدعون النبوات الكاذبة مثل
مسيلة صاحب اليمامة وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاعتر قومه بذلك وقوله وحشي في زمن
خلافة أبي بكر رضي الله عنه ومثل الأسود العنسي بن عجلان كعب وكان يقال له ذو الجمار اذعى النبوة باليمن في
آخر عهد النبي ﷺ وقته فيروز الديلمي قبل موته ﷺ بيومين وأسير أصحابه بقتله كما تقدم في غير هذا
المقام • وفي البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال بينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض فوضع في يدي
سواران من ذهب فكبيرا على وأمهاتى إلى فأوحى إلى أن انفضحما ففتحنهما فطارا فأوتيتهما الكذابين اللذين
أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وهذا قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) كأولئك
الذين ابتدعوا بدعا في الميانات وكاليهود المخرفين للتوراة وغيرهم (أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء)
ك هؤلاء الذين ادعوا النبوة (ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله) كالكاذبين قالوا - لو نشاء لقننا مثل هذا - (ولو
ترى الظالمين إذا الظالمون في غمرات الموت) شدائد وسكراته من غمر الماء اذا غشيه (واللائكة باسطو
أيديهم) أى يسطون أيديهم يقولون هاؤا أرواحكم متدينين في الازهاق من غير تنفيس واهمال وهو قوله
(أخرجوا أنفسكم اليوم) أى وقت الامانة (محزون عذاب الهون) أى الهوان (بما كنتم تقولون على الله
غير الحق) كاذبا الولد والشريك لله ودعوى النبوة والوحى كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تأمنون
فيها ولا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب (فرادي) منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آتاكموه

من الدنيا وعن الشفعا والأصنام وعن كل عصر (كما خلقناكم أول مرة) * روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال قينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله خاة عراة غرلا - كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كما فاعلين - وفيها أيضا عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول تحشر الناس خاة عراة غرلا قالت عائشة قتلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الأمر أشد من أن يهيم ذلك * وفى رواية الطبرى - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال قال تعالى (وذكرتم ماخولناكم) أعطيناكم (وراء ظهوركم) من الأموال والأولاد والخدم والحوول وقوله - وراء ظهوركم - أى فى الدنيا (وبأمرى معكم شفعاكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) يزعم المشركون أنهم عبدوا الأصنام لأنها تشفع لهم يوم القيامة لأنها اشركا. الله فيوج الله المشركين يوم القيامة ثم قال (لقد قطع بينكم) أى قد تقطع ما بينكم عند من قرأها بفتح بين أو تقطع الأمر بينكم ومن رفع كان المعنى قد تقطع وصلكم والبين من الأضداد يكون وصلا وهجرا (وضل) ذهب وبطل (عنكم ما كنتم تزعمون) تكذبون فى الدنيا أنها شفعاؤكم أو لا بث ولاجزاء . انتهى التفسير اللفظى لهذا المقصد

وفى هذا المقصد لطائف . (اللطيفة الأولى) قوله تعالى - وإذ قال إبراهيم لأبيه آزرأله - (اللطيفة الثانية) قوله تعالى - فبهدهم اقتده - (اللطيفة الثالثة) قوله تعالى - تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا (اللطيفة الرابعة) قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون فى غمرات الموت ولللائكة بأسطو أيديهم الخ -

(اللطيفة الأولى)

اعلم أن هذه المباحث فى هذه السورة من أدق المباحث العلمية والآيات الحكيمية وكيف كان إبراهيم قد ابتلى بالصابئين الذين هم كانوا مغربين بالعالم العلوية الروحانية من الملائكة وانهم كانوا يجعلونها وسائط لهم بينهم وبين الله تعالى فهم ألهمتهم بهم يتقربون اليه وهؤلاء الآلهة لهم هياكل كهياكلنا الجسمية وهى الكواكب السبعة ولما طال الأمد عليهم اتخذوا فى الأرض أصناما لتمثل الهياكل الكوكبية التى هى أشباح وأشخاص للنفوس القسسية وللملائكة العلوية فبالأصنام يتقربون الى الكواكب وبالكواكب يتقربون الى من يسيرونها ويجرونها فى السماء فى أوقات معينة فانحطت عزائهم وتامت فطرهم فجاء الخليل إلى أصنامهم فكسرها وإلى عقائدهم فسفها وإلى عقولهم فأرشدنا وإلى تقاليدهم فخرها . وكان أبوه آزر أعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام ورعاية الأصناف النجومية حق الرعاية فأخذ يذكر له ضلال ما يفعلون ويبين فساد ما كانوا يفترون . وأعلم أنى لا أريد من شرح هذا المقام ذكر القصص التاريخية والأحوال الأمم الماضية مردا للتاريخ ولا غراما بالسبر ولكنى أريد أن يكون المقام مقام عمل لنا نحن الذين نبش فوق الكرة الأرضية اليوم . فإذا كان إبراهيم كسر أصنام قومه وقرأ الرسول ﷺ ذلك على قومه ثم فعل كما فعل فكسر أصنام قومه فى مكة حذوا القصة بالقدرة كما فعل أبوه إبراهيم فمن الجهالة العمياء والنذالة الخفاة أن يقرأ المسلمون القرآن فنيا لاعتبارنا ونعميدا لاند كبرا بل عليهم أن يقتدوا بمن أرسلوا اليهم اقتداء بكل ماضى فلا يشرح لك أولا مذاهب الصابئة . وثانيا فعل الخليل معهم . وثالثا الحكاية التى يذكرها بعض المفسرين عن الخليل أيام صغره . ورابعا اقتداء الأمم وإن كانوا لا يعلمون كأفلاطون فى جمهوريته . وخامسا خلوه النبى ﷺ فى غار حراء كما ورد فى قصة الخليل نوعا وكذا الاعتكاف فى المساجد وخلوات الصوفية وتوجه الهمم بحصر الفكر وأن قصة الخليل يقصد بها نشأة عالية اسلامية

(الفصل الأول من اللطيفة الأولى - الصابئة)

اعلم أن النوع البشرى كان يبحث من العصور القديمة فى صانع العالم ولهم طرق فى ذلك مختلفة كثيرة

وأهمها في تلك الصور جمال الأنوار والبهجة والأضواء والكواكب وإشراقها حتى أنك لتجد الأم الجرمانية والعائلة الآرية قد جاء في لفظها أن الله عندهم هو النور والشمس وتجد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور اللامع وينشق منها عند الشعوب المذكورة ألفاظ للدلالة على الله في لغة السنسكريت (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) ويعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذيوس) وعند اللاتينيين (دوروس) و(دوفس) وتصرّفوا فيها إلى أن قالوا (جويتر) وفي الألمانية القديمة (ذيو) وفي السلاف (دبواس) ولفظة (يتر) المشتقة منها معناها إله الحرب عند أم الشمال والفرنساويون يعبرون عن الخالق (ديو) مرجه والاطاليون (ديو) والأسبان والبرتغاليون (ديوس) وكلها مشتقة من أصل واحد كما تقدم

فهؤلاء الأم الذين أغرموا بهذه الأجرام السماوية وأتولوها وصاروا لا يذكرون الله إلا باسم النور أو بما هو مشتق من النور كانوا عاشقين لهذا الجمال في الدنيا فأرجعوه لموجده وسموه باسمه وترى في القرآن - الله نور السموات والأرض - ومن أسماه النور فالقرآن يسمي الله بالنور كما سمته تلك الأم القديمة الأوروبية والجماعات الآرية والجرمانية وأم الهند القديمة فاتفق الأم قديما وحديثا على الاتجاه إلى النور في الاسلام وغير الاسلام كان دليلا على أن الأمر عظيم فلتوجه العناية لهذا المقام ولنبحت في الصابئة فانهم من هذا المقام وجهتهم • الصابئون قوم ينسبون للروحانيات ويظهر أن مذهبهم في الترون الخالية والأحيال البائدة كان القدس والطهارة وجمال النفوس والروح إلى المقام الأعلى والتشبه باللائكة والصعود إلى الملا الأعلى كما هي القاعدة أن كل دين يبعثه الناس فانه في أول أمره هداية للناس مناسب لظهورهم نافع لمتبعيه هاد لمعتقيه ثم يسقط سقطة عظيمة لا يصلح بعدها للانسانية • كانوا يعتقدون أن للعالم صانعا مقدسا عن صفات الخلقين وأن له ملائكة وهؤلاء الملائكة هم المندبرون للعالم العلوي والسفلي

فالكواكب السبعة لها ملائكة تدبرها كل كوكب يدبره ملك ويصل التأثير من الأعلى إلى الأدنى فتكون الهياكل أي الكواكب آباء والعناصر أمهات ومن هذا يكون كل موجود من حيوان ونبات وإنسان وهؤلاء الملائكة يشمل نظرهم كل شيء فهم وإن كانوا متصرفين في المادة طاهرون لا يعضون وليس لهم طعام إلا التسبيح والتقديس لرهبهم وهم أنفسهم في قوة وجوار وسعادة ليس لها نظير في الأرض ومن عليها • وهذه الطائفة تقول نحن نهبذ أنفسنا ونزيل الغضب والشهوة والأحقاد ونزقي فينا النفس الانسانية العقلية فنقرب من هؤلاء الملائكة الذين بهم تقترب إلى الله تعالى وقالوا نحن إنما أخذنا هذا المذهب من (عازيمون وهرمس) العظيمين وعلى ذلك أخذوا يتقربون إلى الهياكل التي هي السيارات السبع فصرفوا منازلها ومطاعمها ومغاريها واتصالها على أشكال المواقفة والخالفة مرتبة على طبائعها وقسموا الأيام والساعات والصور والأشخاص والأقاليم وتعلموا العزائم والدمعوات وعينوا لكل يوم من أيام الأسبوع كوكبا فجعلوا لزحل يوم السبت وجعلوا ساعتها الأولى ومختموا بخاتمه للمعمول على صورته وهيئته وصفته ولبسوا لباس الخاص به ونجروا ببخوره الخاص به ودعوا بدعواته الخاصة وسألوا حاجتهم منه ولأشترى يوم المريخ وهكذا كما في زحل وقالوا الله رب الأرباب وهؤلاء هم الأرباب • ومنهم من جعل الشمس هي إله الآلهة فيتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات وإلى الروحانيات تقربا إلى الله

ولما طال الأمد وقست القلوب قالت طائفة منهم أن الهياكل أي الكواكب السبعة قد تلبس عنا فأتخذوا هياكل في الأرض وهي الأصنام وهؤلاء يسمون أصحاب الأشخاص هي مثال الهياكل السبعة وهي النجوم فكل شخص في مقابلة هيكل تقربوا وتبحروا ولبسوا وتطهروا وراعوا الوقت والساعة والشكل والدمعوات والعزائم مثل ما كانوا يصنعون للهياكل وقالوا هذه الأصنام شفعاء عند الله أي بواسطة الكواكب والكواكب للملائكة والملائكة لله • فيا عجبا لهذا الإنسان شأنه في كل أمر أن يثزل فيه إلى أدنى حتى يذهب من الوجود

﴿ الفصل الثاني مجادلات الخليل إبراهيم عليه السلام معهم ﴾

كسر إبراهيم الأصنام وهي الأشخاص النابتة مناب الهياكل وقال - أتعبدون ما تبتعدون ولله خلقكم وما تعملون - وكان أبوه آزر هو أعلم القوم بعمل الأصنام ورعاية النجوم وكانوا يشتركون منه الأصنام لعلهم بمواقع النجوم حتى يعمل الأصنام على طريقها ولذلك كان الجدل معه . وما قاله - أتعبد أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين - وقال - يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يبني عنك شيئا • يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرجن عصيا - وقوله - يا أبت أتني قد جاءني من العلم - إلى قوله - أهدك صراطا سويا

فهؤلاء هم الصابئون وهذا هو الدين الخفيف أي المائل عن الأديان • فاذن الصابئون لا يقرّون بأنبياء ويقولون تقترب إلى الله بأنفسنا ثم نترّكها إلى عبادة الأجناس والأصنام • وأما الخفاء كأبناء إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فاتهم يقولون تتبع هؤلاء الأنبياء • وهذا ملخص ما ذكره الشهرستاني في غاية الاختصار لمناسبة المقام لتحيط علما بما كان في الزمان الفار

﴿ حكمة هذه الميانات ﴾

واعلم أن الله عز وجل جعل هذه الأمم مفرقة بالكواكب السبعة تدريجا لم وتعلما في زمن كان الفلك غير معروف منه إلا هذه الكواكب السبعة وقد علم الله أن الفلك سيتغير في الأزمان الحاضرة فهيا أنبياء وأمرهم أن يكسروا الأصنام التي على موال تلك الهياكل لأمرين • الأول أن هذا الدين أصبح أرضيا لاساويا معكوسا منكوسا فوجب زواله من الوجود ونسخه • الثاني أن هذه الكواكب السبعة والشمس علم الله أن ستصبح في العلم الجديدا لآئمة لها فها هي شمسنا وأرضنا وكواكبنا السبعة بل كواكبنا صارت أكثر من سبعة والشمس التي كانت لها أصبحت في آخريات الكواكب الكبيرة بل أصبحت جزأ صغيرا جدا وقد مهد الله للنوع البشري لذلك من أيام إبراهيم فلهج الناس بالله وقالوا لاشمس ولاقر وانما الله قاهر فوق عباده حتى تأهل العقل البشري للنظر في الغاء تلك الألوهية واتسع العقل الإنساني فلا يحجبه شمس ولاقر ولاسيار ولاهيكل ولاصنم ولاصورة • هكذا فعل إبراهيم وهكذا فعل موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ولولا هذا ما تجرأ العقل البشري على تلك الآلهة في نظره أن يبعث فيها • وهذا من السر في تكسير الأصنام أيام إبراهيم ومحمد عليهما السلام

ولما جاء الاسلام كانت الأمم لا تزال في رأيها العام على رأي المائدة وهو أن الهياكل السبعة هي ذات السلطان على الدنيا فتكون الكواكب سبعا والسماوات سبعا والأيام سبعا وهكذا فلعدد السبعة كان السلطان اذذاك فنزل القرآن باللهجة المعروفة بين الأمم فقيل فيه سبعا شدادا وقيل - سبع سموات - ومن الأرض مثلهن - ومعلوم أن الأقاليم عند القدماء سبع فالقرآن جاء في أواخر أيام العلم القديم فجاء على مقتضاه ولكنه أشار بطرف خفي إلى أن السماوات والكواكب ليست سبعا فقال في آية أخرى - ويخلق ما تاملون - فهذه الآية يقول لنا إنما وإن كنت أخبرنكم بأنني خلقت سبع سموات فاني أترك ذكر غيرها حتى تعلموه لأنني أخلق ما تاملون وما ذكرت لكم إلا ما يمكن أن تعلموه

﴿ الفصل الثالث • الروايات التي وضعها الناس في هذا المقام ﴾

اعلم أن أئمة من الأمم لها أساليب في التعليم خاص وأعم الأساليب نفع الروايات بحيث يجعل العلم على هيئة رواية ولقد كان بنو إسرائيل أربع الناس في الروايات المنسوبة للانبياء وقتة الخليل هذه كان لها شأن يذكر في الأمم السابقة بلفظها تارة ومثلها تارة أخرى

واعلم أن كل عالم وحكيم ونبي وفيلسوف قد عثر الناس على أحوال له تخالف الناس في الانفراد والمزلة أو

النفرة والعبادة والخلوة والانقطاع لما خلقه ولم يوجد في النوع الانساني منهم من ليس كذلك . اعتبر ذلك في رسول الله ﷺ لما تعبد في غار حراء وهكذا جميع الانبياء يعبدون ويتبتلون ومنهم ابراهيم الخليل . ولقد وضعوا قصة يستفاد منها انه كان في غار لم يتعرف بأهل الأرض سنين ثم لما خرج نظر الكوكب والقمر الى فيه مرآة ودعته ما فاجأ فقال لقومه ما رأيته في الآيات والقرآن ليس يتعرض الا للحقائق فأما الروايات فهي تدل على روح المقصود وخلاصته عند أولى العقول وملخصها

ان النمرود رأى في منامه أوقراً في كُتُب الأنبياء ما يفيد أن مولوداً يولد في تلك السنة في ناحيته يكون هلاكه على يديه فأمر يعزل النساء عن الرجال ولكنه اتهم أنز أنه لا يقرب امرأته حين أرسله الى القرية خملت بما قدره الله ثم انها لما وضعت أخبرت أباه ثم وضعوه في مغارة وصارت تختلف اليه وترضعه وقيل انه مكث سبع عشرة سنة وصار يسأل أمه من ربك ومن رب أبي ومن رب نمرود فضربه وخافت وعرفت أنه هو الذي تخوف منه النمرود فلما أخرجه من السجن بهر جمال النجوم فقال ما تقدم . انتهت الرواية

(الفصل الرابع)

جئنا الى المقصود من هذه النعمة . اعلم أن أفلاطون جاء بعد الخليل عليه السلام بقرون لأن أفلاطون كان قبل المسيح بنحو أربع قرون وقد ألف كتاباً يسمى (جمهورية أفلاطون) وهذه الجمهورية عشرة أقسام يسمى كل منها كتاباً وقد اطلعت عليها باللغة الانجليزية ولم تترجم الى العربية والناس في انكلترا والمانيا وفرنسا يدرسون منها فصولاً لطلبة العام لتربية الأخلاق في التلاميذ لاسيما الطلبة مدارس المعلمين . وقد جاء في أوائل هذا الكتاب مقال أشبه بقصة الخليل يوضح المقصود منها فقال مملخصه . لو أن قوما عاشوا تحت الثرى في سرداب وهم لم يروا وجه الأرض ولا شمساً ولا قمر ولا نجوماً ولكنهم في ظلام حالك ثم ان هناك فيما يقرب من هذا السرداب كانت نار متأججة والناس غادون وأخون في الطريق بجانب النار والشمس تشرق عليهم ومعهم صور حيوانات ونبات وملابس وهذه الصور قد ارتسمت في جوانب السرداب بنوع ما فأخذ أولئك الجالسون في السرداب يسمون الصور النباتية والحيوانية بأسماء بحسب ما يرون ويحسبون مسافاتهما وسيورها وصرعتهما ويقولون هذا هو الوجود كله فهذا هو النور وهذه هي المخوقات ثم تنبه جماعة منهم فقالوا يا قوم لقد أخطأتم ان هذا النور صناعى وهذه الأشياء ليست حقيقية ان هي الا صور وأسماء فاختلقوا على ثلاثة أقسام قسم صنف هؤلاء المفكرين وقسم كذبهم وقسم متردد فقام من هؤلاء المفكرين جماعة فقالوا لا بد أن نخرج من هذا السرداب لننظر فلما خرجوا منه لم يقدروا أن ينظروا الا صور النجوم في الماء في ليالى الظلمات ثم ارتقوا الى منظر القمر ثم ضوء الشمس فقالوا ان النار التي أشرقت بجانب السرداب والصور التي رست في أضوائها ان هي إلا من آثار الشمس فانار أوقدت في الحطب والحطب نما شجره بالشمس فالأشراق من الشمس لان الحطب أصالة وهذه الصور الحيوانية والنباتية ليست حيواناً ولا نباتاً على الحقيقة وإنما هي صورها فاضواء النار المتقدة في الحطب أصل النور ولا الحيوانات والنباتات هي الطبيعية بل نور الشمس هو أصل نور الحطب والنبات والحيوان الناميان هما الطبيعيان . ثم ان أولئك الذين خرجوا من السرداب وخالقوا جماعتهم نظروا فوجدوا الشمس لها سير منظم وفصول أربعة شتاء وصيف وربيع وخريف ومن هذا الاختلاف كانت الزروع المختلفة والزهر والفمر ومجانب الخلقة فأخذ منهم العجب كل ماخذ ورأوا حسلاً متظلاً وعجبا عجيباً فقالوا ان هذه النظم العجيبة والهنسة والاحكام في الصنعة لها عوالم وراء هذه وبما مثل هذه الشمس الى المبدع لها وهذه الحيوانات والنباتات الى العوالم التي كانت سبباً لها من العالم النفسى إلا كهو النار عند السرداب وصور الحيوانات والنباتات المصنوعة المنعكسة على جوانب السرداب المظلم الى الشمس والى الحيوانات والنباتات الحقيقية . هذا ملخص مثل أفلاطون

ومن هذا المقام وأمثاله قيل (المثل الأفلاطونية) أى ان هذا العالم المنظور على منوال عالم غير منظور ولهذا المقام فروع عند الصوفية وجدال عند الفلاسفة فاعرف هذا فهو الأصل واعلم انك الآن تقرأ لب العلوم ثم ان هؤلاء الذين عرفوا هذا رجعوا الى السرداب وبثوا الفكرة فيهم واشتد بينهم الجدل والصراع فهذه حال الحكماء مع أهمهم فانهم يرون ملايين الناس ويرجعون الى عالم للعقولات . فأما المحسوسات فأما هي مظاهر والحقائق هي العوالم الروحية ولعلم أن مذهب أفلاطون الذى كثر جدال القدماء فيه هو شبه علم الأرواح الحديث فإذا ثبت ظهور الأرواح أو وجودها كما هو الأقرب كان هو شبه مذهب أفلاطون لأن هذا العالم هو الباقي وهو مماثل لعالمنا هذا فالحيوان والانسان كلاهما ثابتان عندهؤلاء العلماء

(الفصل الخامس في سيدنا محمد ﷺ)

اعلم أن سيدنا محمداً ﷺ في غار حراء شأنه عظيم ولو أنك قرأت ما قاله هنرى القرنسى في كتابه (خواطر وسوانح في الاسلام) وكيف ذكر أنه ﷺ في غار حراء وهو ينظر الى النجوم كان قد شغفه الجمال والبهاء والحسن في تلك القبة الزرقاء والنجوم في ذلك القفراً أكثر وضوحاً وأبهر ضوءاً وأعجب شكلاً لصفاء الجو وبهيجته اذ ذاك يحلى له الملك فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارى الخ .

وتأما ذكرت لك كلام (هنرى القرنسى) لأن الرجل عبر بحرية على مقتضى ما يجري به العادة في العلم بين الأمم

والقصده أنه ﷺ كان في الخلوة وكان له نظر في النجوم . أفلا تستجب من أن فكرة النور عند الصابئين وكانت حقيقة باهرة وهي عند ابراهيم اخليل فهو وان كسر الأصنام لم يترك النجوم التي عبدوها بل جعلها وسيلة للاستدلال على مبدعها وفاطرها وانها تدل على أنه صدها ومدبرها ومكملها ثم ترى النبي ﷺ في غار حراء ينظر في النجوم وكان في آخر الليل وقت التهجّد حين يقوم يقرأ - إن في خلق السموات والأرض - الآيات وفي القرآن - فببحر بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - وجميع العبادات مرتبة على الأوقات التي هي مرتبة على سير النجوم . انتهت الطيفه الأولى

(الطيفه الثانية قوله تعالى - فبهداهم اقتد -)

يقول الله لنبيه ﷺ فبهدي الأنبياء اقتد . ويأيت شعري لم تقرؤها الآن ولم تلوها صباحاً ومساءً أتلوها لأن نبينا ﷺ الذي هو في عالم الأرواح اليوم وعند ربه والملائكة مكلف باتباع الأنبياء . كلا بل تلوها لأجلنا نحن ونحن المكلفون باتباعهم . فيأذا مكلفون باتباعهم . في الصبر والشكر وجميع أنواع الكالات يا عجبا كيف يقول الله في داود عليه السلام - وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً - ويقول انه سخر لسليمان الرّيح . فهل كان ذلك مجرد قول نسمعه لتفككه . كلا والله ثم كلا لقد كذب الجاهلون . سخر الرّيح لسليمان والحديد لداود ونظر ابراهيم في النجوم وعرف تدرجها من كوكب الى قر الى شمس وانتقل من الأدنى الى الأعلى كما في أمثال أفلاطون حتى كان الانتقال من النار الى الشمس وهكذا حتى وصل الى العوالم الجبردة . وكان دلود خليفة في الأرض يحكم بين الناس بالحق ولا يبيع الهوى . ان ذلك ليقنّدى النبي ﷺ بهم أى ليقنّدى نحن بهم ولا معنى لاقتداء أحد من قبلنا ولا من بعدنا لأنهم إيسوا معنا الآن ولستنا نقرأ القرآن لأجلهم إنما نقرأ القرآن لنا والاجتهاد بأن قراءته للرحمة ليست مطمع نظر الدين والنسوة إنما هو العلم والحكمة . فإذا أعدّ للسلمون الرّيح حتى يسخروها . لقد سبقهم القرينة فسخرها الرّيح لا تقليداً لسليمان ولكن اتباعاً لعقولهم . الله يقول لنا اقتدوا بهؤلاء ومنهم داود وسليمان وهما اللذان كانا شاكرين نعم الله ومن نعم الله تسخير الرّيح وإن كان ذلك معجزة ولكن نحن ننظر لها من جهة الشكر فكيف نشكر نعمة لا نملكها . ولقد أخضع الألمان الهواء اخضاعاً عجيباً حتى انهم قد جعلوا في أيام الحرب

نحو ثمان معامل كل معمل فيه نحو ٣٩٠ تليفونا للمخاطبة كلها يستخرج فيها ترات النضة من نفس الهواء وكانت نافعة في أعمال الحرب ثم الآن استعملت في سجاد الزرع . كل هذا من نفس الهواء مع أعمال أخرى أفليس من العجب أن الهواء يسد الأرض ويساعد الجند بمادته . فإذا فعل المسلمون لشكر نعمة الهواء ولاشكر الحصول النعمة وإن مدتهم عن هذا أنه هناك معجزتين الحديد لمادود معجزة . قلنا ليس الشكر على الحديد والهواء قاصرا على المعجزة فالمعمل الانساني له فيهما ما رتب ظهر كثير منها حديثا وكان على المسلمين أن يتنبهوا قبل الأمم ولكنهم إذ تأخروا عنهم في التشبه فلماذا لا يسعون في الاتفاع بالهواء والحديد بل بكل شيء مما علم وما لم يعلم . المسلمون يا الله اليوم عالة على النوع الانساني والله لا يرضى ذلك وكيف يكونون عالة وهم - خير أمة أخرجت للناس - والعالة لا يكونون خير أمة وقد آن أن ترجع الأمة كما كانت في أول عهدها . اهـ

(الطيفة الثالثة قوله تعالى - يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا -)

لقد وجع الله اليهود على أنهم قد أخفوا كثيرا من قراطيس التوراة وأظهروا كثيرا . ولقد خطر بنفسى لماذا ذكرت في هذا المقام لعمري إن هناك سرا عظيميا وعلميا يجب نشره وحكمة يجب اظهارها . كيف يقول الله هنا هذا ولم خصمه بهذا المقام . ومعلوم أن هذه الآيات لم يقصد بها أحد سوانا نحن الذين نعيش الآن من المسلمين لأن المسلمين الذين ماتوا والذين سيأتون بعدنا ليس الخطاب موجها لهم الآن فعلى المسلمين الذين يقرؤون القرآن في أى زمن أى في زماننا هذا أو بعد ذهابنا من هذا العالم أن يقولوا إن هذا القول يقصد به تنبيهنا الى خطر فلتتلاف ذلك الخطر . أمانا اليوم في هذا الجبل في القرن العشرين في السنة الرابعة والعشرين للميلادية وهي السنة الثانية والأربعون الهجرية أرفع صوتي للعالم الاسلامي وأقول لهم بكل صراحة ووضوح وجلاء لا شك فيه ولا غموض إن هذه الآية منطبعة علينا في مصروف الشام و بلاد العرب و بلاد القرب و بلاد الترك و بلاد جاره و بلاد الهند و بلاد الصين و بلاد روسيا و بلاد السودان و بلاد الحبشة و بلاد البربر . أقول أيها المسلمون جميعا خذوا حذركم . أخطركم اننا فلنا في القرآن ما فعله اليهود في التوراة ولأرسل لنا نبي الآن لقال لنا أيها المسلمون إن القرآن قد جعلتموه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ونحن قد اتبعنا الأمم التي قبلنا حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل كما في الحديث لتنبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لم يخطموه . ونحن قد دخلنا جحر الضب الذي دخلوه . قد دخلناه وأنا أرى الجحر بعيني ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم في جحر ضب

(فصل في محاورات بيني وبين أحد الفضلاء)

ولما وصلت الى هذا المقام حضر أحد الاخوان من أهل الفضل فاطلع على هذا وأنا سائر في الكتابة فقال يا فلان أربيع على نفسك ماذا تكتب هذا والله الكفر بعينه وأنت عاقل يقول هذا القول فضلا عن مؤمن وما كان ينبغي لك أن تكتب هذا بل أقول لا تكتبه في التفسير لئلا يأخذ الناس بظاهر قوله ويحكمون عليك بحكم لاترضاء فتضيع الثمرة من الكتابة

قلت لم ذلك . قال لأنك تزعم أن القرآن مغيب وبعضه مخفي وكأنك تزعم أن النبي ﷺ لم يبلغ بعضه أو بلغ الكل والقرآن بعينه مخوف أو أن المصحف ناقص وهذا هو الكفر بعينه . قلت هون عليك يا صاح ولو أني خطرت هذا القول لم أجد دليلا في العقل ولا في النقل عليه . قال إذن ما معنى كون المسلمين أخفوا بعض الدين . قلت ألت تعلم أن النعم الحجرى والحديد والنحاس كانت تستخرج من باطن الأرض من قديم الزمان . قال بلى . قلت والبخار كان يراه الناس في غيومهم ورواحهم وفي منازلهم . قال بلى . قلت فكان النعم الذي علمه الناس والذهب وبقية المعادن منتفعا بها أما ما رأوه بأعينهم في مراحلهم وعلى شراهم

وطبخ طعامهم وهم لم يعلموا علمه ولم يعرفوا ثمرته فقد حرموا منه . قال نعم . قلت هكذا القرآن فانك ترى آية الوضوء وآيات الحج والصلاة قد قتلها الأئمة رضوان الله عليهم بحثاً وتقنيا حتى لم يدعوا زيادة لمستزيد فنجس في غسل الوجه من الأقوال ما لا يدع قولاً لقائل و ترى ابن عباس يقول تغسل العين من الداخل وترى غيره يوجب غسل النعم والأف أي المضمضة والاستنشاق وغيرهم يوجب غسل مقدم الأذنين بلقاء وذلك لاختلاف الاعتبارات والنظر في العبارات والحكمة في المصاحبات واستيفاء العلم والحكمة في الآيات وهكذا الفرائض والصدقات واليئنان والزكاة والصلاة والحج ومسح الخف وما أشبه ذلك وقامت متون هذه العلوم ٩٣ قرناً حتى آلف الناس ذلك وصرفت أذهانهم وعقولهم ورغبتهم مما سواها حتى أصبح القرآن إنما يقرأ للتبرك وضاعت الغيرة للمقصودة منه وترى من جهة أخرى آية إبراهيم مثلاً في هذه السورة وأنه رأى القمر والشمس والكواكب طالعاً فذكر فيها وذكر الأنبياء بعدهم ذكر الأمر الختم بقول الله - فبهام اقتده - أي يقول لنا نحن الآن اقتدوا بهؤلاء ونحن نسبح هذا القول فتقول جميعاً بلا استثناء في مشارق الأرض ومغاربها الشمس والقمر والنجوم والأنبياء واقتداء النبي ﷺ بهم كل هذا مفهوم عندنا كتب الفقه فيها جميع الأحكام ولم يبق زيادة لمستزيد وأما النجوم فانها لا لزوم للنظر فيها فقد عرفنا الله وأما الأنبياء فقد اختلف العلماء فيهم هل شرع من قبلنا شرع لنا وهكذا ويفض الذكي عند أمثال هذا القلم وقد أسدل على جميع العقول الاسلامية الحجاب إلا الراشدين وهم الذين ميزهم الله بنور العلم وأزودوا في زوايا الأرض ليعلمون ولا يوشنون فيألبت شرى أى فرق بين قوله - اغسلوا وجوهكم - وقوله - فبهام اقتده - وأى فرق بين قوله - ولأبويه لكل واحد منهما الدس مما ترك إن كان له ولد - وبين قوله في هذه السورة - فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي الخ - ولم يفصل الكلام في الميراث ولا يفصل في الاقتداء بالأنبياء وفي النظر في الكواكب والشمس والقمر والمعدن والنبات والحيوان والتشريح . أليس هذا كله في القرآن وكيف يقول - وألنا له الحديد - ويقول - نسخر الله للريح - ويقول - وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه - وهذا يشمل الريح والحديد والنحاس وغيرها . فإذا كان الأنبياء قد أعطوا بعضاً فقد سخر الكل لعباده . يقول الله لنبيه ﷺ اقتد بالأنبياء والأنبياء كل منهم من شكر الله على نعمة الهواء ومنهم من شكره على نعمة المعادن ومنهم من بحث في النجم والشمس وهكذا أفلاتقبل نعمة الله ونبحث في كل ما على الأرض وما في السماء اقتداء بالأنبياء واجلالاً لقوله تعالى - وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه - وقبولاً لعطيته . ومن أعرض عن عطية الكريم الحكيم عاقبه بالحمران ولا معنى لشكر النعمة إلا صرحها فباحقت له وقد أمرنا أن نشكر نعمه فقد قال - لذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم - وقال تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - وقد عرفنا معنى الشكر . أفليس من شكران النعمة ومن الصيان أن ندع ما يمكن الاتفاف به من الخلوقات فلا نستعمله وبذلك أصبح غير شاكرين وهل يليق بالمسلمين أن يكونوا غير شاكرين . فأين العقول وأين الحكمة وأين الاستنباط وأين العقول الكبيرة التي خلقها الله

إن تلك العقول قد وضعت في أغلال وحكم عليها بالإرهاق فان العقول الكبيرة التي خلقت في البلاد الاسلامية قد حكم عليها أن تضيق الذكاء المفرط في علم الكلام من الرقة على المشافعين الذين ماتوا فكتب التوحيد أول مصيبة حلت بالأم الاسلامية وقد استمض بها عن النظر في السموات والأرض كخظرات ابراهيم الخليل فهذه الكتب لاهي بحيلة اليقين ولا هي بمراقبة العلوم . فأما نظرات الخليل عليه السلام في الفلك وبقية آي القرآن في الطبيعة والعلوم الأخرى فلها ترقى العقول الانسانية وتطلى المعلومات اليقينية وترقى الجامعة الانسانية . فيألبت شرى أى فرق إذن بين قوله تعالى - فلما رأى الشمس بازغاً قال هذا ربي هذا أكبر - وبين ظهور البخار قبل ثمرة منافع . لمترك انه لافرق بين خفاء الشيء وبين ظهوره

مع النقلة عنه وإذا وضعنا أسلم الأهمي أجل صورة في الوجود فإنا لاندمي أنه عرف جاهلنا وأدرك محاسنها
 قال صاحبي وهل يقال إن المسلمين أخذوا صحفا من القرآن . قلت النتيجة واحدة بل الخفي يمكن
 الاطلاع عليه بعد البحث أما الظاهر المكشوف الذي يراه كل انسان وقد صرفت عنه الأذهان فانه لا ينتفع
 به اعتبر ذلك في الهياكل وفي الخلوقات فان دين المسيح لا يعرفه إلا المسيحي مع انه يكون في بلاد الاسلام
 ودين الاسلام لا يعرفه إلا المسلم وهو في دير النصراني مثلا وذلك لانصراف النفوس عن كل مالا تنوق اليه
 فالمسألة مسألة تنوير وريجات . ونرى الصناعات والسياسات والتجارات في أوروبا قائمة السوق رائجة
 والشرق نائم وهو يرى بعينه سيل السيوف ودوى للدافع وحصد النفوس في الشرق واستنزاف الثروة
 بالتجارة وهو ما كنت غافلا . ولماذا هذا . لأن العقلاء لم يحركوا النفوس المصدوفة ولم يشوقوها للأموال النافعة
 للنفيسة فتكون لها مشوقة . قال صاحبي فهذا يزيد لذن . قلت اذا قالوا في الكتب الدينية كتاب
 الصلاة والزكاة والحج والبيوع والرفائض والعتاوى والعتق فلم لا يقال كتاب في نظام الطبيعة وكتاب في نظام
 الفلك وكتاب في عجائب الحيوان وفي النبات وفي الحشرات فيطلع أكثر أهل العلم على مجمل هذه العلوم وكما
 يخصص قوم بالقضاء يخصص قوم بالفلك وآخرون بالطبيعة التي هي علم التوحيد حقا وصدا وآخرون بعلوم
 الحشرات وآخرون بجغاث غيبتها . فقال ذلك الفاضل أويكون هذا دين الاسلام . قلت نعم ولا اسلام
 غيره فهذا هو الاسلام الحقيقي . قال عجبا لك أفلم ترى أن المسلمين السابقين قد ألفوا في هذه العلوم
 كلها . قلت لم ألفوا باعتبار انها علوم اما كفرية ولما مستحسنة وكان ذلك هملا فرديا أودنيويا ولكي
 أقول بأعلى صوتي هذه العلوم دينية كالوضوء والصلاة والحج ولماذا يعتنى المسلمون بشروط البيع ولا يعتنون
 بعلوم المادن ولماذا خصصوا للقضاء طائفة ولم يخصصوا نظيرها لعلوم الحشرات وأولعلم النبات وأولنظام الحدائق
 الفناء مع المشاركة في سائر علوم الدين . أول هذا وأنا موقن أن هذا هو الدين حقا فعلى المسلمين أن يحبوه
 والا فانت تعلم أن الله قاهر فوق عباده فقد قتل الاسلام قوم الى قوم ولما ناموا جيما أتزل عقابه على البعير
 وأذلم للفرجة فسادوا عليهم أجمعين هذا هو الحق الصراح . ان هذه الآية

(برزخ بين البحرين)

وهي - بحملونه قرطيس نبذونها وتضنون كثيرا - الى قوله - وهذا كتاب أنزلناه مبارك الخ -
 يجب التأمل لهذه الآيات وبدن من نظامها كيف لا وانها لم تذكر إلا في برزخ بين البحرين من العلم
 • البحر الأول علم السموات المفهوم من نبأ ابراهيم ونظيره في السموات • البحر الثاني العلوم الأرضية في
 النبات والحيوان الخ

أيها الذي أنظر وتأمل وتجب هذان بحر من العلم . أولهما في الفلك ولا يتيم إلا بجميع العلوم الرياضية من
 الهندسة والجبر الخ . ثانيهما علم النبات والحيوان ولا جرم أن العلوم الحسكية لا تخرج عن هذين فهي علوم
 للعالم العاوي وعلوم للعالم السفلي والأخيرة هي العلوم الطبيعية والنظر العام فيهما معا هي العلوم الاولية . إذن
 هذه السورة جمعت علوم الحكمة كلها وقامت الرياضيات كما هو منهج التعاليم في العالم كله وأخرت الطبيعيات
 هذا واضح ظاهر ولكني أريد أن أحدثك حديثا عجبا وهو المقصود . أحدثك عن وضع هذه الآية في البرزخ
 بين البحرين وما حكمتها ولم لم توضع قبل البحر الأول أو بعد البحر الثاني . انما جعلها الله هنا لحكمة شريفة
 ظهرت في هذا الزمان وأبرزها العلم والتاريخ

ذلك أن اليهود المذكورين في الآية قد خبوا كثيرا من علوم التوراة وأظهروا بعضا على حسب أهوائهم
 والمسلمون اليوم وإن لم يخفوا القرآن وأظهروه ولكن العلوم التي بحث عليها قاموا ببعضها وتركوا أكثرها أما
 البعض فهي العلوم الفقهية وأما الأكثر المتروكة فهي العلوم المذكورة في هذه السورة وهما البحران المحيطان
 بهذه الآية فكان وضعها هنا إشارة الى أن هذه العلوم ستختفي زمنا ما في الأمة الاسلامية والقرآن يعللها ومنى

عرف ذلك رجعت الأمة الى قراءة تلك العلوم وأنت أيها الذي لا تتصور ماقلته لك الآن عما تضمنه هذا الوضع إلا اذا قصص عليك قصص الأمم الاسلامية فأقول

لقد دؤنت الأمم الاسلامية العلوم عن الأمم السابقة الذين لم يعلم الناس عنها شيئاً إلا أن المصريين هم الذين نبهوا في العلوم وفتحوا على آثارهم السريانيون والسكندانيون ثم الفرس واليونان وأجل هؤلاء (سقراط وأفلاطون وأرسطو) ثم انتقلت الحكمة والملك الى الرومان وكان منهم (شيشرون وسنيكا)

ثم لما كان آخر القرن الثاني حدثت شيعة الاسكتريين الذين كانوا يوفقون بين العلم والدين . ولما تنصر الفرنجة هجروا أكثر تلك العلوم . ثم ظهرت الأمة العربية ودانت لها الأمم فأرسل أبو جعفر المنصور الى ملك الروم أن يرسل له كتب العالم متوجة فيمت اليه بكتاب (أقليدس) وبعض كتب الطبيعيات فقرأها للمسلمين واشتاقوا الى العلم لاسيما انهم خالطوا الروم والفرس والصائين فأثار ذلك شوقهم الى العلوم . ولما جاء المأمون سعى جده السعي في استخراج تلك العلوم وهناك ظهر المترجمون من اليونانية الى العربية وكان ابتداء ذلك من سنة ١٣٦ وانهى في نصف القرن الرابع الهجري ومن الترجمة في تلك العصور (يعني بن البطريق وجورجيس بن جبرئيل ويعني بن البطريق ويوحنا بن ماسويه وسلام الأبرش ويوحنا بن البطريق وحنين بن اسحق واسحق بن حنين ويعني بن عدي) وغيرهم وهذه الترجمة كان فيها اختلاف كبير فلخصها العارابي ومحمدا بن سينا

(انقطاع العالم فيما بعد ذلك)

ثم أخذت ريح العلوم تركد والأمة ترجع القهقري فأخذ صغار العلماء يحرمون هذه العلوم وأصيب العلماء بهذه العلوم بمصائب الحسد والعداوة والفنك والحسد كما حصل لعبد السلام الجيلي المعروف بالركن الذي اشتهر بهذه العلوم في القرن السادس من الدولة الامامية الناصرية وحصل له تقدم عند رجال الدولة فأخذ أطفال العلماء يذمتونه ويوقعون به حتى برزت الأوامر الناصرية باخراج كتبه الى موضع ببغداد يسمى (بالرحبة) وخطب الرجل المسمى (بابن المارستانية) فوق منبر وصار يلعن علم الفلك وعلم الحيوان وغيرهما وبقى كتبها في النار وحسب ذلك العالم في السجن ولم يخرج إلا بعد مدة في سنة ٥٨٩ هجرية

هذا ما كان في بلاد الشرق . ثم انظر الى ما حصل في بلاد الغرب فان القوم أحرقوا كتب الفزالي في الأندلس والغرب الأقصى ولقد وصل الأمر الى ما حكاه أبو حيان في تفسيره البحر أن أهل المنطق بحجرة الأندلس كانوا يعبرون عن المنطق بالمقلع تحريزا عن صولة الفقهاء حتى ان بعض الوزراء أراد أن يشتري لابنه كتابا في المنطق فاشتراه خفية خوفا منهم مع انه أصل كل علم وهو يم كل فن

ثم ان القوم اضطهدوا ابن رشد فتحوّل العلم بهذه الأسباب من الشرق والاسلام الى أوروبا من طريق تلاميذ ابن رشد النصرى واليهود فدلر الزمان دورته

هذا ما كان من أخلاق الأمم الاسلامية بعد القرون الأولى فانظر ماذا فعل الله حالا سلط عليهم القبول والتنازل المعبر عنهما في علم الجغرافيا قديما كما سيأتي في سورة الكهف بلفظ - يأجوج ومأجوج - جمعهم جنكيزخان وتوجه بهم الى بلاد الاسلام لما وجد من قطب أرسلان ظلما لتجاره وفكنا بيهوده كما سيأتي ايضا في تفسير سورة الكهف غرّب البلاد وقتل الشيوخ والصبيان والنساء وقد يقتل البهائم ويدمر كل شيء تدميرا

وأحرقوا كتب الخزان العلمية في بخاري وسمرقند وحلب فقد من قوا ما فيها من الكتب لما دخلوها وهكذا ضاعت ومزقت كتب المكتبات الاسلامية وما زاد في الطلخ بله الحروب الصليبية . اذن الأمم الاسلامية أولا غيروا ما بآبائهم من العلوم وحبا ففسر الله حالهم فأغارت عليهم الأمم - ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا

مأبأ أنفسهم - ثم جاءت دولة الترك وفتحوا القسطنطينية وكان فيها تحول في العلوم الحسكية والدينية كالعلامة شمس الدين الفناري والفاضل قاضي زاده الرومي والعلامة خواجه زاده والعلامة علي قوشجي والفاضل ابن المؤيد وميرجلي والعلامة ابن الكمال . قال العلامة التركي مثلا كاتب جلبي مؤلف كتب (كشف الظنون) المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري

ولما حل - وأن الاحتياط ركزت ربح العلوم وتنافست بسبب منع بعض المقتنين من تدريس الفلسفة وسوقه الى دروس الهداية والأكل فالتدرست العلوم بأمرها الا قليلا من رسومها فكان المولى المذكور سببا لا تقراض العلوم من الروم كما قال مولانا الأديب شهاب الدين الخنكجي في خبائا الزوايا وذلك من جهة أمانة الاحتياط الدولة اه مثلا كاتب جلبي

فانظر كيف ذهبت دولة الاسلام في الشرق بمحكيزخان وخلفائه الذين أماتوا ألق ألف انسان في بغداد وجعلوا الكتب جسرا نمر عليه جيو شهم بدجلة . وانظر كيف جاء الملك (فرديناند) وزوجته (إيزابلا) وقتلوا المسلمين بالأندلس ومن بقي تنصروا لم يفر منهم الى بلاد شمال أفريقيا الا القليل وأبناؤهم اليوم في مرا كش وتونس والجزائر . وانظر كيف انحطت دولة الترك البائدة الجاهلة في زماننا وحلت محلها الأمة الخالية التي يقودها الغازي (مصطفى كمال باشا) وهي تمجد في تعلم العلوم بأمرها ولة عاقبة الامور

هذا تلخيص الأئمة الاسلامية . أليس هذا الذي بطلته أمامك الآن معناه أن المسلمين لما أحبوا جميع العلوم كانوا في منة ولما غيروا ما بنفوسهم غير الله حاتم - ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مأبأ أنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له - ألت ترى أن هذه الآية متطبقة على تلك الأمم فانهم لما غيروا مأبأ أنفسهم أراد الله بهم سوء ولم يكن لذلك سوء مرد وقد حصل فساد قل المسلمين في أقطار الأرض . وألست ترى معنى أن قوله تعالى في هذه الآية محاطا باليهود - بمجاولونه قرامليس تبديونها ويخفون كثيرا - يقرب مما ذكرناه فالقرآن وان كان مقروا ولم يغير فالتى غير وبدل هو طرق التعلم . فالمسلمون في أول أمرهم كانوا يدرسون كل العلوم أو يميزون دراستها ولما منعوها صاروا كأنهم أخفوا بعض الكتب وأظهروا بعضا . ألا ترى انك تدخل المعهد الديني فلا تنسح الا ان المطلوب هو علم الفقه وعلم التوحيد ولا يقرؤون لطلاب مجال الطبيعة والفلك ولا يدرون بان العلوم جميعا فروض كفايات وروزعونها على الأفراد . أليس مثل اخفاء القرآن تماما بل هذا هو المقصود من الاخفاء . لهذا جى بهذه الآية بين العلوم الفلسفية والعلوم الطبيعية تنبيها للمسلمين

اننا ورتنا عن أسلافنا الأقرين علما ناقضا وتركنا أهم العلوم فكأننا نبدي بعض الكتاب وهو الفقه ونخفي كثيرا وهي العلوم الحسكية التي لها (٧٥٠) آية بخلاف الفقه الذي له (١٥٠) آية فحجب من مجانب القرآن . وهذا لما ترك المسلمون هذه العلوم رأينا وعلما أن كل طالب علم ارتقى عن الوسط الاسلامي في الشرق والغرب نزل الاسلام في صيته من مكاته كما سمعت ذلك من جميع طبقات المسلمين قال لي أحد علماء الصين ان أبناء الأغنياء المسلمين بعد رجوعهم من أوروبا ينظرون الى دين الاسلام نظرم لمستغفر الأشياء وأدناها درجة لهم أنه لا يخرج عن الوضوء والطلاق وعقد العقود . هذا كلامه وقال ان هناك سبعين مليوناً من المسلمين . قد رأينا آثار قصة التخلي في الأمم السابقة فأين آثارها في الاسلام قد قلت لك قد عثرنا على طريقة تعلم القضاء قبل المسيح بأربعة قرون وكيفية البحث في العالم العلوي والعروج الى الكمال في كتاب (جمهورية أفلاطون) وقد رأينا فيها انه انتقل من العالم المنصري الى العالم الفلكي وجعل أصل المجد هناك ثم جعل العلم الرياضي للحساب والهندسة والجبر هي محور العالم الانساني وأن الأعداد وأعمالها أقرب الى عالم المبردات فالتفكير يصعد بها الى العدل والجمال واتخلص من شقاء المادة

وجعلها وكذلك أوجب الرياضة الجسمية إيجاباً عظيماً وحتم على كل رجال الجيش ورجال الحكومة أن يكونوا في علم الرياضة بارعين وفي الحساب مدققين وأكد ذلك تأكيداً أكثر في أمراء الأمة من الملوك والوزراء وأمثالهم فأوجب عليهم تعلم الرياضيات العقلية أكثر من قواد الحيلوش وهكذا .

هذه المباحث كانت تقال قبل المسيح وبعضها يكاد يكون كتعليم اخليل كما تقدم . فإذا استنبط المسلمون من قصص اخليل ونظرة في النجوم ومن قصص سائر الأنبياء . نعم قد اكتفوا بأن نبينا عليه السلام فعل بالأصنام ما فعله اخليل وكسرها وقال آمنوا بالله فآمنوا وانهى الأصنام وأصبح القرآن يتلى للعبادة . أما التفكير فأصبح في كتب الفقه وكتب أصول الفقه وكتب علوم التوحيد وغلب عن الناس اشراق شمس الفات الحمدية والعلوم الكونية والأشوار القدسية والنجوم السايوية والأشوار الخليلية فظلمت البلية وقتلت الأمل الفريية . كل ذلك حاصل ولكن الناس لا يشدكون يحسون به ولكنهم لا يشعرون يصذون ولكنهم لا يشعرون باليت شعري أرضي المسلمون بذلك فناموا أم السكره أحلحت بالفكره فأصبحوا خامدين . لقد جاء وقتكم وأقبل سعدكم وأمر بكم أنكم إلى طريق السعادة سائرون وإلى مقام الرشده مهتدون

قال صاحبى فإذا ذكر نبذة من جلال تلك تكون تبصرة لقارئين وذكرى للذاكرين لمناسبة قصة اخليل ولقداء النبي عليه السلام به في نظره الجليل امتثالاً للأمر بالافتداء على شريطة أن لا يكون مما ذكرته في هذا الكتاب

سأذكر لك نبذة في الفلك قريباً وعند قوله تعالى - وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر - شيئاً من إبعاد الكواكب وهددها وأكتفى هنا الآن بذكر مسألة تخص بهذا النظام الشمسى فأقول . اعلم أن الأرض تدور حول الشمس وكذلك السيارات ثم القمر يدور حول الأرض كل ذلك في مدارات متشابهة ويسمى كل منها (الشكل الاهليجي) فإذا رأينا الزرع والخريف والصيف والنشاء فإن ذلك حاصل من سبر الأرض حول الشمس وهذا للدور فرفه بأن تذهب إلى الحدائق وفيها أشكال ذات أزهار منتظمة الوضع بطرق هندسية يملؤها البستانيون . وطريق ذلك أن يضعوا في الحديقة وتدين في الأرض وبينهما بعد يمينونه على حسب الصلصلة والنظام المطلوب ثم يأتون بحبل أطول من ضعف المسافة بين الوتدين ثم يربطون طرفيه فيصير مقفلاً ويأتون بخشبة ويضعونها على ذلك الحبل من الداخل ويجذبونها إلى الخارج ويدورون حول الوتدين فيرسمون بذلك شكلاً تاماً وهذا هو (الشكل الاهليجي) فقرأ كدائرة مستطيلة وتراه في البساتين المحيطة بالقاهرة بديارنا المصرية وقد ألهم اقترب رجال البساتين أن يصنعوا هذا الشكل حتى إذا جاء من لم يعلم علم الفلك وأطلع عليها وقد قرأ هذا الكلام أدرك أن هذا هو مدار السيارات حول الشمس ومدار القمر حول الأرض وموضع الوتدين في ذلك الشكل يسميان (البتورين) أو (تقطعي الاحتراق) أو (الخرقن) وترى الشمس دائماً بالنسبة للأرض والسيارات في إحدى البتورين والأرض والسيارات جاريات على هذا الشكل وكذلك الأرض بالنسبة لقمر الدائر حولها أى أنها في إحدى البتورين دائماً

(كيف قصر المسلمون ونبغ الفرييون في القرون الأخيرة وفلاسفتهم الأقدمون)

تلاميذ علماء الاسلام بالاندلس كما هم بمعتزفون)

لقد ذكر العلامة (سديو) الفرنسى الذى ألف كتاب (تاريخ الأمة العربية) أن علماء أوروبا في القرن الرابع عشر والخامس عشر المسيحي قد ادعوا أنهم كشفوا مسائل في الفلك والطبيعة وغيرها وهم في ذلك كاذبون سارقون وأثبت تلك السرقة بمشقة أدلة مثل أن أوروبا لم يكن بها مصاد في ذلك الزمان وإنما كانت في ديار الاسلام . ومثل أن بعض المسائل المكشوفة وجدت في كتب عربية بعد الكشف تاريخ تأليفها قبله بقرون وهكذا الخ

أقول فهو لا الأروبيون الذين هم تلاميذ آبائنا كما ذكره العلامة (سديو) القائل أنهم كانوا تلاميذ المسلمين بالأندلس الخ قد أصبحوا اليوم أرق من المسلمين في جميع العلوم والمساكن ناعون خادون جاهلون ولأذكرك أن ما يصنعون بالنكاح وهو

(عجبتان)

(الأولى) منظار للبحث في القمر • (الثانية) خريطة السموات

أما الأولى وهي منظار القمر فذلك أنه في هذه السنة أي سنة ١٩٢٦ يصنع في باريس منظار (تيلسكوب) يزيد حجمه عن ضعف أي منظار فلكي في العالم حتى اليوم ويؤمل أن يرى بواسطته الكواكب التي لا تشاهد الآن على مسافة خمسة عشر ألف مرة منها وهذا المنظار يقيمه الآن العالم الفلكي الأمريكي (جورج رنشي) وسيرى القمر بواسطته على بعد عشرة أميال فقط وهكذا يتضاعف أمام النظر الكون المرئي مليوناً وخمسةائة ألف مرة في الحجم ويقولون أنه مستعد للعمل في صيف هذه السنة

أما الخريطة الثانية وهي خريطة السموات • فاعلم أنه قد اشترك ١٨ مرصداً في عمل هذه الخريطة وإعداد العمل كان في سنة ١٨٨٧ وسيستغرق ٧٥ عاماً وقد أتم ثلاث مرصداً العمل الآن وهي مرصداً الكاب في جنوب أفريقيا وجرينوتش واكسفورد في انكلترا • وقد بلغت تكاليف الخريطة حتى الآن مليوناً من الجنيهات وستحتوي على قسمين مختلفين عند تمامها أحدهما صورة تخطيطية عاتية والآخر الأسماء والأوصاف والمقاسات لما يقرب من نصف مليون كوكب وعلى كل مرصد أن يأخذ ألفاً ومائتي لوحة تصويرية مرئية وعلى كل لوحة ما يتراوح بين أربعين وخمسة كوكب يقاس كل منها ويحدد بأصوله ويبلغ ما يخص كل مرصد عندئذ نصف مليون من الكواكب اه من الجرائد الانجليزية في هذه الأيام

هذا عمل أوروبا • وهذا هو القدي يرى إليه الخليل عليه السلام ومصدق القرآن • هذا هو الذي يطلبه الاسلام • كان هذا واجباً على المسلمين وجوباً كفاً

إن هذه الصور السالوة التي يأخذها الأروبيون نافعة من الوجهة العلمية والتوحيد ومن جهة ارتقاء النفوس ومن جهة التجارة فإن كثرة المعارف السالوة الكوكبية تسهل طرق الملاحة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(فطرة من بحر ملكوت السموات والأرض الذي أراه الله لأبراهيم عليه السلام

والكلام على الكوكب والقمر والشمس المذكورات في هذه الفصحة)

(١) الكواكب على قسمين • ثوابت وسيارات • أما الثوابت فهي أكثر التي تراها في السماء كل ليلة وهي تبلغ مئات الملايين بالمناظير المظلمة وقد ذكرنا هذا في مواضع من هذا التفسير وزيد الآن أن نبين أن القسما قد قسموها الى عدة صور • والمنقول عن بطليموس أن تلك الصور

(٤٨) صورة منها ٢١ في النجم والـ ١٥ في الجنوب و١٢ في الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المعتدل ويشتمل مجموع هذه النجم والأربعين صورة على ١٠٢٩ نجمة عند القدماء منها ٣٩١ للصور الشمالية و٣١٨ للصور الجنوبية و (٢٥٠) للصور المنطقية والاثنتا عشرة صورة المنطقية هي المنازل المرفوعة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسحبة والميزان والقرب والقوس والجدي والمثلث والحوت والاحدى والعشرون الشمالية منها الحب الأصفر أو بنات أمش الصغرى والحب الأكبر والتمبان والتهب والمؤاء والجاني على ركبته والمرأة للسلسلة والشمس عشرة صورة الجنوبية منها • قيطس • الجبار • نهر الأردن • الأرن • الكلب الأصفر • الكلب الأكبر • السفينة • الشجاع • الكاس • القرب • الجمر • سنطورس الخ

وقد جعلوا هذه النجوم أقداراً فأصووها القدر الأول ويليها الثاني وهكذا • والمتأخرون حافظوا على

هذا التقسيم ولكنهم رأوا أن النجوم أكثر حتى جعلوها ستة آلاف نجمة لقوى الأبصار الحادة ومئات للملايين بالآلات الراسمة كما تقدم ايضا في سورة البقرة • ومن هذه الثوابت الآتي

(١) النجوم الثابتة فلا يحفظ ضوءها شدة واحدة وهذا التغير فيها لما لمدة معلومة واما ليس يعلم لدور (٢) ومنها النجوم الوقية الجديدة فقد تظهر نجوم في محال من السماء لم ير فيها نجوم من قبل ثم تختفي مثل النجمة المشهورة التي رصدها سنة ١٥٧٢ في وسط ذات الكرسي فكانت أضوأ كوكب في السماء ثم أخذت تنقص تدريجاً ثم اختفت بعد ١٧ شهرا

(٣) ومنها النجوم التي ظهرت ثم بقيت مثل نجمة ظهرت في صورة الاكليل الشمالي سنة ١٨٦٦ ظهرت كزؤنة ثم ضعفت ولا تزال الى الآن ولكن ترى بالنظير

(٤) ومنها النجوم التي اختفت ولم ترجع

(٥) ومنها النجوم المزروجة إذ بعض النجوم التي زارها واحدة بالعين تكون في الواقع نجمتين وقد حدثوا منها (٧٠٠) مجموعة الى الآن

(٦) ومنها النجوم المضاعفة بأن تكون النجمة واحدة بنظر العين ولكنها تكون ثلاثاً وأربع شمس بالنظار ومنها نجمة من الجبار مركبة من ست شمس

(٧) ومنها القنوان والسدم • فالقنوان جمع قنوس مثل صورة الثريا للموضوعة في صورة النور وهي مركبة من (٨٠) نجمة و (٩) منها ترى بالعين والسدم جمع سديم وهو الضباب الرقيق وعند الفلكيين نجوم صغيرة القدر جداً متفاربة حتى ترى كأنها سحابة أو ضباب أو قطعة نيرة سحابية لا تحلّ الى نجوم مفردة بالنظارات القوية • وملخص هذا النوع ثلاثة أقسام فإن أمكن حلّه بالنظارات سمي مجموعة كوكبية مثل (نبتونكان) وهذا في قسم السماء الجنوبي ويرى دائماً بالعين (العادية) وإن أمكن حلّه البعض منها فأنها ترى على هيئة شكل منتظم كثيراً أو قليلاً وإن لم يمكن حلّها أصلاً فشكلها الذي يرى يكون غير منتظم

(٨) ومنها طريق الثبانة أو المجرة وهي منطقة ضيقة بيضاء يراها الناس جميعاً في الليالي الصافية قسم الكرة السماوية الى قسمين متساويين تقريباً ولا تقلّ النجوم التي فيها عن ١٨ مليون نجمة وبعده هذه النجوم ترى كأنها لبن أبيض • هذه هي النجوم الثابتة

أما السيارات فأنها قليلة جداً والفرق بينها وبين الثوابت أن الأولى ضوءها هادي ساكن وأن الثانية متلاثلة الضوء وتظهر كأنها نقط مضيئة قطرها الظاهري صغير جداً بحيث لا يمكن قياسه وبعض السيارات أشكال كأشكال القمر • وقد لاحظ الناس قديماً أن بعض النجوم لها حلل خاصة مثلاً يرون في ليلة ما أن كوكباً من هذه الكواكب ظهر بجوار نجم ثابت وفي الليلة الثانية يرون أنه قد تأخر قليلاً الى المشرق وهكذا كل ليلة ولا زالوا يراقبون كوكباً فكوكباً حتى عرفوا هذه الكواكب على هذا الوصف وهي عطارذ والزهراء والمريخ والمشتري وزحل وأضافوا الى هذه الجملة القمر والشمس

ولما رأى علماء العصر الحاضر أن الشمس مركز العالم وأن القمر يدور حول الأرض وأن الأرض تدور حول الشمس بعكس ما كان يظنه الأقدمون أن الأرض مركز العالم والشمس والقمر وغيرهما يدورن حولها أقول لما عرفوا ذلك لم يعتبروا الشمس ولا القمر من السيارات بل جعلوا الأرض سياراً كأخواتها الخمس للذ كورات وزادوا عليها ما كشف سنة ١٧٨١ وهو (أورانوس) وما كشف سنة ١٨٤٦ وهو (نبتون) فتكون السيارات إذن ثمانية والأرض منها وكل هذه السيارات تتم دورتها حول الشمس في أزمان غير متساوية وغير متغيرة • وقد وجدوا أنه كان للأرض قمران فالمرج قران والمشتري ولأورانوس لكل منهما أربعة أقمار ولزحل ثمانية ولنبتون واحد هكذا الأرض ترى للزهراء ابتعاداً عن الشمس بعد غروبها

ولا تزال تتمدد ليلة قليلة بحركة تسمى طردية الى أن تبلغ (٤٨) درجة تقريبا يراها جميع الناس مساء وكان يسميها الأقدمون (نجمة الليل) ثم تكرر راجعة بحسب مرأى العين حتى تختفي ثانيا تحت أشعة الشمس وبعد أيام قليلة تظهر قبل شروق الشمس وتسمى (نجمة الصبح) وهذه تسمى حركة تقهقرية لأنها من الفرق الى الغرب حتى تبلغ (٤٨) درجة ثم تغير حركتها طردية ثانياً أعني من الغرب الى الشرق وتدخل تحت أشعة الشمس وهذا كله بحسب الظاهر والا فان الحقيقة أن لا رجوع ولا وقوف وما ذلك بسبب النظر الظاهري الذي يحصل بسبب دوران الكوكب في مداره كما هو معروف في علمه بالبرهان . وهذا قهقهم قول الشاعر

ولننجم من بعد الرجوع استقامة . وللشمس من بعد الغروب طلوع

وهذه الظواهر التي تراها بينك للزهراء تراها أيضا لعطارد الذي هو وهي سياران سفليان وإنما يشاهد هو (٢٣) درجة فقط ومدة الدوران الاقترانية للزهراء (٥٨٤) يوما ولعطارد (١١٦) يوما وأما المريخ فانه يتمدد الى (١٨٥) درجة فله ولأشكال الكواكب العليا اجتماع واستقبال كالقمر أما الزهراء وعطارد فليس لهما الا الاجتماع أما الاستقبال فهو مستحيل إذ الاستقبال لا يكون إلا بالمقابلة على بعد (١٨٥) درجة وهذا لا يتعدان إلا الى (٢٣) درجة لأحد هما (٤٨) درجة للثاني فكيف يكون استقبال كل استقبال القمر والمريخ حركة طردية وتقهقرية بحسب أوسع مما تقدم

{ هذا بيان وصف السيارات }

(عطارد) أقرب السيارات الى الشمس يتم دورته في ٨٨ يوما تقريبا وترى الشمس فيه أكبر سبع مرات مما ترى من الأرض وشدة ضوئها وحرارتها تكون أكبر سبع مرات أيضا منهما على الأرض وله أشكال كأشكال القمر

(الزهراء) الشمس ترى فيها أكبر مما ترى من الأرض مرتين تقريبا وكذا الحرارة والضوء وحجم عطارد صغير جدا . أما حجم الزهراء فانه يقرب من حجم الأرض وأليم دورته ٢٢٥ يوما تقريبا

{ الأرض }

محيط الأرض يبلغ (٤٠) مليون متر . ونصف قطر خط الاستواء ٦٣٧٨٤٠٠ متر
أعلى الجبال المرفوعة لا يزيد ارتفاعه عن سطح البحر عن (٩٠٠٠) مترا وهو جزء من سبعمائة جزء من نصف قطر الأرض ولذا رسم على كرة قطرها متر لا يزيد ارتفاع أعلى الجبال كجبال همالايا عن السطح العمومي بأكثر من مليمتر ونصف (١٩٤) مليمتر . العمق المتوسط للبحار (٦٠٠) متر
نهاية حمى البعثر (١٠٥٠٠) متر

السطح الكلي للأرض يبلغ (٥٠٩) مليون كيلومترا مربعا
مياه البحار تشغل منه (٣٨٣٠٠٠٠٠٠٠) كيلومترا مربعا . اليابسة (١٢٦) مليون مترا مربعا
حجم الأرض يزيد عن ألف مليار كيلومتر مكعب (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) أي أكثر من ألف
ألف ألف كيلومتر مكعب . سمك الجوف قدره (٤٨٠٠٠) مترا

مدة دورة الأرض حول الشمس ٣٦٥ يوما و ٢٥٦ جزءا من اليوم
بعد الأرض عن الشمس يساوي (١٤٨٠٠٠٠٠٠٠) فرسخا تقريبا أو (٩٢) مليون ميل تقريبا
ويقطع الضوء المسافة المذكورة في ثمان دقائق و ١٨ ثانية والظلال السريع في (٣٥٠) سنة تقريبا وقلة المدفع في (١٢) سنة تقريبا

{ للمريخ }

السيار الذي يلي الزهراء بالنسبة للشمس هو الأرض وقد تقدم الكلام عليها والتي يليها هو المريخ

وبعد المتوسط عن الشمس قدر بعد الأرض عنها مرة ونصف مرة ومقداره (٢٢٥) مليون كيلومترا ويرى قرص المريخ من الأرض ذا أشكال ولا يظهر وقت البركامل الاستدارة بل يشبه قرص القمر قبل أو بعد البدر يومين أو ثلاثة

حجم المريخ يبلغ نحو سدس حجم الأرض ١٤٧ ر. ويظن أن فيه بخارا وقارات وسحبا وتطيين نجم عليهما الثلج ويتراكم ويتبدد شتاء هناك ويقل امتداده في صيف المريخ فهو في هذا كالأرض وقد كشف قراء سنة ١٨٧٧ ومها (فوبوس) و (ديموس) وأولها أقرب اليه من ثانيهما وستة المريخ ٦٨٩ يوما و ٩٨٠ جزءا من ألف جزء من اليوم

(المشتري - ابعاده)

هو أكبر جميع السيارات وحجمه قدر حجم الأرض (١٣٠٠) مرة وقطره يساوي ١٤٠٠٠٠ كيلومترا فهو قدر خط الاستواء الأرضي (١١) مرة وبعدة عن الشمس في المتوسط (٧٧٠) مليون كيلومترا . انظر صورة للمشتري والأرض في شكل (١)



سنة المشتري تعادل (١٢) سنة من السنين الأرضية له جوي يظن انه سميك جدا وفيه كتل سحابية تعملها رياح كافي الأرض وهي منتظمة انتظامها

وللمشتري أربعة أقمار ولها كسوف كما في قرنا . وقد عين العلماء سدد دورات تلك الأقمار وابعادها بالفراسخ وضاف أقطارها كما فعلوا في أرضنا وقرنا وسما تلك الأقمار بأسماء منها (يو) و (جاليلسو)

الخ . هذا ما كان العلماء من أستاذنا للرحوم حسن أفندي حسني منذ (٣٦) سنة ونقلته من كتابه الذي تلقيناه بدار العلوم ولكن الآن بلغت أقماره التي كشفها الناس (٩) أقمار وأخوها كشف قبيل سنة ١٩٢٠

(زحل)

امتناز زحل بأن له حلقات منفصلة عن الكرة وتدور حوله في خط استوائه . والبعد المتوسط لزحل عن

شكل (١) المشتري والأرض

الشمس قدر بعد الأرض عنها تسع مرات ونصف أعني (١٤٠٠) مليون كيلومترا تقريبا ويقطع مداره في (١٠٧٥٩) يوما أعني (٢٩) سنة ونصفا تقريبا وحجم زحل قدر حجم الأرض الذي عرفته (٧١٨) مرة وقطره (٩٢٧٩٩) بأخذ نصف قطر الأرض وحده . وفصول زحل مشابهة لفصول أرضنا وكل فصل من فصوله تزيد مدته عن سبع سنين من السنين الأرضية

(مجموعة حلقات زحل)

هي ثلاث حلقات سبكها رقيق جدا وعروضها غير متساوية والحلقة الخارجة مفصولة عن المتوسطة بفرافغ وأما الحلقة الداخلة التي هي أقرب الى السيار فيظهر انها ملاصقة للثانية والوسطى ألمع الثلاثة وأكثر استعانة من كرة زحل والحلقة الخارجة لو انها ستعجابي مثل الأحزمة العتمة من القرص تقريبا وكلاهما بين الحلقتين مظلمتان ويخفان على زحل فلا ظاهرا جدّا . وبمجموع عروض هذه الحلقات (٩٠٠٠٠)

﴿ أقمار زحل ﴾

هي ثمانية وقد سهاها العلماء بأسماء مثل (سياس) و (ديوني) و (ديا) الخ وعينوا مدة دوراتها وأبعادها بالكيلومتر وأصاف أقطارها وقالوا إن أكبرها هو المسمى (تيتان) فحجمه قدر حجم قمرنا ثلاث مرات وهو أضوؤها . هذا ما تلقيناه من أستاذنا للرحوم حسن أفندي حسني ثم كشف بعد ذلك قران أحدهما سنة ١٨٩٨ والثاني سنة ١٩٠٤ كنهما عالم أمريكي وأعرب هذه الأقمار العشرة القمر التاسع فإن الأقمار كلها تدور حول الكوكب من الغرب إلى الشرق ولكن هذا يدور من الشرق إلى الغرب . أنظر شكل زحل والأرض



(شكل ٢) زحل والأرض

أورانوس قد كشف سنة ١٧٨١ كشفه (هرشل) والمسلمون نامون مختلفون . حجم أورانوس قدر حجم الأرض (٦٩) مرة بعده المتوسط عن الشمس (٦٧٥) مليون فرسخ ودوره (٨٤) سنة تقريبا أو (٣٠٦٨٧) يوما بالاضبط . وله أربعة أقمار وقسهاها العلماء وبنوها بالساحات ومعرفة الابعاد ومدة الدورات مثل قولهم (أوبرون) و (اربل) وهكذا

﴿ السيار بنقون ﴾

هو لا يتم دوره حول الشمس في أقل من (١٢٥) سنة تقريبا ولا يمكن أن يرى بالعين المجردة وقطره يساوي (٣٨٠) إذا أخذ قطر الأرض وحده وحجمه قدر حجم الأرض (٥٥) مرة تقريبا . وله تابع واحدته دوره حوله في خمسة أيام وأحدى وعشرين ساعة وهو قمره

﴿ سيارات صغيرة ﴾

هناك منطقة بين المريخ والمشتري رأوا فيها كواكب صغيرة جدا كأنها كانت كوكبا مثل المشتري أو نحوهم ثم تحطم وهذه ظلالا وقطعه فهي تدور في مداره بين الكواكبين وهناك ذوات الأذنان المسماة عند القدماء بذوات الشعور وهي عدد عظيم من الكواكب التي تتحرك حول الشمس ولها أذنان كأها مسحات مستقيشات وقد شوهدت نجوم ذات ذننين لها أكثر وذوات الأذنان تزيد عن (٨٠٠) وبزيادة الكشف الحديث يحتمل أن تعد بالملايين في المستقبل وقال (كيلبر) إن عدد ذوات الأذنان كعدد سمك البحار ومن ذوات الأذنان ما علم أن مدة دورتها حول الشمس تعد بالآلاف السنين أو بمئات الآلاف منها . ومنها ما يؤمل رجوعها عن قريب . ومن المعروفة جدا المذنب المسمى (هالي) ومدة دورتها (٧٦) سنة تقريبا حول الشمس ومنها ذات الذنب (انك) ومدة (٣) سنين و (٣١٠) أيام وهناك ذوات أذنان قال الفلكيون بروجوعها ولم ترجع وقد ظهرت في الجبل التاسع عشر ذوات أذنان لامعة لامعا شديدا . وأشهرها التي ظهرت سنة ١٨١١ وقد أثرت تأثيرا غريبا عجيبا وهي لا ترجع إلا بعد

ثلاثة آلاف سنة • انظر شكل مذنب سنة ١٨١١ الذي سيرجع بعد (٣٠) قرنا



وذات الذنب التي ظهرت سنة ١٨٤٥

حي ألمع جميع ما رؤى من ذوات الأذنان حتى ان قلبها وجزأ من ذنبها كان يرى في النهار وهي قريبة من الناظر اليها • وضوء ذوات الأذنان من انعكاس ضوء الشمس

(الشهب والحجارة الجوية)

يرى الناس في أكثر الليالي ما يشبه مشعل نارية تحترق بسرعة في الجو ترسم منحنيات مستقيمة وتختفي بسرعة بعد بضع ثوان وتسمى (نجوما ساقطة وشهب) وما هي إلا اجسام صغيرة جدًا تجري حول الشمس كما تجري ذوات الأذنان والسيارات الكبيرة والصغيرة فهي قابلت الجوز الأرضي سحنت بقابله الهواء فاحتقن بصير لامعة من الاحتراق ويرى وراءه ذيل مضيء ناشئ من احتراقها ويرى نواتي أو دقات ثم يختفي وقد تكثر

(شكل ٣) ذات الذنب في سنة ١٨٤٥

تلك الأجسام في بعض الليالي مثل العاشر من شهر أغسطس ونحوه والكرات النارية كالشهب غير أن حركتها بطيئة وتحدث فرقة بالقرب من الأرض وما وقع منها على الأرض يسمى (الحجارة الجوية) والكرات النارية قليلة • الى هنا انتهى الكلام على السيارات وذوات الأذنان والشهب والحجارة الجوية والكرات النارية ونأتى أحد الله عز وجل الذي ألهم وعلم وسهل حتى اختصرت المقام اختصارا وأحضرت بعونه تعالى بين يديك بعض ملكوت السموات والأرض لتكون من المؤمنين فوالله لهذا أنزل القرآن دالا على هذا

فياليت شعري ما هذا الكون التاسع وما هذه السيارات الجليّة والأقمار الباهرة والابعاد السديرة والأنوار الساحرة وذوات الأذنان التي لا ترجع والتي ترجع بعد آلاف السنين وكيف كانت شمسنا لما هذه الحاشية العظيمة المختلفة الأقدار والابعاد والأشكال والأزياء والملابس والأعمال فمن زحل والمشتري العظيمي الحجم الى شهب لا تعدو الواحدة منها فمرا البلاطه • كل هذه تجري حول شمسنا كما تجري أرضنا وبهذا انتهى الكلام على لفظ (كوكب) المذكور في الآية

(الكلام على القمر المذكور في الآية)

تقدم في هذا التفسير حساب السنين القمرية وذلك في آخر (آل عمران) ومعرفة السنين الكيسية والبسيطة فلا نعيده وذلك من أجل سير القمر • سطح القمر يساوي واحدا من ١٤ من سطح الأرض قريبا وحجمه يساوي واحدا من خمسين من حجمها قريبا • والبعد المتوسط لمركز القمر عن مركز الأرض يساوي نصف قطر خط الاستواء الأرضي (٦٠٢٧٣) مرة

للقمر (٢٢) جبلا ارتفاعها يزيد عن (٤٨٠٠) مترا وهو ارتفاع الجبل الأبيض وقد سهاها العلماء بأسماء وقاسوها بالأمطار مثل ارتفاع جبل (دوفيل) وهو (٧٦٠٣) أمتار • وتلك الجبال صفاتها بركانية

بالكلية ولها من أعلاها فوهات مستديرة قطرها يبلغ (١٥) فرسخا وهمق التجايف يزيد عن الارتفاع الخارجي وقد يصل الفرق الى (٧٠٠٠) أو (٨٠٠٠) مترا وليس للقمر جوى وما على سطحه وعرفوا هذا بكسوف النجوم التي تمر خلف الحافة المظلمة بقرص القمر فانها تنطق بنبضة فلا يحصل فيها نقص تدريجي بسبب غاز يحيط به وإذا اتفق هذا فلا يكون هناك عمار ولا نوع من السوائل وكيف يكون هناك ماء ولماذا لا يحفظه من الانطلاق في الجوى على هيئة بخار مرة واحدة إلا ضغط الجوى الهوائى فإذا لم يكن جوى ذهب الماء حالا . فاذن لا يمكن أن يكون هناك نبات ولا حيوان فالقلب على الظن أن القمر غير مسكون . انتهى الكلام على القمر

﴿ الكلام على الشمس وهي الثالثة في الآية ﴾

نصف قطر الشمس (٦٩٢٠٠٠) كيلومترا وسطحها قدر سطح الأرض فيما تقدم (١١٨٠٠) وحجمها قدر حجم الأرض (١٢٨٠٠٠) مرة . وبعدها عن الأرض قد تقدم هناك ضوء الشمس كما قال (الراجوا) أنه من ضوء (١٥٠٠٠) شعة وهو قدر ضوء البدر (٣٠٠٠٠٠) مرة ورأى (والستون) أنه بقدره (٨٠٠٠٠٠) أى أنه يلزم ثمانية آلاف بدر أو ثمانمائة ألف بدر في السماء لاحتدات نهار مضى كنهار الشمس في وقت محو

﴿ لطيفة ﴾

وهنا عجب عجاب فنقول . ان مسألة الأنوار ذات حكمة عالية ترىنا اختلافا باهرا فينا نرى الكواكب في السماء وهي تبلغ نحو ستة آلاف أو أقل أو أكثر ترى بالعين المجردة وكل منها له نور ومع ذلك لانضى لنا الطرق والمسالك لضغف ضوئها الواصل الى أرضنا فالتجمة الواحدة ضوؤها جزء من ستة آلاف جزء من المجموع وهذا كله ليس شيئا من كورا بالقيسة للبدر الذي نوره جزء من ثمانمائة ألف جزء من نور الشمس ونور الشمس جزء من ثمانية آلاف جزء من نور السماء الراح كما لص عليه الورد (الوفرى) والسماء الراح وراءه كواكب أضواء منه . وهذا غاية العجب أن يكون ضوء الكواكب الواصل إلينا جزءا من مئات الآلاف من ضوء البدر وهو جزء من مئات الآلاف من ضوء الشمس وهو جزء من آلاف من ضوء كوكب آخر يبعد عنا مائتي سنة بسبب النور وهو السماء الراح كما تقسم فاذن اختلاف الأنوار للمشاهدة يفوق التصور فان نسبة البدر الى السماء الراح

١

٨٠٠٠ في ٨٠٠٠٠٠

٨٠٠٠٠٠٠٠ في ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ أى جزء من ستة آلاف وأربعمائة مليون من ضوء السماء الراح

﴿ فصل في نسبة ضوء الشمس الى أضواء الكواكب على حسب منظرها من الأرض ﴾

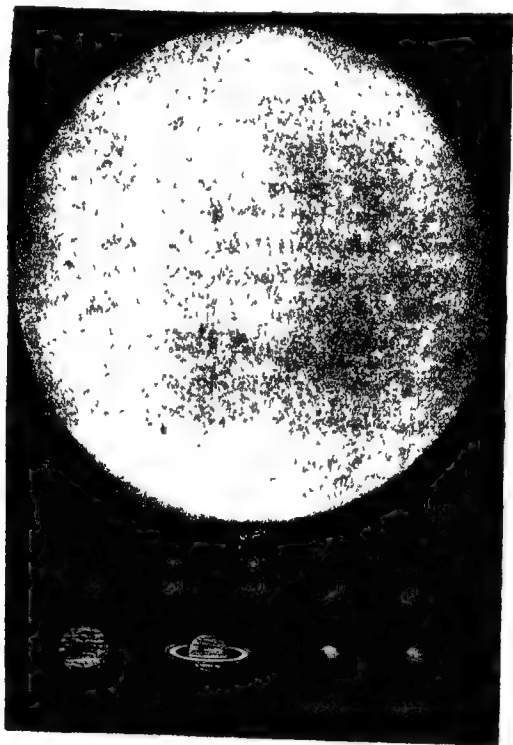
لقد علمت نسبة البدر الى الشمس وأن أعظم مقدار له قدره العلماء أنه جزء من ثمانمائة ألف جزء من ضوء الشمس أى أنه لو كان هناك ثمانمائة ألف بدر لكان ضوؤها مجتمعة يساوى ضوء الشمس . أما النجوم فان أضواءها وألوانها كالنصرى البمانية يحتاج ضوؤها الواصل إلينا الى مقدار عشرة آلاف مليون مرة حتى يصل ذلك كله الى أن يكون كضوء الشمس

وأوسط الكواكب كالمبيوق يحتاج ضوءه الى مضاعفته ستا وخمسين ألف مليون مرة فلا أن هناك (٥٦) ألف مليون نجمة في ليلة واحدة لصار الليل نهارا

وأضعف الكواكب قد قيس نوره فوجد أنه لو جمع نور (٥٥٠) ألف مليون من أمثاله يساوى نور شمسا . هذه هي الباحت التي برزت على يد العلماء في أمريكا وأوروبا التي بذلت للناس قاطبة ويحتمل منهم والتي بها عرفنا جلال الله وبدايع صنعه وغرائب حكمه

(مقايضة)

ان اختلاف الأضواء الواصلة إلينا من شمس وقر وكواكب دلتنا على درجات تمدد بالملايين وألوف الملايين والعقل والعلم شيهان بالنور فلا عجب إذا اختلفت العقول اختلاف الكواكب فمن الناس من عقله كالصوق الذي هو أضوأ من نجوم ضعيفة • ومنهم من عقله كالشمس • ومنهم من عقله كالقمر • ومنهم من هو كالشمس واذ عرفت ذلك تفهم كيف يشبه النبي ﷺ بالشمس وذلك لعموم تعليمه ولاصل لعالم إلا على مقدار ما أثر في الناس ففهمهم بعلمه - وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا - انظر شكل المجموعة الشمسية



(شكل ٤) المجموعة الشمسية

هذا بعض ملكوت السموات والأرض الذي يورث اليقين

﴿ آراء صفار العلماء وجيع الماتة في أمة الاسلام ﴾

يطلق صفار العقول من المتعلمين والجهلاء أن نظر التحليل عليه السلام الى الكواكب والى القمر والى الشمس بالنظر الظاهري وعلى هذا لا يكون هناك فرق بين نظر التحليل ونظر الماتة والجهلاء فاذن اليقين أمر سهل وهذا من الضرور الذي طمس على البصائر في أمتنا فتركوا العلوم فأرسلها الله الى أوروبا لما اغفلها وجهلها المسلمون ألا وان ما ذكرناه ونحوه مظاهر للسكوت وأحوال الناس مختلف ففهم من ارتقوا وأدركوا بواطن لا يدركها إلا هم - وفوق كل ذي علم عليم - اه

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ﴾

وللائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم - ﴾

يسمع المسلمون اليوم كيف أصبح القرآن يظهر تفسيره على لسان الأرواح في أوروبا . أصبح القرآن ظاهرا على ألسنة الأرواح الناطقة من عالم النيب في أوروبا وأمريكا . في انكلترا وألمانيا والنمسا وإيطاليا والمسلمون نائمون نائمون لا يعلمون شيئا والقرآن يقول - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق - ويقول في هذه السورة - والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق - والذي أراه أن هذا هو الزمان الذي ظهر فيه القرآن بالعلم الحديث فصل طبقات الأرض من جهة وعلم الفلك وعلم الطبيعة كل واحد من جهة كما رأيت في هذا التفسير ولكن من ذا كان يظن أن علم الأرواح يخاطب البشر وبماذا يخاطبه يخاطبه بنفس مافي القرآن ومن حكمة الله انه جعل المسلمين اليوم في مجموعهم غافلين وأطلق الأرواح وأظهر العلوم على أيدي الغربيين وهم نصارى حتى اذا جاء مؤلف هذا الكتاب ونقل عن الأوروبيين ما يفيد معجزات القرآن لم يتطرق شك للعلماء في صدق الباحث لأنها لو قالها المسلمون لقال الناس انهم يريدون تأييد دينهم . أما الغربي فليس يهتم إلا بالحقائق ولا يبالي بدين من أديان الأرض في جانب العلم فضلا عن الاسلام الذي لا يدين له . فانظروا أيها المسلمون ظهور هذه الآية على لسان الأرواح

﴿ ملخص ما نقل عن الأرواح في حال الموت في الجمعيات النفسية ﴾

إن الناس قسمان . صالحون وفاسقون وللموت إما جاني وإما أن يتقدمه مرض أو كبر في السن وضعف فالملوت الفجائي مزيج للنفس . وقالوا ان للروح الانسانية جسيمن جسما لطيفا شفافا وجسما أرضيا وهو المعروف ومعنى نزع الروح أن يأخذ جسمنا الكثيف الأرضي يتخلص من الجسم اللطيف الروحاني المحيط بالروح وكلما كان الانسان صالحا أو مريضا أو كبيرا في السن كان الانفصال أسهل وكلما كان الانسان أكثر ظلمة وفسوقا وجسما لئال والولد والجاه وأمور الدنيا كان الانفصال أقسى وأقوى وأصعب

والشهوات والدنوب أكبر الفواعي للعائب التي تحمل بالنفس عند التزع لاسباب الدين لا يقرون بحياة أخرى فأولئك يضطربون ويقاسون عذابا لا يطاق . فإذا انفصلت الروح من الجسم وكانت مادية متشعبة جلهلة بخيلة ظالمة الى آخره أحست بالام لا تطاق فرأت من هم أدنى منها منزلة صاروا أعظم منزلة وأعلى مقاما فيصل هناك عذاب لا يطاق وتبقى تلك الروح محوطة بغلاف ظلماتي يحجبها حتى لا تخلص اليها أحد من الأرواح العالية ليعرفها حقيقة الحياة التي وودت اليها . وأما الروح الثقيلة الصالحة فانها تخففها واستعدادها للعلم تكون عند الموت مشتاقة غير مفكرة في الدنيا بل هي فرحة متعطية خلاصها من هذه الأجساد الثقيلة فهذه تشهد مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إذ تلمن هذه الكواكب والشموس وترى سكانها ونظامها وتطلع على جمال وبهاء وأتوار مدته حتى تسكر من تلك المنظر مسكرا يغمرها سنين ثم اذا جاء أجلها نقلت الى عالم لطيف شريف تزيد فيها معارف النفس وتعرف من العلوم ما لا يتصوره أهل الأرض ثم ترتفع درجات فدرجات فدرجات فالتطف فالتطف حتى ترى الله جل وعلا . وهذه الطريقة قول الأرواح

عزيزة جدًا • وتكون تلك الأرواح العالية مدبرة للعوالم بإذن الله تعالى فتدبر الملك لما لها من الخبرة الواسعة والحكمة والعلم وليس يتولى التدبير العام إلا أرواح لاخطأ عندها ولاغلط وليس هناك اختصاص بل الأمر بالعدل فاجب كيف كان كلام الأرواح على يد غير المسلمين أصبح ناطقا بالقرآن وكيف يكون للمرمر بالدنيا وللذنب في ذهول وقت الموت لايدري بالعمل وربما بقي كذلك سنين وهو في عذاب لا يطاق وكيف تخرج روحه على كره منه لتعلقه بهذه الدنيا وكيف تأتي الأرواح العالية فتلاطف الصالحين لأنه ليس حولهم حجاب يحجبهم • وكيف تكون الأرواح الصالحة متمتعة بمحادثة الأرواح العالية لتعلمها كيف ترتقي وكيف يكون ذلك كله مطابقا لنص القرآن فتقوله هنا - أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون - نطق به الأرواح ويقول في سورة أخرى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة - أي عند الموت - أن لا تخافوا ولا تحزنوا إلخ - وهذا نفسه ما تقوله الأرواح كما تقدم • وكيف يقول - فأما إن كان من المقيمين فروح وربحان وجنة نعيم - وقد نطقت به الأرواح أيضا • وكيف يقول - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون • أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون - هوعين ما قالته الأرواح أيضا وقال - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة • وفي الحديث من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه • وفي الحديث أيضا سترون ربكم وفي الآخرة - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - وبه قالت الأرواح وقال - كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - بل تقول الأرواح يكون الفجار محجوبين أيضا عن الأرواح الصالحة • والحاصل أن ما نطق به القرآن في الآخرة نطق به الأرواح بعد الموت باعتبار أن الموت أول منازل الآخرة وأن الحساب من يوم ساعة الموت وهذا من أعجب المجائب - والله هو الولي الجيد - • انتهى للمفسر الثاني

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ • فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْذَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّهْمَانُ مُشَقَّيَا وَغَيْرَ مُنْشَأِيهِ أَنْظَرُوا إِلَى تَحْرِيهِ إِذَا أُمِرَ وَيَنْعَمِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ •

(التفسير القلبي)

يقول الله إن الله يخلق النوى والفرع والقمح والشعير والأرز وهذا هو الحب • ويخلق النوى جمع نواة وهي ضد الحب كنوى الرطب والمشمش والخوخ وهكذا النطفة والبيضه • ومعنى فلق هذه الأنواع خرج منها نبات القمح

والشعير والأرز وأشجار النخيل والشمس والخوخ والانسان والطائر وخروج النبات والشجر من الحب والنوى والالسان والطائر عبارة عن حياة فالنبات والشجر أحياء خرجت من الأموات لأن النامي حتى وغير النامي ظاهرا كليت لاس -س- به ولاحركة فيها يظهر للعيون كما يخرج المؤمن من الكافر والذي من البليد والصلح من الطالم وهكذا يخرج الحب والنوى والكافر والفاسق والبليد من النبات والنخل والمؤمن والصلح هذا هو قوله تعالى (إن الله فائق الحب والنوى) المفسر بقوله (يخرج الحي من الميت) ثم عطف على فائق قوله (ويخرج الميت من الحي) ذلكم) الهي للميت (الله) الذي يستحق العبادة (فأني تؤفكون) تصرفون عنه . واعلم أن الناس لا يرون منه إلا قليلا فان ملايين من الحيوانات تعيش في نقطة صغيرة من الماء تعلق برأس الابرة مثلا وتموت وتكاثر وتموت كما تعيش حيوانات البر في الغفار وحيوانات الماء في البحار وهي تتقاتل وتتعارب ويفترس بعضها بعضا كالكواسر والجوارح لا غلوا منها مستنقع وتصدد في البخار الذي يتصاعد من الماء بحرارة الشمس وتطير في الجوقع الهباء ثم تعيش وتكثر أينما نزلت ووافقتها الرطوبة والحرارة وهذه الحيوانات مع صغرها تصجر وتصير منها طبقات مقسمة من (الطباشير) في الأرض وتربة طرابلس التي يسفل بها مؤلفتها وكل حيوان منها في التربة يسارى ————— ١٨٧٢٠٠٠٠٠٠٠ من القمعة والطباشير مؤلف من

أصداف غاية في الدقة كذلك ومعلوم أن لكل حيوان منها معدة والطعام يدور من أفضية متعددة في جسمه وطعامها مؤلف من دقائق سائلة وجامدة مثل الانسان والحيوان . ولا جرم أن هذه الدقائق أصغر من الحيوان للذكور فدقة الحيوان ودقة ما يأكله تحير العقول . ولقد جاء بنا عن هذه الحيوانات في ١٧ ابريل سنة ١٩٢٤ بالجراند المصرية . ذلك أن حيوانات دقيقة كهذه ظهر منها نوعان في أمريكا نوع منهما يأكل الأسماك المعدنية ونوع هو دود يهدم قناة (بناما) ويسمى (الدودة الهادمة) وبالنوع الأول عطل خرس هدد (التلفون) في أمريكا والنوع الثاني يحضر ألقا حقيقي تحت الأرض وقد أحدث بقناة (بناما) ضررا يقدر بالملايين والدودة الواحدة تلد مليون دودة في العام اه

ولما كان النبات والشجر من نتائج الأنوار السبوية والحرارة الجوية أتبع الكلام فيما ذكر سببها وأبان انه شق همود الصباح عن سواد الليل تميز بنوره عن ظلمت معترضا في الأفق الشرق والاصباح في الأصل مصدر أصبح اذا دخل في الصباح سمي به الصباح ويصح أن يقال (فائق الاصباح) أى خالقه يقول كاشق النواة والحب والبيضة والنطفة فاختلفت وخرج منها تلك الأحياء شق الطلعة فأخرج منها همود الصباح فتشابه العالم العلوي والسفلي كلاهما فيه الحب نور اشتق من الظلام وأحياء من الأموات - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فتشابه وتشاكل الأمر ترى النور بهر في السماء والحي - ظهر في الأرض هذا من الجداد وذلك من الظلام . ثم أكل الكلام على العلويات فقال (وجعل الليل سنا) يسكن الناس والحيوان فيه من التعب الذي لا قوه في النهار فلا يتحركون ومن قرأها جعل عطفها على فائق بمعنى فلق والليل مفعول لجعل أو لجعل على القراءة وجعل للاستمرار في الأزمنة المختلفة وعطف عليه قوله (والشمس والقمر حسيان) مصدر حسب الفتح كما أن الحسبان مصدر حسب بالكسر فهما أى على أدوار مختلفة تحسب بهما الأوقات كما أوفتها في البقرة وآل عمران وغيرها وهذا اسم الكلام على الأحياء والأموات في الأرض والنور والطلعة في السماء (ذلك) أى التيسير بالحساب للمعالم (تغير العزيز) القاهرة فوق عباد بحيث سيرها على وجه مخصوص (العلم) بتدبيره وكيف رأى أن المصلحة في هذه اللورات طولا وقصرا وطلبة وإضاعة نعم هو قاهر ومع هذا القهر لا يسئل إلا لحكمة كما تقدم في قوله - وهو القاهرة فوق عباد - وهو الحكيم في هذا للنهر العلم انه هو الأقبح خلقه يا محبا هذه المواقف البديعة

ثم أخذ يشرح بقية الشمس المشرقة التي تسمى عندنا نجوما فقال (وهو الذي جعل) أي خلق (لكم النجوم لتتدوا بها في ظلمات البر والبحر) أي في المسالك والطرق المشتبهات في البر والبحر إلى حيث تريدون فترصدون تلك النجوم كالنجم القطبية التي هي كأنها ثابتة لا تتزحزح من مكانها وهكذا النجوم الأخرى والبوصلة التي اشتملت على الأبرة المغناطيسية التي كسبت المغناطيس بالطرق المعروفة عنكم تقوم مقام النجمة القطبية إذا أظلم الجوّ بسحاب أو غيره فانها تتجه إلى الجنوب والأعمال مع بعض اعتراف بتغير بقوانين مخصوصة منها تعرفون الطرق والمسالك فالهداية في البر والهداية في البحر إنما تكون بالنجوم أو بما يقوم مقامها وذلك كله بحساب ولقد جعلت الدول القريبة كإندونيسيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا معاهد خاصة لتعليم حساب هذه الكواكب حتى يعرف الرابن في وسط اللجج البحرية وظلمات الليالي وفي الطرق المشتبهات النجوم الظاهرة وبروجها ومنازلها فيرصدونها ويهتدى إلى سواء السبيل

ولما كان الأمر يعوزه علم وحكمة قال (قدف لنا الآيات) أي بيناها وأظهرناها (لقوم يعلمون) فهو لاهم الذين يتفقهون بما فصلنا لأنهم به ينتفعون ويألت شعري كيف يفوز الفرحة بهذه العلوم ويقسمون البحار والطرق البحرية ويختصون بعلم النجوم وبحرم المسكون من ذلك . كل هذا لأنهم جهلوا بدعهم جهلا تاما إلا ظواهر العبادات . اللهم اني أبرأ اليك من الكتمان وأنت أحكم الحاكمين فقد نصحت لهم جهدي واني ذاهب اليك وقد فصلت ما في طائفتي بنشر الكتب وتأليف هذا التفسير . أقول هذا وأنا موقن أن الله سينزل غضبه على من يكتم العلم بل على من يقرأ بعض هذا التفسير ولا يوضح المسالك بالبحث في العلوم كلها ولا يبينهم إلى الخطر الداهم . ولما أتم الكلام على العلويا التي ذكرها كالسبب للسفليات أي لآحياء النبات والشجر والطيور والإنسان أخذ يتم الكلام على علم الحياة بعد الفراغ من فهم مصدرها وسببها فشرح خلق الإنسان وخلق النبات شرحا لقوله - يخرج الحي من الميت - ولم يشرح إخراج الميت من الحي لأن المقام مقام ظهور وحياتة لامقام موت وخفاء وظهور جلال القدرة وجمال الحكمة ومجانب الحياة وقدم الإنسان لأنه أكل والحيوان بعده فقال (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) وهذه تقدمت في أول النساء فلتم استقرار في الأصحاب واستيداع في الأرحام . ولما كان خلق الجنين في بطن أمه من أعجب المجامع كما تقدم في أول سورة آل عمران يحتاج إلى فكر دقيق يعبر عنه بإلفاظ قال (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج به) بالماء (نبات كل شيء) أي نبات كل صنف من النبات وهي مع اختلافها تنسب إلى واحد وتعيش في هوا واحد بعضها أفضل من بعض في الأكل (فأخرجنا منه) من النبات (خضرا) شيئا أخضر يقال أخضر وخضر كما يقال أعور وعور (تخرج منه) من الخضر (حياتا كما) هو السفل (كالطير) يضم فسكون المسمى بالكوز في القدر وكسفل القمح (ومن النخل من طلهما قنوان دانية) قنوان مبتدأ خبره من النخل ومن طلهما بدل منه يقول وقنوان دانية أي قريبة من المتناول كأنثى من طلع النخل وقوله (وجنات من أعناب) عطف على نبات كل وعطف على - نبات كل شيء - قوله (والزيتون والرمان مقشاه وغير متشابه) حال من الزيتون والرمان أي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الطعم واللون والقدر والهيئة وترى ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرها مختلف (أنظروا إلى ثمره) جمع ثمرة (إذا أثمر) أي إذا أخرج ثمرة كيف يختلف زهره ولونه وأوقات طواف الحشرات على الزهرات وكيف يختلف نوع النبات باختلاف الأزهار وكيف جاء العلم الحديث بفعل مدار علم النبات على أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث وكانت هذه أهم مقام به العلم الحديث في النبات بحيث كان المدلل في تفصيل أنواع النبات وأجناسه وضائفه على هذه المسألة . وأوجب كيف غفل المسلمون عن هذا العلم . وكيف يقول الله - أنظروا إلى ثمره إذا أثمر - (وبينه) أي نصحه وأدركه والينع في الأصل مصدر ثم نعت به الثمرة إذا أدركت وقيل ينع جمع يافع كتابر ونجر . وفي قراءة

- ينعم - بضم الياء وهي لغة فيه (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) والآيات أى العلامات للمؤمنين في هذا اللقمان لاحصر لها فهي علم النبات وما كشفه الكاشفون ومادرسه المدارس ولللموم هم النائمون اللهم انى موقن أن الاسلام سيكون في مستقبل الزمان . فأما اليوم فأنا هي ظواهر وقشور فأما الجبل فهو ضارب أطنابه الآن في بلاد الاسلام وعسى أن أمثال هذه الآراء في الأمم الاسلامية تكون من الأسباب التي وضعا الله في بلاد الشرق ليخرج بها اصباح الاسلام وينلق بنوره ظلمة الجهالة الخالصة المدلومة فنقول فالتى اصباح الهدى والنور عن ظلمة الجهل والفساد كما فلق همود الصبح وخلصه من ظلمة الليل وكما أخرج الحمى من الميت . اللهم انك تخرج العالم من الجاهل والحمى من الميت فأخرج من هذا الجبل الاسلامى النائم جيلا مستيقظا بل ان في الآية دلالة على ما أقول فان الظلام بعده النور والموت بعده الحياة فهكذا الاسلام اليوم في نوم عميق وقد آن أوان ارتقائه وأقبل يوم اسعاده هذه الآية مما يشير الى هذه المعاني ويرشدنا الى تحقيق هذه الأماني بل هذا اللقمان من الدلائل التي استدلت بها (سقراط) على البعث والحشر فقال ﴿ كل فجر بعده غنى وكل جهل بعده علم وهكذا الأضداد يتبع بعضها بعضا ﴾ وهكذا يقول رب سقراط فليشير للمسلمون باقبال الزمان وسعادة الأمم الاسلامية . أقول هذا وأنا موقن بما أقول - ولنعلم نبأ بعد حين - انتهى التفسير اللغوى

{ لطائف }

(اللطيفة الأولى) البدائع والجباب في قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى -

(اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - فالتى الاصباح -

(اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها -

(اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - وهو الذى أنزل من السماء ماء -

(اللطيفة الخامسة) - أنظروا الى عمره اذا أثمر - وهناك تنظر رسم الزهرة الذى جعلت مفتاح علم النبات

{ اللطيفة الأولى البدائع والجباب في قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحمى من

الميت ومخرج الميت من الحمى ذلكم الله فأتى تؤفكون • فالتى الاصباح - }

يقول الله عز وجل هنا - يخرج الحمى من الميت ومخرج الميت من الحمى - ثم يقول - فالتى الاصباح -

ويقول في سورة آل عمران - تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحمى من الميت وتخرج

الميت من الحمى - فليفكر المسلمون في هذا الاقتران كيف يقرن اخراج الحمى من الميت والميت من الحمى في

المقامين بالأضواء والأنوار فهناك في آل عمران يقدم الأضواء والأنوار على الاخراج وفي الأنعام هنا يقدم

الاجراج على الضياء . وبأيت شرى أى علاقة بين الضوء وبين النبات والحيوان

{ عجائب النور وغرائبه }

لا يابه الناس بالنور ولا بالهواء ولا يعرفون أن هذا النور الذى لاطم له ولا وزن ولا يباع ولا يشتري ولا

يحزن وإنما يرسل من الشمس والكواكب البينا ونحن ساهون وبذهب عنا ونحن لاهون لا بدري الناس

أن هذا النور هو الذى به يكون تدبير حركات النبات وحياته وحياة الحيوان

أولا ماهو النور . اعلم أن الأصوات التي نسمعها والنور الذى نراه لم يكونا إلا حركات فعدد الحركات هو

الذى يجعل هذا صوتا وهذا ضوا . أفلا تعجب من هذه الدنيا كيف تكون الأصوات ليست شياً سوى

الحركات والأضواء ليست شياً سوى الحركات فإذا تكلم انسان أملاً أو أوحى حركات في الهواء أولها، وألجاء

فان الهواء المحيط بنا يتموج بموجات كثيرة بحيث لا تزيد عن (٣٢) ألفاً في الثانية الواحدة واذن نسمعه فحركات

الهواء الحاصلة بموجها بما أصابه من الحركات كما يتحرك ماء البحر بالقاء حجر فيه ويصنع دوائر تتسع كلما بعدت

عن المركز وتكون أصبى كلما قربت منه هي التي تحدث الصوت وتكون عدد الحركات في الثانية الواحدة لا تزيد عن (٣٢) ألفا تقريبا لأن الصوت إذ ذاك يكون مرتفعا جدا فإذا زادت عن ذلك لم تقدر على استماعه وتكون حركات الهواء بعد ذلك لاعلم لنا بها

وجعل العلامة (هلمهتز) صوت الموسيقى (٣٨٠٠٠) اهتزازة في الثانية وجعل ألتصها (١٦) اهتزازة ففى نقصت عن ذلك لم نسمع صوت الموسيقى ومتى زادت الحركات عن ذلك لم نسمع شيئا البتة وما فوق هذه الحركات فى الهواء لا يدركه الناس ولا يعرفونه

فأما حركات الأثر فلا يعرف الناس منها إلا ماوصل الى (٤٥٨) ألف ألف ألف أى ٤٥٨ ترليوناً من الاهتزازات فى الثانية الواحدة ولا تزال الاهتزازات تزيد الى غاية (٧٧٧) ترليوناً فيكون اللون البنفسجى وهو آخر الألوان التى تشاهد فى قوس قزح وماعداها فهو أقل منه . فبين لك بهذا أن الصوت حركات وأن الضوء حركات وكذلك الحرارة حركات ومقدار الاعداد فى الثانية هو الذى يعين الحرارة ويعين الضوء ويعين الصوت وأن فى العالم الذى سكنته من الحركات التى لها نتائج مالا نصل اليها ولا علم لنا بها لأن الحرارة والصوت والضوء ما هى إلا أعداد مخصوصة معاملة وما زاد أو نقص تبجبه جهلا بنا وغاية الأمر أن الناس كشفوا أشعة وتجن وأشعة الراديو التى تخترق الجواىز الكثيفة فترى ما وراءها وهذه الأشعة تهاهتزازات أسرع من الضوء المعروفة ويجعلون ماعدا ذلك

فنحن الآن فى جو من الجهالة العمياء فإن حواسنا لم تعرف من العوالم المحيطة بنا إلا أعدادا محدودة من الحركات وماعداها لا نعرفه وهو لا يتناهى . ومن عجب أنهم أيام طبع هذا التفسير صنعوا حجرا من (السيليوم) سلطوا عليها نور بعض الكواكب المسمى (كايلا) وهو يبعد عنا ملايين الملايين من الكيلومترات ثم ضاعفوا التيار الكهربائى الناشئ عن وقوع النور على ذلك للمعدن فتحوّل النور الى صوت سمعوه بأذانهم فباله من حادث مزعج لقد أصبحت النجوم نسمع كما كانت ترى وأصبحت نتابع البشر كما نتابعونها وقد أعلن فى أكاديمية العلوم الفرنسية فى أوائل هذا الشهر (أبريل سنة ١٩٢٤) أن العلماء يواصلون تجاربهم فى هذا الشأن فى معمل (الانفايد الكيماوى) وإن هذا الكشف سيحدث انقلابا مدعشا فى العلم هذا تمام الكلام على تعريف الصوت وحركاته وأصواته التى لم نعلم الا فى هذا الشهر فلتنظر ولتستجب من هذا العالم الذى نعيش فيه . ضوء نراه بأبصارنا يظهر لنا العلم انه حركات وتلك الحركات مقدرة فى الثانية وهذا الضوء متى لامس معدنا خاصا وجعل فيه نوع من الكهرباء ظهر له صوت فكان النجم الذى ننظره بأبصارنا يصلح أن نسمعه بأذاننا هذه عجائب لنفس الضوء ألا فتجيب لأعماله

(أعمال الضوء ادلة النظام الأرضى (علم النبات))

اعلم أن هذا الضوء الذى عرفته انه حركات وانه ينقلب صوتا هو المدير والمهندس الذى يقوم بشؤون العوالم النباتية وهذا المهندس تحتها عاملان يعملان تحت إشرافه فأحد العاملين هو الورق والثانى هو الجذور اعلم أن النبات ليس له جوف لضم غذائه ولا له قلب لادارة سائلاته فى كل أقسامه كما للحيوان بل يحس غفاه من التراب بواسطة جذوره ومن الهواء بواسطة أوراقه وبالأوراق أيضا يدفع الى الخارج ما لا ينفعه . فهنا جذور تحصد وورق وههنا ورق لا فراز ما لا ينفع . ان غذاء النبات منه اللاتحات ومنه الموجودات الهوائية (الغازية) فأما الجامدات فلا حظ للنبات فيها

وفى الماء مواد غازية ومعدنية مذوبة فيه ففى حلت الجذور الماء الذى امتصته صعد بما معه من المواد المعدنية والغازية فى ألسجة النبات الى الأجزاء التى فوق سطح الأرض المعرّضة للهواء فيدخل الأوراق

(إيضاح هذا المقام)

انتا نشاهد أن الحق الذي نهيش فيه يحتوي على أدخنة من الآلات البخارية وتلك الأدخنة أجزاء خفية (الكربون) وهكذا كل أنفاس الانسان والحيوان مشتملة على نوع من هذا الفحم أو (الكربون) كالذي تنفسه الآلات البخارية بدليل اننا اذا تنفسنا في المرآة حصل على وجهها المصقول الزجاجي طبقة تحجب عنا صورنا فيها وتلك الطبقة هي الفحم الخارج مع نفسنا من الرقة حينما صلح الدم تفرج ما فيه من المواد المحترقة الكربونية الخارجة من أجزاء أجسامنا كما خرجت المواد المحترقة في الآلات البخارية من المداخن سواء بسواء . فهذا النشأ يسير في الحق فيصل الى أوراق النبات . وهذا هو الغذاء الذي يدخل في ورق النبات فهذا هو المسمى (الحامض الكربونيك) ففي تناوله الورق واجتمع بالماء الذي امتصته الجذور بقابلهما النور فيكون منهما معا النشأ المعلوم والنشأ هو الذي يذوب اذا مضت حبة قمح في فك فما ذاب منها في ريقنا سميناه نشأ وما بقى لزجا سميناه (المواد الشبيهة بالزلال) ثم ان الحذور اذا امتصت أكثر مما يلزم من المواد المائية تحولت بخارا في الأوراق وتطير في الحق فتتخفف درجة الحرارة كما تتخفف درجة حرارة الماء اذا كان في الضمار وقت الحر

ثم ان هذا النشأ المركب من الكربون والاكسوجين والاوروجين لا يتم له ذلك التركيب إلا بفعل المدة المألوفة الخضراء وهذه المادة المألوفة لا تتم إلا بفعل النور فيها بدليل ان الحذور لا تلون به لاحتياجها عن الشمس بجوهر الأرض ولابد من مادة حديدية يمتصها النبات للمادة المألوفة حينما يأخذ الورق الحامض الكربونيك من الهواء لتحلل الحامض المذكور بفعل النور فتبث أحد جزئيه وهو الاكسوجين الى الهواء وترسل الجزء الآخر وهو الكربون في جسم النبات فيتحد مع أكسوجين الماء واليدروجين وهو النشأ فما النشأ المعروف الأبيض الا ماء . ولحم تركبتم هذا الغذاء ينبت في أجزاء النبات فيصير قوة له ثم ان هذا النشأ مع المواد التي منها غاز التروجين التي تمتصها الجذور من التراب مذوبة في الماء الجارية في أنسجة النبات تتكون مواد شبيهة بالزلال يتغذى بها النبات فينمو سواء أكان عسبا أو نجما أو شجرا ويكون هذا الشبيه بالزلال مركبا مما تقدم (الكربون والاكسوجين واليدروجين والتروجين) ومن الكبريت ومنها المادة الغروية (أى المادة اللزجة) التي كلما زادت في الحب كان أشد تغذية وفي النبات مواد شبيهة بالقلوي وهي (المورفين والكيئا) ونحو المادة المعالة في الشاي وفي القهوة ومادة السليكا أيضا وهو الصوان وأما القصور فيدخل في المواد الزلالية

(الحب العجيب)

فانظر كيف حول النور مع ماتج منه من المادة المألوفة الكربون والماء الى نشأ وهذا النشأ يسير في الخلايا ويخزن منه في البزور ليكون غذاء في المستقبل ومنه ما يخزن في الجنوري في زمن الشتاء لينتفع به النبات فيما بعد وقد يتحول الى سكر بفعل المادة المألوفة أو الى مادة زيتية أو دهنية كما ترى في بزر القطن والابوز والخروع والزيتون وبزر الكتان . وفائدة هذه المواد للنبات كغذاءه النشأ . واعلم أن السكر هو نفس النشأ فاذا أضفت اليه ماء . وضعتهما في موضع دافئ يتحول النشأ الى سكر فيصير السيل حالو المذاق وترى ذلك في قصب السكر وعصير العنب وجذور الشمندر وفي جميع الأثمار الحلوة ثم انظر كيف كان هذا النشأ نفسه يقابل في النبات أملاها فيها التروجين وكذلك الكبريت فتكون المواد الشبيهة بالزلال . وذلك كله بفعل النور فلا بد من الحرارة ولا بد من النور ذلك النور المسكون للنشأ وللواد الزلالية

(الحيوان والنبات)

أفلا تعجب من هذا النظام وكيف يسير في الضوء وظلوه وعن غافلون يا عجباً لفعله الإنسان . ترى الكربون في الهواء ولست تشق الاكسوجين ولا تدري ما بهما من العجائب . فهذا الكربون يخرج من الإنسان ومن الأفران ومن الآلات البخارية كما تقيم ويذهب في أوراق الأشجار ويحلل الاكسوجين المصاحب له ويرسل في الهواء ليصلحه وكان الورق هو الرنة التي خلقها الله للهواء
فرتقنا في الاكسوجين وتدخله في أجسامنا وترسل الكربون الى الهواء هكذا الأوراق ترسل الاكسوجين الى الهواء والكربون الى النبات بعكس ما تفعل رتقنا

(كيف يتكوّن الحيوان)

إن عظام الحيوان تتكوّن من المواد المعدنية وعضلاته من النيتروجين وهو الاوزون ودهنه من الكربون ولما ضعف الحيوان عن تناول هذه المركبات خلق النبات له حوايا تلك المواد لتكون في بنية الحيوان فيعجبا كل العجب نشاء مواد زلاية مركبات من الكربون والماء والكبريت مع مواد أخرى من الحديد والمادة الصوانية والفسفور والبوتاس في النباتات البرية والصودا في النباتات البحرية والكلسيوم أى الجص والمورفين والكيما والاستركتين والفخسين والاثرويين و خلاصة الشئ و خلاصة البن . هذه المواد تكون في النبات ثم تكون بنية الحيوان . اشتراك عظيم ونظام جميل يارب ما أعجب هذه الدنيا وأجل نظامها

يا الله أتر بصائرنا حتى نقف على الجمال الذي أبدعته والنور الذي أنزله . يا الله نور في الحق نزل من السماء نورك الجليل الذي تحوّل على بعض المعادن الى صوت يسمعه الناس في هذا الشهر وهذا النور هو الذي حوّل الفحم الى نشاء مع الماء ثم حوّل هذا النشاء مع الاوزون والكبريت الى مواد زلاية وهذه المواد بها حياة النبات ثم هي مع مواد أخرى في النبات يكون بها حياة الحيوان . وكيف يارب كان الفحم لنا دهننا والأملاح لنا عظما والاوزون لنا لحما . وكيف يصير الفحم في أجسامنا دهننا والأملاح عظما والاوزون لحما وكيف نرى ما نخرجه أنفاسنا راجعا الى أجسامنا بهيئة دهن - إن ربك هو الخلاق العليم - . حقا لقد حارت الأفكار في هذه الحسك والعجائب

أوليس مما يدهشنا أن الورق له فعلان فعل ادخال الكربون وفعل اخراج الاكسوجين ويخرج الماء كما ترشح الفرية الماء ويخرج أيضا من الفتحات الصغيرة على قسا الورقة وقد حسب العلماء فتحات ورقة من شجرة التيلوم فوجدت (١٠٠٠٠٠٠٠) فتحة . ومن فوائد هذا البحر تبريد النبات في شدة الحر ألا ترى أن عباد الشمس يبخر كل (٢٤) ساعة نحو رطل ماء فكيف يكون مقدار ما يبخره شجر السنديان والبطم والقروب وأضرابها . هذه أفعال الأوراق

(الجنود وعجائبها)

أما أفعال الجنود فاما أعجب فانها تفلظ رقبته وحشوشة وتدفع الغراب عن جوانبها كما تدفعه عن أطرافها وهذه القوة النامية من غرائب الدهر وعجائب البر والبحر . أم ترانها تدفع الحجارة الكبار أمامها وتهدم جدران الأبنية التي تمتد تحتها أو بين حجارتها وفي الأقاليم الحارة الكثيرة الرطوبة يظهر فعل النبات في خراب الأبنية أقوى من فعل الزلازل والعواصف والنيان والأمطار لأن هذه القوى معا لا تقدر على ازاحة حجارة مثل حجارة قلعة (بعلبك) واهرام مصر واذا زهت خلالها يزرع تينة مثلا تنمو وتدخل خيوط جذورها في أدق الثقوب والخلل فتزج الحجارة من مواضعها . بهذا نفهم قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي - فهذا هو اخراج النبات من ماء وكربون وأوزون بفعل نور الاصباح

فيها المذكور بعدها فهو يقول - يخرج الحي - كالنبات والحيوان - من الميت - وهو الكربون والاوزون والماء والأملاح - وعرج الميت - وهي هذه العناصر - من الحي - وهو النبات والحيوان - ذلكم الله فأني تؤفكون - وإذا كانت هذه المواد الميتة تصرف فيها فجعلها نباتا وحيوانا ثم عليها فتصرف فيها بالتجليل والتركيب وأنتم منها فكيف تصرفون عن تصرفه فيكم . ثم أبان ما به التصرف في ذلك فقال - فائق الاصباح - وهذا هو مبدأ النور الذي به يكون تكوين النشاء وتكوين الزلازل من تلك المواد الميتة فيكون النبات ثم الحيوان . فانظر كيف أخرج الحي من الميت والميت من الحي . فبمثل هذا فليفسر القرآن للحكماء . وليفهم للعلماء اه

﴿ الطليقة الثانية في قوله تعالى - فائق الاصباح - ﴾

هنا أمران يحدثان في الأرض والشمس غائبة عنا . أحدهما يكون قبل طلوعها . والآخر بعد غروبها فأقول الأمرين هو الصبح وهو الضوء المنتشر قبل طلوع الشمس . والآخر هو الباقي بعد غروبها وهذان الحدان معدومان في خط الاستواء . ويتبدى ظهورهما في أول المناطق المعتدلة وكلما ازدادنا قربا من القطبين ازداد ظهورهما . ولذلك ترى أهل (لابونيا وسويد وسير) يمتكون أربعة أشهر تقريبا وهم لا يرون الشمس وإنما الشفق والفجر في هذا الليل الطويل يضيئان عليهم أضائة كافية تبصرهم في معاشهم واجتيازهم السهول والخصب والجبال والهاويز والأراضي الواسعة الثلجية . ويرى أهل تلك البلاد من الجبال والبهجت في الجو من اشراق النور الفجرى والشفق ما لا يعلمه ولا يحل به سكان المدارين أى مدار (السرطان) ومدار (الجدي) فالحكمة الإلهية لم تكمل اشراق تلك الأنوار الثلاثة الوهاجة البديعة ووصولها إلى غاية الجبال واليهاء إلا لسان الأقطار (الجليدية) جهة القطبين فلما تنبت مزدانة بحل سندسية ذهبية تدش العقول وتغير الأناب وتفتن أولى الأناب . فانظر كيف رأينا العدل جاريا مجراء فكما كانت الشمس أكثر اشراقا حين طلوعها . ترى غيرها وصباحها وشفقها أقل جالا وكلما كانت الشمس أقل ظهورا كان الشفق والصبح مشرقين باهرين جيلين يحبران الأبرار فهذه قسمة عادلة وحكمة باهرة . فأهل السودان المصرى لم يمنحوا جمال الفجر والشفق ولكن أهل الأقطار (الجليدية) يرون من الجبال ما يحير الأبصار . اه

﴿ الطليقة الثالثة في قوله تعالى - وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها - ﴾

معلوم أن بعد الأرض عن الشمس (٩٣) مليون ميل وهذه المسافة يطيرها طائر بسرعة مائة ميل في الساعة الواحدة وهذه أعظم سرعة للطير وهي سرعة الطيارات الحربية أيضا فهذا الطائر بهذه السرعة يصل من الأرض إلى الشمس بحيث لا يقف ولا ينام ليلا ولا نهارا صيفا وشتاء في مدة مائة سنة وست سنوات ونحو ٧ أشهر وهذا الطائر بهذه السرعة يقطع عرض النظام الشمسى من طرف إلى طرف في مدة (٩٣٧٢) سنة وهذه المدة يقطع فيها هذا النظام للشمس على الشمس وسياراتها مثل (نبتون وأورانوس وزحل) الخ فالشمس وسياراتها التي عرفت حديثا وتقدمت في هذا التفسير وعرضها ما ذكرناه لم تخرج عن كونها كوكبا صغيرا من مئات الملايين من الكواكب وابعادها عظيمة جدا . وهذا الطائر يقطع مليون ميل في ٤١٦ يوما ويقطع مليون مليون ميل في أكثر من مليون سنة ومليون المليون من الأميال للذكورة ليس شيا مذكورا في ابعاد النجوم فإن أقرب نجم إلينا من السيارات نجم يسمى الفا في صورة قنطورس وبعده عنا ٢٥ مليون مليون ميل فهذا الطائر لا يصل إليه إلا بعد ٢٥ مليون سنة فهذا الطائر لا يصلح أن يجعله مقدرًا بطيرانه بعد الكواكب ولذلك جعلوا للمقياس سير النور وهو يقطع (١٨٦٠٠٠) ميلا في الثانية الواحدة ويصل من الشمس إلينا في نحو ثمان دقائق وثمان ثوان لأن بعدها عنا (٩٤٩٠٠٠٠٠٠٠٠) أى نحو ستة ملايين مليون ميل . فنجم الفا قنطورس المذكور يبعد عنا نحو أربع سنوات نورية وربع سنة وهو يبعد عنا

٢٥ مليون ميل فلا يصل نوره الخارج منه في هذه الدقيقة إلا بعد أربع سنين وثلاثة أشهر وقد سافر في كل دقيقة (١١) مليون ميل فأكثر وإذا أطلق هذا الكوكب جهلنا انطفاءه مدة أربع سنين وثلاثة أشهر ومع هذا فذلك ليس شيئاً مذكوراً في جانب الكواكب للدهشة في البعد جداً فلتنس الشمس ولنس نجمة قنطورس وأمثالها ولنس في الفلوات والمساحات الواسعة السماوية ولننظر هذا الملك للمعد لنا لتسيح فيه أرواحنا ونطلع على العوالم الجميلة فلندرسها الآن ولنشوق إليها كما قال تعالى هنا - وهو الذي جعل لكم النجوم - فهناك ما بعده من (١٢٥) سنة نورية إلى (١٤٥) سنة نورية أيضاً وهي نجوم الثريا وكذلك القلاص وهناك نحو (٧٥) مجموعة مثل مجموعة الثريا ومجموعة القلاص تبع (١٣٥٥) سنة نورية والمسافة التي فيها هذه المجموعات السبعون تبلغ (١٥٥٥٥) مائة ألف سنة نورية ووجد بعد سديم عسك الاعنه (٥٥٥٥) خمسة آلاف سنة نورية وسديم اللجاجة كذلك خمسة آلاف سنة نورية وسديم العقاب بعده (١٧٥٥٥) سبعة عشر ألف سنة نورية (وقطر الجرة مائة ألف سنة نورية) وبعد السديم الذي في المرأة المسلسلة نحو (٦٥٥٥٥) ستمائة ألف سنة نورية وسديم مجلان بعده (٦٥٥٥٥) ستون ألف سنة نورية وهناك سديم سمته مثل سعة سديم المرأة المسلسلة يبلغ نحو عشرين مليون سنة نورية هذه مخلوقات نورية في السماء لا يصل ضوءها لنا إلا في عشرين مليون سنة نورية وقد علمنا أن المسافة بيننا وبين الشمس لا تبلغ في السبر إلا مدة ثمان دقائق وثمان نوان فكيف يكون ذلك البعد الشاسع وقد سار النور فيه عشرين مليون سنة وكيف تكون مقادير الكواكب البعيدة عنا لعمري إن شمسنا بالنسبة لتلك الكواكب ذرّة صغيرة

(أقدار الكواكب)

قد قسموا أقدار الكواكب إلى عشرين فصاً على حسب التقسيم الحديث والعين ترى ستة أقدار فقط ويبلغ ما تراه بها (٦٥٥٥) نجم وترى العين بالإنظار المعظم الذي يلوته من بوضتين إلى ثلاث (١٥٥٥٥) مائة ألف نجمة أي إلى القدر السابع عشر ونجوم القدر الأول (١٤) والثاني (٢٧) والثالث (٧٣) والرابع (١٨٩) ثم (٦٥٥) ثم (٢٢٥٥) ثم (٦٦٦٥) ثم (٢٢٥٥٥) ثم (٦٥٥٥٥) وهكذا إلى القدر العشرين فانه (٢٦٥٥٥٥٥٥) ونجم هذه الكواكب ٢٢٤ مليون كوكب وهناك كواكب أخرى لا يحصرها العدّ لم يمكن نميزها وستظهر بعد حين

هذا ولأذكر لك آخر ما وصل إليه الناس عند طبع هذا الكتاب إذ جاء في إحدى جرائدنا المصرية يوم الأحد ٨ أغسطس سنة ١٩٢٦ مائتي بالحرف الواحد قد قام أخيراً العلامة (كنوت لندمرك) باحصاء مدته ستم بصرته أشهر علماء الفلك وبين فيه عظم المسافات التي تفصل بيننا وبين السدم الخزونية فالسديم (اندروميد) يبعد عنا مسافة يقطعها النور في مليون ونصف مليون سنة (وسرعة النور ثلاثمائة ألف كيلومتراً في الثانية كما هو معلوم) وهو عظيم جداً بحيث لا يقطع النور من أحد طرفيه إلى الطرف الآخر بأقل من ستين ألف سنة مما يدل على أن حجم هذا السديم لا ينقص كثيراً عن حجم المجرة

وهناك سديم آخر يعرف علم الفلك باسم (ن.ج.ت. ٤٤٨٦) يبعد عنا مسافة ثمانية ملايين سنة نورية أي إن النور يحتاج إلى هذه المدة لكي يصل إلينا منه . وبعبارة أخرى إذا انقضى هذا السديم اليوم فأننا لانعرف انقراضه ولا ينقطع نوره عنا إلا بعد ثمانية ملايين سنة وقد أثبت العلامة (لندمرك) أن السديم المعروف باسم (ن.ج.ت. ٤٥٩٤) يبعد عن أرضنا مسافة

(٥٦) مليون سنة نورية أى اننا اذا نظرنا اليه اليوم بالنظارات الكبيرة نراه كما كان قبل (٥٦) مليون سنة وهذه السدم العظيمة لاتعد شيئا مذكورا بالنسبة الى الكون اللامتناهى حتى ان علماءنا لم ينتزلوا الى تسميتها والدلالة عليها بغير الأرقام . اهـ

(الطيفه الرابعة فى قوله تعالى - هو الذى أنزل من السماء ماء -)

ولما كان الماء معروفا وجب أن نذكر شيئا من عجائبه ليكون سرورا للنفس وبهجة وأنسا لقارىء التفسير فتشرح به الصدور وتقر به العيون فأقول

(١) الثلج القطبي)

من عجائب الماء ما يشاهد فى القطب بين من الجبال المكونة من الثلج العائمة فوق البحر هناك نحو مترين وتحت الماء سبعة أمتار وقد يكون عرض تلك الجبال (٧٥) فرسخا وطولها خمسين فرسخا

والتيارات البحرية تجذب تلك الجبال فتعوم مع ما لها السريع الجريان ثم تنكسر تلك الجبال هضبات كبيرة جارية مع الماء ثم تتلاقى ويقتوى منها بالأضعف ويكسره ويفتح فيه طريقا لنفسه وقد تراكم بعض القطع الثلجية فوق بعض حتى تبلغ عشرة أمتار وبهذه الأعمال تنشأ أشكال عجبية بديعة المنظر جليلة الأشكال عجيبة للناظرين تسر أولى الأبواب . وهذه المناظر الجليلة أشبه بهذه الحياة الدنيا . جيلة فى الظاهر خطيرة فى الباطن . فان السفن متى صادمها تنكسرت حالا . واذا احقى الركاب بها بأن صعدوا على تلك الهضبات والا كام الثلجية ماتوا من مكابدة الجوع والبرد الشديد المهلك

وهناك جبال تكون فى الجزائر وفى البر على شاطئ البحر المحيط داخله فى الأرض الى مسافات بعيدة جدا ومتى انكسرت تلك الجبال وانحدرت الى البحر كان منها جبال ثلجية تعوم فوق ماء البحر علوها من خمسين مترا الى ستين مترا وذلك حول (المزبرغ) وتكون فى جون (بافين) نحو مائتى متر ولللاحون يلعبون الى هذه الجبال ليتخذوها حى لهم من التيارات المهلكة لسفهم ولكنها كما قال الشاعر

والمستجير بمرمو عند كربته * كالمتسجير من الرمضاء بالنار

فانها بأذى عارض تدور عليهم فتبتلع سفهم حالا . وهذا الثلج القطبي منه ما هو مكون من الماء اللام ومنه ما هو مكون من الماء العذب

(الثلج المسهل للسير)

اعلم أن أهل بلاد (لابونيا وسبيريا والموسكوف والاسويجيين) يكون الثلج المصفول السميك الصلب سببا فى سهولة السفر ويكون فصل الثلوج عندهم فصل الأعمال والرحم والذئب ويستحيل السير فى غير زمن الثلج بهذه السهولة والثلج يمكن أن يكون مسحوقا ناعما اذا وصل الى درجة (٥٠) تحت الصفر وهو دائما فى حجمه يزيد عن الماء جزءا من (١٤) جزءا ثم الأحوال التى تقتضى تكون الثلج توجد دائما فى أعلى الجوف فوق رؤسنا وفوق الجبال الشاخعات وكذلك فى جهة القطبين فهو يكون على ارتفاع (١٢٩٧٠) مترا قريبا فى درجة (١) شمالا وفى درجة (١٨ و ١٩) شمالا يكون على ارتفاع (٤٧٠٠) مترا قريبا وفى عرض ٣٠ الى ٣١ شمالا ترى مهابط جبال هيماليا الشمالية يكون الثلج فيها على ارتفاع (٥٢١٠) مترا ويكون فى مهابطها الجنوبية على ارتفاع (٣٩٠٠) وفى درجة (٦١) شمالا فى بلاد (النرويج) يكون على ارتفاع (١٧٠٠) متر فأما فى القطبين فانه يكون الثلج جبالا فوق الأرض . وملخص ما تقدم أن الثلج يكون دائما لا ينقطع صيفا وشتاء فى القطبين فوق الأرض ولا يزال يرتفع مكانه منهما الى خط الاستواء الى أن يصل الى ارتفاع نحو (١٣) ألف متر عند قرب خط الاستواء فما فوق ذلك القوس المختلف الارتفاع من خط الاستواء الى القطبين تكون الثلوج دائما فوق الجبال وفوق رؤسنا ويشير لهذا قوله تعالى - ويترك من السماء من

جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه من يشاء - فذكر الجبال هنا لم يكن معروفا عند الأمم الغربية إذ ذلك واتساع العلم أرانا أن جبال الجليد والثلج دائمة في تلك المحال العالية - والصلب اليوم هو - بحجرة القرآن وهذا هو قوله تعالى - سنزيمهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وقوله - والذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به - ولعل الكتاب أعم من كتب اليهود والنصارى بل يشمل العلوم الحقيقية الكونية . ومتى انتشر هذا التفسير وأمثلة سيارع الفلاسفة وعلماء الطبيعة للإسلام بسبب علمهم بكتب الحقائق الطبيعية والكونية الموافقة كلها لدين الاسلام

وفي بعض البلاد الثلجية يخفى النبات مادام الثلج فإذا استهل فصل الربيع ذابت الثلوج واستيقظت تلك النباتات بعد موتها حتى تصل الى غايتها في أسرع وقت فهو كالمسلمين الذين ناموا قرونا تحت تلج الجهالة واحتلال أوروبا لهم حتى اذا قرؤوا أمثال هذا التفسير وعرفوا من النافذين في مصر والشام والهند والمغرب من خول العلماء أن ديننا هو دين السلام استيقظوا في أقرب وقت سريعا كما استيقظ النبات الذي كان تحت الثلج وزادت به الأرض وأخذت زخرفها وازينت للناظرين

(٢) (أولان ماء البحر)

اعلم أن الله كما خص البلاد القطبية بأشراق الفجر والشفق وجال المناظر الثلجية ومناظر الفجر والشفق والجمال البديع وحرم من ذلك الجبال سكان ما بين المدايرين أراد الله سبحانه أن يعطيهم جبالا بدل ما فقدوه . ذلك أن السفن وهي تمر في البحر ترسم نهرا من نار على مستوى السائل يحصل من جانبيه أمواج يتدح منها سيول ضوئية تفرى المياه على أبعاد من مد البصر تضاهي السماء المزينة بالنجوم الكثيرة المضيئة ذات الشرر الالامع ويرى هناك ما يحاكي النجوم الثوابت في السماء وما يشبه ذوات الأذنان الضالة في الفراغ ثم تنقطع هذه الحركة زمانا فتكون ظلمة ثم تلمع تلك الكتل الضوئية وتشتت من جميع الجهات فيكون منها سهل واسع من نار مهول لعظم سته

وإذا هبت الرياح أحدثت في الأمواج اضطرابا وتكون هناك أفانين الصور وأعجيب الجبال الباهرات فتعلا الأمواج الضوئية ثم تكسر وتسير على هيئة زبد مضى متشكل بأشكال كثيرة من أقواس قزح وهذا الحادث ناتج من التفصير والتحليل من الحيوانات الرخوة والحيوانات النباتية التي تسمى الفريجة (زوفيت) وهي تكون في البحور الاستوائية أكثر منها في الأقطار المعتدلة والباردة والتفصير في تلك الحيوانات طبيعي كما انه كذلك في كثير من الحشرات

(٣) (المياه المعدنية)

المياه المعدنية هي التي تحتوي على مواد غريبة بحيث تكون ذات طعم ويكون لها فعل مؤثر في الجسم الحيواني وقد وجدوا في تلك المياه الأصناف الآتية
الكبريت والصودا والنشادر والجير والفضة والالومين والبوتاسا والصوان والكلور والسكرتون والنحاس والحديد . وهذه المعادن متحدة مثل الحوض الكبريتي والحوض الكبريتي وما أشبه ذلك . ومن هذه المياه ماله تأثير عظيم وقد قسموا هذا إلى أربعة أقسام رئيسية وهي

(١) مياه كبريتية (٢) مياه غازية أو مخضبة (٣) مياه حديدية (٤) مياه ملحية

وهناك مياه معدنية سمية ذاب فيها الزرنيخ أو الزئبق وهذه متى عرفت يبادر الناس بردها حالا وهناك أيضا مياه صوانية قد حملت مواد الصوان فإذا لامستها الأجسام الحيوانية والنباتية نقلت الى باطنها وقترقت في هياكلها واتحدت بأجزائها اتحادا تاما فيصبح الجسم كالخبر وتسمى هذه بالمياه المحجرة وهي نادرة الوجود في العالم

فانظر كيف كان الماء جبلا وأتورا وجبالا في القطبين ثم هوسما زيفت الناظرين وجبال يهر المائلين وكواكب أشرفت على للسافرين وفيه قوس قزح والنجوم ذوات الأذنان وسهول مشرقا وغياض ناضرات وبهجات أعدت للسافرين ونور وجبال وأنس للصادرين والواردين ثم يكون سما للشاربين وللسنفيين ولادة للشاربين وأمهرا وخلجا للزارعين وسحبا وبردا ورجا للناس أجمعين

(اللطيفة الخامسة - أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه -)

هذه الآية أصل عظيم في علم النبات فان النظر الى الثمر وزهره هو الذي أتيج علم النبات كله وذلك لم يتم إلا في القرون المتأخرة على يد الأوروبيين . ذلك أن آبائنا وأسلافهم اليونان كان علمهم بالذات أقل مما جاء في العصر الحاضر بالكشف وكانوا يقسمون النبات الى أشكال مختلفة باعتبار شتى ولكن لم يقسموه باعتبار الثمر والذي اعتبر أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث عملا لتقسيمهم أهل أوروبا وذلك من معنى قوله تعالى - أنظروا الى ثمره اذا أثمر - فالظر الى الثمر وزهره أتيج التقسيم

واعلم أن الزهرة كزهرة القطن مثلا يكون لها غلاف على لون الخضرة كلون الورق ويسمى هذا عند علماء النبات (كأسا) وغلاف في داخله ملون باللون الأصفر أو الأبيض أو الأحمر ويسمى (تويجا) تصغر تاج فكأنه لجاله تاج الملوك وفي داخل هذين الغلافين يكون التزاوج بين الذكران والاناث كما يكون بين الزوجين في أنواع الحيوان والانسان سواء بسواء . وترى في هذه الزهرة وفي غيرها كرات صغيرة ناعمة مستعدة لتبصر برزا متى لقحت كما جعل الله لآلات من أنواع الحيوان مواد فيها تنقلب حيوانا متى حصل اقتراب الذكران من الاناث وهذه الكرات دائما تكون في مركز الزهرة وهذا هو عضو التأنيث ويسمى عندهم (البستيل) وهذا البستيل عبارة عن ثلاثة أقسام

(١) المبيض وهو في القاءة وفيه الاصول الخلقية القابلة للنمو وهو كالرحم والمبيض في الحيوان وقد يكون ذا مسكن أو عقة مسكن

(٢) وأنبوبة شمعية فيها بعض طول

(٣) والجزء العلوي وهو كشم تلك الأنبوبة وذلك الفم هو الذي يقبل اللقاح من عضو التذكير ويوصله الى المبيض بواسطة الأنبوبة المذكورة

وترى في هذه الزهرة القطنية وغيرها أيضا أعضاء أخرى محيطة بذلك (البستيل) أى عضو التأنيث وتكون غالبا بينه وبين التويج فاذا نظرت زهرة القطن مثلا فأول ما يلقاك كأسها ثم تويجها ثم عضو التذكير . وفي الوسط تماما عضو التأنيث الذي استعد لاستقبال اللقاح من عضو التذكير الذي أحاط به التويج فتلك الورقات الجميلة الزهرية الملونة باللون البهيج في مختلف النبات كأنها هيئة العرس والأفراح التي يقبها الناس وملابس الزوج والزوجة أيام الزفاف مع الروائح العطرة التي تهبج القلوب وتشرح الصدور فهذه التي يصنعها الناس عادة ويرثونها العروس بالبهجة والنفارة قد خلقها الله للذكر والأنثى من النبات وجعلهما في حلتين جيلتين احدهما ملونة بأجمل الألوان وأبهها وأحسنها وأجلاها وهناك الروائح العطرة البهجة . وترى الحشرات طامعات يفتن كأنهن الموسقى تصدح والغنيات يزفن العروس الى بعلها والنسبات مطربات يرفرفن بالورق وتسمع حفيف الأشجار وتريد الأطياف وترى بهجة النجوم ونور الشمس المشرق والجبال والهيا كأن الدنيا في عرس وليس في مأتم إلا الانسان في أوروبا وآسيا وأمريكا فهؤلاء هم المقتنون للمشاكون المحبوب أكثرهم عن هذا الجبال بالجهالة الشنعاء والحياة البلهاء

وعضو التذكير المذكور عبارة عن رأس مرتفع على حامل له وعلى الرأس المذكور غبار وهو ما يحصل به الاقتران . وأعضاء التذكير غالبا تكون بحسب عدد أقسام التويج وهذه الأعضاء ان ساوت عدد أقسام

التوحيج كما هو الغالب فانها تكون موضوعة بين أجزاء التوحيج بازاء أقسام الكأس وان كانت أعضاء التذكير
ضعف أقسام التوحيج للوانه المذكورة كان نصف أعضاء التذكير موضوعة بازاء أقسام التوحيج والنصف الثاني
بازاء أقسام الكأس

وعضو التذكير إما واحد أو أكثر فيكون ذا ستة كالأرز أو عشرة كالترمس واللوبياء والقول وهكذا
وعلى ذلك يقال زهر أحادي أعضاء التذكير وثلاثيا وثلاثيا إلى العشرين وبعد العشرين يقال كثيرها
والنبات ان اشتمل على أعضاء التذكير فقط سمي ذكرا وان اشتمل على أعضاء التأنيث فقط سمي أنثى
وان اشتمل عليهما معا سمي خشي كالذاتورة والبنج وغيرهما

ويقال أيضا اذا كانت أعضاء التذكير والتأنيث في نبات واحد كما في الخروع وفصيلة اقارع سمي ذا المسكن . وان
كانت أعضاء التذكير في نبات وأعضاء التأنيث في آخر سمي ذا المسكنين كالنخل . وان كانت أعضاء التأنيث
والتذكير والخنثى معا في نبات واحد كما في الخرنوب والسند والتين سمي (مزاجا) اهـ

(عجائب البز)

قد يكون للثمر برزرة واحدة فيقال أحادي البز أو برزتان فيقال ثنائي البز وهكذا إلى عشاري البز ثم
ما زاد عن العشرة إلى نحو (٥٠) يقال له قليل البز وما زاد على ذلك إلى نحو المئات والالوف يسمى كثير
البز . ويخرج من ساق النورة المسماة (بالعويجة) نحو ألفي حبة ومن عباد الشمس نحو (٤) آلاف
حبة ومن رأس الخشخاش نحو (٣٢) ألف برزرة ومن ساق نبات الدخان (٣٣٠) ألف برزرة وشاهد للعلم
(دوهامين) حبة شعير نبت منها (١٥٠) سنبلة تحصل من مجموعها (٣٢٠٠) حبة وشاهد المعلم (فيليبو)
حبة (زمير) نبت منها (٣٤٠) ساقا لكل ساق سنبلة

والعلماء يقسمون النبات باعتبار أعضاء التذكير أو أعضاء التأنيث أو البزور وهكذا . فانظر كيف دار علم
العلماء في عصرنا الحاضر حول ثمر النبات من زهره وبرزه لمعرفة علمه ومنافعه

كل هذا والمسلمون نامنون لا يدرون ماذا خلق الله في النبات ولا بماذا تعرف أقسامه ولا أي الطرق تلك
في معرفة أنواعه وأصنافه . فلاعجب اذا ملك الفرنجة أكثر بلاد الاسلام لأن الله لا يسلّم أرضه إلا للعاملين
فيها ولا يخرج نباته إلا للذين يفقهون ويعقلون وينظرون - إلى ثمرة اذا أثمر وينعه - ويعرفون آيات
ربهم ويؤمنون بها . يمثل هذا يكون الايمان ويمثل هذا يكون الاسلام

أيها المسلمون . ألم بأن لكم أن تخضع قلوبكم لذكر الله ومازل من الحق وأن تدرسوا النبات الذي خلقه
الله لكم . وكيف يقول لكم - أنظروا إلى ثمرة اذا أثمر - وأنتم مغمضون . وكيف تنظر أوروبا وأنتم
لا تنظرون أن لكم أيها المسلمون عار عليكم . ولعلكم تقولون ان الصحابة لم يدرسوا هذه العلوم . أقول لكم
مالك والصحابة رضی الله عنهم ولو كانت هذه العلوم في زمانهم لكانوا أسبق الأمم لها كما سبقوها بالفتوحات
ولكن القرآن جاء لباس جيل بعد جيل وها هو ذا الوقت الذي استأهل تلك العلوم فلبين للناس مقاصد القرآن
فيها ولتحت للمسلمين عليها . ولتين لهم أيضا أن الله ينضب على الأمم التي تجهلها ينضب عليها لأنها لم تنظر
وبعبارة أخرى انها كفرت انعمه ولم تشكرها . أعطانا بلادا زراعية خصبة ونعما عظيمة فأغضنا الأعين
عنها . يا عجبا أيها المسلمون كان علينا أن نعرف هذه النباتات وننظر لثمرها ولولم يكن عندنا دين بل كان
العقل يدل عليها . فكيف بنا وقد جاء الدين فطلبها . دين وعقل معا يطلبان هذه العلوم . فكيف
أغضنا عقولنا وديننا . أفلا ينضب ربنا على الكافرين بنعمه . للمفوضين الأعين عن موائده التي نصيبها .
ونعمه التي ننشرها . ومو الذي يقول - لنن شكرتم لأزيدنكم - وهذا هو الشكر الفعلي لا الشكر اللفظي
الذي يتلهى به الجهلاء وصغار العلماء - والله هو الولي الحميد -

هنالك قال لي صاحبي كيف تقول ان المسلمين يجعلون هذه العلوم وبين يدي كتاب مصرى ألف أيام
المفطور له محمد على باشا بمصر وفيه أن العلم (لينبو) جعل أعضاء التذكير أساسا لتقسيم النبات والعلم (تورينفو)
جعل التقسيم على صفات التوزيع والنمو ومدة حياة الجنين وفيه أن (لينبو) لم يفرق بين الأشجار والحشائش
وأن الزهر يكون خثى وأتني وذكرا وإن الزهر سواء أكان ذكرا أو أنثى لما أن يكون ذا مسكن أو مسكنين
أو كثير المسكن تقسم النبات الى (٢٤) رتبة وكل رتبة تحتها أجناس عالية والأجناس العالية التي يسمى الواحد
منها جنس الأجناس أيضا تحت كل جنس منها أجناس وتحت الأجناس أنواع وتحت الأنواع أفراد
أما العلم (جوسيو) فقد قسم النبات الى قسمين عظيمين (الأول) يشتمل على النباتات التي لا يزرها
(الثاني) يشتمل على النباتات البزرية أو الفلقية . والقسم الثاني يشتمل على النباتات البزرية ذات الفلقة
الواحدة وعلى النباتات البزرية ذات الفلقتين

فأما القسم الأول من القسمين العظيمين فهي كالحشيش البحرى ونحوه فإنه له حبوب صغيرة جدا
وأما القسم الثاني من القسمين العظيمين فإن ما كان منه ذا فلقة واحدة فهو كالترجس والبصل والقلقاس
والزنبق وقد تكون أزهار هذا القسم مجتمعة في طرف الجنين وأعضاء التذكير قد تكون (٣) أو (٦)
ويندر أن يكون واحدا وأوراق هذا القسم يكون طولها أكبر من عرضها كالنخل وبزرنه منحصرة في
جسم واحد فلي

فأما النوع الثاني منه وهو ذوالفلقتين فبزرنه تكون منحصرة في جسمين فلقين لحين . وهذا القسم
يكون له كأس وتوزيع وأعضاء التذكير تكون خمسة فأكثر الى مائة

وهذه نبذة مختصرة من الأوصاف التي في الكتاب المشار اليه فبادئ التفاته يعرف اللسان النبات ذا
الفلقة الواحدة والنبات ذا الفلقتين . فكيف تقول ان المسلمين مقصرون في هذه العلوم . قلت له هذا
أكبر دليل على التقصير فإنه قل عن الترجمة أيضا نعم هذا العلم كان يدرس في مصر ولكن ليس ذلك باعتبار
أن الدين يطلبه وكان على علماء الدين أن يفهموا الأمة أن هذا العلم مطلوب كالصلاة والزكاة والصيام والحج
وأن قوله تعالى - أنظروا الى ثمرة اذا أثمر وينعه - يوجب هذا العلم في الاسلام الذي يبلغ (٣٥٠) مليون
نفس أو أكثر وهذا هو الذي يجب على علماء الاسلام في مستقبل الزمان - والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم -



(رسم الزهرة - شكل ٥)

والمدقات أعضاء التأنيث وواسطة التلقيح البيلن وهو القلاح يقع من الاتبر على السمة في أعلى المدقة فيلقح بذورها في اللبيض بأسفل المدقة . ثم ان اختلاف

في هذا الشكل ترى الزهرة فترى لها الكأس الذي
تقدم ذكره المسمى باللسان النباتي (سبل) وهو الذي نراه
أخضر فوق الأوراق للالونه وترى أوراق التوزيع وهي للالونه
المسماة (بستيل) أو (تلا) وترى الوسط مؤلفا من خيوط قائمة
مستوية باتفاخات عليها غبار أصفر فالحيط اسماها (أسدية)
جمع سداة والانتفاخ اسمه (الاتبر) والغبار اسمه (البيلن)
أو (الطلع) وفي مركز الزهرة تتوه بارز اسمه (المدقة)
ينشأ من قاعدة الزهرة أو تحتها والمدقة ثلاثة أقسام سفلى وهي
قاعدتها ويقال لها المبيض وعلاوى وهو رأسها ويسمونه
(السمة) وما بينهما يسمى (القلم) والأسدية أعضاء التذكير

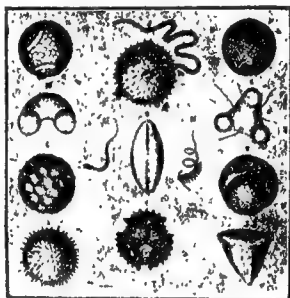
للمدقات والاسديت والسبلات والبهلات أى أعضاء التأنيث وأعضاء الذكـر وأوراق الكاس وأوراق التويج
أفراناً وأزواجا وقلة وكثرة ووضعاً واختلافاً واتفاقاً

أقول إن هذا الاختلاف به يمتاز النبات وبه تميز جميع النباتات التى تعد بالثلثات . إذن الزهرة مفتاح
علم النبات . مفتاح ذوسن واحدة وسنين وثلاث وما فوقها . هذا هو مفتاح علم النبات الذى يشير له قوله
نعالي - أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه - وقد ذكرها مرتين فى هذه السورة وهذا سر من أسرار القرآن
أمر الله المسلمين بالنظر الى الثمر والنظر الى الثمر يطلب النظر الى الزهر الذى هو أصله - فهذا مفتاح
آخر للعلوم لامفتاح علوم العربية . فهذا مفتاح أيضا من مفاتيح العلوم . أما الله فعنده مفاتيح الغيب وهذه
مفاتيح العلوم ألقاها الينا امتحانا واختبارا

(أشكال هندسية فى الطلع المخاوق فى الأزهار)

ذكرنا فيما تقدم أن الفبار الذى يسمونه (البلىن) هو الذى به يكون لفح الالفت فى الزهرة وهى السمة
التي فى أعلى المدقة ثم ينزل ذلك الفبار الى المبيض بأسفل للمدقة وهناك يكون الثمر الذى أمرنا بالنظر اليه
إن من ينظر لهذا الفبار يظنه لاشكل له بل هو كالدقيق . ولكن العلماء وجدوا بالبحث بالآلة للمعظمة
(المكروسكوب) أنه على أشكال هندسية جميلة مختلفة باختلاف النبات بل أشكاله جعلت قاعدة لتقسيم
النبات أيضا

(أنواع البلىن وأشكاله)



(رسم البلىن - شكل ٦)

(المقصود الرابع)

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ *

قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَنَ أَبْصَرَ فَلْيَنْفِسْهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُحْفِظٍ *
 وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ
 رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
 حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا
 بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 * وَأَفْسَوْا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَنِ جَاءَهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا
 يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَتَقَلُّبَ أَفئِدَتِهِمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُنَّ الْمَلَائِكَةَ وَكَانَ لَهُمُ الْمَوْتُ وَحَسَرْنَا
 عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ *
 وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
 الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَوْهُ وَليَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ * أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ
 الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ
 رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ
 إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
 بِالْمُتَّقِينَ * فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا
 تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ
 وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاؤِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُتَّقِينَ * وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنِيمِ
 وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنِيمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ
 أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
 إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ * أَوْ مِنْ كَانَ مِثْنًا فَأَخْبَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ

مَتَلَّهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَسْعَوْنَ * وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا يَجْرِمُهَا لِيَعْتَكُرُوا فِيهَا وَمَا يَنْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ *
 وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
 رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَنْكُرُونَ * فَمَنْ
 يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا
 كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ
 مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا بِمَا
 كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
 أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ
 مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ
 بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
 عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَكِّرُوكُمْ بِلِقَائِي يَوْمَ كُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ
 وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ * وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ عَمَلٌ وَعَمَلُكُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ
 ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ
 آخَرِينَ * إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي
 عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ *

(التفسير اللفظي)

يقول الله يا أيها أولاد آدم رأيتم النبات واختلافه بأعضاء التذكير وأعضاء التأنيث وأن منه الذكور
 ومنه الإناث ومنه الخنثى ومن هذا كان تقسيم النبات إلى رتب وأجناس عالية وأجناس ثم أنواع ثم أفراد
 فأما النوع والخلق المذكوران والإناث فكيف يقولون أن لى بنات والذى يلد أنما هو المخلوقات لا الخلق
 فالمخلوقات متنوعة والخلق لا يتنوع ولا يتغير • فكيف يقول العرب أن الملائكة بنات الله فيعبدونها •
 ويقول اليهود عزير ابن الله • والصارى للمسيح ابن الله • وكيف يجعلون لمن ينظم هذه المخلوقات من
 الأضواء والظلمات والنجوم والنبات والحيوان كما في الآيات السابقة شركاء • فيقول الصابئون منكم أيها الناس
 نعبد الملائكة • ويعبد جهة العرب وغيرهم من الصائمين للتأخرين الأصنام بوسوسة الشيطان لهم وإذا أنتم

اتبعتموه في وسوسته فقد أشركتم الشيطان مع الله • وكيف يقول الثانوية منكم إن الله يخلق الخير
والشيطان يخلق الشر • وأتم إذا فكرتم فيما ذكرنا في الآيات السابقة علمتم أن الخير والشر مني لا من خاتي
وهذا هو قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) لله شركاء هما مفعولا جعلوا والجن بدل من شركاء والجن
يشمل الملائكة لاجتنابهم أي استتارهم وهذا يشمل آراء الصابئين في عبادة الملائكة والعرب في قولهم انهم
بنات الله • والثانية في أن الشيطان يخلق الشر الخ ما تقدم (و) قد (خلقهم) وهل من يخلق كمن لا يخلق
(وخزقوا) اقتلوا واقتروا (له بنين وبنات) فالبنون عند اليهود وانصارى والبنات عند العرب (بغير علم)
من غير أن يعلموا • وهنا أخذ يؤكد الحق ثانيا فقال (سبحانه وتعالى) تنزيها له وتعالى (هما يصفون)
أي هما يصفونه به من الكذب والافتراء وكيف يصفونه بذلك وهو (بديع السموات والأرض) ما وهما
على غير مثال سبق (أني يكون له ولد) أي من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد
(وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) وإذا خلق كل شيء فهو الذي توعه وشكله إلى ذكر وأتى ويتفرع منها
فروع كثيرة والاله يستحيل عليه التكثير ومن ذا الذي يحكم عليه بهذا التنوع والولادة ثم إن الولد يقوم مقام
الأب عند فقده ويكون قائما مقامه فلما جازى الله الذي أوجبت الولد والله دائم فكيف يجازى إلى الولد وأيضا
انه يعلم كل شيء فهو يتوعه ذكر وأتى ويحكم عليه بذلك ولا حكم لأحد على الله ولا يجادلون به علما (ذلكم)
الموصوف بما سبق (الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء) هذه أخبار بعضها بعد بعض وإذا كان متصفا
بهذه الصفات (فأعبدوه) ولا تعبدوا الشيطان والأصنام والملائكة (وهو على كل شيء وكيل) أي متولى أموركم
فكلوها ليه وتوسلوا بعبادته إلى نجاح ما ربكم (لا تدركه الأبصار) المركبة من مواد أرضية لأن الله ليس مادة
ولاجسام وأبصاركم وأبصار الحيوان قاصرة على رؤية الأجسام وإنما ترونه بعيون غير جسمية إذا صفت نفوسكم
ولطعت عقولكم وتأهلتهم لرؤيته بذلك العيون التي لم تخلق وإذا كان الجن والشياطين لا ترونهم وللك إذا
نزل إليكم كما في أول السورة ينزل في صورة رجل قال تعالى - ولوجهناه ملكا فجعلناه رجلا وللبسا عليهم
ما يلبسون - فانه أجل من الملائكة فهو أولى وأحق الأبرى بأبصاركم وإذا كانت الجن جاء فيها - انهم يرونكم
من حيث لا ترونهم - فبالأولى يكون الله عز وجل خالق الجن وخالق الملائكة وقد جاء في الكشف الحديث
كما ذكرناه أول السورة ما يناسب هذا وأن الأرواح الملكية والشيطانية لا ترى إلا إذا استعارت من جسم الوسيط
مواد فظهرت بهيئة الروح التي كانت عليها في الدنيا (وهو يدرك الأبصار) ويحيط بها علما كما يحيط بكل
شيء (وهو اللطيف) فلا تدركه الأبصار (الخبر) فيدرك الأبصار • ولما كان هذا المقام أدلته علمية طبيعية
وقد استوفى البحث فيه أعقبه بقوله (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر
للبدن (فمن أبصر) الحق فأن به (فلنفسه) أبصر (ومن عمى) جهل (فعلينا) على نفسه هي (وما أنا عليكم
بمحفوظ) برقيب أحصى أفعالكم وأفعالكم وما أنا إلا رسول • ولما كان من عادة القرآن أن اللقمان إذا كان
مستوفى البيان أعقبه بما يدل عليه قال (وكذلك نصرف الآيات) أي ونفصل الآيات في كل وجه كما
صرفناها وبينناها من قبل لتلزمهم الحق (وليقولوا درست) اللام هنا لام العاقبة أي ليقولوا قرأت على غيركم
يقال درس الكتاب إذا أكثر قراءته • وكان أهل مكة يقولون تعلمت من يسار وجهر (وكانا عبيدين من
بنى الروم) ثم قرأت علينا زعم أنه من عند الله أو تعلمت من اليهود ولما كان القرآن نزل ليضل به كثير
ويهدى كثير وقد ضل من قالوا درست أعقبه بالمتدين به فحفظ على قوله - وليقولوا درست - قوله
(ولنبيته تقوم بعلوم) أي لنبيين الآيات باعتبار المعنى أول القرآن وإن لم يذكر لكونه معلوما وملخصه انه يضل
به قوم ويهدى به آخرون ثم قال (اتبع ما أوحى إليك من ربك) بالمتدين به (لا إله إلا هو) جملة اعتراضية
(وأعرض عن المشركين) ولا تلتفت إلى آرائهم إلى أن يأتي لك الأمر بالقتال • ولما كان دين الاسلام من

قواعده الايمان بالقضاء خيره وشره من الله مع وجوب استعمال العقل في جميع الأحوال الممكنة ثم ينال النفس لمرج الى عالم القدس وكان من فضائل هذه العقيدة أنه اذا تمصر أمر ولم تجد حيلة لتحصيله فوضنا الأمر الى الله لتسبر النفس وتجد فيما تقدر عليه ولا تنقطع أسفا وحسرة على تقريطها وهي غير قادرة على شئ أردفه بما يسهل الأمر على رسوله لتسليه فقال (ولوشاء الله ما أشركوا) فلا تحزن عليهم (وما جعلناك عليهم حفيظا) رقبيا (وما أت عليهم بروكيل) تقوم بأمرهم • ولما كان من الاعراض عنهم أن لا يسبوا آلهتهم قال تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) أي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبايح (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا عن الحق الى الباطل (بغير علم) دلي جهلة وقد كان المسلمون في صدر الاسلام يسبون الأصنام وكان الكفار يردون عليهم فتاهم الله عن ذلك وهم ضغفاء وفيه دليل على أن الطاعة اذا أدت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر وكما زينا هؤلاء المشركين عبادة الأصنام زينا لكل أمة همهم من الخير والشر على حسب استعدادهم لأننا وضعنا كل أناس في مراتبهم التي يستحقونها فاذا كفر قوم ونحن أردنا ذلك فما كان كفرهم الذي أردناه ظاهرا لأننا فظمنا الملك وجعلنا فيه درجات كالحيوانات والنبات وحتى درجات بعضها فوق بعض • هكذا هؤلاء كفروا لأنهم لم يصالوا للاستعداد لتلقي الايمان كما لم تصل الالهائم لدرجات الانسانية ولم تصل الأطفال لدرجات الرجال فلو كان كفرهم ظاهرا لنا لكان أغلب أعمالنا ظاهرا فلا يكون في الأرض حيوان ولا نبات ولا صبيان ولا عصاة بحجة أن غيرها أفضل منها وهذا هو قوله (كذلك زينا لكل أمة همهم) وعلى ذلك يجعلهم بعد الحياة في المراكز التي استعدوا لها (ثم الى ربهم مرجعهم فينبهم بما كانوا يعملون) ولما كانت منزلة هؤلاء لا تسمح لهم بالتعقل والكبرياء حجاب مانع لهم من الفهم افترضوا عليك الآيات وخوارق العادات وقالوا لك اجعل لنا الصفا ذهابا وابتع لنا بعض موتانا نأله عنك أحق ما تقول أم باطل وأرأى الملائكة يشهدون لك عيانا أنزلت الآية قائلة إن الآيات التي كانت تنزل على الأنبياء السابقة كعيسى وموسى من ضرب الحجر بالصا فينبع ماء وحياء الموتى وما أشبه ذلك لا يرقى العقول الانسانية ولا يرفع الانسانية إلا التعقل والتفكر كما أنزلنا في هذا القرآن وهذه الأمم كانوا بعد الايمان يرددون اذا شاهدوا ما هو حسن في نظر أعينهم • فأما العقل فهو المرشد الحكيم كما حصل في سحرة فرعون إذ أنصتوا بومى لما درفوا أن عامه فوق طاقتهم • فأما الجبهة وهم بنو اسرائيل فانهم لما رأوا قوما يصعدون على أصنامهم لم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال انكم توم تجهلون • فهكذا هنا اذا أنزلنا آيات كهذه لا تفهمهم وإنما زيد أن نجعلهم علماء لا يرتدون عن دينهم متى شهدت عقولهم كسحرة فرعون وهذا هو قوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي جاهدن في الايمان بأوكد الايمان (أن جادتهم آية) عما اتروحه (ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شئ منها بقدرتي والله منها عنكم حتى يكون إيمان من يؤمن مبني على العقل لا على حاسة البصر (وما يشرككم) أي وما يدرككم استفهام انكار (إنها) أي الآيات المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) بها كما حصل في الأمم السابقة كما في سورة أخرى - وما نرسل بالآيات إلا لنخوفها - (درقلب أثبتهم) طغف على لا يؤمنون أي وما يشرككم أنا حينئذ نقلب أثبتهم عن الحق فلا يفقهونه (وأبصارهم) فلا يصبرونه فلا يؤمنون بها (كما لا يؤمنوا به) أي ما أنزل من الآيات (أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) ونذرتهم متحيرين لانهدبهم هداية المؤمنين لأننا وضعناهم في مراتبهم فلا يجاوزونها (ولو أننا زلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى) كما اتروحو فقدوا - لولا أنزل علينا الملائكة - وقالوا - فأتوا بآياتنا - (وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) أي وجعنا عليهم كل شئ من الطيور والأواب مقابلة ومواجهة أو قبيلة قبيلة • وقرى - قبلا - أي كفيلا بما بشرنا به وما أنذرنا به (ما كانوا يؤمنوا إلا أن يشاء الله) إيمانهم لأن المدار على الاستعداد وأما الامور المحسوسة لاثبات لها بخلاف الغلبة (ولكن

أكثرهم يجهلون) مثل هذه الحكم فلا يعلمون لهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون وهذا على حسب الاستعداد

ثم أخذ يعزى رسول الله ﷺ بما أصاب الرسل فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أى كما جئناك هؤلاء أعداء جعلنا لكل نبي سبقت عدوا لأن هذه الهارداد جهاد وعلى مقدار الصبر يصكون الارتقاء فلا داعي إلا ناله من الأذى على مقدار مقامه فى العمل والدعوة ثم أبدل من قوله عدوا (شياطين الانس والجن) أى مرده الفريقين (يوسى بعضهم الى بعض زخرف القول) يوسوس بعض الانس الى بعض وبعض الجن الى الجن والى الانس الأباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه (غرورا) أى لأجل الغرور (ولوشاء ربك) إيمانهم (مافعلوه) أى ماضوا معادة الأنبياء وإعفاء الزخارف وأما كان الشياطين من الجن ومن الانس مدفوعين الى ذلك بعوامل الفطر المفروسة فيهم • ولا ريب أن الأرواح الشريرة تسمع ما يقول الناس فى هذه الدنيا وقد جاء فى علم الأرواح حديثا أن الأرواح البشرية الناقصة التى هى أشبه بالجن تستمع للكلام الذى يقوله الناس بل هى محجوبة عن العالم الأعلى فتكون عقولها أقرب الى أهل الأرض الأحياء فتهدى وتؤمن وتكفر كالناس الأحياء فصارت الأرواح الجاهلة كالأحياء الجاهلين والذى ﷺ أرسل للطاغوتيين ومثل هذا القول علمه سماه ليس للعقل فيه دخل ولكن العلم الحديث الروحى جاء بتدقيقه كما سيأتى فى آخر هذه المباحث والحق أن مثل هذا لا يعرف إلا بالعلوم الحديثة فأما بغير ذلك فانها سماعية وليس عليها دليل إلا السمع فقراءة العلوم الحديثة الروحية وغير الروحية أمر حتم على المسلمين النائمى على ظهر هذه الأرض وقد أئذرت وحذرت - إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وماتوفيقى إلا بالله - قال (فندهم وما يفترون) أى وكفرهم وعطف على غرورا فيما تقدم قوله (ولاصنى اليه أفتدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى لغير بعضهم بسا ولصنى الخ (وليرضوه) لأنفسهم (وليفترؤا لتمامهم مقترفون) أى وليكتبسوا ما هم مكتسبون من الآثام ولما انتهى الكلام على دحض ما اقترحوه وبيان ضلالهم وغرورهم شرع بذكر أن الله هو الحكم بينى وبينكم وأن القرآن كاف لتعقوا ما فيه من العلم والارشاد فقال (قل) يا محمد لم (أفغير الله أبغى - كما) أى أطلب من يحكم بينى وبينكم (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفعلا) أى القرآن مينا فى الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس فأما الآيات التى اقترحوها وهى حسية ففيها التخليط والالتباس ولا تفيد يقينا فذلك منبها لآنا نريد أنما نكون أرقى من الأمم السابقة لاسما اننا بعثنا محمدا ﷺ آخر رسول فى الأرض ومن أراد أن يعرف الاسلام فليطلع على الكتب الدينية أو الكتب العلمية التى تظهر دقائق الكون فهؤلاء متى عرفوا حقائق تلك الكتب آمنوا بالقرآن وهذا قوله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) وأهل الكتاب هنا أعم من اليهود والنصارى بل أعم من أهل الكتب الجاهية لأن اللفظ عام وأما علمنا لأن شهادة العلوم المصرية كثيرة جدا والكشف الذى ذكرناه فى هذا التفسير بعد العشرات ولم يكن كثير منه معروفا عند الأمم السابقة فقراءة العلوم اليوم فى الشرق والغرب تورث الإيمان بالقرآن كقرءة المتدينين الكتب الدينية التى فيها ذكر النبي ﷺ كالحجيج برنابا الذى يطارده الفرنجة وقد أصروا بأسواقه فى ديارنا المصرية وذلك لأنهم كانوا قاضين على زمام الامور فى هذه الديار (فلا تكونن) أيها الانسان السامع لهذا القرآن (من الممترين) الشاكين فى أنه منزل من عند الله تعالى (ومجت كثر ربك) القرآن بالأمر والنهى (صدقا) فى قوله (وعدلا) منه (لا يبدل) لا مغير (لكلماته) القرآن ويقال تمت ووجبت كثر ربك بالنصر لأوليائه صدقا فى قوله وعدلا فيما يكون لا يبدل لا مغير لكلماته بالنصر لأوليائه (وهو السميع) لمقاتهم (العليم) بهم وبأعمالهم

ثم أتى بقاعدة عامة تشمل جميع أهل الأرض فقال ان الكوكب الذى تمشون فوقه من العوالم التى

في درجة منخفضة وأهلها ليسوا كاملين وإنما أرسلناك اليهم لتعلم من شأنهم فقال (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الفتن) وليسوا على بصيرة ومنهم هؤلاء الكفار الذين يفلدون آباءهم (وان هم الايخرمون) يكذبون لبعدهم عن الحقائق . ولقد خلقناهم وعلمنا مقدار استعدادهم فنجعل كلا في مرتبة التي استعد لها (إن ربك هو أعلم) (من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) فقوله من يضل مجرور بباء وهما متعلقان بأعلم ودل عليها الباء في قوله - بالمهتدين - وهي نظيرتها ويصح أن يجعل من منصوبا بفعل محذوف أي يعلم الخ لأن الفعل لا ينصب الظاهر

ثم أخذ يذكر نتائج انكار اتباع هؤلاء كأكثر أهل الأرض لجهالتهم فأمر بأكل ما يذبح مقرونا بذكر اسم الله على ذبحه ولم يباح مخالفة ذلك إلا للضرورة كما تقدم مرارا ثم هم الأحكام فأمر بترك كل إثم ظاهر وباطن لتخلص النفوس من ظلمة هذه الدنيا وخص الكلام على تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه ليقطع العادات الوثنية ووصفه انه فسق وأفاد أن قوما من الكفار يوسوس بعضهم إلى بعض ليتعاونوا على مجادلتهم فأياكم ومطاولتهم . وهل يستوى الفريقان فريق كان ميتا فاحييناه وفريق لا يزال في الظلمات يتخبط في دبورها . وهذان الفريقان سائران على مازيناه لم فريق المؤمنين الذي أحييناه وفريق الكافرين الذي أبقيناه في الظلام فكل يصل على شاكلته وربك أعلم بمن هو أهدى سبيلا

ثم أبان داء الأمم الضلال وهم الرؤساء وعظماء الأمم فأفاد أن هناك قاعدة عامة وهي أن كل قرية وأمة قد صيرنا مجرميها أكابر فيحدثون فيها المكر وسوء الخلق والخلاعة والسوق والشل السوء والناس تبع لهم وكل ذلك وباله واقع عليهم فان من من سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والناس يحاسبون على مقدار ما عندهم من قوة وقدره ومن اجرام هؤلاء الذين هم أعداؤك أن يقول بعضهم كأني سفيان لن تؤمن لك حتى يوحى اليها كما أوحى الى محمد وسائر الرسل . وكيف يكون ذلك والرسالة إنما تكون لمن هم لذلك مستعدون ولا جرم أن مثل هذا استكبار وعظام والعقاب عليه بضده وسيصيب هؤلاء الجبريين صفرا وذلة وعذاب شديد

وختم هذا المقام بأن مسألة الايمان ترجع الى شرح الصدر ومسألة الضلال ترجع الى ضيق الصدر فالرسالة استعداد والايمان استعداد والضلال استعداد والله هو المحدث لذلك وعلى الناس الجدة والبحث والتنبؤ والجزاء يكون على مقدار الأعمال وهذا هو قوله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) * ومالك ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فضل لكم ما حرّم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كنتم لا يضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين * وذروا ظاهر الاثم وباطنه إن الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يفترون * ولأنا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون * وأمن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون * وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليجروا فيها وما يكرهون إلا بأنفسهم وما يشعرون * وإذا جاءتهم آية قالوا لن تؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجروا صفار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يكرهون * فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون * وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) تفسير هذه الآيات ظاهر ولكن لابد من بيان بعض الكلمات فقوله - ومالك ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه - أي وأي غرض لكم في أن تخرجوا عن أكله وما يمنعكم عنه وقوله - إن ربك هو أعلم بالمعتدين - بالمجاوزين الحق الى الباطل أي فيجازيهم وقوله - ظاهر الاثم

وباطنه - ما يعلن وما يسر وما بالجوارح - ما بالغلب وقوله - يكسبون الاثم - أى يكسبون الذنب وقوله - ولأننا كانوا مما لم يذكر اسم الله عليه - مذهب داود أن متروك التسمية حرام - وقال الشافعي لا يحرم مطلقا - وأبو حنيفة قال ان ترك التسمية عمدا لا يحل - وان تركها ناسيا محل - وأحمد ورد عنه روايتان فيمن ترك التسمية عمدا ومن تركها ناسيا حلت له وقوله - وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم - قالوا يا أحمد أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فترغم أن ماتت أنت وأصحابك حلال وماتته الكلب والصقر حلال وماتته الله حرام وقوله - وان أطمعهم - أى فى أكل الميتة وقوله - وأومن كان ميتا فأحييناه وجعلناه نورا يمشى به فى الناس - ميتا أى كافرا فأحييناه أى هديناه وأرشدناه للعمل الصالح وقوله - مثله - أى صفه وهو مبتدأ خبره قوله - فى الظلمات - وقوله - ليس بخارج منها - حال من الضمير المستكن فى الظرف وقوله - وكذلك جعلنا فى كل قرية الخ - أى كما جعلنا فى مكة - مجرمها أكابر ليمكروا فيها - صرنا فى كل قرية مجرمها أكابر وقوله - واذا جاءتهم آية الخ - * روى أن الوليد بن النيرة قال للنبي ﷺ لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بها منك لأنى أكبر منك سنا وأكبر منك مالا * وروى أن أبا جهل قال زاجنا بنو عبدة مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كذرى رمان قالوا منا نبي يوحى اليه - والله لا تؤمن به ولا تتبعه أبدا الا أن يأتينا وحى كما يأتية وقوله - الله أعلم حيث يجعل رسالته - حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته ولا موضع الا نقوس مشقة بالفضايل ولا دخل للنسب ولا المال ومعنى - يشرح صدره - يفسحه فيتسع لقبول الهدى وقوله - ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء - أى ينبوع قبول الحق ومن ضيق صدره كأنه يزاول ما لا يقدر عليه من صعود السماء فيكون الايمان امتناعا عليه امتناع صعود السماء وقوله - كذلك يجعل الله الخ - أى كما يضيق صدره يجعل العذاب أو الخذلان عليهم وقوله - وهذا - إشارة الى البيان المتقدم من الخذلان والتوفيق - صراط ربك - الطريق الذى ارتضاه أوعاده وطريقه لدى اتقنته حكمته - مستقيما - لا عوج فيه أو عدلا مطردا وهو حال مؤكده وقوله - قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون - فيعلمون أنه هو القادر وأن ما يحدث من خير وشر فهو بقضائه وقدره وأنه عالم بأحوال العباد وقد وضع كلا فى مركزه لحكمته التامة - ثم بين أن هؤلاء الذين يذكرون (لهم دار السلام) أى لهم دار السلامة من المكارة ومن كل آفة (عند ربهم) فى ضمائه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهي الجنة وأعلامها أن يكونوا - فى مقعد صدق عند مليك مقتدر - ويكونون وجوههم ناضرة الى ربها ناظرة ويرون ملاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الجمال الفائق والحسن الناضر والبهجة والاطلاع على العوالم العلوية واشراق شمسها وهجتها فيسكرون بحمرة العلم وهم فرحون مغبوطون ثم قال (وهو وليهم) مواليهم وناصرهم (عما كانوا يعماون) أى بسبب أفعالهم ثم أخذ يشرح حال الشياطين من الانس والجن - ولقد أظهر علم الأرواح فى الكشف الحديث أن الأرواح الشريرة توسوس لأشغالها من الأحياء بما يناسب طبائعها ويؤلفونهم ويودون أن يكونوا على طرائقهم وأهل العلم والفضلاء يعطون الأحياء ارشادا وتعلما نافعا كما كانوا فى الدنيا وعلى ذلك يكون الفاسقون الميتون من البشر لمعقبن بالجن فى الوسوسة والصالحون الميتون ملحقين باللائكة فى الاطعام - وهذا الكشف الحديث الذى ملا أصرىكا وانكثرا وفرنسا وإيطاليا وجميع بلاد العالم ماعدا المسلمين هو الذى به يكون تفسير القرآن

فيا عجب كيف يصبح ما كان ساعيا فى الاسلام محسوسا ملموسا - يا عجب كيف يقول الله تعالى - سترهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - وقد سمعت أبا الفتح فى هذا التفسير من علوم الآفاق كمل طبقات الأرض وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الفلك العجيب العجيب فهاك أسممك من علم الأنفس الذى عرفه جميع العالم إلا المسلمين حتى اذا جاءت الآيات السابقة وجدتها منطبقة عليه تمام الانطباق

لقد جاء في كتاب الأرواح الذي نقلت فيه (قيل هذا التفسير) عن علماء أوروبا كثيرا مما جاء في الجمعيات النفسية أن علماء تلك الجمعيات سألو أرواحا حضروها بالوسيط وألقوا عليها أسئلة منها • ماذا يقصد الروح الشرير بظهوره لإنسان ما فكان الجواب يقصد ازعاجه أو الانتقام منه • وسئل ماذا يقصد الروح الصالح بتجليه فأجاب يقصد تعزية من يبكي على قتله واثبات وجوده وبذل النصيحة لمن يحبه • وأدلب الاسعاف لنفسه وهناك قال الروح الذي وجهت اليه أسئلة كثيرة ما يفيد أن الأرواح تحيط بالناس من كل جانب وأن رؤيتها تعرقل مساعي الناس في أعمالهم فلذلك لم تجعل رؤيتهم عميقة الخ • وهناك ذكر ما يناسب هذا من الاحياء (في الجزء الثالث صفحة ٢٦) وهو أن خواطر الخير بالهام لللائكة المستعدين لذلك الالهام وأن خواطر الشر من الشياطين والقباب بينهما وهناك ذكر الحديث الآتي (في القلب لثمان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديقي بالحق فمن وجد ذلك فليدع الله تعالى وليحمد الله تعالى وله من العذر اعداد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم -

ولقد جاء في هذا الكتاب وفي كتب أخرى كثيرة كاتى الفها صديقنا (محمد فريد وجدى) أن الناس في أوروبا وأمريكا يجلسون ويحدثون الأرواح بطرق معارضة عندهم كما تقدم في (سورة البقرة) ويقولون الم أكاذيب وحكايات خيالية مادام المحدثون من الانس من الأنفس الناقصة وإن الذين يكلمونهم من الأرواح يكونون على مقتضى مذاهبهم وأخلاقهم وأن الأرواح العالية لا تخاطب النفوس الناقصة وأن الناقصة تألف الناقصة ويفرح بعضها ببعض وأن بعض الأرواح الشريرة تألف الناس وتسمع ناصحهم وتقم أوقالهم لتعلقها بالأرض ومن فيها وعلى ذلك يكون العلم الحديث تفسيراً فعلياً للقرآن وتكون سورة - قد أوحى الى أناسمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرأنا عجبا الخ - قد أصبحت مكشوفة وضحمة ظاهرة وأن إيمان الجن أصبح من اليقينيات لا من للموعات وأنا أقول سيقراً هذا القول من الناس متكبر مراد فيقول كيف نصديق الخرافات نقول له القرآن جاءنا فسمعناه والعل في أوروبا جاء بهذا حتى أصبح مشتهراً على أيدي ملايين بل مئات الملايين من الناس وفيهم فلاسفة وعلماء وهو مطابق مطابقة تامة لكنائنا المقدس • فإما أن نقول أن هذا وعد الله بأن يرينا آياته في أنفسنا كما سمعناها بالقرآن واذن يصبح هذا القرآن يقيناً أى على مقتضى العلم لا بمجرد التسليم • وإما أن نقول نشك في كلامهم واذن يجب البحث كما بحثوا وقد تقدم هذا مشروحاً في البقرة فارجع اليه إن شئت • واتى أعتقد أن هذا التفسير سيفتح باباً للأنتم الاسلامية يدخلون منه الى علومهم الأرض قاطبة ويخرجون من ظلمات الجهالة الى حظيرة نور العلم والعرفان والله هو الموفق الهادي الى طريق الصواب

إذا عرفت هذا فهت قوله تعالى (و) اذكر (يوم يحشرهم جميعاً) الضمير لمن يحشر من الجن والانس فنقول (يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس) أى من اعوانهم لأنكم لقرىكم من أخلاقهم وأفعالكم عوائد أهل الأرض وبعدكم عن العالم العلوى توسوسون لهم ويخذبونهم الى أخلاقكم • ومن عجب أن علم الأرواح قد جاء فيه أن الأرواح العلوية لما سئلت • هل يمكن التخلص من الوسوسة فأجابت نعم ذلك لا يكون إلا للنفوس الراقية في الأرض عندكم وقليل منكم من هو راق • والنفوس العالية عنكم لا تجسر الأرواح الشريرة على الاقتراب منها وهذا قوله تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - فاستكثر الجن من لغواء الانس إنما يكون في الطبقات الجاهلة الغاسقة فيحشرون معهم لأن أرواح الأحياء اذا ماتت لا تجد مكاناً إلا مكان أمثالها من الأرواح المنعطة وهى التى كانت توسوس لهم من أرواح الجن (وقال أولياؤهم من الانس) الذين أطاعوهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى استمتع الانس بالجن والأرواح الشريرة المناسبة للأحياء بأن دلوه

على الشهوات التي كانت تلك الأرواح تقتربها في الدنيا لأن الإنسان إذا هجز عن شهوة أنس بمن يتعاطاها كما ترى ذوى الشهوات يحبون النظر لمن يتعاطونها إذا هجزوا عن آتياتها استرواها لفسل المواقفين في الأخلاق والعبادات والأحوال والنفس لا تألف إلا أمثالها ولا تحب إلا من على شاكلتها وتهوى أن ترى من يوافقتها ويشاكلها . فهوذا يقولون - استمتع بعضنا ببعض - (وبلغنا أجلا الذي أجلت لنا) بالبعث (قال النار مثواكم) منزلكم أودات مثواكم (خالفين فيها) حال (إلا ما شاء الله) أى يخلدون في عذاب النار أبدا إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير إلى عذاب الزمهرير (ان ربك حكيم) فإيا يفعل بأوليائه وأعدائه (عليهم) بأعمالهم فيجزى كلا على وفق عمله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) أى نكل بعضهم إلى بعض أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم ويكونون قرناء في العذاب كما كانوا في الدنيا (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي . ثم خاطبهم خطابا عاما فقال (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) وقد اختلف المفسرون أمن الإنس الرسل أم منهم ومن الجن خلاف أطال فيه المفسرون والعلم الحديث طابق الآية مطابقة تامة وهو أن كثيرا من الأرواح الموسوسة للناس ملحقه بالجن لأنهم على شاكلتهم في الشر فيوسوسون للناس كما توسوس الجن . ومعالم أن هذا الفريق من الأرواح كانوا في الأرض ومنابهم التي كانوا عليها قد ثبتت في أذهانهم فهي لا تفرقهم فيوسوسون بها - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى - فتبقى عقابدهم راسخة فيوسوسون بها وبهم قد يسمع لصح أهل الأرض وهو في حال الموت فيقبل الشرور والفساد في أعماله وبهذا يفهم قوله تعالى - ألم يأتكم رسل منكم - فاذن جيع الأنبياء يسمعونهم الجن والإنس وفي الجن قوم ربما ينتفعون بما يسمعونهم كما في آية - قل أوصي إلى - أنه استمع نمر من الجن الخ - فأذنبوا قومهم وهذا القول قبل العلم الحديث ما كان العقل يصدق ويقر به بل يراه من الأمور البعيدة عن المادة فتعجب من القرآن كيف أخبر بما لم يكن معروفا فأصبح اليوم معروفا مشتهرا إلا عند المسلمين فهم وحدهم الذين لا يعلمون إلا قليلا منهم وهوذا يعرفون أن قوله تعالى - ألم يأتكم رسل منكم - قد طابق العلم الحديث (يتصور عليكم آياتي ويشذرونكم لقاء يومكم هذا) أى يوم القيامة (قالوا) جوابا (شهدنا على أنفسنا) كما يقول الناس اليوم حينما تحتل دولة أجنبية بلادهم نحن مفرطون مذنبون جاهلون وكما يقول الفاسق لقد أضعنا حياتنا في فسوتنا . ويقول الذين ابتلوا بشرب الخمر والتدخين لقد تلتنا عاداتنا السيئة القبيحة هكذا عذاب الآخرة ملهو لا نتائج للمادات والأخلاق والأحوال المكتسبة ويقال فيها ما يقال في الدنيا فيشهد الناس على أنفسهم (وغيرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) ولما كان من عادة الله في خلقه ألا يجعل الأمور طرفة بل يأتي لها بمقدمات كالمرض مثلا يتقدم للموت والرياح تتقدم للمطر وكذلك البرق ليستمتع الناس هكذا لم يشأ أن يترك القرى وشأنها فلا يد من ظهور تابغين فيهم أما بالحكمة والعلم وأما بالنبوة ولذلك قال (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من بعث الرسل إليهم وإذأمرهم سوء العاقبة (أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) هذا تحليل للحكم المتقدم أى لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلمهم وهم غافلون لم ينهبوا برسول أولم يكن ربك مهلك القرى بظلم منه وهم غافلون وإذا كان الله أرسل الرسل فقد اتقى الظلم (ولكن) من المكلفين (درجات) مراتب (بما عملوا) من أعمالهم (ومار بك بما فعل مما يعملون) فيخفى عليه عمل (وذلك النبي) عن العباد والعبادة ولكنه جعل ذلك ترقية للناس ليخلصهم من المادة وهو (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف (ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدهم ما يشاء) ممن يصلحون لسكنى أرضه وقد حصل ذلك فقد زالت أمم ودول كأهل أمريكا الأصليين وغيرهم (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أى قرنا بعد قرن (ان ما توعدون) من البعث وأحواله (لآت) لكن لا محالة (وما أتم بحجرتين) أى بفاتنتين طالبكم - أينما تكونوا يدرككم الموت - (قل) يا محمد (يا قوم اعلموا على

مكاتكم) على غاية تمكسكم واستطلاعكم (انى عامل) على مكاتى التى تأملها وما أمرنى به ربى أى انبتوا على ما أم عليه من الكفر والعداوة فانى ثابت على الاسلام (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أى النبى له عاقبة الدار (انه لا يبلغ الظالمون) أى الكافرون وضع موضعه الظالمون لأنه أعم فائدة انتهى التفسير اللغزى لهذا المقصد

(لطائف هذا المقصد)

(اللطيفة الأولى) فى قوله تعالى - وكلهم الموتى -

(اللطيفة الثانية) فى قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم

الى بعض زخرف القول غرورا -

(اللطيفة الثالثة) - وان نطعم أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله -

(اللطيفة الرابعة) - وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرمين ليجروا فيها -

(اللطيفة الخامسة) - يامعشر الجن قد استئنتم من الانس الخ -

(اللطيفة السادسة) - ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء -

(اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - وكلهم الموتى -) (واللطيفة الخامسة - يامعشر الجن الخ -)

ان الكلام مع الموتى الآن أكبر آية أزلها الله للناس لما فقدت العقائد وقد امتلأ بها السهل والجبل نعم فى هذا الكلام شك والعلم لا يزال فيه قصص ولكن الشك فى العلم لا يوجب تركه فان العلماء الذين يعتقدون بمئات الألوف يشغلون فيه الآن فأرجع الى ما كتبت فى سورة (البقرة) والى كتاب الأرواح الذى ألفته والى ما كتبه حضرة (محمد أفندى فريد وجدى) وكذلك الكتب الأفرنجية المنتشرة فى العالم الانسانى وسترى فى هذه الكتب ما يدهش العقول وان الناس فى العالم الانسانى اليوم يتعاهدون مع الأرواح بطريق (الطاوله) أو بطريق (الكتابة) أو بطريق (التنويم المغناطيسى) وهناك من الشك والريب نارة والتصديق نارة أخرى مالا يحصى ونرى هناك أن النفوس الانسانية الناقصة لا يأتى لها ولا يبادنها الا الأرواح التى على شاكلتها وتعطى لها معاملات مما يناسب أمور معاشها وأحوالها الدنيوية وهذه تكون - كسراب بقية بحسب الظمان ماء حتى اذا جاء لم يجد شياً ووجد الله عنده فوفاه حساب - وتصبح تلك الأرواح هازئة بالأحياء ضاحكة عليهم استهزاء ونارة تحبرهم بأخبار يظهر كذبها فيها بعد لقصور نظر الأرواح وان لم تقصد هزوا ولا سخرية وأما الأرواح العالية فهى لا تنزل الى صغار الأمور ولا تهتم الا بالأمور العلمية ولا تطيع من يدعوها الى الاستهزام عن الأمور الشهوية وتقول اننا لانحب أن ندخل معكم فيما يحبسكم معلقين بالدنيا بل نخليكم عنها وفقركم وبؤسكم يفر بكم من العالم الأخرى . وهذه الأقوال قد شرحتها فى كتاب الأرواح وعجبت كل العجب من انها موافقة للحكمة الاسلامية ولما شرحه الامام الغزالى فى الاحياء وأى معجزة للقرآن أكبر من هذه وكيف يظهر ملخص الدين على ألسنة الأرواح

(عجائب القرآن ومعجزاته فى القرن العشرين فى آية - ولو أننا أنزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله) ولكن أكثرهم يجهلون . وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الخ) أفادت هذه الآية أن الايمان بالله واليوم الآخر تابع لمشيشة الله ولستعداد الانسان فليست البراهين بمنجية مادام المرء لا يستمتع والقضاء لم يسعد وهذا بسببه الحاصل الآن . ألم ترى أننا اليوم فى القرن العشرين نسمع أن العلماء فى (أمريكا وأوروبا) يكلمون الموتى ومع ذلك نرى بعض المتعلمين فى بلادنا الشرقية يكفرون بالله واليوم الآخر ولا يقدرون فى الايمان ساداتهم من انفرجة الدين كفروا تحايدا لهم فلما آمنوا لم يقدروهم وهذا هو مافى نفس الآية . فأنه تعالى أذن للناس أن يكلموا الموتى فى عصرنا الحاضر كما فى الآية ولا يزال الناس

فريقين • كافرين بالله واليوم الآخر • ومؤمنا وهذا مجزة باهرة • ومن غرائب ماحدث في هذا الدهر
وان شئت بينة على ذلك فهناك ما جاء في جريدة (الاهرام) بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢١ فان ماستقرؤه في
المقالة التالية ناطق بمعنى الآية • مجزة للقرآن كما في قوله تعالى - سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم -
وهذه هي المقالة

(مناجاة الأرواح)

في الجهة الغربية من ولاية (نيويورك) وعلى بعد ٦٠ ميلا من مدينة (بفالو) مصيف باسم لى دال اشهر
بجمال موقعه وعذوبة مائه وعليل هوائه وامتناز بكثرة أحراجه وضحامة أشجارها وسهولة ارتفاعها وأحاطت به
بحجرة واسعة الأطراف وتتوم بادارة هذا المكان جماعة من الروحيين الذين يعتقدون بمذهب (مناجاة الأرواح)
ويبهنون من أهمهم وأقوالهم فيه ما لا يدرك له العقل حلا ولا يدري الى أى تاموس يرد
ومن العجيب أنه مع تقادم العهد على ظهور هذا المذهب وسعة انتشاره لم تزل آراء العلماء فيه على اختلاف
مبين ففهم من ينكره انكارا باتا وبعد أعمال القائلين به من باب التجليل والأوهام • ومنهم من يعتقد
اعتقاد الحقائق المسلمة ذهابا الى أن في الطبيعة أسرار لا يسع الوجدان انكارها وان لم تقع في حيز العقل
وقد زار هذا المكان أحد أبناء (السوريين) وكتب الى الهدى (النيويوركية) يصف ما رأى فقال كان
يجتمع في المنهى خاق كثير لسماع الخطب الروحية (جان سلاتر) أحد زعماء هذا المذهب ووسطائه المشهورين
وقبل ميعاد الاجتماع كان معظم الحضور يتسابقون الى لقاء أوراق صغيرة على (طاولة) الخطيب يكتبون
عليها بعض الأرقام وألحروف المتقطعة التي كان الوسيط يكتب في جهادون كتابة الأسماء ثم يفتح الخطيب الحفلة
باتقاء كلمة بهذا الموضوع من الوجهة العلمية ويترسل في الكلام الى مسألة خلود النفس وامكان مخاطبة أرواح
المتوفى السابحة في الفضاء بواسطة وسطاء حقيقيين والوسامة موهبة عظيمة إنما في بعض الأحيان يتخلو الوسيط
من القوة اللازمة لتأدية الوظيفة حقها ولكن متى نوافرت القوة كلواجب تظهر البينة وتتجلى الحقيقة للعيان
ثم يتناول الخطيب الأوراق الملقاة على (الطاولة) أمامه فيقرأها الواحدة بعد الأخرى مرصلا عن كل منها
جوابا يتناول من التحليلات والمخاطبات الروحية فيدهش الحضور بما يأتيه من المجزات

جاء الوسيط الى عدد (٦) فنأدى بصوته الجهورى قائلا مستر (جيمس هامنتون) وأشار يده اليه فأجاب
نعم فقال له الآن كن (كلنفلده أوهايو) وتقيم في الشارع الثلاثين رقم (٥٥٥) • فأجاب نعم وهذا عنواني
الحقيقي • فقال انى أرى الآن والدتك واقفة بإرائك تفرتك الشوق والتحيات وقد أوعزت الى أن أبلغك
فصيحة وهي أن الرجل الذى قابته في (ديترويت ميشكن) مساء الاثنين الماضى وتحدثت وياه بشأن افتتاح
تجارة في تلك المدينة ووعده بانك ستعود اليه في الغد للباحث في العمل نهى تصحك بالاتلاع عن هذا العزم
لأن لرجل لا يضر الخير ولا الاخلاص لك فياك أن تتعامل معه
فوقف الرجل مبهورا ورفس الأرض برجله وقال نعم هذا هو الحادث بيته فقد أقفنت الآن عن عزمي
وسأعمل بهذه النصيحة

ثم تناول الخطيب ورقة أخرى كان عليها حرف (ج) على ما أذكر فالتفت الى الجمهور وقال (مستر
مارى رولاند) وبأقل نظرة وقعت عينه على هذه السيدة فقال لها لا يمكن أن يكون هذا اسمك الحقيقي
أجابت نعم • قال ألا تقيمين في (شيكاغو) في شارع كذا وترة كذا • قالت نعم وكل ذلك صحيح • قال
لها اننى أرى الآن نبحاك (البرت) الذى تجتد في الحرب الكبرى وسافر مع الفرقة الأخيرة واقطعت أخباره
عنك حتى أصبحت وأنت لا تعلمين عنه شيئا جاء الى بروكس نازحة من الشجاعة والحجاسة وهو يقول لك انه
وقد كان مقتله قبل انتهاء الحرب بمدة قصيرة قال ان جنته بقيت مطروحة مدة ثلاثة أيام قبل الاحتفاء اليها

• وهنا وصف الوسيط ملاح نجعلها ومظهره وأخبرها عن اسم المكان واليوم الذي قتل فيه وبعد ذلك قرأ الوسيط عدد (١٨) مسز (ألن مكلان) وأشار بيده إليها فذكر لها اسم المدينة التي تقطنها واسم الشارع الذي تقيم فيه حسب عادته • ثم قال لك شقيقة تدعى (أنا) جسيلا الطلعة شقيقة القوام كانت تسكن في (دقتر) من ولاية (كولارادو) مرضت مرة مرضا شديدا كاد يودي بحياتها فكتبت إليك تطلب حضورك إليها وقد حالت الظروف دون ذهابك فساءها ذلك وقطعت أخبارها عنك وهذا ما حلك على الاعتقاد بأنها توفيت والحقيقة هي أنها لم تزل حية ترزق وتقيم اليوم في مدينة (بليتمور) وكنت أود أن لا أجد مسمعا يبراد شيء مما عرفته عنها ولكن الحقيقة يجب أن يقال فإن سوء أحوالها وسوء العشرة دفعها لارتداد منازل الفساد وهي تسكن في الشارع (الفلائي) تحت نمرة كذا وإذا شئت مراسلتها فليك الاعتماد على هذا العنوان وإذا لم يكن ذلك محييا فاني أضرب على نفسي غرامة مالية كبيرة وأتخذ هذا الجمع الغفير شاهدا على ذلك

ثم جاء الخطيب الى عدد آخر فقال مستر (توماس فيليس) فأجابته • قال انني أراك شديد الاهتمام بمسألة بيع (البنابة) التي تملكها في (جامستون نيويورك) لجورج مارش وتود أن تعرف اذا كان البيع ينتهي حسب طلبك أم لا وكثيرا ما تابحت مع امرأتك في هذا الشأن مع انك قبضت من ثمن البنابة حواله بألف ريال وذلك مساء الجمعة الماضي وأز يدك الآن اطمئنا بأن للبيع سيتم بالقيمة التي اتفقتا عليها وهي مبلغ عشرون ألفا (بسة لم يحضرها ابليس) والشارى غير مغبون

فاستغرق الجمهور في الضحك واغرق صاحبنا في التخب • ولما وصل الوسيط الى هنا في الكلام صمت هنيهة ثم قال في هذه الساعة حدثت حادثة محزنة في ضواحي (فلادلفيا) وذلك أن سيارة تقل خمسة ركاب انقلبت براكيها من شاحق فقتل اثنان وأصيب الباقيون بجروح خطيرة ويهم امرأه لها بنت موجودة بيننا تدعى (لوزو تنكس) ولم يكد يدور نظره على الجمهور حتى رآها فقال نعم ان والدتك من جهة الركاب الذين هوت بهم السبله وهي الآن في المستشفى (الفلائي) القريب من محل الحادثة فاسرعي لاغاثتها فصرخت الفتاة وبكت والتفت الى الساعة وكانت قد قاربت التاسعة والنصف ليلا وهو الموعد الذي يترك فيه القطار الأخير المحطة فقالت وما الحيلة والقطار قد سافر قال لها الوسيط انتظري قليلا ثم التفت الى العلا وسأل أهل القطار ترك المحطة وتغم بلفة غير مفهومة ثم قال أسرعي وأعدتي حواجلك فان القطار متأخر عن ميعاده نصف ساعة فهبت الفتاة مسرعة وأعلنت لوازمها وجاءت الى المحطة فوجدت القطار على جناح السفر فركبته • وفي اليوم الثالث ورد من الفتاة رسالة على صديق لها هناك تخبره بأن الحادثة وقعت كما رواها الوسيط وتؤمل بأن والدتها تتقدم الى الشفاء • اه

﴿ اللطيفة الثانية - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن - ﴾

وهذه أيضا مفهومة مما سبق في مواضع كثيرة من التفسير فالأنبياء وجيع المصلحين بعدهم يكون نصيبهم على مقدار مقامهم من النور والتبليغ وأما شياطين الجن فانها تلك الأرواح التي كانت فلورها في غطاء فأصبحت في العالم الروحي كما كانت في الدنيا فأصبحت ملحقه بالشياطين الذين يوسوسون الى أمثالهم لانفلاق أبواب السماء ومفاتيح العلم في يد الله لا يصلون إليها فترتد قوسهم الى أهل الأرض وتنسلي بما ترى من قوس نافذة فتفريها بما كانت تود في الدنيا وعقوها مغنلة قد حكم عليها بذلك فصاها لها فأصبحت تهم على نفسها وعلى أمثالها من البشر ولذلك سئل بعض الأرواح فقيل لها هل الأرواح تقدر على أذى الناس فكان الجواب كلا وإنما الناس هم الذين يؤذي بعضهم بعضا وإنما الأرواح اذا تصدت للأذى وسوست الى الأحياء بما تريد فهذا هو الأذى • - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - فهؤلاء هم الذين قال الله

فيهم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة لأن نفوسهم لم تستعد لتلك الأنوار وهي أشبه بالأجسام (الغازية) البخارية التي ترتفع في الجو وكل جسم له حد محدود لا يتجاوزه ولله لا يمنع أحدا عن النعم ولكن العوائق من النفوس في النفوس جنتها وفي النفوس نارها فأى نفس غلظت وفسدت وأحبت الحياة الدنيا فإن طبعها لا يقبل الجنة ولا عالم الملائكة فلا يصل لتلك بحسب استعداده وأى نفس أحببت ذلك العالم واستعدت له وحفت مؤتمتها فانها ليس بينها وبينه إلا الموت وهناك تصعد إليه وترتقي - وإن إلى ربك المنتهى -

واعلم أن ما يكشف اليوم من الكواكب والسيارات إنما هو ذخيرة قد أعدها الله للأرواح الأرضية للشرقة النبيلة لتفرج عليها إذا ماتت ويكون موتها أكبر سعادة وأشرف أيامها . فما أسعد أيام الخروج من هذه الدار التي حبسنا فيها حبسا عاقنا عن العروج والخروج إلى باحات الهناء وساحات السعادة والصفاء حتى نرى تلك الكواكب الهجعة بأقدارها وهياتها وأتولرها وأشرافها والحياة عليها ونرى لك الجباب وإذ ذاك تفك من هذا الاعتقال الأرضي ونطالع تلك الشمس في المجرة التي تبلغ مئات الملايين ونرى شمسنا بقعة صغيرة منها وأرضنا أصغر من كل شئ حيثئذ نفسى هذه الدنيا ونفسى يؤسها وشقاءها ونخرج من جهنمنا إلى السعادة التي نشاهد كل ليلة بصيما من نورها وقبسا من نارها وحورا في طرفها ولوامع مشرقات في دياجى الظلمات نطل علينا تدعوننا حثينا إلى الخروج من هذه الظلمات إلى تلك الأنوار

أيها القارئ! التكى اجعل حياتك معراجا لك المقام الشريف ولا تدخر وسما في النفع العام لأمتك وللعالم أجمع إذا حضرت حتى تكون خليفه مبدع هذه الموجودات ونظم عقدها وموحد نظامها وهو اللطيف البديع النور الهدى إلى سواء الصراط اه

﴿ اللطيفة الثالثة - وإن نطلع أكثر من في الأرض يضادوك عن سبيل الله - ﴾

اعلم أن أهل الأرض قاطبة مقلدون لرؤسائهم تابعون لساداتهم مسوقون بخواصهم فترى العلم ربما كان خطأ فينبى مئات السنين والناس يظنونهم حقا لما أن قوما من المشهورين قرؤوه وأقرؤوه ودرسوه فيتبع الآخرون الأولين واللاحقون السابقين . وترى للذاهب الاسلامية والنصرانية واليهودية يتبع الأخير الأول ويتبص له ويقول هو الحق وما سواه ضلال وهكذا في سائر العلوم كالفلك والطب والطبيعة وليس ينقذهم من ذلك بعد مئات السنين إلا أفراد يخلفهم الله فيجاهدون ويهذبون الشعوب ويعلمونهم فأكثر أهل الأرض مقلدون والمجننون هم الأفلون . ألا ترى أن ابن النصراني نصراني وابن اليهودي يهودي وابن المسلم مسلم كل ذلك لأن الناس في أكثر أحوالهم مقلدون وعلومهم إنما تكون مخنونة والنبوغ فيها يكون على مقدار استظهار مدرسه وفهم ماعقله غيرهم . فأما الرجوع إلى أصل تلك للذاهب والتأمل في أساسها فإن البشر غالبا لا يتبعون أنفسهم فيه والأهمار قصيرة وعلى ذلك يجب أن يكون في الأمة الاسلامية مفكرون يفكرون في أصول للذاهب الاسلامية ويبهتجون على الأمم الاسلامية ويبهتجون عقولها للرق والاصلاح لأن السنن والنسبي وسوام أصبحوا لا يرون إلا ما قرؤوه في كتبهم وهي أمور متشابهة . ثم إن الأئمة لم ترفع عن أعينها الأغشية التي غطيت بها العيون وليس عندى إلا نشر العلوم الكونية كما تفعل في هذا التفسير فهذا يخرج الناس من ظنهم إلى اليقين

إن علم النطق علم عملي والظن يكفيه أما معرفة هذه العوالم فانها علمية عملية مما فهمى علم بالعالم من سموات وأرضين وحتى عرفت الصفة عرفت الصانع وفوق ذلك يرقى الشعب الاسلامي باستخراج منافع الهواء والماء والأرض والسماء . هذا ما فهمته من قوله تعالى - وإن نطلع أكثر من في الأرض إلخ - . أما رسولنا ﷺ فهو هتد ربه الآن وفائدة هذا الكلام ترجع لنا الآن أيضا فأما تكؤلما بأن نفس ربك ذلك فليس يكون فيه فائدة مرجوة لنا اه

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها - ﴾

اعلم أن هذه الآية هي التي تنطبق على الأمم كلها لاسيما للمسلمين الآن فانك حينما أدت عينك لارثي التي ولا الفساد ولا الضلال في الأمة إلا من رؤسائها لاسيما بعض مشايخ الطرق أولئك الذين هم إرغماء الدين والملوك وعظماء الأمم الاسلامية فأطية . هؤلاء هم آفات الاسلام ومماتيه . هم الذين يساعدون الفرنجة على احتلال أرض الاسلام . هم الذين يوالونهم ويحبونهم لأنهم يقدون النعم عليهم ويولونهم المناصب العالية ويهبونهم الألقاب الضخمة . وترى ذلك في شمال أفريقيا في بلاد مراکش وتونس والجزائر وطرابلس ومصر وبلاد العراق وغيرها . فهذه الأمم لم يدخل الفرنجة فيها إلا مجرموها الأكابر . فهم الذين فسدوا فيها وعملوا الشعوب كيف يفسقون ويميلون الى الشهوات ففزع القوم للفرنجة واستنواها ولم يربما استنار القوم بعد حين انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة السادسة في قوله تعالى - إن بشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء

كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين - ﴾

هذه اللطيفة تناسب اللطيفة التي قبلها فان الأمم اذا فسدت بفساد أكبرها ولم يظهر فيها نابغون أجدر أن تأتي من الوجود وأن تهلك لأن الله لم يجعل في الأرض ولا في غيرها عملا لغیر فائدة بل هو الذي جعل الأزهار التي لا لون لها ولا رائحة إنما يلقحها الريح كما تقدم . أما الأزهار ذات الرائحة الجميلة والمحسن البديعة والألوان البهجة فان الحشرات هي التي تلقحها وتجعل ذلك الجمال وتلك الألوان والروائح والعسل مغرية لذلك الحشرات أن تمر عليها فتلقحها فلم يخلق الجمال عبثا بل خلقه لمنفعة راجعة لنفس النبات لأنه ليس في الوجود معطل فإذا كان هذا في نبات ندوسه بأرجلنا وقطعناه لنشم رائحته ولا نبالي به وتارة نقرقه بالماء وتارة نرعاه دوابنا وتارة نجعله لأغراضنا في معاشنا فكيف يخلق إنما في الأرض لثمره في بقائها فإذا منع الجمال والرائحة عن هذا النبات اذا لم تكن لذلك فائدة واكتفى بمرور الرياح عليها لالتقاحها فما أحوا أن يهلك الأمم التي لاتناسب زمانها فيهلكها ويستبدل غيرها بها . ولقد حصلت مبادئ هذه في الأمم الاسلامية فأخذت الفرنجة نسونا الخسف وتدخّل في عقائدها ما يضر أخلاقنا وعاداتنا فان لم يفسد عقلاء المسلمين فليعلموا أن وعد الله حق وأنه لا يخلف وعده وأنه لا يريد إلا الإصلاح ولا يبقى من الأمم إلا ما يصلح للوجود . ولذلك أرسل التتار من الشرق في القرن السابع فأبادوا الدول الاسلامية (السلجوقية والعباسية) وكذلك أرسل الأمم الأوروبية في نحو تلك المصور لمحاربة المسلمين . وكذلك أرسل الأسبان فأبادوا أكثر الأمة العربية وبقاياهم هزموا وهربوا - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - . اه المقصد الرابع

(المَقْصِدُ الْخَامِسُ)

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْثُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرَها لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذَرُوهَا كَرُونَ أَسْمَ اللَّهُ عَلَيْهَا افْتِرَاءُ

عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ : وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّدُكُونِنَا
وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثْقَلُ مِثَّةٍ فِيهِ شَرَّ كَاءٍ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ *
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ
صَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * فَمَائِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِنَ الصَّانِ اثْنَتَيْنِ
وَمِنَ الْمَرْءِ اثْنَتَيْنِ قُلْ آلَ اللَّهِ كَرِهَ حَرَمٌ أَمْ الْأَنْثِيَيْنِ أَمْ الْأُنثِيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهُ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ
نَبَوْنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَتَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَتَيْنِ قُلْ آلَ اللَّهِ كَرِهَ
حَرَمٌ أَمْ الْأُنثِيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهُ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ
بِهَذَا قُلْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ * قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْقَلُ أُوْذَةٍ أَوْ دَمًا
مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظَهْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُورُوعَةٌ وَاسِعَةٌ وَلَا يُرْذُ بِأَسْئَةٍ عَنِ الْقَوْمِ
الْجَاهِلِينَ * سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ
كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافَقُوا بِأَسْنَانِهِمْ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُمْ لَنَا إِنْ
تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ * قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ *

(التفسير اللفظي)

لما فرغ في المقصد الرابع من الكلام على كفرهم واشراكهم وجهلهم أخذ يذكر في هذا المقصد تفصيل

ضلاتهم العملية وأحكامهم الفاسدة • فنها انهم كانوا يقصدون الزرع والخمار وهي المبرع عنها بالحرث والابل والبقر والغنم وهي المبرع عنها بالأنعام فيجمعون منها نصيبا لله ونصيبا للأصنام • فأما ما كان لله فانهم يجعلونه للضيغان والساكين • وأما ما كان للأصنام فانهم يجعلونه للخدام وللجنة فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه للأوثان رذوه إلى الأوثان وقالوا انها محتاجة إليه وكانوا إذا هلك شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به وإذا انتقص شيء مما جعلوه للأوثان جبروه مما جعلوه لله • هذه أول مسألة (المسألة الثانية) ان السدنة كانوا يزنيون لهم هم والشياطين أن يقتلوا أولادهم فكان الرجل يقول في الجاهلية إن ولده كذا وكذا غلاما لينحرن آخرهم كما حلف عبدالمطلب على ابنه عبد الله (المسألة الثالثة) أن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي المذكورات المفترقات في سورة (المائدة) كانوا يحرمونها ولا يأكلها إلا الرجال وهي على النساء محرمات كما تقدمت هناك ويحرمون ظهورها فلا يركبون البحار والسواب والخواهي (المسألة الرابعة) انهم لا يذكرون اسم الله على الذبايح عند الذبح بل يذكرون أسماء الأصنام (المسألة الخامسة) انهم كانوا يجعلون الأجنة في بطون البحار والسواب لذكورهم وإيس للإناث فيها من نصيب كما تقدم في (المائدة) هذا إذا تركت حية فإذا نزل ميتة أكلها الرجال والنساء هذه المسائل الخمس ذكرها الله في هذه الآيات بمبدأند معتقداتهم فلذلك قال في المسألة الأولى (وجعلوا) أي مشركوا العرب (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والأنعام نصيبا) أي والأصنام نصيبا (فقالوا هذا الله بزعيمهم وهذا لشركائنا) بزعيمهم وكذا ما بعده أي زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك (فما كان أشركتهم فلا يصل إلى الله) أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونها إليها من قرى الضيغان والنصدق على المساكين كما علمت (وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) من انفاقهم عليها والاجراء على سدتها وقوله - مما ذرأ - بيان انهم لو عقلا لم يجعلوا للأوثان شيئا لأن الله هو الخالق فلذلك قال (ساء ما يحكمون) والمخصوص بالتم محنوف أي حكمهم هذا • وقال في الثانية (وكذلك) أي مثل ذلك التزيين في قم القربان (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) هو فاعل زين • وفي قراءة زين بالبناء للجهول وقتل نائب فاعل وأولادهم مفعول وشركائهم مضاف إليه وقد فصل بين المضاف والمضاف إليه أي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم والشركاء هم الجن أو السدنة (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام • ومعلوم أن كل ما يقع في هذه العوالم إنما يكون بنواميس واستعداد وقابلة (ولوشاء الله مفاعله) أي ما فعل للمشركين ما زين لهم ولا الشياطين ما زينوا (فندهم وما يفترون) أي افتراءهم أو ما يفترونه من الآف • وقال في المسألة الثالثة (وقالوا هذه أنعام وحش حجر) أي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الذكر والمؤنث والواحد والكثير (لا يطعمها إلا من نشأ بزعمهم) يعنون خدام الأوثان والرجال دون النساء كما تقدم (وأنعام حرم ظهورها) • وقال في المسألة الرابعة (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه) مفعول لأجله (سيجزيهم بما كانوا يفترون) أي بسببه • وقال في المسألة الخامسة (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام) أي أجنة البحار والسواب (خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم) أي جزاء وصفهم (لأن حكمهم عليهم) ثم أتى بما يفيد خسارتهم بما تقدم قتال (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) فكانوا يشدون بناتهم عفاة الفقر والسبي وأبنائهم إذا نفروا ذلك كما تقدم (سفا بغير علم) نخبة أحلامهم وجهلهم ان الله تعالى رازق أولادهم لاهم (وحرموا ما رزقهم الله) من البحار وغيرها (افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهذا ملخص ما تقدم من أعمالهم الفاسدة • ولما أكل الكلام على تعدد أعمالهم الفاسدة وتذكر انهم نصروا فيها ذرا الله لهم من الحرث وهو الخمر والزرع • ولأنعام وهي الابل والبقر والغنم شرع بفصل الكلام على

هذين القسمين أى الحرث والأنعام على الف والنشر المرتب فقال فى الحرث
 ﴿ الكلام على الزرع والشجر ﴾

(وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغيره معروشات) يعنى والله الذى خلق وابتدع نباتين مبسوطات على الأرض كالقرع والبطيخ وكالنب الذى يبق على وجه الأرض منبسطة والنب الذى كهيئة سقف ويقال عرشت الكرم أعرشه عرشا وعرشته تعريشا إذا جعلته كهيئة السقف واعتش العنب العريش إذا علاه فالعنب بنوعيه أى مافوق العريش وما ينسبط على الأرض والبطيخ والقثاء والخيار والقرع • كل ذلك يقال له جنات معروشات أى مبسوطات إما على الأرض فى أكثرها وإما على العريش فى أحد نوعى العنب وقوله - وغير معروشات - هى ما قام على ساق كالنخل والزرع وسائر أنواع الشجر

﴿ عجائب فى النبات ﴾

اعلم أن هذا هو القسم الأصغر وهو ما يراه الناس من الجنات المعروشات وغير المعروشات • أما القسم الأعظم منه فهو أنواع الحدائق والبساتين التى ترى فى الطحلب الذى يكسو وجه الماء فى البرك والمستنقعات فهذه بساتين ترى بالنظر المعظم منهرة بأجرة وكذلك ما يملأ الجدران والسطوح وجذوع الأشجار والأرض الرطبة والصخور الرطبة فى الحال الظلمة والعفونة الناجية على الحيطان الرطبة وعلى الجلود المدبوعة كجلود الأحذية وجلود الكتب وعلى الخبز فى بساتين كالبساتين التى تراها بأعيننا • وهكذا ما على سطح ماء البحر بحيث يتلون به الماء وعلى الصخور اليابسة على هيئة قشور يابسة أو غبار وهكذا ما يفسد العنب والبطاطا وما يخلق فى داخل الحيوان الحى فهذه وغيرها أنواع من الجنات المعروشات وغير المعروشات متى نظرت بالمنظار المعظمة علم أنها هى القسم الأكبر عددا والأوسع نطاقا فهى أوسع مما يراه الناس بأعينهم العادية • وكما رأى الناس السكاك بأعينهم فكانت (٦) آلاف وهى بالنظر المعظم مئات الملايين هكذا هنا فى النبات سواء بسواء - ويخلق ما لا تعلمون -

﴿ لطيفة ﴾

جاء فى جرائد المصرية بتاريخ (١٩) أكتوبر سنة ١٩٢٦ أن اسراج غيانا البريطانية (فى جنوبى أمريكا) بالقرب من خط الاستواء) تحتوي على أنواع من الديدان والحشرات تفوق الحصر فقد وجدوا ما يزيد على ألف نوع منها فيما لا يتجاوز مساحته (ياردة) مربعة من الأرض

﴿ أهمار النبات ﴾

اعلم أن دود الحرير يعيش ثلاثة أشهر من أيام أن يكون يرزا صغيرا إلى أن يكون دودا فليلج أى كرة صغيرة داخلها دودة يحيط بها حرير فقراشة خارجة من البودة فتبيض ثم تموت وتخلب تعيش (٣٠) سنة والنيل يعيش عمرا طويلا هكذا يكون النبات فنه ما يعيش إلا فصلا واحدا كالخنة والشعر والقرع ومنها ما يعيش مئات السنين مثل البلوط والصنوبر • ولذلك يقولون ان النبات اما سنوى تكون حياته كلها فى سنة أو أقل كما قدّم وأما نبات محول مثل الف والسمندور فانهما يورقان فى السنة الأولى ثم فى السنة الثانية يزهران ويلفان وييزران • وأما معمر وهو ما يعيش سنين عديدة كالأشجار والأجم وبعض الأعشاب التى تزهر وتبلغ وتيزر وتموت مافوق الأرض منها كل سنة ويبقى ما تحت الأرض حيا ويجدد النبات فى السنة التالية كالبطاطا والسوسن والزنباق • هذه هى الجنات المعروشات وغير المعروشات • ثم أخذ يفصل بعض الجنات غير المعروشات فقال (والنخل والزرع مختلفا أكلة) أى ثمرة الذى يؤكل وهذه حال مقدرة لأن النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون محتدا وهو كقوله - فادخلوها خالدين - وذلك الاختلاف فى اللون والطعم والرائحة (والزيتون والزمان متشابهة وغير متشابهة) فى الطعم (كاوا من ثمرة) أى من ثمرة واحد (إذا

أثم) ولا أحرم عليكم أكل مالم يدرك بحجة أن الفقراء والمساكين حقاً فيه لأن رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير فلكم أكل مالم يتم نفعه (وأتوا حقه يوم حصاده) أى جذاذه وقطعه وهو أن يعلم من حضر ويترك ما سقط من الزرع والتمر ولقاط السنبيل وقد كانوا يجيئون بالعنق عند الصرام فبأكل منه من مـ وكان أهل المدينة إذا صرموا النخل يجيئون بالعنق فيلقونه في جانب المسجد فيجىء المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه أكله وهذا الأمر للتدب والآية ليست منسوخة بآية الزكاة فهى محكمة • أما الزكاة فقد تقدمت في سورة (البقرة) فارجع إليها هناك إن شئت ثم قال (ولانسرفوا) فى التصديق كقوله تعالى فى آية أخرى - ولا تبسطها كل البسط - لأن فى المال حق الزكاة أيضاً فى انضم الاسراف فى الصدقة الى الزكاة كان ذلك مضيعاً للعمال والسرف مجاوزة الحد ولذلك قال السدى معناه لاتعطوا أموالكم وتصدقوا فقراء • وقال الزجاج لو أعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئاً فقد أسرف • وفى الحديث إبدأ بمن تعمل ثم قال (إن الله لا يحب المفسرين) فيه وعيد وزجر عن الاسراف فى كل شئ وقال سبحانه فى الأنعام ﴿

﴿ السكلام على الابل والبقر والغنم ﴾

وقد عطف على جنات قوله (ومن الأنعام حولة وفرشا) أى كما خلق من النبات ما يبسط على الأرض وهو المعروشات وما يقوم على ساق وهى غير المعروشات خلق من الأنعام ما هو كالمعروشات وهى الصغار الدانية من الأرض كالفرش الذى يفرش وذلك كالمز والضان وصغار الابل وما هو كغير المعروشات من الشجر وهى ما يحمل عليه من كبار الابل والبقر وهى التى يطلق عليها حولة كما يطلق على ما يحمل من الخيل والبغال والحبر ثم قال (كلوا مما رزقكم الله) أى كلوا مما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كما فى الجاهلية • روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام - قد خسر الدين قتالوا أولادهم سفها بغير علم - الى قوله - قد ضلوا وما كانوا مهتدين - ثم قال (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فى التحريم والتحليل من عند أنفسكم كما كانت الحال فى الجاهلية (لأنه لكم عتو مبین) ثم أبدل من قوله - حولة وفرشا - (ثمانية أزواج) والزواج مامعه آخر من جنسه بزاوجه وقد يقال لجموعهما والمراد الأول (من الضأن اثنتين) زوجين اثنتين الكبش والتمجة وهو يدل من ثمانية والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضبان أو هو جمع ضأن كتابو ونجر (ومن المعز اثنتين) التيس والعنزة • ولقد كان القوم فى جاهليتهم كما تقدم يحرمون بعض الضأن والمز والابل والبقر تارة الاناث وتارة الذكور وتارة أولادها كيف كانت زاعمين أن الله حرمها فقال الله (قل) يا محمد (آل الذکرین حرم) ذکر الضأن والمز (أم الاثنيین) ونسب الذکرین والاثنيین بحرم (أما اشتملت عليه أرحام الاثنيین) أى أوما حلت اناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى (نبشونی بعلم) أى بأمرى معاوم يدل على أن الله حرم شيئاً من ذلك (إن كنتم صادقين) فى دعوى التحريم (و) خلق (من الابل اثنيین) ذكراً وأنثى (ومن البقر اثنيین) ذكراً وأنثى (قل) يا محمد لهم (آل الذکرین حرم أم الاثنيین) أما اشتملت عليه أرحام الاثنيین أم كنتم شهداء أم منقطعة أى بل أكنتم شهداء حاضرين (لأذواكم الله بهذا) حين وصاكم بهذا التحريم (فمن أظلم من افترى على الله كذباً) فنسب اليه محريم مالم يحرم والمراد بكبرائهم المقررون لذلك وأظلم عمرود بن لحي بن قعة المؤسس لذلك (ليضل للناس بغير علم) إن الله لا يهدى القوم الظالمين • قل لا أجد فيما أوحى الى (فى القرآن (محرمات) طعاماً محرمات (على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة) أى إلا أن يكون الطعام ميتة (أو دماً مسفوحاً) عطف على أن المصدرية وما دخلت عليه أى إلا كونه ميتة أو دماً مسفوحاً فهذا عطف على المصدر المؤول والمسفوح للمسبوب كالهم فى العروق لا كالسكب والطحال (أو لحم خنزير فإنه رجس) فإن الخنزير أو لحمه قدر لمؤداه كل النجاسة (أوفسقا) عطف على لحم خنزير (أهل) لغیراته به) صفه له موصفة

وسمى ما ذبح على اسم العثم فسقا فتوغله في الفسق (فمن اضطر) فمن دعت الضرورة الى تناول شيء من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولا غدا) أى ولا متجاوز قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذك على ما فعل وهذه هي اتي كانت محرمة عند نزول هذه الآية • وروى مسلم عن ابن عباس نهى النبي ﷺ عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخالب من الطير • وروى أيضا مسلم أنه ﷺ نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الجر الأهلية • وروى البخارى ومسلم أنه ﷺ نهى عن لحوم الجر الأهلية وأذن في الخيل • وعن جابر أنه ﷺ نهى عن أكل الهر وأكل فئته • وقد استثنى النبي ﷺ من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال • وورد في الصحيحين يقتلن في الحل والحرم وعن الحية والعقرب والفأرة والحداة والكلب العقور • ونهى ﷺ عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدد والقرد أخرجه أبو داود • ولقد أومحنا الكلام في هذا المقام في سورة (المائدة)

(ذكر ما حرم على اليهود)

ثم شرع يذكر ما حرم على اليهود فقال سبحانه (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) ماله أصبع كالأبل والسباع والنعام • وكل ذى مخالب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب وشحوم الكلى (إلا ما حلت ظهورهما) إلا ما علفت ظهورهما (أو الخوايا) أو ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية أو حاويات كقصاصها وقواصع أو حوية كفئتها وسفان (أو ما اختلط بغيره) من شحم الالية لأنه اختلط بالعضص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والصين فكل هذا حلال لليهود والحرم عليهم شحم الثرب وشحم الكلى وما عدا ذلك فهو حلال لهم • عن جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر ولبنة والخزير والأصنام فقيل يا رسول الله أ رأيت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك قاتل الله اليهود • يعنى أن الله لما حرم عليهم شحومها جلوه يعنى أذابوه ثم باعوه فأكلوا منه قال تعالى (ذلك) التحريم أو الجزاء (جز ينالهم بفهمهم) أى بسبب ظلمهم (وإننا لصادقون) في الاخبار (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يمهلكم على التكذيب فلا تفترؤا بآله فانه لا يهمل (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل • ولما كان هذا المقام يقتضى سؤاله فبقال هذه السورة جاء فيها التحريم والتحليل والإيمان والكفر وقد جاء نسبة الإيمان لله وقضائه كما في قوله تعالى • فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله لخر • وجاء أيضا • ولو شاء ربك مافعلوه • فالقرآن صريح أن كل هذا من فعل الله نفسه صراحة وإن كان أهل السنة يقولون بالكسب الاختياري والمعتزلة يقولون قولا آخر وهو أن الفعل للعبد وآخرون يقولون بالجبر وعدم الاختيار فكيف يكون هذا لحسن هنا أن يأتي بهذه الآية قال (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) فكيف توعدها يا محمد بالعقاب على الشرك وعلى التحريم والتحليل مع ان صريح القرآن أن الله هو الذى أراد هذا منا • وقد تقدم في هذا التفسير مهارا أن هذا العالم قد خلق على نظام بدعي وأنه درجات بعضها فوق بعض ومماثل النفوس الناقصة مع النفوس الكاملة والمستعدة للفضائل التي لا استعداد عندها إلا اكتمل الحيوان مع الانسان وكتمل النحاس مع الماء فالنحاس لا يذوب إلا على درجة عالية والماء يذوب على درجة قريبة من الصفر ولكل منفعة في الوجود فللنحاس منفعة وللماء منفعة وللحيوان منفعة وللإنسان منفعة ولكن التفاضل المودعة في الحيوانات • والعقول المودعة في الانسان • والديانات التي نزلت والعلوم التي اخترعت تدعو حثيثا الى الارتقاء الى أعلى مدارك العرفان • ولذلك وجدنا الانسان علم الحيوان حتى أدبه فركب عليه ولم يتركه على طبعه فهنا أمور عملية قام الانسان والحيوان بها فلا يجوز ترك

الأشياء وطباعها بل لابد من الزاولة والصل واخراجها من حال أدنى الى حال أعلى فعلى ذلك أمر الأنبياء أن يهذبوا الناس ليخرجوهم من ظلماتهم الى نورهم . والآباء يعلمون أبناءهم . والعلماء يعلمون الجهال لاخراجهم الى العلم . وهذا العمل هو الذى امتاز به القلاء من الناس وليس لهم سبيل للرق إلا به فالأنبياء والعلماء وسائر القلاء عليهم الجهاد في تهذيب أنفسهم وهذه العلوم وهذه البيانات أعمالهم الزموا بالقيام بها ولو تركوها لأصبح الانسان كالحیوان الاعمى ولو أن الناس قالوا كفانا ان الله هو الذى أراد كل شئ فعلاهم السعى لجاز لهم أن يتركوا الأكل والمشى وشرب الماء وتغوت الناس في يوم أو بعض يوم . والناس لففتهم يعترضون على القضاء ولا يفكرون لنهم يأكلون ويشربون فلم لا يتركوا الأكل والشرب اتكالا على الله

إن أمثال هذا القول من الأسباب التى تسقط الأثم وتطيق الهمم ومامن أمة أخذت به إلا خربت ديارها وذهبت سدى وضاعت . وليس عذاب الآخرة تشفيا ولا أخذا بالثأر وليس لإعلاما من الأعمال التى لابد منها كما أن الماء يسيل على أدنى درجات الحرارة والنحاس يسيل على درجات رفيعة جدا عالية كما قسم في هذا التفسير

وهناك مبلغ لا نعلها نحن ولكن اذا ارتقت عقولنا أدركت فأصبح بهذا القول عذاب الآخرة سائرا على الناموس الذى نشاهده كل يوم ونحن غافلون فمن أكل السم مات ولا يعترض أحد لأنه ناموس طبيعى ومن أكل أكلا حيا لم يمرض . وهذه أمور مشاهدة محسوسة فالآخرة كالأولى - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت -

واعلم أن أمثال هذا القول كان علماءنا رحمهم الله يقولون ان هذا حوسر القضاء والتقدير والسر الآن يجب اظهار بضعه لأن النوع الانسانى لرتقى فلا بد من اظهار العلم له . ولما كان هذا القول نتيجة تكذيب القرآن قال تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى مثل هذا التكذيب لك كذبت الأمم الخالية أنبياءهم وقالوا مثل هذا القول (حتى ذاقوا بأسنا) الذى أنزلناه عليهم بتكذيبهم (قل) يا محمد لهم (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) أى هل عندكم من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه فيثبت أن الله رضى شركم (إن تبغون إلا الظن) فيا أتم عليه من الشرك وتحريم مالم يحرمه الله وتحسبون أنكم على حق (قل) يا محمد (فته الحجة بالفسن) البينة الواضحة فأنتم لم تملعوا على ما يعلمه الله وانما أنتم مكلفون بالأعمال فته عليه وعليكم العمل (فلو شاء هذا كم أجمعين) اذا كنتم مستمدين للإيمان وهو لا يشاء إلا ما هو ممكن فالمشقة لاتعلق إلا بالأمور الممكنة والوجود ليس فيه طرفة فهو يهدى ويضل على حسب التبرجات ولو لم تكن درجات لم يكن هذا النظام (قل) يا محمد (هل شهداءكم) أى احضروهم وهذا الفعل لا يتصرف عند أهل الجواز ويتصرف عند بنى نعيم (الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم) لأنهم في شهادتهم كاذبون (ولا تقبض أهواء الذين كذبوا بآياتنا) أى اذا وقع منهم شهادة فهي باقباع الهوى (والذين لا يؤمنون بالآخرة) أى ولا تقبض أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان (وهم يبرهم يعملون) يصحون له عديلا . اه التفسير للفظي

﴿ لطيفتان في هذا المقام ﴾

اللطيفة الأولى الزهر . اللطيفة الثانية في الكلام على التشابه وغير التشابه وبعض الأشجار

﴿ اللطيفة الأولى الزهر ﴾

قد جاء في هذا المقصد قوله تعالى - أنظروا الى ثمرة اذا أنعم - وقد ذكر هذا في قوله - إن الله فائق الحب والنوى - وقد بينا هناك أن مسألة الثمر والزهر هي النخل الشاغل للأثم اليوم في قسم النبات وأن

رتبه (٢٤) رتبة . وهنا لابد من الاشارة الى أنواع الزهر تفكهة للقراء ليكون ذلك ترويحاً للنفوس واطهاراً للجناب العلمية والبدائع الحكيمة والمحاسن الطبيعية

(جمال النبات وبهجته في عجائب الأزهار والقاحا)

كنت أود أن أذكر هنا عجائب الأزهار والقاحا (١) وأبين تلك الزهرات التي لها شعرات تحمها فلا يدخلها إلا النحل (٢) والزهر ذا المفايح والأفقال (٣) وذو الحارس (٤) والزهر المنظم كأنه الجند (٥) ونوعاً من الشجر فيه نوعان من الزهر فيما أعضاء ذكور وأعضاء أنثى طويلات وقصيرات وللعل مع هذين النوعين عجائب وغرائب وحكم ونظم لا عمل لذكرها الآن (٦) وكيف ينم الزهر وكيف يستيقظ وما أوقات نومه وما أوقات يقظته وما العلاقة بين نوم الزهر وقظته وبين الحشرات والنحل وكيف يستيقظ نوع الحشرات عند استيقاظ الزهر الخاص به وينام عند نومه ليلاً ونهاراً وعلاقة ذلك كله بالاقلاح والاقلاح لسعادة نوع الانسان (٧) وبين الزهر الأحمر والأصفر والأبيض والأزرق . وكيف كان اختلاف الألوان مناسباً لأنواع الحشرات الطائقات عليه . وكيف كان الأبيض والأصفر يناسبان وقت الغلس بعد الغروب وبغيرهما يناسب النهار ولكل حشرات تعرفه

وكيف كان الزهر الذي لا جمال فيه كزهر السنط والصفصاف لا يحتاج للحشرات ويكفيه الهواء . والزهر الذي جعل شكله ولونه قد احتاج للحشرات فكان ذلك الجلال مشقاً لتلك الحشرات الخ (٨) والزهرة التي أعطيت من السياسة والابهام ما لم يعطه غيرها بحيث يفتقر بشكلها نوع من الحشرات جهالة فيقع عليها فيحصل الاهتزاز فيكون الاقلاح ولا تزال الحشرة شياً (٩) والزهرة التي يحصل القاحا بمجرد الاستقاء بها إذ فصل لها الحشرة مستدفئة وتطير لأخرى مستدفئة وهكذا والبرد يحكم على الحشرات بالمدخول ثم يضيّق صدرها فتخرج فيحصل البرد فتدخل في أخرى من نفس النوع . وفي أثناء ذلك تكون قد أخذت طلعاً من زهرة الكور ووضعت في زهرة الأنثى فحصل الاقلاح والناس حولها لا يشعرون

أقول كنت أود أن أبين هذا المقام وأشرح هذه الأنواع شرحاً مستفيظاً ولكن لا يسوغ لي ذلك هنا لأنه بسورة (الحجر) أتيت فأنظر هذا المقام هناك وانحاجلياً شارحاً للمعنى في تلك السورة أن شاء الله تعالى عند قوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء الخ - فهناك قرأ هذا المقام منقولاً من كتابي (الزهرة) التي هي مقدمة لكتابي (نظام العالم والأمم) مترجماً من كتاب اللورد (أفيري) الانجليزى المسى جمال الطبيعة - والله هو الولي الحميد - اهـ

(اللطيفة الثانية في الكلام على التشابه وغير التشابه من النبات والشجر)

من النبات والشجر ما ورقه وثمرته متناسبات في الكبر والقون والشكل واللس كالأرج والنارج والقيون والكستري والتفاح وما شاكلها . ومن النبات والشجر ما ثمرته وجبه غير متناسبين لورقه في الكبر مثل شجر الرمان والتين والعنب والجوز والنخل

ألا ترى أن شجر الأرج مدرج الشكل ثمرها أخضر القون لين اللس مناسب لورقه والنارج مستدير الشكل مناسب لورق الشجرة . والكستري مخروط الشكل وكذلك ورق شجرته . والتفاح مستدير الشكل وكذلك ورق شجرته . وأما ثمرة الرمان فغير مناسبة في الكبر لورق شجرته . وكذلك التين والعنب وبغيرهما على هذا القياس

(الكلام على النخل)

قد ذكرت في تصبير (القائمة) شيئاً في النخل ونزيد الآن فنقول
(١) كثرت عروق النخلة الضاربة في الأرض لشدة حاجتها لها الكبر جنتها وطول قائمتها وكثرة عدد

سعفتها وأوراقها لكيما تخضع في جرم أصولها . وفي جرم سعتها . وفي جرم أوراقها . وفي ليفها . وفي جرم أكمام طلحها . وفي جرم قضبان قنواتها . وفي جرم نواة ثمرها ودبسها وشريحها . فهذه الفروع الضاربة في الأرض لتقسم على تلك الأنواع والأعضاء المختلفة

(٢) لماذا جعل جسم ساقها رخوا متخلخلًا . ذلك لأنه لو كان غير متخلخل كالساج والسرو لصر على القوى الطبيعية جذب تلك المواد إلى أعلى النخلة في السعف والليف وغيرها . وأيضًا تلك الخيوط الدقيقة التي ركب منها باطن جذع النخلة كل خيط منها متصل بمرق ضارب في الأرض لتوزع الغذاء على تلك العروق لتوصله إلى ما خلقت له من أول الأمر

(٣) ومن أعجب العجب أن الناس يشاهدون النخلة وقد جعل عليها (ليف) كأنه ما زرع مشدودة على أصول عناقير سعفتها من أجسادها كأنها مشمرة بها والناس يأخذونه بمصاونه حبالاً لا تمتعهم لحفظها من التبدد وما علم أكثر الناس أن الليف قبل أن يلم أمتعهم ويحفظها قد حفظ النخلة من التفرق والتشتت لأن جرمها كما قلنا رخو ومستحيل أن يثبت عليها سف أو قنوان بل كانت لولا الليف المشدود بتحريك يسير من الهواء تنثر وتتبعثر تلك السعفات وتقع على الأرض فلا خوص ولا سف ولا ثمر ولا يكون على وجه الأرض نخلة مشمرة ولا ثمرة تؤكل . فتعجب ثم تعجب من الحكمة والعلم والناس في الأرض غافلون نائمون

(٤) وهاك ما هو أعجب . ترى طلع النخلة يحفظ في غلاف وهو (الكفري) ليصونه من الآفات العارضة من الحر والبرد والفرطين والمطر الشديد والرياح والمواصف والنبار وغيرها لأن الطلع يخرج رطباً ندياً رخماً رخواً فإذا استحکم واشتد انشقت تلك الأكمام والغلف عنها وظهرت تلك الثمرات لتقسم لتقسم الهواء وحرارة الجو لتربو وتضجها حرارة الشمس وتضربها برسا ورطباً ثم تحجب وتضرب ثمرها ليمرى ما أغفل الناس همها يشاهدون في جبال الدنيا . طلع النخل يحفظه الغلاف عند ضعفه كالجنين في بطن أمه فإذا استأهل وقوى انشقت الغلاف عنه كما يخرج الجنين من بطن أمه والبيضة من الطائر عند قدرة تحملها ملافاً للجو والاكتساب منه والعيش فيه . - مآرى في خلق الرحمن من تفاوت -

وهذا هو علم التوحيد . وعلم رقى الأمم . وعلم سعادة الدنيا والدين فليقلع المسجون عن نومهم العميق وليعلموا أن هذا هو دين الاسلام . هذا هو أصل الدين . أصل الدين أن تقرأ وتدرس ما خطه الله بيده على هذه الطبيعة انه حكيم ومن هذا فلتعرف الحكمة ومن هذا فليبينهم مقصداً للحكيم . في القرآن قد ذكر انه - حكيم - عشرات المرات فهذا تفسيره . تفسيره هذا الوجود . فلتفتح البصائر ولتجمل السرائر . وبمثل هذا يكون الحكماء في الاسلام . وبهذا يكون حب الله . هذا هو سعادة الدنيا والدين

(٥) وهناك حكم أخرى مثل النسج الحريري على النواة . ومثل الحفرة المستطيلة في جرم النواة . ومثل النقرة التي على ظهر النواة التي منها يخرج النخلة . ومثل القمع الذي على رؤس الثمرات . فهذه وأمثالها تقمذ كروها في تفسير (الفاتحة) عند قوله - رب العالمين -

وبمناسبة ما تقدم من ذكر الثمر وبهجة الأنعام أذكر هنا محاورات دارت بيني وبين فلاح مصري . وقد نشرتها جريدة (كوكب الشرق) في ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٥ . وهامى ذه

﴿ حديثي مع فلاح مصري ذكي الفؤاد ﴾

خرجت يوم السبت (٢٩) من شهر أغسطس سنة ١٩٢٥ لارقي النفس من عناء الأعمال في الحقول وأستنشق النسيمات في الخلوات لا القهوات والمستديلات فأسحر الزهر والشجر والزرع والتمر والحبة والورق وأمتها بالحكمة واجتلاء بدائع النظام في مناظر الفاكهة - والنخل ذات الأكمام • والحبة ذى الصف والريحان - • قال الشاعر

والريح تهب بالنصون وقد جرى • ذهب الأصيل على لجين الماء

وذلك في المزارع النائية عن بلدة (الجيزة) وبيننا أنا أمشي في طرقات المزارع وأتأمل ذلك الجبال الرائع
اذ قابلي (فلاح) يسبي القرة وهو يجمع الكلا من تحته لجاموسه فأخذ يقول أظن انك جثت هنا القزعة
واستنشاق الهواء منفردا عن المبلع والجبالس • قالت نعم وكان في يدي إذ ذاك زهرة قطن أخذتها من
حقه فسألني قائلا ما الذي تستفيد من هذه الزهرة إذ ليس لها رائحة ذكية ولا منافع مادية • قلت انظر
معي تعال هنا لأريك عجائبها وأهلك بدائها • قال وأتى عجب فيها ونحن نشاهدها كل حين ولا نرى فيها
عجبا • قلت أنظر أأنت ترى ههنا ثلاث وريقات محيطات بالزهرة أتدري ما فائدتها • قال هي هكذا ربنا
يعلم أمرها • قلت هذه تحافظ على دفر هذه المروس الجلية وملابسها السستية الصفراء المزانة بلون
الشقي وفي داخلها قطع حر وقرات السل الحلو قد أعدت للحشرات تحتية

فقال مروس وملابسها • أما للملابس فهي حق انها بهجة جميلة لأني أرى هذه الوريقات الصفراء
كذلك ولكن أين المروس • قلت أنظر هنا داخل الأبواب البيض الصغيرة • أنظر هذه الأنوية
من داخلها أأنت ترى أنها حاملة جلا خفيفا في جوفها وهي جوزة القطن • قال أرى ذلك • قلت هذا هو
الرحم وهذا هو الجنين وهذه الأنوية هي الأتي وهذه الأوعية الحاملات حولها حيوبا صفرا هي الذكور
وتلك الحبوب الحقيقية هي الطلع الذي هو كطلع النخل وهذا الطلع به يكون الاقحاح وكل نبات هكذا فيه ذكر
وأنتي كهنه الجاموسة وكالانسان • إذ ذاك رأيت الرجل أخذ يظهر البعش والتعب ويقول عشنا ولم ندر شيئا
في الدنيا زدني زدني سبحانه الله أهذا كله في العلم الله يصر الأزهر ويحمله أهلا بالعلماء الله الله إن العلم حسن
جدا قل لي قل لي وهل هذا في القرآن يسيدنا • قلت له نعم قال الله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون - قال (هه) لعلكم تذكرون ونحن لا نتذكر من هنا جاء الدليل للناس من هنا حاق بهم
للمصاب هم لا يعرفون ربهم لا يعرفون شيئا من أمور دينهم وديانهم • قال (الفلاح) أنت قلت لي ههنا
سل وهل هذا السل للمروس تأكله والله ان المروس في ثيابها كأجل ثياب العرائس • قلت قد قلت لك
ان السل أعد للحشرات مثل النحل • فقال ولماذا • قلت ان الحشرات اذا نظرت لون الزهرة فانه يجدها
فقطيرها الحسناء ثم اذا دخلتها أكلت هذا السل وعند دخولها وخروجها تحمل أجنتها من هذا الطلع الأصفر
وتحمله فيقع منها على الأتي التي رأيتها بعض الطلع فيحصل اللقاح والنحلة لا علم لها بما تحمله وإنما هي
مسخرة وقد أخذت أجرتها وهو السل وللناظر البديعة في الزهرات وطرفة تكون الريح هي للمقدمات وحدها
ولون الزهر معد لأجل الحشرات الطائفت على الزهرات وهي مغنيات كما نسمع النساء يغنين للعرائس أيام
الزفاف • فقال يسبحان الله شئ عجيب أنا الآن أريد أن أسألك عن كل شئ • قلت له أجيبك على ما
أعمره • فقال أنت تعرف كل شئ • فقلت قليلا قال الله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم - • قال
(يسيدنا) ماذا تقول في البرة • قلت هو كالقطن • قال فأين مادة الاقحاح • قلت في أعلى العود أأنت
تراه أشبه بشماريح طلع النخل • قال بلى وأخذ يضرب كفا على كف وقال هو هكذا • قلت نعم هكذا
قال فأين الرحم في الأتي • قلت أنظر الى هذه الأنابيب الشعرية التي هي سلوك حورية ان فيها فتحات
لأزهارها والطلع ينزل من أعلى العود ويمر داخلها فتعمل بحبة واحدة فكل حبة على اللطر (الكوز) من
البرة جاءت من قمع ذكر وحمل أتي واذن يكون اللطر الواحد عبارة عن قرية فيها بيوت كثيرة ومواليد
بمعد الحيات المنتظمت على (القولح) • قال هذا حق والله لاني رأيت رجال الحكومة في مملعة البساتين
الأبديرية يصالون البرة في خلوط ويأتون الى الخلط الذي يأتي الريح من جهته فيتركوه ويأتون الى الخلط الذي
يمت الريح فيقطرون أهله ليحيى اللقاح من الأول الى الثاني وهما من نوعين من البرة فيحصل صنف

جديد من الليرة بأشكال جديدة . فقلت له أحسنت أنت فهمته عملا ولكنك لم تكن قد اطلعت على سره . قال نعم

ثم قال الفلاح أنظر الى جوزات القطن فهذه ذرة قد تحت وطهر قطنها . قلت وماذا تسأل عنه قال سأل عن السبب في أن القطن هكذا ظاهر واضح فأما الليرة فاتها اذا فضع حيا وأضع فانه لا يزال داخل الغلاف ويحتمل نرضه عنه بأيدنا فأما القطن فانه يظهر للناس خارجا ليس له وقاية تقيه ولاحافظ يحفظه فالليرة قد ذبلت ووقعت والجوزة انحلت عنه وأصبح بلورا تراه البون وأما حب الليرة فانه يبقى محفوظا في سناوله محبوا في أما كسه . فقلت له ليس القطن ظاهرا كما تقول بل هو خاف محبوه فكما اختبأت حبات الليرة عافطة عليها فهكذا اختبأ القطن . فقال اختبأ ماهو ذا تراه بينك . قلت أرى الشعر وهو وقاية للبيرة فالمقصود الأعظم هو البيرة . وأما الشعر فهو وقاية لها كغلاف الليرة فهناك غلاف حافظ للحب وهنا شعر القطن يحفظ البيرة التي تثبت تنصر قطن آخر فما بعد والغلاف في الليرة والشعر في القطن في الحفظ كزلال البيرة الحافظ لها (صنارها) . فقال لا تدخلني في مسائل عويصة ولا تطوح في بعيدا بل نبق هنا في القبط ثم قال انك تحت لي بابا عظيما وأنا سعيد جدا لهذا الكلام ان العلم حسن وعلما الأزهر مشتمون بنور العلم فرحون به . فقلت له هذا العلم يقل من يدرسه في مصر الآن . فقال يقل ومن اين تعرفه أنت . فقلت أنا من القليل الذين يدرسون . قال ألم يكن هذا في الدرس وأنت قلت انه في القرآن . قلت بلى ولكن الاحمال عظيم جدا وليس كل عالم بالدين دارسا لهذه العلوم الجيلة

ثم جاء ابنه ومعه ما كان مجموعا من (الكلا) ليقدمه للجاموسة . فقال سألك بإسدينا عن هذا أيضا . قلت سل . قال وبننا جعل الحشيش للبهائم ويجعل لنا الحب لأننا أفضل من البهائم والبهائم تأكله وهي قوية الجسم ومرضاها اذا اعتنينا بها قليل ولكن الحب نطعمه ونخبزه ونخضر نطبخها ومع ذلك تعب من الأكل ونحس ببعض الأوجاع والنقص ونستعمل الأدوية فلماذا . قلت ان الله لما أعطاك العقل وطبخت ونخبزت أعطاك أيضا معدة واحدة فقط أما هذه الجاموسة وأمثالها من الحيوانات التي تأكل الحشيش فاتها لها أربع معدات اثنتان تجمعلان عجزنا للطعام حين تتطاه الجاموسة يحفظ فيها أحدهما تسمى (الكرش) والثانية (القنوسة) والاثنتان لهضم الطعام بعد رجوعه من الأوليين ثم الحيوان فالحويان يسترجع ماخونه في الأوليين ليحتره وبعد مضغه يدخله في الاخرى بين ليمضضه فيها وهاتان الاثنتان أحدهما يسمونها (الافضحة) والثانية يسمونها (أم التلافيف) فالعدل قام هنا وظهر

فلما كان الحيوان لا يقدر على طحن ولاجمن ولاخبز ولاطبخ أعطى أربع معدات مخبز ويطبخ له وكانت له الحرية التامة أن يخزن في اثنتين ويخضع بعد ذلك ثم يرجعه للأثنتين الاخرين . وأما الانسان فكفاه ماهو فيه من الأعمال الخارجية الكثيرة ولم يمنح إلا معدة واحدة . وهنات المسائل العلمية بيننا وابتدا (الفلاح) يسأل أسئلة علة في أحوال الأمة المصرية



قال الاقل لي ولماذا كان لهذه الجاموسة في بطنها عجزان ولماذا لم يكن الطعام متوجها الى ما كسونه (الافضحة وأم التلافيف) مرة واحدة . فقلت هذان العجزان جعلتا لأجل هذه الحيوانات في الجبال إذ تكون الفزاة خائفة من الأسد والفرد ونحوهما فاذا صادفت عثبا أخذت منه مسرعة ما تحتاجه مخزونه ثم أسرعته الى كناسها واستراحت وأخذت تربيته ثانيا فيا فيها وهكذا او يجمع الطعام وتوجسه

(شكل ٧ - رسم آلات الهضم للانعام)

للهم فهدان الخزان خلقا للخوف من السباع الضارية . فقال ولماذا ترى ربنا سلب السباع على هذه الحيوانات . قلت لقد أطلت الأسئلة . فقال لا أزيد على هذا السؤال . فقلت ان السباع جعلت لنا كل لحم هذا الحيوان بدل أن يعفن في الجوف فيلأه بالمكروبات الضارة فيكون الوباء والكوليرا ويموت الناس والحيوان فالآساد نعمة لا نعمة وأيضاً اذا مات هذا الحيوان ولا منفعة للحمة يكون عبثاً فجعل الله للآساد والفجور والذئاب لتعيش به أقلت ترى أن الناس حين يموتون يعيش السمود في لحومهم ويتغذى بها ذلك لأنه يراد أن يكون لكل شيء منفعة . فقال الرجل والله ان هذا كلام حسن وجيل لأنه يفتح الأعين ويشرح الصور واتى كنت قد فرحت بك ولكن لما قلت لي ان الذين يعرفون الدين يجهلون هذا اغتممت بها شديداً واذا كان هذا قولاً جيلاً فلماذا لا يعرفه الناس كافة وكيف يعرفون ربهم وبماذا يعرفون الله إذ ان . قلت عندنا علم يسمى علم التوحيد . فقال هذا هو التوحيد . التوحيد في معرفة فصل الله الذي أريته لي الآن . ثم قال وكيف يفكرون في التوحيد . قلت يقولون الله واحد وهو قادر وعالم وحى ومريد ويقولون ان الله لو لم يكن واحداً وكان له شريك لحصل هناك نزاع بينهما والغالب منهما يكون إلهاً قادراً فاذن لا يكون الا إله واحد . قال ولماذا يذهبون بعبادة الله واحد وهو ظاهر في فعله جعل الذكور والاناث فينا وفي البهائم وفي شجر القطن والذرة فلو كان الخالق غيره لكان العمل مختلفاً فالعمل هنا يجري بطريقة واحدة منظمة وأما هذا الكلام فالاعتصار عليه تقصير في العلم وفي الدين وضيق للعقول وغرور كبير . ثم قال يظهر لي ان الناس أغضوا عيونهم ولم يعلموا . قل لي قلبي هل واحد في الدنيا يعرف هذه الأشياء معرفة عامة . قلت هم الفرحة . قال لعني الخواجات . قلت نعم هم يدرسون هذا ويعرفونه قال ولكن أنت تقول ان ديننا يطلبه . قلت نعم ولكن الغفلة استحكمت . فقال أنا فهمت الآن . قلت ماذا فهمت . قال فهمت أننا في الفلاحين مثلكم تماماً فالقلاخ منا يرى هؤلاء الأجانب يزرعون زرعاً منظماً وينظمون الطرق ويأتون بأشجار غريبة ونحن ننظر لهم ولا تفكر فيما يعملون ويقول الرجل منا هذا يحتاج لنقد كثيرة واذا صرفنا فنحن لسنا عن يقين من المكسب وهؤلاء أغنياء ونحن فقراء ونقول هذا ما وجدنا عليه آباءنا فالابن يتبع أباه وهؤلاء يرتقون في بلادنا ويملكون أرضنا ونكون نحن عندهم مأجورين عاملين لا غير فأنتم انكم أنتم مثلنا يخاف كل واحد منكم على مركزه ووظيفته ويقول لو اتى جعلت النظام على الطريقة النافعة لكرهني الناس ولقاموا علي قومة واحدة فيبقى تعليمكم عقبا وتعلمون الناس ألفاظاً يحفظها الابن عن الأب والتلميذ عن الاستاذ وهكذا طبقاً عن طبق وربنا لا يرضى عن الناس قط اذا فعلوا هذا فالأجانب ملكوا أرضنا بجهلنا وأنتم أيضاً بملصكم الموعج ضيعتم البلاد والعباد والله يسألني عما أقول أن احتلال البلاد وضيعاتها شئ من جهل القامحين بالأمر من رجال الدين وغيرهم . نحن نستحق المدافع والطيارات والموت مادام كل واحد منا يقول مالي والمسلمين فنحن وأنتم في هذه المسؤولية سواء بسواء

أنظر يا سيدنا ان مصلحة (البساتين) كانت تعمل كل يوم تجارب وهذه التجارب تأتي بأنواع جديدة ونظامهم أحسن من نظام الأجانب ثم ان الفلاحين لا يقلدون هذه المصلحة واذا كان لفقراء عذر فلماذا نرى الأغنياء عنها ساهين لاهين فأنا أظن انكم مثلنا تماماً أهملنا وأهملتم وضعنا أرضنا وضعتم أنتم عقولنا ولكن يا سيدنا أنت تقول ان علماء الدين لا يقرؤون هذا . قلت كانوا يقرؤنه أيام الغفور لهم (اسماعيل) بلنا وتوفيق بلنا) وأوائل الاحتلال وبعد ذلك حذف من البلاد بالتدريج . قال حذف من المدارس . قلت نعم . قال لأجل أن تغفل الأعين جميعا . أعين رجال الدين ورجال الحكومة ولكن كيف يا سيدنا نقول هذا القول مع اني أخبرتك أن رجال البساتين يقطعون أعلى القرة ليعملوا تجارب وهذا يدل على أنهم يعرفون مسألة القمح فلا بد انهم يعرفون فكيف تقول انهم لا يعرفون . قلت هؤلاء هم علماء هذا الفن وطبعا

فِي أَيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ • إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْمًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ • مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا هُمْ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ • قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَفِيَفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • لِأَشْرِيكَ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ • قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَلْزَمَكُمُ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَنَفُورٌ رَحِيمٌ •

(التفسير القلبي)

(قل تعالوا) أى حملوا أبها القوم (أتل) أقرأ (ما حرم بكم عليكم) حقا يقينا لا شك فيه وليس كما تزعمون من تحريمكم للبني على الأهواء بل هذا نزل به الوحي على • ثم قال التلقو (ألا تشرکوا به شيئا) من الشرك (و) أحسنوا (بالوالدين إحسانا) ولا تقتلوا أولادكم من الملاقى) من أجل قروا من خشيته كقوله في آية أخرى - خشية الملاقى - (نحن نرزقكم وإياهم) يقول لا تشكوا بتاكم خوف الميقات والفقراء في رزقكم وإياهم فأنه تكفل بالرزق فعلى الآباء القيام بالتربية (ولا تقربوا الفواحش) كآثار التوب (ما ظهر منها وما بطن) يدل من الفواحش أى علانياتها وسرها (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) وإعلم أن جميع الفواحش الظاهرة والباطنة لا استثناء في محرمها كلزنا والنصب والسرقة وما أشبهها أما القتل فقد يكون لقصاص أو لئالجب أو لترك الدين بالردة لئلك أفرد بالذكر ليص على الاستثناء بقوله (إلا بالحق) المذكور من هذه الثلاثة ونحوها (ذلكم) ما ذكر من الأوامر والنواهي (وما لكم به لعلكم تعقلون) لكي تفهموا ما في هذه التكليف (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) أى بالنفقة التي هي أحسن ما يفعل بماله كنفه وتسميه (حتى يبلغ أشده) حتى يصير بالغاً والأند جمع كمنعة وأنهم (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والتسوية (لا تكلف نفس إلا وسعها) إلا ما يسعها ولا يسر عليها فليس إغناء الكيل والميزان إلا بما في الطاقة أما الأمور للصرة فقد عفى عنها لأن التكليف بما في الطاقة والوسع (وإذا قلتم) في حكومة ونحوها (فاعملوا) فيها (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له أو عليه من ذوى قرابتكم (وبعهد الله أوفوا) يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وقادبة أحكام الشرع (ذلكم وما لكم به لعلكم تذكرون) تحفظون به (وإن هذا) المذكور في هذه السورة بأسرها من إثبات التوحيد والنبوة وبين الشريعة ومحجبات الخلق من السموات والأرض والجنات المعروشات وغير المعروشات وبداخل الحكمة الإلهية والأنوار والظلمات والنظر في الأفراد أتم والنهي عن قتل الأنفس والمهرمات بأسرها وما شا كل ذلك وكذلك جميع أحكام الشريعة وكل ما بينه الرسول وورد في القرآن من دين الاسلام (صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الأديان المختلفة والطرق التابعة للهوى (فتنفر)

بكم) أى ففرقكم وتميذك (عن سبيله) الذى هو اتباع الوحي والبرهان (ذلكم) الاقتباع (وصاكم به
لحكم تتقون) السبل والضلال والفرق عن الحق • ولما أتم الكلام على المحرمات والتوصية بتركها
شرع سبحانه يقول على لسان رسوله ﷺ (ثم) أخبركم أنا (آييناموسى الكتاب تماماً) للكرامة والنعمة
(على الذى أحسن) أى على من أحسن القيام به من أمته كما أنزلنا القرآن كذلك آتينا للنعمة والكرامة
على كل من أحسن القيام به وحافظ على أوامره وترك نواهيه كالذى ورد في هذه السورة من الأوامر والنواهي
والإرشادات للجمال والبذلح التى أحسنها الله وزينها للناظرين (وتقسيلاً لكل شئ) أى تماماً للنعمة على
الحسينين وبيناً مفصلاً لكل ما يحتاج إليه في الدين (وهدى ورحمة لعلمهم) أى لعل بني إسرائيل (يلقاء
ربهم يؤمنون وهذا كتاب) أى القرآن (أنزلناه مبارك) كثيراً النفع (فاتبعوه واتقوا الحكم ربهم) (رحمون)
بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه وإنما أنزلناه ولم نكتب بالتوراة والإنجيل كرامة (أن تقولوا إنما أنزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى وإنما لم يذكر الكتب السابقة الأخرى لأن العرب
لا يعرفون غيرها (وان كما) ان هي الخففة من التثنية ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان أى وإنه كما
(عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لا يدري ما هي أولاً لمرف مثلها (أو تقولوا) عطف على الأول (لو أننا
أنزل علينا الكتاب لكننا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وقهاية أفهامنا وكيف لا يكون كذلك ونحن على أميئتنا
حفظنا تاريخنا بأشعارنا وعرفنا الأنوار والنجوم وللتنازل بحدة أذهاننا ولنا قوة جلد وصبر ففتحهم بهما المهالك
ونشر العرفان في أنحاء الكرة الأرضية فنصل إلى الهند والصين وأوروبا وننشر علمنا في العالمين ثم قال الله
تعالى (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله)
بعد أن عرف صحتها ونمكّن من معرفتها (وصدف عنها) أعرض أوصد عنها فضل وأضل (سنجزى الذين
يصدقون هن آياتنا سوء العذاب) شدته (بما كانوا يصدفون) بإعراضهم أوصدّهم (هل ينظرون) أى ما
ينظرون (إلا أن تأتيهم الملائكة) ملائكة للوث أو العذاب (أو يأتي ربك) أى كل آيات ربك أى آيات
القيامة والعذاب والمهلك الكلى (أو يأتي بعض آيات ربك) أى أشرار الساعة كطلوع الشمس من مغربها
• قال رسول الله ﷺ ثلاث إذا خرجن فلا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من
مغربها والجمال ودابة الأرض • أخرجه مسلم • وروى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى
تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها أساس آمن من عليها • وفي رواية فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون
فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً • وفي رواية عن مسلم أن
هناك عشر آيات الدخان والجمال والدابة وطلوع الشمس من مغربها وبأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن
مریم وثلاثة خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى
محشرهم قال تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها) كالمتضر إذا صار الأمر عياناً والإيمان
برهانا (لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) والمعنى أنه لا ينفع نفساً حينئذ إيمانها غير مقدّمة
إيمانها أو مقدّمة إيمانها غير كاسية في إيمانها خيراً • قال الضحاك من أدركه بعض الآيات وهو على عمل
صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك • فأما من آمن من شرك أو تاب
من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لأنها حالة اضطرار كما لو أرسل الله عذاباً على أمة فآمنوا وصدقوا
فأنهم لا ينفعهم إيمانهم • ذلك لمعايشتهم الأحوال والشدائد التى تضطرهم إلى الإيمان والتوبة • قال الله تعالى
(قل فانتظروا) أى انتظروا ما وعدتم به من مجيء الآية فيه وعيد وعهد (لأننا منتظرون) ما وعدكم به ربكم
من العذاب يوم القيامة (لأن الذين فرقوا دينهم) كاليهود الذين افرقوا إحدى وسبعين فرقة كلها في الهلوية
الواحدة وكان النصارى افرقوا اثنتين وسبعين فرقة وهكذا المسلمون فرق كثيرة (وكانوا شيعاً) فرقا وأطراً

(لست منهم في شيء) أي في شيء من السؤال عنهم وعن قترتهم وأومن عقابهم (أما أمرهم إلى الله) يتولى جزاءهم ولكن لما نزلت آية اليف قاتلهم (ثم ينهمر بها كانوا يصفون) بالعقاب (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله سبحانه وتعالى وسبعون وسبعائة وبفسر حساب كافي آيات أخرى فالعشر إما أقل العدد المضاعف وإما المراد بها الكثرة بل انظر لنفس الصد الخالص (ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها) أي في مقابلتها (وهم لا يظلمون) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قل إني هادي ربي إلى صراط مستقيم) بالوصي والارشاد إلى ما نصب من الحجج (دينا) بدل من محل صراط لأن المعنى هادي ربي صراطا مستقيما (قيا) قيعلا من قام كسيد من ساد أو قيا في قراءة ابن عامر وعاصم وحزة والكسائي على أنه مصدر نعت به وكان القياس أن يقال قوما كعوض فاعل لاعلال فصله كالقيام (ملة إبراهيم) عطف بيان لهينا (حنيفا) حال من إبراهيم (وما كان من المشركين) عطف عليه (قل إن صلاتي ونسكي عبادة كلها (وحياي وموتي وأقصة بخلق الله وقضائه وقدره وسائر أفعاله لا يشترك فيها أحسن خلقه وهذا هو قوله (لله رب العالمين) لا شريك له وبذلك أصرت) يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد أصرت (وأنا أول المسلمين) وأنا أول المستسلمين لقضائه وقدره (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (أغبر الله أبقي ربا) أي سيدا أولها (وهو رب كل شيء) سيد كل شيء ومالكه لا يشترك فيه أحد (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) أي أنا هم الهادي عليه لا على غيره (ولا تزر وزادة وزر أخرى) أي لا تؤخذ نفس أئمة بأم أخرى أو لا تعمل نفس حاملة حمل أخرى ولا يؤخذ أحد بذنب أحد (ثم إلى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا من الأديان والمثل (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) أي جعلكم بأمة محمد خلافة في الأرض فإن الله أحلكم من قبلكم من الأمم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلافة منهم في الأرض تخلفونهم فيها أو خلفاء الله في أرضه تصرفون فيها وعلى هذا يكون الخطاب عاما لكل الأمم ثم قال (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الفنى والشرف (ليبلوكم فيها آناكم) من الجاه والمال وغيرهما أي يعاملكم بمعاملة الخبز والمبلى فيبلى الفنى بغناه . والفقر بفقره . والعالم بعلمه . والشريف بشرفه . والوضع بدناؤه . والعبد والحر من جميع أجناس خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لأن العبد إما أن يكون مقصرا فيما كلف به وإما أن يكون موفيا ما أمر به فالقصير يخوف ويرغب فذلك قال (إن ربك سريع العقاب) لأن ما هو آت قريب (وإنه لعفور رحيم) أي قد نوب أهل طاعته . انتهى التفسير اللغوي يقول الله في هذا المقصد لياكم والاشراك بربكم ثم أطيعوا الوالدين واستوصوا بأولادكم خيرا فلا تقتلواهم خيفة الفقر وكأنه تعالى لما أمر الناس باعظام الخلق قالوا له قربة الولد قد أمر هذا النظم وهو اعظام من فوقنا والرجة من تحتنا أخذ يأمرنا بترك الفواحش الظاهرة والباطنة فكما راعينا بالعبادة والاجلال من فوقنا وبالرجة من تحتنا هكذا نعمل الظاهر والباطن من أحوالنا بالتباعد عن سيئات الأمور . هذه أول وصية فأما الوصية الثانية فهي المعاملة مع الناس فلا تأكل مال اليتيم ونلاحظه كما نرحم أبناءنا ونزن ونكيل ونقول بالحق فلا تلطف للمكيال والميزان ولا تظلم في أقوالنا ونشهد بالحق على الأقرب والأقرب

فأما الوصية الثالثة فهي أن لا نعدل عن هذا الصراط الذي في هذه الآيات وفي هذه السورة وفي القرآن كله فإذا أتبع كل فريق هواه ضل وغوى ووقع في الهاوية . ولما أمر الوصايا الثلاث شرع يخبرنا عن سبيل البيانات تديها وحديثها وذكرهم القديم وهودين موسى عليه السلام وأهم الحديث وهودين محمد عليه السلام الذي أمرنا بأن نتبعه فلا نعدل عنه فقال أيها الناس تدأقينا موسى كتاب التوراة لثم النعمة على من أحسن القيام به علما وعملا وصلنا فيه الينبات والهدى وجعلناه رحمة عسى أن يوقن أتباعه ببقاء ربهم . هكذا أنزلنا القرآن فاتبوه فليس محمد بدعا من الرسل . أيها الناس ليس لكم اعتذار فلا تقولون قد أنزل التوراة

والانجيل على غيرنا فكيف تمذبتا ونحن غافلون عن دراستهما مع اننا اذكى اذهانا . وأحد أقدسة . وأقوى قلوبا وأشجع وقد صدق وعدنا ووعدنا وصبرنا في البأساء والضراء فقوى بأسنا فلو نزل علينا كتابا لفضنا به الأمم الأرضية ولطربنا به في الشرق والغرب . ولهدبنا الأمم وهديتها ووريتها وأدبناها . فهذه هو القرآن قد أزال اعتذاركم بلرشاداته القيمة البليغة فن أعرض عنه أوصد الناس عن اتباعه جازيناه سوء العذاب فاتبعوا القرآن ولا تتبعوا الأهواء فلم يبق لكم عند واحدوا التفريق ولا تكونوا كلام السالفة ومن لم يتبع هذه النصائح من الأفراد والأمم فانهم لاهلكة واقعون في العذاب الأليم

(عجيبة من عجائب القرآن في هذه الآيات)

وهي - هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها إلح - الآية

اعلم أن كل عمل له وقت خاص فإذا تجاوزته لم ينفع العمل . ألا ترى ربك الله أن لكل زرع وشجر وقتا محسودا وزمنا معينتا حتى جاوزه لم يفلح زرعه ولم يجر . هكذا ترى بني آدم إنما يكون تعلمهم وقت الصغر فإذا كبروا صعب التعلم . وهكذا الأدب لا يعيد إلا صغر السن ومتى جاوز السن لم يقد . هكذا جميع أهمل الحياة في هذه الدنيا لها أوقات معلومة متى جاوزتها لم تكن لها فائدة

فلننظر نظرة في أهل الأرض في الفرد والأمة والكرة الأرضية كلها فإذا لم تكن الأخلاق والآداب والعلوم للفرد في حال تمكنه وذهب وقت ذلك وحلّ الموت فلا يقيد الإيمان ولا العلم ولا الأخلاق . إن الإنسان يحشر على ما مات عليه فإذا رأى الحقائق عند الموت وهو قد مات ولا علم عنده ولا أخلاق تأتي قوة له على الطيران في تلك البالحات الشاسعة والأماكن العالية . وكما لا ينفع سقى القطن بعد أن عطش أيام أثماره فلا أثمار بعد فوات سقيه في أيام الأثمار . هكذا لا فائدة من ظهور الحقائق للذي مات ولا علم ولا مهمل ولا أخلاق وأما يكون في حسرة وحزن على ضياع زمانه بلا فائدة جناها ولا أعمال زاولها

وكما رأيت الفرد ترى الأمة فانها ان لم يتم كل فيها بما استعمله من علم أو صناعة أو مهل ضاقت عليها الأرض بما رحبت وأسرت اليها الأمم من كل جانب . وكذلك اذا تفرقت أهولها فان العدو يفر عليها كما حصل في الأزمان الفائرة أيام هجم المغول والتتار وهما الأمتان المجاورتان للبلاد الصينية وهم المسلمون (بأجوج ومأجوج) في كتب الجغرافيا القديمة كما يتضح لمن اطالع على خريطة كتاب (أخوان الصفا) فانه يرى أن تلك البلاد تسمى (بأجوج ومأجوج) . ففي ذلك الوقت هجم (جنكيزخان) على الأمم الاسلامية لما قتل (قطب أرسلان) رسل (جنكيزخان) الذين أرسلهم للتجارة في بلاد الاسلام ولم يستحل جنكيزخان ذلك المهجوم إلا بعد أن أرسل خطبا لقطب أرسلان وسترى فيه في سورة (الكهف) بقائه عن كتمان المسمى (نظام العالم والأمم) وهذا الكتاب فيه طلب المبادلة والمعاملة . ولما قرأ قطب أرسلان الخطاب قطع آذان الرسل فاختد صام (جنكيزخان) ثلاثة أيام لم يذق فيها الطعام وقال يا الله أردت هجرة أرضك ولكن المسلمون هم الذين أرادوا خرابها ثم هجم المهجمة التي مزقت الاسلام شرّ ممزق فلم تم للسولة قائمة إلا قليلا وخربت بغداد بعد ذلك خرابها (هولاكو) من أعقاب جنكيزخان . هكذا ترى دولة الأندلس إذ فسق المسلمون هناك بعد واقعة بغداد بنحو (٣) قرون وقاموا وتدابروا وأباحوا التجارة بلا قيد ولا شرط فشرّبوا آخر الفرنجة ولبسوا ملابسهم . وتعلموا في مدارسهم . ففترقوا شيعة . وذاق بعضهم بأس بعض . وكانت شروط الهدنة بين بارونات أوروبا ودوق فينيزيا والبابا من جهة وبين ملوك الاسلام في الأندلس من جهة أخرى أن التعليم حرّ والتجارة حرة والدين حرة فغسل الأسيانيون في بلاد الاسلام إذ ذاك وسقوهم اتجر وعلموهم التزم بليس الحرير والترف والفسوق والغلاعة واستداتوا وقامروا خلوصا للشباب والشابات في الحارات وعلى قارعة الطريق

وخلعوا العذار وسقروا مجد العرب ودينهم وصاروا يقرؤن علوم أسلاف الأسبانين وآدابهم وتاريخهم فأصبحت مدارس الاسلام خاوية على عروشها وصار الناس مسرفين شرهين جاهلين خفت عليهم كل ربك فأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون وحق عليهم آية - **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْمُفْسِدِينَ** - وهؤلاء أسرفوا في الأموال والتلاعبة فاستعبدوا الأسبان فقام الملك (فرديناند) والملكة (إيزابلا) فأفنواهم وطردوا من بقي إلى أفريقيا ذلك لأنهم تفرقوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض وصار لكل منهم وجهة هو موليا حتى إن أحد ملوكهم لما استفرقوا في السوق اصطاد فتاة أفريقية من أبيها فشكا أبوها إلى ملك آخر من ملوك الاسلام هناك فأرسل هذا الملك إلى الأول الذي هو ابن ذى النون أن أقطع من خضتك وأربع الفتاة لأبيها وكيف تكون زانيا فرد عليه جوابا شديدا فقامت بينهما الحرب وساعد الأفريقية ذلك الملك للتصريف فتاوضوا بربوا الأمير ابن ذى النون وهملت هناك ليل راقصة فرحا بانتصار الاسلام والنصرانية معا على ابن ذى النون الذي فسق وغوى . هذا هو سبب خراب دول الاسلام قديما وإلى الآن ترى آثار ذلك في الأعقاب فإن المسلمين اليوم متفرقون شيئا وقد ذاق بعضهم بأس بعض - وكل حزب بما لديهم فرحون - فإن الأفريقية يعلمون الناس تحقير الديانات والآداب والأخلاق الشرقية وهم قائمون بدياناتهم عاكفون على كتابهم يريدون أن يصدقوا عن عوائدنا وأخلاقنا ليضعوا أيديهم علينا ونحن صاغرون ولم يتطعن فيك إلا طائفتان وهم أهل (الهند) فقد منعوا المسنوجات الأجنبية من بلادهم وأخواننا (الترك) فاتهم في هذا الشهر (مارس سنة ١٩٢٥) قد حرموا تدريس الديانات غير الاسلام في بلادهم وهذا أول ما تنبهه الشرقيون للخطر الداهم . فإذا سمعت الله في القرآن يقول فيما نحن بمده هل ينظرون إلا أن تأتيهم ملائكة الموت فيقبضون أرواحهم أو يأتي بعض آيات ربك وقد فسر في الصحيحين مما بطلع الشمس من مغربها . فاعلم أن موت الانسان كهلاك الناس كلهم فإذا طلعت الشمس من مغربها فذلك من أشراط الساعة وخراب الأرض فإذا مات انسان فلا ينفع إيمانه إذا عرف الحقيقة وإذا هلك أهل الأرض كلهم فلا توبة لهم بعد الموت . وإذا سمعت حديث مسلم وقد روى أن آيات ربك عشرة وذكر منها أنواع الخسوف وخروج يأجوج ومأجوج والجال وعيسى ابن مريم وخروج الدابة ونحو ذلك مما تقدم إيمانه في غير هذا المكان فاعلم أن ذلك راجع إلى طلب الشيء بدفعه فأنه لا يرى أن يخرج يأجوج ومأجوج الذي أوجعه في كتاب نظام العالم والأمم وستره في سورة الكهف قد كان خرابا على الاسلام كما أجهلك سابقا وقس عليهم ما ذكر من الخسوف فانه لم يخرج عن اهلاك الأنفس التي خسفت الأرض بهم فكيف يفيد إيمانها بعد ذلك . فأصبحت آيات الله عبارة عن الانقلاب الذي يحصل في الأمم وأولى الأرض كلها غراب دولة تخراب الأرض كدولة انسان

(عموم القرآن للآدم)

ولما كان القرآن لم ينزل لأمة خاصة بل لعموم أهل الأرض جاء ذكر هذه الأمور عامة حتى يأخذ كل من أهل الأرض منها بقدر طاقته وأن المسلم كما ينظر في أمر نفسه ينظر في أهل وطنه ودينه وينظر في أمر الامم كلها فلذلك ترى المذكور في حديث مسلم عبارة عن أمور عامة لا تخص أمة مما يدل أن المسلم يعنيه النظام العام وملخص آيات ربك في هذا المقام ما يكون من الأمور الموجبة لقوات الفرصة فالملوث والانقلاب العام في دولة وخراب الأرض كلها مقسوبة في هذا المعنى

(وضوح معنى الآية)

فكان الله يقول أيها الناس احصوا على العلم والدين والأعمال الصالحات قبل القوات وعلى كل امرئ أن يهتد به نفسه ويسعى في تعليم أمته فلا تضل فهلك الفرد لا ينفع بعده إيمانه وكذلك هلاك أمته يكون سبب هلاكه لأن المصاب تم . وإذا ترك الناس الأمر المعروف والنهي عن المنكر خرب دولهم لأن الأمة

كالفرد الواحد فليكن المسلم مهذبا لنفسه هاديا لأمته فان لم تفعلوا ذلك ولم تكونوا على سبيل فانتظروا معاناة
العذاب بموت الأفراد منكم أو انتظروا ماسيحا - بكم من تفرق الأهواء حين يخرج (يأجوج ومأجوج)
ويقتلون الفرس والعرب الذين هم مسلحون وكذلك قوم القرنجة على المسلمين في الأندلس وهكذا
انتظروا الانقلابات العظيمة فان هذه كلها ستحصل واذن لاتنفع الثروة وبذل السلحون - فانتظروا
انا منتظرون - ولذلك أعقبه بقوله - إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء - معناه أنت
منهم يرى وهم منك برآء - يقول العرب ان فعلت كذا فلت منك ولست مني أى كل واحد منا يرى من
صاحبه - هكذا هنا يقول الله ان أمتك يا محمد حين تفرق أهواؤها وتختلف أحوالها وتصبح شيعا ويقوم
كل قوم ضد الآخرين فانك يرى منهم وانسابهم لك لا يجدهم فمعا - ولقد صدق الله وعيده فان ابن
اللقم وزير المستعصم هو الذى سول لولاكو دخول بغداد انتقاما من المستعصم الذى كان (سنيا) والوزير
(شيعي) واحتل (يأجوج ومأجوج) البلاد فلم يرجعوا (سنيا ولا شيعيا) فحاق الخراب بالأم الإسلامية لما
تفرقوا شيعا - هذا معنى قوله تعالى - لست منهم في شيء - وليس معنى ذلك انهم كفار بل ذلك معناه انهم
يعاقبون بما يستحقون لعنفهم صراطك المستقيم لأن شريعتك قائمة على قول الحق والعدل واقامة الميزان
في كل شيء واعظام الكبير ورحمة الصغير فاذا تحولت أمتك عن الجادة نزل بها العقاب ولا تصبرمك فلا تقرب
عليك فقد بلغت ونصحت

(جواب اعتراض)

لقد اطلع على هذا القول أحد الفضلاء - فقال هذا حل للآية على معنى بعيد جدا وما لهذه الآية
وخراب بغداد وخراب الأندلس وما لك تذهب بالمعاني الى ما لا يحتمل الآية فقل لي بالله كيف يثق الناس أن
هذا هو معنى الآية - كلا والله ان هي الامعان قامت بذهنك فأوردتها في هذا المقام كأنها معنى وليست بمعنى
وباليت شمري كيف تذكر هذا وانه بعيد - قلت أيها الفاضل أنا لست بدعا في هذا التفسير ولم أت به من
عند نفسي فهل اذا أسمعتك أنه تفسير النبي ﷺ نفسه تكون مقتنعا بذلك - قال نعم - قلت فاسمع
قال أبوهريرة رضى الله عنه في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الأمة وروى ذلك صرفوعا قال قال رسول
الله ﷺ - إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك - هم أهل البدع وأهل
الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة أسنده الطبري - فهذا حديث للمسلمين على الاتحاد - وروى عن عمر
ابن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة - إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا - هم أصحاب البسيع
والأهواء من هذه الأمة ذكره البغوي عن الرباض بن سارية - وفي هذا المقام ذكر المفسرون الأحاديث
التي تحض على الاتحاد وما أخرجه أبو داود والترمذي وعظ النبي ﷺ أصحابه حتى جعلت القلوب وأصرهم
بالسمع والطاعة ولو دلى عليهم عبد حبشي وأمر أن تنقب سته وستة الخلفاء الراشدين بعده وقال ياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة - وفي أحاديث أخرى أن اليهود افترقت والنصارى افترقت كما
هتتم وأن هذه الأمة ستفترق (٣٣) فرقة الى آخر ما هتتم فهذا كله يدل أن مسألة الآيات في قوله - يوم
يأتى بعض أيت ربك - الى آخر ما هتتم يرجع الى ممالك الأمم الإسلامية الذين تفرقوا شيعا ودنوا

(رأى للفسر)

وأرى أن هذه الآيات أكبر عبرة في الدين الإسلامي ذلك أن تفرق المسلمين انما جاء للجهالة الشائعة بينهم
ولو أن علماءهم أفهموهم أن دين الاسلام ليس خاصا بالمسائل الفقهية بل هو يشمل جميع العلوم لأصبحوا أمة
واحدة ولكن الجهالة العمياء والبلاهة السكتاء وظلم اللوكة والأصرار وجهل بعض علماء الدين الذين لا يعرفون
من هذا الدين الأحكام الفقه التي لا تزيد على مائة وخمسين آية - كل ذلك هو الذى حصر عقل المسلم في حناد

أخيه حتى كره كل صاحب مذهب الآخر ولو أنهم عرفوا أنهم يجب أن يكونوا أعلم الأمم بالعلوم العلوية والسفلية في القرآن (٧٥٠) آية في الأخلاق و (٧٥٠) آية في العلوم الكونية لو عرفوا ذلك لرأوا أن الاختلاف في أحوال قليلة جدا والاتحاد في أمور كثيرة فاذن يتحدون

ولكن أقول أن عمر الاسلام لم يزد عن (١٣) قرنا إلا قليلا وهذا العمر في البيانات أشبه بالطفولة للسان ولقد جاء زمن المرافقة للإسلام وسيكون في المستقبل من المسلمين فطاحل العلماء في العلوم العلوية والسفلية لا الفقهية وحدها واذن يرتقي المسلمون ويكونون حاملي أئمة السلام وذلك بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله من مؤلفات علماء الاسلام في الأقطار الاسلامية

هذا ولما كان المسلم لا يقيم نفعه إلا بالاخلاص أعقب هذا القول بما يفيد ذلك فهذا بالحسنات وانها تضاعف للحسن وأكمل القول بالاخلاص اشارة الى أن الحسنات لا تكون إلا بالاخلاص كما أن الاتحاد لا يكون إلا بالاخلاص فلذلك قال - انني هادي ربي الى صراط مستقيم - وهو الدين القيم الذي كان عليه اخطيئ عليه السلام وصلاتي وعبادتي وحياتي وموتى . كل هذه مسلقة - لله رب العالمين - وأنا بذلك مأمور - وأنا أول المسلمين - ثم أفاد انه رب كل شئ وأن النفس لا تحمل الا ذنبها وكل لله راجعون

ثم ختم السورة بقاعدة عاتقة وهي ان الناس جميعا في الأرض محتنون محتنون فلا ينجو مسلم باسلامه من الاختبار ولا صالح ولا طالح بل جميع الناس سواء في ذلك . فاذا عوقبت أمة من الأمم الاسلامية أو أفراد فذلك لا يمجته الاسلام لأن كل نفس تحمل ذنبها وعدل الله حق على الجميع فالتاس كلهم خاضعون لتلك القوانين العادلة الالهية

وإذا كان الله سريعاً عقابه فليس معنى هذا أنه يهادى في غضبه فالأمة التي ترجع الى ربها تقبل وثوق ولنلك ختم بقوله - وانه لغفور رحيم - فاذا اتفق المسلمون بأسلافهم ونعلموا وعرفوا علوم الأمم وعلوم العوالم فانهم يسودون أهل الأرض ولا يكونون كالمسلمين أيام (قلب أوسلان) اذ جهلوا قوة المقول والتفت لنومهم على مهاد الراحة لأنه ثبت أنهم كانوا يجهلون قوة جبرانهم فاحتقروهم فما شعروا الا وطلائع القوم قد حادوا بساحتهم فأبوا بلاء حسنا فعرف المسلمون أنهم جاهلون بمن حولهم وأيقنوا بالهلاك فدهمهم الترو والمقول وخبروا الدين تخريبا تاما وقتلوا كل نفس كما تقدم

فعلى المسلمين أن يعلموا أن قترتهم لأنهم جهال نامون غافلون وأن الأمم الاسلامية الماضية كان بعض علمائها أشبه بالأميين لا يعرفون من العلوم الشرعية إلا الفقه وصرخوا الناس عن علوم جلال السموات والأرض ففتنوا المسلمين وتاموا نومة أهل الكهف في الجهالة العمياء والبلاهة الكتماء فذهبهم الله بالذلة فليعتبر المسلمون الحاليون واتى موقن أنه ظهر فهم مصلحون وما أكثر المصلحين اليوم في الاسلام . واتى أسأل الله أن يجعل كتابي هذا من مبشرات الرقي في الاسلام بل أقول انه سيكون كذلك . وهذا أو ان الرقي فلا بشرية للمسلمين وليكونوا من مستقبل أمرهم على يقين - ولتعلن نبأ بعد حين -

(جوهرة مشرقة)

بعد أن ختمت تفسير هذه السورة رأيت أن قوله تعالى - يوم يأتي بعض آيات ربك - يحتاج الى زيادة ايصاح فهاك ما وقر في النفس بعد ما تقدم . فأقول

اعلم أن هذه الأحوال كلها أوجها قد ظهر في هذه الأرض وقد قلت فيها تقدم ان مرجعها كلها للنجاة بالهلاك ونتيجة ذلك أن تكون الأمم والأفراد مستيقظين للاهتمام النافذة في الدنيا والدين فان الموت يأتي فجأة وكذلك الأحوال العاتقة التي تحمل بالأمم

(١) فاذا جاء في الحديث الذي أجمع عليه البخاري ومسلم أن الشمس اذا طلعت من مغربها لم تقبل

التوبة فذلك المفاجأة التي تعيب الناس من ظهور الحقائق بالبلاد الأوروبية حيث هرب الشمس فان العلوم لما ظهرت وبهرت وكانت أم الاسلام لا يعرفون إلا العلوم القديمة مدة قرون جاء لهم أهل الغرب فأذلهم وقتلهم وابتدؤا ذلك بالأندلس ثم تخطوا ذلك إلى بلاد الشرق وهاتين أولاه نراهم يحرقون القرى ويهلكون أهلها ولا يرحون صغيرا ولا كبيرا . فالأم الاسلامية التي تأت من علوم الكائنات وتطوّر انها تنافي إيمانها ودينها فهي لا محالة آيلة إلى الهلاك كما حصل في بلاد (أفريقيا) من دول أوروبا . فاما التي يكون اعتقادها بالاسلام يحضها على العلوم فهؤلاء الذين يكسبون في إيمانهم خيرا وحيث يجدون من الخطر فيعيشون مع العالم بسلام . فاذا رأينا بعض الأمم الاسلامية اليوم يقرؤون العلوم العصرية فهؤلاء اذا اعتقدوا انها من الدين رفقوا سريعا لا اعتقادهم الراسخ في أذهانهم فيعيشون مع العالم بسلام والا أذهل الغرب بالحرب والهلاك وقاؤهم بالمداخ فقتلهم

(٢٠٥٥) واذا جاء في الحديث أن هناك خسفا بالمغرب وخسفا بالشرق وخسفا بجزيرة العرب . فاعلم أن هذا تنبيه على أن الأرض تحصل فيها زلازل كما تعلق في هذا الكتاب وهذا تنبيه أيضا على أمر طبيعي ومنه أنه من القرى ما تقع فيها الزلازل على سبيل المفاجأة فأهلها يموتون وكل منهم يموت على ما عاش عليه ولا تنفع التوبة وهذا تحذير من أمر طبيعي كما يحذرون من الفلقة لئلا يفاجئنا الموت

(٥) واذا جاء في (مسلم) أن هناك نارا تطرد الناس إلى محشرهم تحسبها كسابقها وهي المفاجأة فليكن الناس على حذر صالحين في أعمالهم

(٦) واذا جاء في حديث (مسلم) أيضا أن السجال اذا نزل لا تقبل التوبة . فاعلم أننا قدمنا في سورة (البقرة) أن من يشبه السجال هم الأمم للمستعمرون فانهم اذا نزلوا بساحات الأم الشرقية أذلوا وأهلكوا أهلها فمن مات منهم لا ينفعه توبته عند الموت وهذا تحذير للأمة الاسلامية من دجل الأم واضلالها ومداهم بالترف والنعيم والصناعات والحرف والملابس الفاخرة فيستزفون ثروتهم ثم يقبضون عليهم ويملكون بلادهم وقد أروهم جنة الشهوات والذات والوظائف والبضائع الجليلة فأصبحت على الشرقيين نارا تظلي لا يسلها إلا الجاهلون فأذلهم . وقد قلت في سورة (البقرة) وغيرها أنا لست أقول انهم هم (المسيح السجال) وإنما أقول هم نظراؤه وأشباؤه فلم يحكم كما اني أقول ان طلوع الشمس من مغربها وإن كان على حاله وحقيقته يراد منه على سبيل الكناية المقصودة للناس في هذا الزمان شمس العلوم والعرفان وهذه كناية بحسب القواعد في علم البيان . فالسجال كناية وطلوع الشمس من مغربها كناية والقرآن أولى بالكنايات والمكنايات أبلغ من المجاز ومن الحقيقة

(٧) واذا جاء في حديث (مسلم) السجان فقد ظهر بأوضح وجه في هذا الزمان . أولست ترى أن السجان هو الذي يحارب به الآن . أولست ترى الفلزات الخائفة والمصيبة . والتي تأتي بالطلاعون . والتي تبت سريعا والتي تأتي بالسل . والتي تأتي بالجنون الح

وهذا قوله - يوم تأتي السماء بدخان مبين • ينشى الناس هذا عذاب أليم - وقوله تعالى - أأمتهم في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور • أم أمتهم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فتعلمون كيف نذير - وهذا الحاصب ينزل من الطليارات في بلاد (العراق) وفي بلاد (مراكش) وفي بلاد (سوريا) فالأول من الانجليز . والثاني من الأسبانيين . والثالث من الفرنسيين وذلك حاصل الآن أي سنة ١٩٢٦ (٨) واذا جاء ذكر (يا جوج وما جوج) فما أنت ذا عرفت حقيقتها فما سبق قريبا وقد أريتكم ما يكفيكم والا فاقراء في كتاب (نظام العالم والأمم) وفي سورة (الكهف) فيا سيأتي

(١٠٥٩) واذا ذكر الدابة وظهر عيسى ابن مريم فهنا كناية ظهور الحقائق واضحة جليلة . فالقلوب النقية

المستعدة نال السعادة وقهم الحقائق . والقلوب المطموسة التي لم يهذبها الدين ولا العلم فلانوبة لها لعدم تفعلها وفهمها.

واذا ذكرت هذا فاعلموا كناية والكناية تكون مع الحقيقة والقرآن للهداية نزل . واعلم أن سورة الأعراف قد أوضحت هذا المقام تمام الايضاح فلقد جاء في أولها كيف تنجا الأُم بالهلاك ثم سرد قصص نوح وعاد وحمود ومدين وقوم لوط وفرعون وانهم دمروا وهم لا يشعرون . فهذه من بعض آيات ربك التي اذا جاءت لا يفتفع قسا لإيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا

واعلم أن نعمة هذه الآيات والمفاجآت إنما يكون في هذا الزمان فالتخلف والتدمير والدخان والعلوم والجهالون الكذابون من الأُم القوية كل أولئك أحاطوا بالمسلمين وكذلك العلوم والمعارف . فإذا لم يشاكل المسلمون الأُم التي حولهم حقت عليهم كلمة العذاب فأصبحوا خامدين . وما كانت سورة الأعراف الآتية ولا بعض آيات ربك التي في هذه السورة لتنزل لمجرد التلاوة أو الاخبار بل هي إنما نزلت لاستيقاظكم أيها المسلمون في هذا العصر وإلى أنذركم صاعقة العذاب الهون وخواب البول ان لم تهوموا من فوركم بما أبفت لكم في تفسيرى هذا من عجائب الله تعالى وتعرفوا ما نزل الله في الأرض والسموات من يدب صممه وجيل ابداعه

هذا هو الزمان الذى تشرف به الحقائق الاسلامية ويقوم المسلمون بهتهم العلمية العمرانية والا فليعلموا أنهم خامدون ماتون هالكون صرعى للدافع والقنابل والدخان والجهالين أو تخسف بهم الأرض بما يقذف عليهم من الطائرات وهكذا - ان ربك سريع العقاب - بذلك - وانه لغفور رحيم - لمن أدركوا وعقلوا فأبهاهم الى حين . انتهى تفسير سورة (الأنعام) ويلها سورة (الأعراف)

﴿ تفسير سورة الاعراف ﴾

(هذه السورة مكية الاثنان آيات)

وهي قوله تعالى - واسألم عن القرية - الى قوله - ولإذ أخذ ربك من بنى آدم لخب - وقد قسمت الى تسعة أقسام (القسم الأول) من أول السورة الى قوله - كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون - وهذا القسم فيه أربع مقاصد (المقصد الأول) في مقدمة السورة في ابتداء تفصيل الكلام على ما أجعل في آخر سورة (الأنعام) من مفاجأة الأم بالحوادث المزعجة فعليه يجب أن يكون الناس مستيقظين دائماً من قوله - للص - الى قوله - قليلاً ما تشكرون - (المقصد الثاني) في قصة آدم وحواء وما أصاب به من خروجهما من الجنة ونزولهما الى الأرض وهي أول ما جاء من القصص كالتطبيق على ما يصاب به الناس مفاجأة من قوله - ولقد خلقناكم ثم صورناكم - الى قوله - وفيها تموتون ومنها تخرجون - (المقصد الثالث) بيان أن هذه القصة كثر القصص ليست قصصاً ذاتها أو تفكك بل هي للحكمة والاعتبار والعمل وحسب الناس على ألا يتبعوا وسوسة الشيطان كما اتبع أبوهم آدم وسوسته فعوى وليحذروا أن يقتنهم الشيطان فينزع عنهم لباس التقوى كما نزع من أبيهم اللباس المادي . ثم أخذ يذكر أحكام اللباس في الصلاة وحكم الزينة التي خلقها الله وهكذا وذلك من قوله - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يليقاً لآلاتكم - الى قوله - ولقد جئناكم بكتاب فسلطنا على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون - (المقصد الرابع) فيما هو أهم مما تقدم وهو النظر في خلق السموات والأرض والشمس والقمر والسحاب والمطر والنبات الخ من قوله - هل ينظرون إلا الساعة - الى قوله - كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون -

(القسم الثاني) في قصة نوح وقومه وكيف غرقوا بكفرهم من قوله - ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه - الى قوله - انهم كانوا قوماً مهينين -

(القسم الثالث) في عاد وثمود عليه السلام من قوله تعالى - والى عاد أخاهم هوداً - الى قوله - وما كانوا بآياتنا مؤمنين -

(القسم الرابع) في ثمود ونبههم صالح عليه السلام من قوله - والى ثمود أخاهم صالحاً - وكيف كانوا يتخذون من السهول قصوراً وينحتون من الجبال بيوتاً . وكيف خسفت بهم الأرض لما طغوا وبغوا الى قوله - ولكن لا تحبون الناصحين -

(القسم الخامس) قصة قوم لوط عليه السلام إذ كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء فأمر الله عليهم مطراً غزيراً فهلكوا من قوله - ولوطاً إذ قال لقومه - الى قوله - فأنظر كيف كان عقوبة الجرمين -

(القسم السادس) قصة أهل مدين ونبههم شبيب عليه السلام إذ كذبوا وطففوا للمكيال وللوزان وبغضوا الناس أشباههم فأخذتهم الرفة لما كذبوا من قوله تعالى - والى مدين أخاهم شعيباً - الى قوله تعالى - فكيف آسى على قوم كافرين -

(القسم السابع) في نتائج عامة من القصص للتقدمة وضائع عامة فصل فيها ما أجعل في أول السورة وفي آخر سورة (الأنعام) من أحوال الأمم العاصية وانه يجب الحذر في كل حين لأن خراب الأمم قد يأتي بغتة ليلاً وأنهاراً وأن أكثر نوع الانسان لاهمه من قوله تعالى - وما أرسلنا في قرية من نبي - الى قوله تعالى - وان وجدنا أكثرهم لفاسقين -

(القسم الثامن) قصص موسى عليه السلام وما كان من أمر فرعون معه . وكيف كان أصحاب القبول أقرب للحقائق ممن يتبعون خوارق العادات كما حصل لسحرة فرعون وجهلة بنى اسرائيل إذ آمن

الأولون لما رأوا ما هو فوق قدرتهم على يدى موسى وكفر الآخرون لما جاوزوا البحر وقالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وغير ذلك من الآيات المتصلات الى قوله - وكذلك تفصل الآيات ولعلمهم يرجعون -

(القسم التاسع) - فخص بلعام بن باعوراء الكنعاني إذ أعطاه الله العلم فضل به وما ينبع ذلك من الأحكام العامة من قوله - واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا الى آخر السورة

(مقدمة تبين ارتباط هذه السورة بما قبلها)

اعلم أن سورة (الأعراف) منتمية لسورة (الأأنعام) ويانه أن سورة (الأأنعام) يرجع أهم ما فيها الى أمرين اثنين (أولهما) النظر في العالم العلوى والسفلى (والثاني) اجتناب الشرك والظلم والمعاصي والقتل والعقوق والزنا وما أشبه ذلك وعجد العناية بالأمر الأول واضحة جلية في ابتداء السورة بالجد على أن الله خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وفي نظرات التحليل في الكواكب متدرجا من أذناها الى أعلاها وفي أن الله هو الذى خلق الحب والنوى وأخرج الحي من الميت وأخرج النبات من الحى وأضاء النهار وأظلم الليل وأنشأ جنات وأعابا ونحلا وهكذا كما كثر ذكره في السورة وتروى الأمر الثاني ظاهرا في التشديد بعبادة الأصنام والشرك واتباع الهوى وتحريم الحلال وتحليل الحرام وظهر جليا في آخر السورة إذ قال - قل تعالوا أتئل ما حرّم ربكم عليكم -

وختم السورة بالذم للأُم إذا أهملت العلوم فجهلت العوالم العالوية والسفلية وألم تر أع الأخلاق والآداب فضلت وعصت فأندرها بقوله - يوم يأتي بعض آيات ربك - ولم يبين تلك الآيات وإنما أهمها وتركها للناس يفكرون فيها وجاءت بعض الأحاديث بما يشف عن بعض الآيات بطريق الرمز ورجع ما فيها الى أمور عاكة ذكرناها بقصد بها أن تكون الأُم متيقظة عالة عاملة كما شرحناه

فكان الله يقول في سورة (الأأنعام) كما قال في سورة (الفاتحة) أى عبادى هاأنذا آسركم أن محمدونى لأننى ربيت العالمين ولن تعرفوا التربية العامة إلا بدراسة ما ربيته ونظمت من العالم العلوى والسفلى . أتم مأمورون أن محمدونى لأنى ربيت العالمين ولأنى خلقت السموات والأرض وجعلت الظلمات والنور ولاجد لمن يجعل صفات الحمد ولاشكر لمن غفل عن صفات الشكور وأنا لم أبتدىء القرآن بمحمدى على اننى رب الثواب والعقاب ولأرب البيوع والشفعة والرهن والميراث والقضايا واليّنات والروض وأركابه وأنواع الخيض وأقسام المياه التى يجوز التطهير بها ولاعلى مسائل العتق ولاعلى مجادلات علماء التوحيد واختلافهم فى صفاتى وهل هى عين ذاتى أو غير ذاتى وإنما أمرتكم بمحمدى على اننى خلقت السموات والأرض وجعلت الظلمات والنور وخلقتكم من طين وريت العالمين . وكيف محمدونى وأتم أجعل الناس بأهمالى وجالى ونورى الذى أشرق والظلمات التى تحجب وتذهب بحجاب . وكيف محمدونى وأتم لم تدرسوا الهلك ولا الطبيعة ولا النبات ولا الحيوان ولا جبال مخلوقاتى . على هذه يكون جدى ولاجد لكم إلا بالدراسة والعلم فمن جهل صفات الحمد كان حده نفاقا وشكركه لفظا وتعبده جهلا وحبه لربه رياء . وكيف تحبون من تجهلون أو تقرّبون الى من لا تعرفون وهل تعرفونى إلا بأهمالى . أهمالى التى أبرزتها فى جوار الكواكب والشموس والأقمار والنبات والحيوان والانسان فلاجلال الا من جالى ولاحكمة إلا من أهمالى

ولا يتبنى لكم معرفة جالى فى هذه المخلوقات إلا اذا انتظمت دولكم ولا يكون النظام إلا حيث تتركون المعاصي ظاهرا وباطنا وتقومون بالصلاة والزكاة وبقية أركان دين الاسلام وتتركون ظاهرا للاهم وباطنه وأن تركوا ما حرّم ربكم عليكم فلا تتركوا بشيا ولاقتلوا أولادكم

وانظر رعاك الله كيف ختم السورة . بماذا ختمها . ختمها بالانذار للأُم كلها . أنذرهم وحذرهم قال لهم اتبعوا صراطى مستقيما ولا تفرقوا والا أنزلت عليكم ما يصيب الأُم الجاهلة بفعل ربها ونظامه فى خلقه

الظلمة في أعمالها العامة وخاصة . فلذا أتت لكم بعض آيات ربكم لاتنتفعكم التوبة يقول قوموا بالأمرين معا . معرفة نظام السموات والأرض . وتهذيب نفوسكم ونظام دولكم والا فانكم معرضون للانتقام وذهاب دولكم يوم يأتي بعض آيات ربكم واذن لاينتفعكم توبة ولاينجيكم اتباعكم لدين الاسلام بمجرد اللفظ وأتم تجهلونه فلا تكسب كل نفس الا عليها انكم خلافت الأرض وأتم تعتبرون بمنحون فمن فاز في الامتحان قربناه ومن رسب أزلناه . ولا تكسب كل نفس الا عليها ولازروا زرة وزر أخرى . نحن اختبرناكم فيها أعطيناكم فلاتعصروا في شكرنا ولا تناموا عن معرفة نظمنا

(سورة الأعراف)

لما كانت سورة (الأنعام) لم يفضل فيها حلاك الأم الجاهلة ولم يبين كيف يهلك الذين لا يعقلون والذين هم يظلمون بارتكاب المعاصي جاءت سورة (الأعراف) وقد ذكر فيها آدم ونوح وعاد وثمود وقوم لوط ومدین وبنو اسرائيل وقوم فرعون وقد هلك من هلك من هؤلاء اما لتطيف المكيال والميزان واما لعدم معرفة النعمة وشكرها على قصور في سهول وبيوت منحوتة في الجبال . واما على الظلم بالقتل . واما على الفسوق مباشرة الرجال ومخالفة حكمه الخالق في الاقتراب من النساء . واما على تكذيب الأنبياء ونبد الحق ومخالفة طريق الهدى

فانظر كيف ابتدأ سورة (الأعراف) بما لم يقدى به سورة (الأنعام) . ابتدأ سورة الأنعام بإيقاظنا الى النعم التي حولنا وتوجيه عقولنا اليها . ولما علم الله أن أمة الاسلام ستكون بعد النبوة بأمد طويل كالمقرن الرابع عشر لاتعبر هذه النعم التفاتا ولا تلوى اليها عنانا ولا تعرف المقصود منها مع انها أهم العلوم وأهم النعم وأن الحمد لم يذكر في الفاتحة ولا في الأنعام إلا عليها

ختم سورة الأنعام بالانذار . وابتدأ سورة الأعراف بإكمال الانذار قتل . كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنوبه وذكرى للؤمنين . يقول في سورة الأنعام توجهوا بقولكم الى مخلوقاتي واتركوا المعاصي . ويقول في الأعراف أنزل اليك الكتاب فلا يكن في صدرك ضيق منه فأذنبه الناس واتل عليهم آباء الأم الضالة فكف من أمة أهلكتها ليلًا أو نهارا . فسورة الأعراف لبيان الأم التي جهلت ما صنعها وبها وغفلت عن نعمه أو عصت في أعمالها

(القرآن ونهر النيل)

اعلم أن مثل القرآن مع الأم الاسلامية كنهر النيل مع الأمة المصرية . ان النيل كان يجري قديما من وراء خط الاستواء من فوق جبال (القمر) ويمر في الأدوية والبحيرات ويقطع أميالا وأميالا آتيا من نهرين النيل الأبيض والنيل الأزرق وهما يجتمعان عند مدينة (الخرطوم) ويتجهان شيالا الى البحر الأبيض المتوسط ولم يكن للنيل سدود تمنعه ولا قناطر تحجزه ولا حوض تحفظه ولكن كان يمر في طريقه ولا يرجع على شيء ولا يلوى على أحد حتى يصب في البحر الأبيض . وغاية الأمر انه في زمن الفيضان أيام اخريف يعم الأرض وبعد ذلك يقل ماء النيل فتحب الأرض فيزدعونها صرة واحدة . وكان الناس أيام الفيضان يعيشون في مدنهم وقراهم والماء من حولهم وياكلون مما يحزنون ولا يزالون إلا على المراكب والقوارب وما أشبهها . ولقد كان لقسم المصريين بحيرة يحزنون الماء فيها لينفع ذلك أيام قلة المياه . ومن ابتداء الفتح الاسلامي وقبله الى أمد قريب لم يكن لتلك البحيرة عمل بل هجرت لما ذهب مجد الأمة القديمة وبقي النيل يجري مجراه حتى اذا كان العصر الحديث جعلت للنيل قناطر وسدود في جهات كثيرة وضبط ما فيه من الماء بقدر الامكان فأصبحت مصر وأصبحت عروسا وازيقت لقناطر . هكذا القرآن

﴿ القرآن ﴾

يقرأ الناس القرآن بالسنتهم وهم لا يعلمون بما فيه بل هم أجهل الناس به كما كان النيل يجري من وراء خط الاستواء الى البحر الأبيض ولا يتفهم الناس به إلا أيام الفيضان وهي أيام قليلة ولذلك لم يكن يسكن بلادنا إلا نحو مليونين . أما الآن فقد أصبح السكان نحو (١٤) مليوناً أى سبعة أضعاف سكانه من قبل وفيضان القرآن على أمة الاسلام في القرون للتأخرة لم يكن إلا الأحكام الشرعية من الحيض والنفس والميراث والوضوء وهكذا فأجدبت الأمة الاسلامية وخلت ربوعها من الأنيس وحل بها الانكيس وأذلها الانجيز واقرنيس ووسوس لها ابليس

فهذه سورة (الأعراف) جاء فيها ذكر الأمم الجاهلة والفاقة تذكّر للمسلمين بما حلّ بهم الآن من خراب محالكم كما خربت عاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون لما طغوا وبغوا وجهلوا العلم والحكمة وكانوا ظالمين سورة (الأعراف) تذكّر المسلمين وأتذللهم بقرب ذهاب دولهم بل ما فيها من النصص هي عين ما حلّ بالأمة من ذهاب مجد وضياع بلاد وخراب أمم بما فسقوا وبما جهلوا والفسق والجهل متلازمان وهما صنوان واخوان لا يفرقان

﴿ سورة الأعراف جاءت لظهور الحقائق ﴾

جاء في سورة (البقرة) قصة آدم وأثبت بقصص بني اسرائيل ولم يذكر هناك صراحة نتائج قصص آدم ولا غيره . ولكن في هذه السورة العلم والمعرفة والفهم . ألم تر أن قصة آدم في هذه السورة قد أعقبتها بدرس في التهذيب والتربية فقال - يا بني آدم لا تفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة - ينزع منهما لباسهما بل تجاوز ذلك الى ما هو أرق وأكل وأثم وأعظم وأنفع وأشمل فقال - ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله - بما يجبا يذكر قصة آدم ويخرج من نزع لباسه الجسدي الى الكلام في لباس التقوى لنا ويجعل لباس التقوى خيراً ويقول - ذلك من آيات الله -

إن هذه القصة ذكرت في أول سورة (الأعراف) في ابتداء القصص ليدلنا أن هذه الحكايات والقصص لا يراد لفظها ولا مجرد حفظها ولا فهم معناها . بل يراد منها ما يلزمنا في حياتنا . ويحفظنا في مكاننا . ويؤلف جامعتنا . ويرقيتنا في هذا الوجود والا فأين ما حصل لأدم وحواء من كشف سواتهما وما ألهما من خفف الورق عليهما وما جاء تفريهما على قسمهما من ذكر اللباس الذي يورى سواتهما من القطن والكتان والتيل والحري وغيرهما وما فوق ذلك من اللباس التقوى وأنه يجب علينا أن نتق وسوسة الشيطان لئلا ينزع هنا لباس التقوى كما نزع من أبونا اللباس الظاهري . هذه القصة تتعلق بلسان فصيح أن ما ورد في القرآن من القصص لم يكن إلا للتأنيث التي تنفعنا ولم يذكر من ذلك قصص لقائه والا فهذه القصص أصبحت مشهورة بين الناس وهم لا يلتفتون اليها

فعلى المسلمين أن يحذروا من وقوع العذاب الذي هم أعلم الناس به فقد حلّ بالبول الاسلامية كلها وأحاط بهم من كل جانب وهم ناثمون . ولو أنهم عرفوا أن سورة (الأعراف) أن هي الا مثل من الأمم الخالية لما سيحصل في الأمم المستقبلية التي نحن منها وقد مسنا نفس العذاب الذي حاق بتلك الأمم من عاد وثمود الخ لوعرف المسجون ذلك رجوا الى نظام الله في السموات والأرض وفهموا خلق السموات والأرض والظلمات والنور وعالم النبات والحيوان الخ . ولأن تكون هذه العلوم التي تبلغ آياتها (٧٥٠) آية أشبه بالقناطر التي في نهر النيل والسدود والعمر والجسوس التي تحفظ الماء فيسقي الأرض هكذا أتم أيها المسجون عليكم أن تفهروا عند آيات النظام العام التي لا يمكن جد الله جداً حقيقياً الا بها . وتدبروا ما اشتملت عليه دراسته كدراسة أوروبا بل أعظم وتكون تلك الدراسة أشبه بالقناطر في نهر النيل فيعلم العلم ويتبعه السعادة

تتعرفون نعمة الله وتناولون منافع ما خلق بعلومكم وعملكم لا بمجرد الطبيعة كما يترتب السود على السود لا يفكر من أين والى أين وم خلق • وأذن بعلومكم لله من منافع جباله وأنهاره وسهوله وبحومه وزروعه ولا قال لكم - فلا كيل لكم هندي ولا قريون - لأنني لم أخلقكم دودا ولا ذبابا ولا ناموسا ولا بهائم بل خلقكم لتفكروا ولا تفكر أعظم من معرفة العوالم الملوية والسلفية معرفة بها تستنجون للمنافع المادية والمعنوية وأنا أذن أعطيتكم على قدر ما تكسبون - والوزن يومئذ الحق - وكل شيء عندي بميزان • انتهت المقدمة (القسم الأول من سورة (الأعراف) وفيه أربعة مقاصد كما تقدم)

(التَّعْصِدُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الْمَعْنَى • كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صُدْرِكَ حَرْجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ • وَكَمَ
مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا بَغَاءَهَا بَأْسُنَا يَتَذَكَّرُونَ • فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا
إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ • فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ • فَلَنَقْصُصَ
عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ • وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ تَمَنَّى قُلْتُ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِسُونَ • وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ
وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَآيِسَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ •

(التفسير النقطي)

(المعنى) تقدم الكلام عليها بأبسط وجه في أول سورة (آل عمران) وهذه السورة (كتاب أنزل اليك) والجهة مفعلة كتاب (فلا يكن في صدرك حرج منه) لما اشتمل عليه من هلاك الأمم السالفة ومفاجأتها بالعذاب لما قصرت في كبل وميزان أو عدل أو شكر لنعمة أو كانت قتل الخبائث • ولم تسبق سورة قبل هذه فيها ائذار باستئصال الأمم فلذلك ابتدئت بأمره ﷺ ألا يكون في صدرك حرج وضيع لأن التبليغ يحتاج إلى الائذار والتبشير والخوف والرجاء وهذه السورة وكذا سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم عليهم السلام وما أشبهها قد أنزلت لبيان ما يعتري الأمم من الهلاك • وهذه السورة أول سورة من هذا القبيل فلذلك بدأها سبحانه بطلب نفي الحرج عن صدره لإدناها بأتمام التبليغ وهي ليست كسورة الفاتحة المبدؤة بالحمد على تربية العالين ولا كسورة آل عمران المبدؤة بتوحيد الله ولا كسورة النساء المبدؤة بطلب تقوى ربنا لأنه خلقنا من نفس واحدة ولا كسورة المائدة المبدؤة بالأمر بالوفاء بالعقود ولا كسورة الأنعام التي ابتدئت بحمد الله على خلق السموات والأرض والظلمات والنور بل هذه هي التي فيها ذكر الأمم الهالكة بظلمها وقد جمى بها هنا بعد ما تقدم من بيان الصلاة والزكاة والصيام والحج والتوحيد والنبوة والميراث والعدل والحلال والحرام في السور المتقدمة بل بعد ما ذكر أن ديننا قد تم وكل في سورة (المائدة) فنانسب أن يؤتى هنا بما يفيد خواب الأمم الغاللة فنانسب ذكر عدم الحرج في قلب النبي ﷺ

يقول الله تعالى - فلا يكن في صدرك حرج منه - (لتفتربه) ولتذكر (وذكرى للمؤمنين) فمن يكذبونك
 ينصرون به ومن يؤمنون بك يذكرون بما حلّ بالأم قبلهم وليعلموا أنهم لا ينجون من الخطر إذا قصروا في
 شريعتك والا فلامني للذكرى فتذكر للمؤمنين معناه أنهم معرضون لما تعرضت له الأم الغافلة فإذا تفرق
 شمل للمسلمين وإذا جهلوا وإذا علموا فاني أنزل بهم العذاب كما أنزلت على الأم الماضية وليس الاسلام
 بمنعهم من الهلاك لأني عدل أعدل بين الأم وبين الأفراد فلذلك أعقبه بقوله (اتبعوا ما أنزل اليكم من
 ربكم) من القرآن والسنة (ولاتبعوا من دونه أولياء) يضاونكم من الحق والانس أي ولا تتبعوا من دون
 دين الله أولياء (قليلا ما تذكر) أي تذكرون تذكر أقل قليلا وما زائدة لتأكيد . ثم شرع بين مقصود
 ما جاءت به السورة مما يوقع الحرج في القلوب والنفوس نبيانا لما سبق في آخر الأنعام من محي آيات
 الله بفتنة حيث لا تنفع التوبة للأثم ولا للأفراد فقال (وكم من قرية) وكثيرا من القرى (أهلكناها) أردنا
 إهلاك أهلها (لجأها بأسنا) عذابنا (بيانا) باتين كقوم لوط (أوهم قاتلون) عطف على بيانا أي قاتلين
 نصف النهار كقوم هيب إذ أخذتهم الظلة وأصل الكلام بيانا أوهم قاتلون لخصت وأو الحال استغناء لاجتماع
 سورتى العنكب والول وأو وأما خص وقت البيات والقبولة لأنهما وقت الاستراحة فتوقع العذاب فيهما أظن
 (فما كان دعواهم) أي فما كان دعاء أهل القرية واستغاثهم (اذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا انا كنا ظالمين) أي
 لا اعتراض بظلمهم فيما كانوا عليه وبلاتنه تحسرا عليه وهذا هو المشاهد الآن في الأم الإسلامية إذ يدخل
 أهل القرب في مصر وتونس والجزائر وصراكس والهند وجاوه وسومطرة وسائر بلدان الاسلام كالمند وغيرها
 وبلاد السودان ويذهبون أبناءهم ويستحيون لساءهم ويقتلون المسنوقات والنار من الطيارات في سوريا
 والمشرق وغيرها فتنزل تلك النار على الأم الإسلامية ليلا ونهارا أو وقت القبولة كما في هذه الآيات فسمع
 للمسلمين يقولون ربنا نحن متفردون جاهلون متواكلون ظالمون ضائقنا الله بذنوبنا وليس عندنا علماء
 ولا حكماء ونحن فينا الطمع والحسد والظلم ضائقنا الله بما كنا ظالمين

هذا كلام المسلمين الذي قال الله في هذه الآيات لنبيه ﷺ في شأنهم - وذكرى للمؤمنين - فعذاب
 هذه الأم جاء في هذه السورة - ذكرى للمؤمنين - ونحن المؤمنون وقد حلّ بنا ما ذكرنا به ولم ينفع الندم
 ولا التوبة عند وقوع المصائب بالأم الإسلامية ومن أعظم المصائب ما أخبرت به عند كتابة هذا الموضوع إذ
 جلاني مدرسي بمدرسة (الأمر بكان) بالقاهرة وهو من متخرجي مدرسة دار العلوم وقال إن ناظر المدرسة
 المسيحي بأمر التلاميذ المسلمين جميعا أن يحضروا الصلاة وكذلك بأمر المدرسين المسلمين أن يحضروا ثم
 أنه جميع التلاميذ في يوم من الأسبوع ويلي عليهم درسا في الأخلاق ملخصه التمسك في الاسلام وفي القرآن
 وفي نبيانا ﷺ حتى أن بعض التلاميذ ارتد ونصر والباقيون يحرقون دينهم . وهذا مجلس النواب
 ومجلس الشيوخ والوزارة وليسوا يقدرين أن يصنعوا شيئا لأنه لا سلاح عندنا . أما الترك أيدهم الله بالنصر
 للذين قد حرموا مثل هذا في هذه الأيام وأغلقوا مدارس أمثال هؤلاء وهم مصلحون

وهذا من آثار العذاب الذي حلّ بديلنا أن يكون ثمرة غرسنا وهم أحسن أبنائنا والخلص منهم يخرجون
 حفرين دينهم ووطنهم وأمتهم وزرع فتقول إنا كنا ظالمين

ثم لعل أيها القاري أن حكمة الله في مثل هذا إنما هو إيقاظ النفوس وترقية الدارك . ولعمرك ما أرسل
 الله هؤلاء لينقوا في ديننا ولا يبعثنا على ارتدائه وذلك حبا يرق الناس فارتقاء الشعوب لا يكون إلا
 بالظفر وإذا كان الحرب داعيا إلى رقي الأم هكذا فليكن حرب الهيئات بالتم والظلم داعيا حينئذ لرقيا
 والبعث في إحياء شأنها وكل ذلك لارتقاء الأم على الأرض . ولما كانت الأم لا بد لها من هداة وأولئك
 الهداة مسؤولون والأم مسئولون أعقبه بقوله (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين) فيسأل الله

الأنبياء هل أجيبوا والأثم عن قبول الرسالة والسؤال القصد منه التبريع والتوبيخ لا يطاق النكاح وهذا هو عذاب الخزي المذكور في سورة آل عمران وإلا فإنه تعالى يعلم ما يفعلون وليس غائباً (فلتصنص عليهم بمل وما كنا غائبين) فليس يخفى علينا شيء من أحوالهم . ولما كان العالم بالأشياء لا يلزم أن يكون عدلاً في حكومته أرفده بقوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) أى ووزن الأهمال العدل السوى حاصل يومئذ أى يوم القيامة ولقد عرفت الوزن في أول سورة آل عمران وأن الله وزن في هذه الدنيا سائر الثمرات والحركات والسكنات ومن قرأ علم الفلك والطبيعة والكيمياء أدرك وشهد كيف توزن الثمرات في دخولها في الماء للمكثون من (الكسوجين واودروجين) إذ تكون ذرات أحدهما مع ذرات الآخر بنسب صادقة تامة عدداً ووزناً ولو اختلفت ذرة واحدة لم يكن ماء وهكذا إذا قرأت ما كتبهنا في سورة (البقرة) عند قوله تعالى - وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس - وكيف كان نظام الثمرات والناصر في تركيب النبات يختلف فيصير الغذاء ملبسا والملبس غذاء . كل لا يختلف باختلاف العناصر في المقدار عند دخولها في النبات يختلف فيصير الغذاء ملبسا والملبس غذاء . كل هذا مذكور في البقرة وفي آل عمران موضحاً مشروحاً ليعرف الذين فرقوا هذه العلوم وليشهدوا أن الله وزن كل شيء بالحق ومن شهد ذلك في هذه الحياة سهل عليه وزن يوم القيامة فائدة رب العالمين . والعالم قسماً . عالم الدنيا وعالم الآخرة ولقد شهد الحكماء الوزن في الدنيا فهكذا يقررون بالوزن يوم القيامة وهذا سهل على من قرأ صفة الله في الدنيا فأما من عداهم من الذين لا يقرؤون فما أحوالهم أن يوصف لهم ذلك بضرب الأمثال قال ابن عباس رضى الله عنهما يؤتى بالأهمال الحسنة على صورة حسنة وبالأهمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وإذا سمعت مقالة البغوى عن بعضهم ان الأشخاص هي التي توزن مستدلين بما روى في الصحيحين أنه لما نى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة . وإذا سمعت مقالة غيره ان محاسن الأهمال توزن . ومقالة آخر ان قس الأهمال توزن فاعلم أن ذلك كله ضرب مثل ليعرف الناس بما يزاوون ولا فتحن نشاهد وزن الله في السموات والأرض فهذه العلوم أدركنا أنه وزن الحركات والسكنات والثمرات في النبات والحيوان والفلك ومن اطلع على ما تقدم من هذا التفسير أيمن إيماناً تاماً أن الله يزن كل شيء ولا يخفى شجرة ولذلك نسمع الله سبحانه وتعالى يقول - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - فكان المبدأ لما اطلع على صورته الحقيقية أدرك بنفسه نفسه وكله وصار هو نفسه شاهداً على نفسه كأن ميزانه أصبح في فهمه وقام بذمته وأدرك ما كان حسناً وما كان قبيحاً من أفعاله . وإذا كانت الأبدى والأرجل والألسن تشهد ثم الأنفس تعرف فهذا دليل أن ميزانه في الدنيا هو ميزانه في الآخرة بهذا فليعرف جلال الله وحكمه ووزنه الحق الذى شاهدنا ونظامه الجليل الذى أدركنا فالوزن هو ميزانه والميزان ما رأيناه فالوزن مشاهد والميزان معلوم لم تشهد العيون وقد أقرت به القلوب

وإذا سمعت ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال ان الله عز وجل سيخلص رجلاً من أمته على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشره تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له أتذكر من هذا شيئاً أظلمتك كتيبتي الحافظون فيقول لا يلرب فيقول أظلمك عند فيقول لا يلرب الى أن قال فيخرج الله له بطاقة فيها أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وهلت البطاقة ولا يتحمل مع اسم الله شيء . وهذا الحديث أخرجه الترمذى وأحمد بن حنبل . فإذا سمعت هذا فاعلم أنه تمثيل لحال الوزن وترغيب في الإيمان لأن من آمن بطمعه في أن يعمل ومتى عمل ثقلت موازينه وكثير من يتفرون بظاهر الحديث فينطقون بالشهادتين ويكتفون بهما وهم مفرغون جاهلون بل الوزن حق والحساب مبنى على الوزن ولا بد من التهذيب والتريسة . فالمراد من ذلك أن هذه الشهادة أمن للأهمال فالوزن لها ولما ترتب عليها وان لم يكن كذلك ضاعت ثمرات جميع الأديان

وهذا هو الذي يفتقر به الجاهلون كما أوتهمناه في غير هذا المكان ولذلك قال تعالى هنا - والوزن يومئذ الحق -
 (فمن ظنل موازينه) أى أهمله الحسنة (فأولئك هم المفلحون) الناجون الفائزون بثواب الله وجزائه
 (ومن خفت موازينه) أى أهمله (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بتضييع القطرة السليمة التي فطرت عليها
 (بما كانوا يأتينا بظلمون) فيكذبون بدل التصديق • واعلم أن الوزن كما ذكر في ديفنا ذكر في الديانات
 السابقة كديانة القدماء المصريين وقد صوروا هيئة الميزان والكفتين والسان فان غلبت الحسنات السيئات
 ارتقت الروح الى ربها وان غلبت السيئات الحسنات انقم قلب الميت كلب والذي يقضى على الميت عندهم
 (٤٢) قاضيا وصورهم مرسومة في اللعابد والهاكل يفرؤها المتعلمون في الدول الحاضرة • فهذا الوزن
 الذي في القرآن وردت به الكتب السماوية لأن دين المصريين هو دين اديس الذي ورد ذكره في القرآن
 وهو من الرسل الذين يجب معرفتهم تفصيلا في دين الاسلام ويسمى عند بعض الأمم (اخنوخ) ويسمى أيضا
 (سبوستريس) وهذه اللفظة وردت في القرآن (ادريس) ولها مشابهة فتجب كيف شابهت الأديان في
 الوزن والميزان

ولما كان الناس خلفاء الله في الأرض وهم يستمتعون بها وبذلك وجب حسابهم أردفه بقوله (ولقد
 مبكناكم في الأرض) أى مبكناكم من سكانها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها مايش) أى أسبابا
 تعيشون بها جمع معيشة (فليأمنوا بشكروا) أى تشكرون شكرا قليلا على ما صنعت لكم وأنعمت به عليكم
 والشكر صرف العبد جيع ما أنعم الله به عليه فيها خلق لأجله ويقال الشكر تصور النعمة واطلرها • انتهى
 المقصد الأول من القسم الأول

(المقصد الثاني)

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
 لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ • قَالَ مَلَمْتُكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي
 مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ • قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ
 مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ • قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ • قَالَ فِيمَا أُفْوِيْتَنِي
 لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ • ثُمَّ لَا يَبْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ
 وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ • قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَسْحُورًا لَمَّا تَبَيَّنَ
 مِنْهُمْ لَأَن لَّا نُلَاقِيَهُمْ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ • وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ
 حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ • فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ
 لَهُمَا مَا وَرَآهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
 مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ • وَقَامَهُمَا إِلَى لَعْنٍ الثَّانِيَةِ • فَدَلَاهُمَا بِشُرُورِ
 فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا

رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ *

(التفسير اللفظي)

(ولقد خلقناكم ثم صورناكم) ابتدأنا خلقكم ثم صوركم بأن خلقنا آدم ثم صورناه (ثم خلقنا للملائكة) اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) من سجد لآدم . وظاهر الآية أن إبليس كان من الملائكة . واعلم أنه لا طائل في الخلاف أمن الملائكة هو أم ليس منهم وإنما هو من نار وهم من نور والاستثناء على الأول متصل وعلى الثاني منقطع فان الله هو أعلم بفيه ولكن الذي نشاهد في هذا الوجود يفيدنا أن آدم وأبناء آدم قد اتسم العالم الذي أمامهم قسمين قسم أطاعهم كالأنعام والدواب والطيور وقسم عصاهم كالوحوش والاسرود وما أشبه ذلك وهكذا الحيوانات البرية منها ما هو لعابدة الحيوان والانسان ومنها ما هو لقتلهم . ولا جرم أن هذا كله خاضع لتنظيم الملائكة بحكمة دبرها الحكيم فآثار السجود من الملائكة واستناع سجود إبليس لها نظائر في المشاهدات حولنا كما أن من النفوس المجردة عن المادة ماتوسوس الناس ومنها ما يهدبهم فترى آثار الصلاح من الهداية والصلاح من الوسوسة . هذه هي الآثار التي نراها في المشاهدات أمامنا والمصاومات بعلمنا وما عدا ذلك نسلكه إلى الله . واليك بقية المحاور (قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) أي أي شيء منعتك من السجود ولا زائدة . وفي آية أخرى - ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي - وهذا السؤال للتوبيخ والتفريع (قال أنا خير منه) أي الذي مني من ذلك أتى خير منه وهل يسجد الفاضل للفضول والرفع للوضع فكيف يؤمر به . ثم علل ذلك فقال (خلقتني من نار وخلقته من طين) ولا جرم أن النار أنطف جوهرها واخفت وأجل وفيها الضياء والنور ولها الشرف . أما الطين فانه قليل لا ضوء فيه ولا شرف وأنا وإن كان بعض المادة في تركيبه فالتار غالبية على هيكله وآدم وإن كانت الحرارة من قوام جسمه ومن نظام هيكله فان الطين غالب عليه . إن آدم من صلصال إذا نقرته صوت كالفضار الذي يصنع منه الناس الآنية . ولا جرم أنه مركب من نار وطين والطين هو الأغلب ولذلك ترى فيه طبائع مختلفة فينبأه أنه لا يقدر على الطيران في الحق لثقل جسده تراه يفكر في الأمور العالية خلفه روحه ولطافته شكله ففي الانسان ثقل الطين وخفة النار ولطافته وفيه الغضب وهومن القوة النارية وفيه الشهوات وطلب الأندبة وهي ترجع إلى عنصر الطين . أما أنا فأتى خير منه لأن طبع النار وهو الأشرف غالب على وعنه الحجة من الحجج التي يستعملها الناس في محاوراتهم للفظطة والمكابرة والمكابرة والكبرياء ذكرها الله ليرينا أكثر ما يحاور الناس في سياساتهم وجدالهم . واعلم أن هذه الحجة خطأها من أربعة وجوه فان عنصر الطين فيه من الفضائل ما لا يصلح لها عنصر الماء كالزينة وقبول النبات من الشجر والزرع وفي الطين الامانة بحفظ الصور وليس في النار مثل ذلك وفي النار اهلاك . وإذا سلمنا أن النار أفضل من الطين جدلا فن ذا الذي جعل الفضل بالنصر والأصل أليس للصورة دخل في التفضيل وكذلك الفاعل وهكذا نتائج الأعمال والأخلاق فكل مصنوع كالكرسي لا بد له من مادة وصورة وفاعل وغاية فمادة الكرسي الخشب وصورته هي التي بها يصلح للجلوس عليه وفاعلهما التجار وغاية هذا كله الجلوس عليه . هكذا آدم مادته الطين وفاعله الله وصورته معروفة وغايته الحكمة والعلم والعمل . فانظر كيف يقول الله في الصورة - فإذا

سوته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فهذا اشارة الى اكمال الصورة وقال - مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي - اشارة الى عناية الفاعل . وأشار الى غاية آدم بقوله - وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة - فإذا كان استعداد آدم للعلم فاق استعداد بعض الملائكة أفلا تكون هذه الغاية ذات فضل عظيم ويكون هو أفضل من ابليس ثبت أن هذه الحجة أشبه بحجج (أبليس الأرض) من رجال السياسة والدجالين والكذابين . ولست ترى كلام أكثر الناس إلا على هذه الطريقة . فترى الرجل يقول أنا خير من فلان فإن أي كان أكثر مالا ولدا وأنا من نسل رجل عظيم فيظن الجهول أن الله يرفع الناس على حسب عناصرهم وأصولهم ومادري أن الورد نثم رائحته ولا ينظر لما في الطين الذي تفسد منه من قدر وهكذا يستفكر الناس ماخرج من الانسان وهو أفضل من على الأرض ويقول رجال الاستعمار قد جئنا بلادكم لتزكيكم وهم أعمالوا ليفسدا في الأرض ويأكلوا أرزاقهم . فهذه الحجة من الحجج التي نسمعها صباحا ومساء من أُم الأرض المتعلمين في المدارس والكليات في أوروبا والشرق الذين يضلون الناس بأرائهم ليأكلوهم - أكلالما - لأنهم يحبون المال حبا جارا

ولما كانت هذه من نوع السفطة وهي المغالطة وهي من أقيسة المنطق الخمسة وهي أذناها منزلة كما يقال للرجل لا تشرب الصل فإنه في الزناير . وكان من هذا دينه من الناس لا يتقنه جواب ولا يهذه خطاب كما ترى رجال السياسة يحاولون بالباطل ولا يسكتهم إلا الحرب . فأما القول فلا يفيد . لذلك أجاب الله ابليس اجابة تلعنا ألا تجد للمشاغب السفط المغالط وإنما تعدل الى القوة والغلبة وأسي لازلة المنكر بالعمل لا بالقول ولذلك (قال) الله تعالى إن كنت تكسبر (فاهبط منها) أي من صورة للملائكة وأمن السماء (فأ يكون لك أن تكسبر فيها) في صورة للملائكة أوفي السماء لأن آثار المخلوقات ان لم تكن مشاكلة لمبادئها انحطت قيمتها والانسان مثلا اذا لم يحافظ على فضائل العلم والعقل انحط الى درجة أدنى واستعمل استعمال البهائم لجر الأنفال وهكذا اذا كان ملوك الأرض لا يقومون بجلال الملك وحقه ينزلون عن عروشهم والسيف اذا لم يكن قاطعا صار ما استعمل استعمال السكين . هكذا من خالف للملائكة ونزل عن صفاتهم أولى بأن يسلب صورهم ويطرده من مقامهم وينحط الى الأعمال الصغرى كما ترى الحيات والعقارب المؤذية للانسان والحيوان فلتكن الأرواح الشريرة الابليسية منحلة الى دركات الجهالة فتستعمل استعمال الحيات لتؤذي الناس فهذه بسمها وهذه بوسوسها وكما لا تصل الحية لمنصب غزال المسك الحامل نواجذها هكذا لا تصل نفس ابليس ومن على شاكلته درجات المزا والكرامة فتوصل الى الناس علما ومعرفة كالملائكة بدل الوسوسة التي تردهم ونسقط ناقصهم . وكما ينجم من خطر الحيات من سكنوا بيوتا خلقت من العقونات . هكذا ينجم من خطر الوسوسة نفوس نقية صالحة ومن كانت هكذا حالهم من الشقاوة بسبب الكبرياء والعظمة فار الهوان لاحق به ولذلك أردفه تعالى بقوله (فاخرج لماك من الصاغرين) أي فاخرج من صورة الملائكة انك من الأدلاء المهانين . ولما كان من عادة الله ألا يدع جسما ولا روحا بلا عمل لأنه لا مفضل في الوجود فانك ترى الأرض التي لا يزرعها الناس يخرج فيها زرع ينبت بهطول المطر سواء اتفقت الناس به أم لم يتفقتوا وهكذا تجد أجسام الحيوان الميتة تصعب ماوى للدود والحشرات تعيش فيها وهي رديئة منتنة فاذن لا مفضل في الوجود

ولما كان ابليس من المخلوقات وقد فاته حياة الكرامة فلا جرم يعيش حياة أدنى منها فان لم يصلح للإلهام فلا جرم ينحط للوسوسة وهذا حتم في هذه الحياة التي نحن فيها لأن عالمنا فيه اتعبد والشر والنفس والسعد والموت والحياة ومن فقد أحد الضدين تلبس بالآخر وهذا تفهم هذه المحاورة (قال) ابليس (أنظري) امهلى (الى يوم يبعثون) أي الى يوم القيامة فلاتمتنى (قال) الله (لأنك من المنظرين) قال فيها أغويته لأتقن لهم صراطك المستقيم أ - فيسبب اغوائك إياي وإيقاعك التي في قلبى الذى كان سبب هبوطى الى

الأرض لأجل أن لهم على طريقك القويم بأن أوسوس إليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم قياما بطبيعتي كما تقوم الحيات باللدغ والوحوش بالاقتراس والهوم بالايذاء والحيوانات التربة بإحداث الحفر والجدرى والحصبة والطاعون . فليكن في بني آدم من يكونون على شاكثي اهتماما للنظام العام فلا ينجو من وسوستي إلا للصطفون الأخيار ولذلك قال تعالى في آية أخرى - هذا صراط على مستقيم * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من العاوين * وإن جهنم لموعدهم أجمعين) وإنما انحطوا الى جهنم لأن الكبرياء من آثار الغضب الذي هو قوة نارية لجهنم يرجع اليها من كانوا في الدنيا على طبيعة تدعوهم الى ورودها وطبيعة الكبرياء لا اعتدال فيها وحلوة النار وزمهر يرها خارجات عن الاعتدال . ثم أخذ ابليس بفصل كيفية الاضلال فقال (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) وإنما قصص الله علينا ذلك ليعلمنا أن الوسوسة داخلية في أحوالنا كلها فهي أشبه بالهواء المحيط بالإنسان والحيوانات القريبة التي تحدث الأمراض فينا كالسل والجذام والبرص وهي محيطة بنا من كل جانب ولا ينجو منها إلا الأقوياء الذين لم يستمعوا للتفويض . هكذا هنا نجد الوسوسة وانحدار عامة في النوع الإنساني . وما هو ذلك هو أنك تجد الأدلة التي يستعملها الناس في أحوالهم العامة كال دليل الذي ذكره ابليس . فإذا قال ابليس - أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين - على سبيل المغالطة هكذا ترى الناس يبالغون بأدلة مثل هذا الدليل سواء بسواء بل الضلال الذي يحيط بنا كثير جدا . ولذلك قال شقيق البلخي

ما من صباح إلا قصد لي الشيطان من الجهات الأربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ - وأني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وأما من خلفي فيعوقني من وقوع أولادي في الفقر فأقرأ - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وأما من قبل يميني فيأثني من الثناء فأقرأ - والعاقبة للمتقين - وأما من قبل شمالي فيأثني من قبل الشهوات فأقرأ - وحبل بينهم وبين ما يشتهون - اهـ

فانظر كيف جعل الناس الفران سببا في الذنوب وهذه هي الداهية الداهية والمصيبة العمياء أن يسمع الإنسان آية أو حديثا وربما كان موضوعا أضعيفا فيفتقر به فيصبح فاسقا فاجرا وقد أصبح المسكين بسبب فهمه في الدين جهلا من القوانين الضالين . ومن الناس من يكتفي باسم الاسلام ولاعمل ولاعمل وهذا هو قوله تعالى - يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين - رجع هؤلاء كحجة ابليس سفسة ومغالطة ومجادلة بالباطل . وبهذه الحجج الابليسية انحط كثير من أمم الاسلام وتأخروا فيقولون لاقرأ الطبيعة لأنها كفر ولانبأ بالأسلحة الحديثة لأن الاسلام مفسور . وهكذا من الحجج الخاطئة الكاذبة الجاهلة الناقصة . فتجب كيف كانت الوسوسة كلها من قبيل هذه الحجج . ولحجب كيف جاءت في القرآن وكيف كان ذلك دائما صباحا ومساء فتغتاب الناس وتقول - إن الله غفور رحيم - وتأكل فوق طاقتنا وعلم الطب يمنعنا فنقول شئ قليل والقليل لا يضر . ونظن الناس وتقول هم يستحقون . وهكذا من الأدلة الكاذبة التي تالزمتنا في أكثر أحوالنا

(عجائب القرآن)

فانظر كيف كانت هذه الحجج الابليسية في ظاهر الأمر وعند العامة أمرا سهلا لاشئ فيه وعند العقلاء واغواص أصبحت رمزا لكل الحجج التي تدلى بها صباحا ومساء في أكلتنا ونومنا ومحدثاتنا . فيا عجب كل العجب من هذا البيان القرآني . ظاهره يفهمه الجاهلون . وباطنه بحر علم زاخر وأمر عظيم وحكمة دقيقة بالغة لا يمسه إلا المطهرون . ولا يمسها إلا العللون . ولا يدركها إلا المفكرون . ولما كان أكثر الناس

متقلبين في هذه الخبيخ صباحا ومساء. قال - ولا تجد أكثرهم شاكرين - وقال تعالى في آية أخرى - وإن
تلع أ أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يقعون إلا الفلق - فانظر كيف تطابق القولان
ولما كان هذا شأنه (قال أخرج منها) من السماء (منوَمَا) معينا من ذأمة إذا ذمه والنَّام والدم العيب
(مدحورا) مطرودا مبعودا من رحمة الله والله (لمن تبعك منهم) وجواب القسم قوله (لأملأن جهنم منكم
أجمعين) والقسم وجوابه جواب الشرط . ولما أتم الكلام على إبليس وكبره وحججه السفلية أخذ يبين
تأنيج هذه الأخلاق وثمراتها فإن من طبيعة هذا الوجود أن يجذب كل مخلوق غيره إلى مشاكته والدخول في
زمرته والبر على طريقته والجرى على منواله . ألا ترى إلى النبات كيف يجذب إليه العناصر المحيطة به
فتدخل في تركيب جنوعه وسوقه وأغصانه وأوراقه وأزهاره وأثماره وإلى الحيوان كيف يجذب تلك الأوراق
والأزهار إلى جثائه فتتشكل بهيئته وعروقه وعظامه ولحمه ودمه ورأسه وعينه وإلى الإنسان كيف كان يسعى
لأن يملك ماحوله ويستخدم الإنسان والحيوان المحيط به ولا يفتأ يدعو من حوله ليكونوا على شاكلته في
أخلاقه وملابسه وعاداته وديانته وعلوه . وهذه الطبيعة شاملة لهذا الوجود حتى إن النار لتلتهم ماحولها
وتدخله في حدود مزاجها والماء يربط ماحوله . فهكذا هنا في إبليس لما حرم الدرجات العليا وتابست
نفسه بالآثم والبغي وخطب الله بحجة المبالغة أشربت نفسه الضلال والبهتان وأصبح ذلك عادة ملازمة وطريقة
دائمة أخذ يلقى إلى عبره من بنى آدم مارسخ في نفسه ويوسى إليهم ما امتلأت به نفسه من الضلالات والرجس
والبهتان كما ترى أن المرأة الفاجرة إذا طوى الزمان سجل شبابها وخارت قوى شهواتها وفارقها أعزأجباها
عمدت إلى الشباب فأوعزت إليهم بما امتلأت به نفسها . وهكذا الرجال الفاسقون الذين شبوا وشابوا
وهم في الفسوق هائمون تستروح نفوس هؤلاء وهؤلاء بمن يشاكلهم في أخلاقهم وبواقفهم في آدابهم
ويناسهم في أهملهم ويحب الفاجر والأكول أن يرى الفاجر والأكلي ليسلي بطلعهم ويفرح بمراهم
وقد ورد في اللؤلؤ (إن الطيور على أشكالها تقع) لذلك قصص الله قصص آدم الذي أغواه إبليس ولقنه
من الخبيخ السفطية ما امتلأت به نفسه ليميله إلى طبعه ويقوده إلى خلقه استرواحا بالقائض وحبا لئلا يثا
فقال (و) قلنا (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين) أما الجنة فهي كما قال أبو مسلم الأصماني كانت بعض جنات الأرض ولذلك تمكن الشيطان من
الوسوسة لآدم فلذا قال تعالى (فوسوس لها الشيطان) الوسوسة الصوت الخفى كالحقيقة والخشخشة . ومنه
وسواس الخلق . ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله وسوس إليه ألغاهوا إليه ثم ذكر عاقبة الوسوسة فقال
(ليبدى لها ما وورى عنهما من سواتهما) ليكشف لها ماستر عنهما من عورتهما وكانا لا يرياها من أنفسهما
ولأحدهما من الآخر . ثم ذكر كيفية الوسوسة والجنة السفطية التي اجتذب بها إبليس آدم وأغواه بها
فقال تعالى (وقال ما نها كما ربكنا عن هذه الشجرة إلا) كراهة (أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)
أى إيمانها كما الله عن الأكل من هذه الشجرة لأن من أكل منها إما أن يكون كلائكة يعلم الخير والشر
ويستغنى عن الغذاء وإما أن يكون من الخالدين الذين لا يموتون ويبقون في الجنة . فأنه منكمنا لتبقي
مفتقرين للأكل والشرب ولتموتوا فهو بهذا اللع يحرمكما من الكمال الأتم والمقام الأعظم . ولم يكتف بهذا
الدليل الموهوم بل أقسم لها (وقاسمهما إلى لسكان الناهمين) فهذا البرهان المبالغى الذى يشبه البرهان
المتقنم الذى تعالى فيه على آدم بشرف عتصره وبالقسم الذى يدخل في النفس صدق قائله خضع آدم فلذلك
قال (فدلاهما) أى فزلهما إلى الأكل من الشجرة وبذلك أزلهما من درجة عالية إلى درجة سافلة (يفرور)
بما فرهما به من القسم كما يقول الرجل لآخر اشرب هذا الكأس فانه مقول لشهوة الطعام ومفرح للقلب وكما
يقول آخر إنما الحياة مغالبة نخذ من الناس ما قدرت عليه حقا وبطلا (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما)

أى فلما وجدا طعمها وهما يأكلان منها أخذتهما المقوبة وشؤم المعصية فتهاقت عنهما لباسهما وظهرت لهما عورتهم كما يسقط لباس الشرف والفضل والمال بالخمر والزنا والظلم ويصبح الانسان موصوفاً بأنواع الفسوق والظلم وتناولن أنفسهن تلك المعاصي فتعيرسجبة له . وهل لباسهما كان نوراً سطعا مانعا من رؤية العورات أو غيره لا فائدة في معرفة ذلك لأن الذى يهمننا نحن غير ذلك . يهمننا أخلاقنا المستبطة من هذه القصة

ولما كان من يفعل ذنباً يجتد في اخفائه ليستر عورته البادية ويخفيها ويكتمها عن الناس حتى لا تكشف سوائه ويبدل للقراء وللخطباء الأموال وبدفع للجرائد مالا اينودوا عنه وليخفوا عوراته وسوائه . هكذا من انكشفت عورته يجتد في اخفائها لذلك قال الله تعالى (وظفقا بخفان عليهما من ورق الجنة) أى أخذنا برقصان ويلزقان ورقه فوق ورقه من ورق التين أو غيره . وكما انك ترى من نوع الانسان في السودان المصرى من يعيشون بلا لباس بل هم عراة يأفزون الملابس ولاستر عليهم حتى على عورتهم وإذا حضروا أمام الحكام المصريين أو الانجليز ألبسوا لباساً ثم يخلعوناه عند خروجهم . وهناك قوم آخرون يخفون الورق وآخرون يسترون العورة . وهكذا ذكر الله كيف كان آدم عارياً ثم خفف الورق ثم أنزلها الى الأرض فزرع هو وأولاده فأكلوا ولبسوا برق جبينهم . ولما كان الانسان عادة يذكر عواقب الذنوب بعد وقوعها ويكون التوبىخ والتقريع قال الله (وناداهما ربهما ألم أنهيكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) ياتيهما على مخالفة النهى موبخاً (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أضروناها بالمصبة والتعريض للخارج من الجنة . (وان لم تقفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا كان قبل أن يكون آدم نبياً واعلم أن طاعة الجاهل قد تكون معصية العالم وطاعة العالم قد تكون معصية الأنبياء كما قيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين)

ألا ترى أن العالم المفكر اذا ترك العلم وأخذ في العبادة ليلا ونهارا وترك الأمة فانه قد عصى وظلم نفسه ولكن معصيته بترك ما هو أفضل ويعاقب مع ان صرف الزمن في العبادة أرقى درجات الدين تنحوا عن العلوم وعن الأعمال النافعة للأمة . فمعصية آدم بالقصة لمرجته فما صدر منهم على سبيل السهو والتأويل يجحدون في أنفسهم حرجاً منه وليست معاصيهم كمعاصي بقية الناس هكذا يقول كثير من العلماء . لذلك خاطب الله آدم وحواء وذريتهما (قال اهبطوا منها جميعاً بكم لبعض عدو) أى متعادين وذلك أن العالم الانسانى مركب من عناصر مختلفة وطباع متشعبة باختلاف قواه مختلف الأخلاق واختلاف الأخلاق تكون العداوات وبالعداوات يكون الارتقاء فان المسابقات في الحروب والصناعات والأعمال تحت الناس على الكمال الأعمال فصار العقاب على المعاصي من أسباب الكمال . فان النوع الانسانى لما تنزل عن العالم الكامل الجليل وزل الى عالم الكون والفساد كان المعبر عنه بالعقاب سبباً لارتقاؤه وسهولة معاقبته . ولذلك أردفه بقوله (ولكم في الأرض مستقر) استقرار (ومتاع) تمتع (الى حين) الى أن تنقضى آجالكم (قال فيها نعيمون وفيها تموتون ومنها تخرجون) للجزاء على الأعمال . انتهى المقصد الثاني من القسم الأول من سورة (الأعراف)

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أُنْزِلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ

حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَمَعْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا
 وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَى مَا لَا تَعْلَمُونَ *
 قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا
 بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُنْتَدُونَ * يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا
 وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
 وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِلُ
 الْأَبَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلِكُلِّ
 أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ
 رُسُلٌ مِنْكُمْ يَفْصِلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَىٰ فَمَنْ أَتَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
 افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَتَأَلَّهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ
 رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * قَالَ أَدْخِلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ
 كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَأْتُمْ لَوْلَا أَنَا رَبَّنَا هُؤُلَاءِ
 أَضَلُّوا فَأَتَيْهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولَاؤُكُمْ
 لِأُخْرَأْتُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهَا مِنْ فَضْلٍ فَدَقُّوا عَذَابَ مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ
 الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَرَحْمَتَا فِي صُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ

الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت
 رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ وتودُّوا أَنْ تَلِكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَمْعَلُونَ * ونَادَى أَصْحَابُ
 الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا
 نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَسْتَوْفُونَ
 عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ
 وَنَادَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ
 تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * ونَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا
 يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَعْلُهُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ
 أَفْسَنْتُمْ لِأَيْنَاهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * ونَادَى
 أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ يِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
 حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَمَّا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَانْهَوْهُمْ تَنَسَّاهُمْ
 كَمَا تَسْأَلُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى
 عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *

(التفسير اللغوى)

اعلم أن هذا المقصد قد جاء عقب قصة آدم ليبين المقصود من القصص وانها ليست ترد لمجرد الحكاية فإذا
 بهم الحاضرين من الماضين إلا العبرة • ولعمري ليس للتاريخ من فائدة إلا الاعتاط فلذلك لما قص الله
 قصص آدم عليه السلام أخذ سبحانه بين مقاصد وفوائد هذه القصة المشتقة على لباس آدم وقد تعرى منه
 وعلى أن ذلك بسبب فتنه الشيطان له وبها خرج من الجنة وعلى احتجاج إبليس بأنه من عنصر النار واغوائه
 لآدم حتى لبس عليه الأمر فقال انك ان أكلت من الشجرة كنت كالملائكة فهذه ثلاث أصول اللباس والاغواء
 والحنه الداحضة فلذلك أخذ الله عز وجل يحاطب بنى آدم جميعا بمننا عليهم باللباس الذى أنزله فى الأرض من
 القطن والكتان والحرير وما أشبهها بحيث يستغنون عن خصف الورق وكيف كانت العناصر الأرضية بفعالتها
 وامتزاجها بنسب معلومة تكون قفئا أو كتانا وهى بأفئسها على نسب أخرى تكون قمعا أو شعيرا فاللبوس
 هو عين المأكول من حيث العناصر وإنما أصبح هذا ثوبا وهذا رغبيا لاختلاف المقادير الداحضة فى النباتين
 (راجع هذا المقام العجيب فى سورة البقرة) عند قوله تعالى - وانظر الى حمارك لى آخر الآيت - فى قصص
 العزيز فانك تجد مستوفى هناك من علم الكيمياء العضوية فتأمل فيها هناك ونجيب وذلك هو السر العجيب
 فى قوله تعالى - ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون - وقد أفاد أن اللباس الجسمى الناتج من هذه العناصر
 الذى هو من آيات الله ويورى سواككم وتجمعون به ليس خبر لباس بل لباس القوى من العمل الصالح

والإيمان والحياة والسمت الحسن والعفاف وخشية الله فهذا اللباس خير من اللباس الذي أنزله الله للناس من القطن والجبر والكتان الخ

ثم أشار سبحانه إلى ثانی الأمور الثلاثة وهو الاغواء فقال عمنّا أبناء آدم قائلا • إياكم يا بني آدم أن يخرجكم الشيطان من الجنة باغوائكم كما أخرج أبويكم من الجنة فلا تزعق ملابس التقوى عنكم كما نزع - ن أبويكم اللباس • وبين سبب ذلك بأن ابليس وقبيله يرونكم من حيث لا ترونهم وأن الأرواح جنود مجنّدة والنفوس الشيطانية تنزع إلى أخلاقها في وسوستها • ولقد جاء في علم الأرواح الحديث وفي مقال الامام الغزالي والفخر الرازي أن أرواح الأشرار من الناس تنحى لوتعاد إلى اللذات في الدنيا فلما حوت تلك اللذات أخذت توسوس لما شاكلها من أرواح الأحياء حيا في اللذات واكثر للأمثال والأشكال كما سيأتي في قصة بلعام ابن باعوراء الذي آناه الله العلم والحكمة فتركها وصار معلما للضلال • فالعالم المعاصر يعلم الناس طريقه حيا بالتعليم وميتا بالأطعام • والعاسق الضال يعلم الضلال حيا وميتا كما قيل عن هؤلاء الأعلام فكان الشرير ملحق بالسياطين وأفاضل ملحق باللائكة فهذا قوله تعالى • إنا جعلنا للسياطين أولياء للذين لا يؤمنون -

وأشار سبحانه إلى الأمر الثالث في القصة وهو الاحتجاج بالمغالطة كما احتج ابليس عند ربه لما أغرى آدم فقال (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فهذه الحجة كالتي تقدمت في قول ابليس إذ اعتبر الفضل بالأصل فهكذا هؤلاء يتعبرون التشريع بالموروث عن الآباء والجنات مستوئان مغالطتان فان الآباء قد يكونون ضالين كما كانت النار في حجة ابليس قد تكون سبب التدمير والهلاك كما كان الخلق منها وهو ابليس والسياطين والأرواح الشريرة سبب المعاصي والضلال لقصور عقول الأرواح الموسوسة والموسوس إليها • وهذا هو ملخص قوله تعالى (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) إلى قوله (أقولون على الله ما لا تعلمون) وقوله فيها (بولرى سواكم) أى التي قصد الشيطان إبداءها • بوى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها وقوله (وريشا) أى لباسا تتجملون به والريش الجمال • وقيل للريش المال يقال ريش الرجل إذا تمول (ولباس التقوى) تقدم هنا تفسيره وقوله (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما) حال من أبويكم (لأنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) تعليل للنهي وتأكيد للتحذير منه ومن جنوده وقوله (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) أى بما وجدنا بينهم من المناسبة وقوله (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) لأنه تعالى لا يأمر إلا بمكارم الأخلاق والفضائل

ثم أخذ سبحانه بين الأوامر التي يأمر بها الله فقال (قل أمر ربي بالقسط) بالعدل وهو الوسط في كل شيء فلا إفراط ولا تفريط في قول ولا في عمل (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) أى افسدوا عبادته تعالى مستقيمين إليها غير عادين إلى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود (وادعوه) وابعده (مخلصين له الدين) أى الطاعة مبنيين بها وجهه خالسا (كما بدأكم تهودون) كما أشأكم ابتداء يعيدكم • وإذا كان كذلك فلتأمن العبادة خالصة له سبحانه وتعالى (فريقا هدى) بأن وفقهم للإيمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى استعدادهم ثم بين سبب ذلك فقال (أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) للناسبة للوجود بينهم وهذا مقتضى طباعهم (ويحسبون أنهم مهتدون) فان المذهب له حجة يقتنع بها كما اقتنع ابليس بحجته والضالون مقتنعون بالاحتجاج باتباع الآباء • واعلم أن النوع الانساني ما وقع في الضلال إلا جهله فن سرق أو قتل أو ظلم أو أسرف في الأكل والشرب وغيرها أو استدان أو أسرف في عمل من أعمال الحياة فاتهم بفعل ذلك لإلزامهم مقتدأه له عذرا • ولا ترى شريرا أو ظالما إلا وعنده براهين يقيمهما وأعذارا يبتجھلها كالبرهان المذكور عن ابليس فقوله • ويحسبون أنهم مهتدون - أى بما قام عندهم من الدليل السفسطى

التي أقامه إبليس في قضيه نفسه على آدم

ولما كان ذكر المساجد والصلاة فيها والدعاء بعد ذكر اللباس ناسب أن يبين حكم الملابس في الصلاة .
ولما كان الأكل مناسبا للباس لاقترب به في أمور الحياة ذكر أحكامهما معا فقل (يا بني آدم خنوازيتهكم)
ثيابكم لواراة عورتكم (عند كل مسجد) اطواف أو صلاة . ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة في
الصلاة . وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة

قال قتادة كانت امرأة تطوف وتضع يدها على فرجها . وقال ابن عباس انه كان أناس من الأعراب
يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتعاق على سفلها سيورا مثل هذه
السيور التي تكون على وجه الحجر من اللباب . وهي تقول

اليوم يبدو بهن أوكله • وما بدا منه فلا أحله

فتزلت هذه الآية - خذوا زينتكم عند كل مسجد - أخرجه مسلم . وقال مجاهد كان حتى من أهل
البحر كان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي لي أن أطوف في ثوب قد عصيت في فيه فيقول من
يعبرني مؤثرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فأئزله الله فيه مانسعون - خذوا زينتكم عند كل مسجد -
والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة فستر العورة واجب في الصلاة والطواف . وقد كان بنوعا
لا يأت كلون في أيام حجهم الا قوتا ولا يأت كلون دسما يعظمون بذلك حجهم . فقال المسلمون نحن أحق أن
نعمل ذلك يا رسول الله فأئزله الله عز وجل (وكلا) من اللحم والدم (واشربوا ولا تسرفوا) بالشروع في
الحرام أوفى بمجوزة الشيع أو بحرهم ما لم يجره الله من أكل اللحم والدم فلا تحرم الحلال ولأنه أول الحرام
ولا يكن منك إفراط في الطعام وشربه عليه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت
والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف وعجيلة

وكان الرشيد طيب نصراني حاذق . فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء
والعلم علمان . علم الأبدان . وعلم الأديان . فقال له تدجع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله
تعالى - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا - فقال النصراني ولم يرو عن رسولكم شيء في الطب . فقال جمع رسولنا
الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل
بدن ما عودته ﴾ . فقال النصراني مارك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس ما يا . ولما كان الادراف مذموما شرعا
وعقلا أتبع ما تقدم بقوله تعالى (إياه لا يحب) المسرفين في الأكل والشرب وغيرهما . فأما فيما فالمرض
وضياع المال . وأما في اللباس والزينة وزخرفة المنزل والمباهاة فان الاسراف فيها يدعو الى ضياع المال والمجد
ثم ان الأمم الشرقية الاسلامية وغيرها التي تتناول صناعات الفرنجة من مأكل ولبس ومشرب ومفرش وهم
يصرفون فيها أموالهم ويهلكون أنفسهم يصيحون وقد ملكهم أرباب تلك المصنوعات ثم تهمهم دولهم
فيحتلون البلاد . ولقد غرق العالم الاسلامي اليوم في المنسوجات والفرنجة وقتنوا بأعمالهم فياليتهم قادروهم
في الصناعات ولكنهم اشتروا مصنوعاتهم ترويحيا لها وكسادا لصناعات بلادنا فينشط الأجنبي ويكسل الوطني
وتبدل الأتمة الى مقام الدل والسودية

إن التجارة اليوم هي أس الاستعمار والاحتلال كما هو حاصل في أكثر بلاد الشرق . إن امداف
المسلمين أذلهم للفرنجة وأضاع بلادهم . لأذكر لك مثلا مما امتاز به المسلمون في الاسراف تعلم كيف جهل
ماوكهم جهلا فاحشا فأمرقوا وهجوا عما حوّلهم من العالم الرقي وجهلوا دينهم جهلا فاحشا فقلدهم العاتية وخذوا
حذوهم في الاسراف فلذلك سقطوا في الدل لأن الله لا يحبهم لأنهم مسرفون ومن لا يحب الله أذله فهو لاه
المسرفون يبغضهم الله وإن كانوا في ظاهرهم مسلمين فهاك مجاء في إحدى جرائدنا المصرية يوم ٦ نوفمبر

جعل الينا البرق في الاسبوع الماضي نبأ الاحتفالات الباذخة التي أقامها مولاي يوسف سلطان مراکش احتفالاً بتزويج ولديه وطرفا من النفقات الطائلة التي بذلت في هذه الاحتفالات من ذلك أن تكاليف الأنوار بلغت وحدها ثلاثة ملايين فرنك والخلوى زهاء مليون والمثلجات زهاء مليون وأن المدعوين من فرسان وسادة وأمهراء بلغوا زهاء أربع مائة ألف فذكرنا في الحلال ذلك الاغراق الذي يبلغ حدة السفه في خوف البذخ الذي لبث لعنة الأمم الشرقية على القرون . ثم قرأنا بعد ذلك ما أذيع من محتويات البرنامج الرسمي لقران ملكي آخر هو زواج ولي عهد البلجيكي بالأميرة (أستريد) السويدية . واليك خلاصة هذا البرنامج الذي يشف عن الحزم ولا تنقصه الفخامة في نفس الوقت

يفقد العقد للذني في (استوكهلم) ثم يعود الأمير البلجيكي وعائلته الى (بروكسل) في اليوم السابع من هذا الشهر وفي اليوم التالي تذهب العائلة المالكة الى (انفرس) حيث يصل في ذلك اليوم الطراد السويدي (تاليجا) وعلى ظهره الأميرة (أستريد) ووالدها ودوق ودوقة فستروجاسي والأمير اليكس الدهنماركي وزوجته وأشقاه العروس وغيرهم من الأمهراء والأميرات

ولن يحضر ملك السويد الى (بروكسل) حيث تذهب الأسرتان الملكيتان في قطار خاص وتقام الزينات من المحلة الى القصر الملكي . وتقام في المساء حفلة كبرى في الاوبرا تقيمها بلدية (بروكسل) اكراما للعروسين ثم تقام حفلة الزواج الديني في كاتدرائية (بروكسل) في اليوم العاشر من نوفمبر . وفي المساء يقيم ملك (البلجيكي) ومملكته حفلة استقبال كبرى يحضرها ثلاثة آلاف شخص . ويقال ان البرنس (أوف ويلز) سيكون بين المدعوين

هذه مقارنة اصراف السلطان المراكشي واقصاد البلاط البلجيكي وهو اسراف يثير الغفل والحزم خصوصا اذا ذكرنا ما هناك من فرق بين البلجيكي ومراكش وبين سلطان تظله الحماة الأجنبية وبلاطه أمة مستقلة وهذا من سر قوله تعالى - إنه لا يحب المسرفين - ثم أخذ سبحانه يرد على من حرم الملابس في الطواف فقال (قل) يا محمد لم (من حرم زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (التي أخرج لعباده) أي أصلها يعني القطن من الأرض والقز من الدود ونحو ذلك (والطيات من الرزق) والمستلزمات من الماء كل المشارب • قيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) بالاصالة والكفار وان كانوا شركاءهم فيها فهم تبع لهم (خالصة يوم القيامة) لا يشاركون فيها غيرهم . ثم قال (كذلك) أي كتمصيلنا هذا الحكم (نفس الآيات لقوم يعلمون) وبالعجب لم ختم هذا المقام بهذه الجملة بعد أن أبان أن الطيات من الرزق حلال وأن زينة الله التي أخرج لعباده كذلك . وما الفرض إذن من تعيين الآيات لقوم يعلمون . يريد الله عز وجل أن يفهمنا في آياتنا هذه نظار ما كانت تفعله الجاهلية وأن تقيس الفتاوة والجهل الحاليين في بلاد الاسلام الآن بالفتاوة والجهل الذين كانوا عند أهل الجاهلية . كلا . ثم كلا ان الفتاوة والجهل الحاليين بأمر الاسلام الآن أشد وقعا وأعظم فتكا وأشد قنلا وأقوى عملا وأبعد أثرا في انحطاط الأمم الاسلامية من عمل الجاهلية في انحطاط أمهم . ولعمري لئن تخاض الجاهلي ليس الثوب في الطواف فلستم تخاض بعض علماء الاسلام في أيام أسلافنا وفي العصر الحاضر أن يدرسوا علوم الآفاق من الملك والطبيعة مثلا ويحسبون أنهم بذلك يخدمون الدين وهم انما يخدمون الشيطان ويحسبون أنهم مهتدون اخضع الفرجة بالمعادن ونظام النبات وتربية الحيوان . فأما للسلمون فأنما يقرئون ما كان يقرؤه آباؤهم وهم مقتصرون على علوم قسرية وأحكام شرعية وهم في الكون لا ينظرون . ومن بحر نعمة الله الزاخر لا يفترون

ولئن نخرج بنوعا من أيام الحج عن تعاطي الطعام اللحم والسم • وإذا امتنع أهل اليمن أن يلبسوا
 أثوابهم في الطواف فلقد تحطى المسلمون في أنظار الأرض كل معقول وتركوا نعم الله في الأرض وفي السماء
 للفرجة وخالفوا نص كتابهم لأنهم أن علم الفقه كاف وحده • ولقد أخبرني عظيم من عظماء الهند أن
 بعض العلماء هناك يحرمون العلام وقال لي العالم الهندي (وان ون كين) من مدينة (باينسن) ان العلماء
 هناك حرموا على المسلمين جميع العلوم حتى سبقتهم الأمم العائنة معهم في الدين من الوثنيين • واهمري
 لئن قال الله هنا • قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة • وقال المفسرون ان زينة الله للذين
 آمنوا بالاصالة وغيرهم بالتبع • لقد انعكس الأمر وأصبحت زينة الله ومآلته المنصوبة ونجومه للمنظورة
 وحيواناته المشوثة ونباتاته المشهودة وآثاره المدهودة وجنوده المنظومة ومدته العظيمة وجواهره البديعة
 ومعادنه اللطيفة ونظام الحكومات وحفظ العلوم والآفات • كل ذلك أصبح خاصا بالفرجة والمسلمون لهم
 تابعون • فيا الله ألهنا علما وحكمة اتنا من عبادك • وهذا كتابك وأنت أخبرتنا أنها لنا في الدنيا • وقال
 السادة المفسرون انها لغيرانا تبع لنا فكيف انعكست الآية • اللهم انك عدل وقولك صدق نصبت المائدة
 فأعرضنا ودعوتنا الى شكر النعمة فامتنعنا وأحجمنا • اتنا يا الله حاملو كتابك لمن بعدنا وهم الذين يكونون
 قد توارى نصلك وزينتك بالاصالة وغيرهم تبع لهم لأنهم رجة للعالمين بعد نبينا ﷺ

ثم شرع سبحانه بين ما حرمه فقال (قل إنما حرم ربي الفواحش) جمع فاحشة وهي ما قبحه وغلش
 من قول أو فعل أي قل يا محمد هؤلاء المجتردين من الثياب عند الطواف ويحرمون أكل الطيبات عما أحل
 لهم كيف يحرمونه على أنفسهم والله لم يحرمه عليكم • إنما حرم ربي الفواحش • من الأفعال والأقوال
 (ما ظهر منها وما بطن) أي سرها وعلايتها (والأثم) وما يوجب الائم وهذا تسميم بعد تخصيص (والبني) الظلم
 والكبر (بغير الحق) متعلق بالبقى للتأكيد (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) تهكم بالشركين ودلالة
 أن ما ليس عليه برهان لا يجوز اتباعه (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالاحاد في صفاته تعالى والافتراء
 عليه كما قالوا هنا والله أمرنا بها

ولما أتم سبحانه الكلام على ما ترتب على القصة من الأوامر والنواهي شرع يحذر الناس أفرادا وأما
 (١) من التهاون لثلاث عاجلهم للناس (٢) ومن عصيان الرسل بالكذب والافتراء ويشذروهم حول الموت
 وحوال الملائكة • وكيف يجتمع الظالمون من الأمم لاثمانهم في الصفات ويبقى الآخرون الذنب على الأولين
 وكيف تكون حجتهم داحضة فلا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة وإنما يدخلون النار وليس التكاليف
 بما لا يطاق فعلى كل امرئ أن يقوم بما في وسع طاقته • ثم وصف أهل الجنة بأنهم صافية نفوسهم عالية
 درجاتهم • وهناك محاربات أهل الجنة وأهل النار • وكيف يكون الأنبياء والعلماء بين الجنة والنار وهم
 ينظرون الى أهلها ومحاور بعضهم أيضا • هذا ملخص ما يأتي من الآيات وهو (ولكل أمة أجل) وقت
 معين لنزول العذاب بهم اذا كذبت رسوله وهذا وعيد لأهل مكة (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة
 ولا يستقدمون) أي لا يتأخرون ولا يتقدمون أقصروقت (يا أي آدم إما يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم
 آياتي) أي يقرؤن عليكم كتبى والبالغة صفة وجواب الشرط قوله (فمن اتقى) الشرك (وأصلح) العمل منكم
 (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) • والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا تعظموا عن الإيمان بها (أو لك
 أصحاب النار هم فيها خالدون) • فمن أظلم ممن اقترى على الله كذبا) عن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما
 قاله (أو لك ينالهم فنيهم من الكتاب) مما كتب لهم من الأرزاق والآجال وأمن اللوح المحفوظ (حتى اذا
 جاءتهم رسلنا يتوفونهم) أي يتوفون أولادهم بأذننا وهم أعوان ملك الموت المذكور في آية أخرى • فالوف
 من الله بواسطة الملك وأعوانه وجواب اذا قوله تعالى (قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال

نوبيخ أى ابن الدين كنتم تبتدونهم من دون الله (قالوا) أى قال الكفار محييىن الرسل (ضلوا عنا) غابوا عنا (وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) اترفوا بكفرهم (قال) الله تعالى يوم القيامة أو أحد الملائكة (ادخلوا فى أم قد خلت من قبلكم) أى كذابين فى جيلة أم مصاحبين لهم يوم القيامة (من الجنة والانس) يعنى كفار الأمم الماضية من النورين (فى النار) متعلق بإدخالوا (كلما دخلت تمه) النار (لغت أختها) شكلها فى الدين أى اننى ضلت فى الاقتداء بها (حتى اذا أذركوا) أصله تذكروا أى تلاحقوا واجتمعوا فى النار فأبدات اناء دالا وسكنت لا إرغام ثم أدخلت الحمزة (جميعا) حال (قالت أخراهم) منزلة وهم الأتباع والسفلة أو آخرهم دخولوا (الأولاهم) أى لأجل أولاهم لأن الخطاب مع الله وهؤلاء اما القادة والرؤس واما الذين دخلوا أولا على ما تقدم (ربنا هؤلاء أضلونا) سنوا لما الضلال فأتينا بهم (فأتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لأنهم ضلوا وأضلوا (قال لكل ضعف) أما القادة فكفرهم وأضليلهم وأما الأتباع فبكفرهم واتباعهم (ولكن لا تعلمون) لكل فريق منكم من العذاب (وقالت أولاهم لأخراهم) فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة أولي الأخرين فى الدخول - لكل ضعف - أى فقد ثبت ألا فضل لكم علينا واما مساوون فى استحقاق الخفف (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة أولي الأخرين دخولوا لا آخرين ويصح أن يوقف على فضل وتكون الجملة بعده من كلام الله والخطاب منه سبحانه للطائفتين . ثم شرع سبحانه يصف ما يلاقونه للرؤساء والمرؤوسين جميعا فدل (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) أى عن الإيمان بها (لا تفتح لهم ابواب السماء) لا يؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة لأنهم فى السماء وإنما تكون أرواحهم راجعة إلى ما كانت تحق اليه من العلم السفلى فتبقى فيه محبوسة بهم فى أودية العوالم المظلمة وائتاء فى تفتح لتأيت لأبواب ولنشدبد لكثرتها . وفى قراءة - لا تفتح - بلاشديد (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل فى سم الخياط) الولوج الدخول والجبل الجبل الغليظ من القنب وكذلك الجبل الذى تشد به السفينة . وسم الخياط ثقب الابرة فسم بالضم والسكسر واتخاط وسم الخياط به وهو الابرة فدخل الكفار الجنة محال كما أن دخول الجبل العظيم فى ثقب الابرة محال . ويصح أن يراد بالجبل الحيوان المعروف والمعنى واحد ثم قال (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء القطيع (تجزي الجزيين) لهم من جهنم مهاد فراش (ومن فوقهم غواش) أعطية (وكذلك تجزي الظالمين) للمشركين وصفهم نارة بالأجرام وتارة بالظلم وقرن الأول بالحرمان من دخول الجنة وقرن الثانى بالعذاب تنبيها على عظم الذنب . يقول ان توغاهم فى المدة وبعدهم عن صفاء النفوس منهم من دخول الجنة فلا محالة يدخلون النار بظلمهم لتناسب بين الساكن والمسكن

ولما وصف الكافرين بما ذكر أخذ يصف سبحانه وتعالى المؤمنين ومن عادة القرآن أن يتبع الوعيد بالوعيد والعكس

(وصف المؤمنين)

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف نفسا ولا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وقوله - لانكف نفسا ولا وسعها - جملة اعتراضية للتغيب فى اكتساب النعيم المقيم (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى نخرج من قلوبهم أسباب الغل - أو نظمها منه حتى لا يكون بينهم إلا التواد فانه لا يتفق النعيم مع الحقد والغل - كما ان النار تناسب اطلاب الغايظة التى لا صفاء فيها فالأجرام سبب دخول النار كما ان الصفاء يناسب دخول الجنة (تجزي من تحتهم الأنهار) زيادة فى لذتهم وسرورهم ولأنه بالأنهار وغيرها إلا القلوب خلت من الشوائب المحزنة كالفرن فلذلك قدم نزعها . ولما تم لهم السرور النفسى ومباهج الآفاق حولهم فرحوا (وقالوا الحمد لله هدانا لهذا) لما جزاؤه هذا (وما كنا لنبتدى لولا أن هدانا الله) لولا هداية

الله وتوفيقه لنا وجواب لولا مح وف دل عليه ما قبله أى وما كان يصح أن نكون مهتدين لولا هداية الله لنا
واللام لأم الجود لتوكيد النبي ثم قال (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاعتدنا بارشادهم يقولون ذلك
اغتيالاً وسروراً وإظهاراً لما اعتقدوا (ونودوا أن تلتك الجنة) أن بمعنى أى كنهه قيل وقيل لم تلتك الجنة
(أورثتموها) أعطيتتموها بسبب أعمالكم والجنة بدل أو عطف بيان لتلك وأورثتموها خبر . ولقد ورد
في الحديث أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله وإنما يدخلها برحمة الله تعالى وهو لا ينافي ما هنا لأن العمل الصالح
من رحمة الله فالعمل الصالح من الرحمة ودخول الجنة مسبب على ما تسبب من الرحمة (ونادى أصحاب الجنة
أصحاب النار أن) بمعنى أى فهمي مفسرة (قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً)
وهذا القول شامة بأصحاب النار ومحبر لهم واعترف بنعم الله لهم وقوله - ما وعد ربكم - أى وعدكم ربكم
(قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار (أن) بمعنى أى مفسرة كما تشتم
(لعنة الله على الظالمين) ثم وصفهم بقوله (الذين يستبدون عن ميل الله) ديه (ويغيثونها عوجاً) أى
ويطلبون لها العوجاج والتناقض (رهم بالآخرة) بالدار الآخرة (كافرون) وبنيها) وبين الفريقين
(حجاب) وهو السور المذكور في قوله - فضرِب بينهم سور - أو بين الجنة والنار لجمع وصول أثر أحدهما
إلى الأخرى (وعلى الأعراف) أى على أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الفريقين أولدارين وهى
أعلى جمع عرف استعبر من عرف البرس وعرف لديك . والعرف المرتفع من الشئ فهو لظهوره يكون
أعرف من غيره (رجال) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخيار المؤمنين والعلماء (يسرفون كد) من
زمرة السعداء والأشقياء (بسيماهم) بعلامتهم . واعلم أن القراءة الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن
قال تعالى - إن في ذلك لآيات لتؤسسين - وقال - تعرفهم بسيماهم - وقال - وتعرفهم في لحن القول -
فكان القراءة اختلاص للعرف وذلك ضرب يحصل للأنسان عن خاطره ولا يعرف له سبب وذلك
ضرب من الإلهام والوحي وإياه عنى النبي ﷺ بقوله إن في نعمتي لحذنين وإن همزتهم ويسمى ذلك أيضاً
الفث في لروع والضرب الثاني ما يكون بصناعة معلمة وهى الاستدلال بالأشكال الظاهرة على الأخلاق
الباطنة وقوله تعالى - أفن كان على بينة من ربه ويتاوه شاعداً منه - قال بعض العلماء فيه أن البينة هو
القسم الأول وهو إشارة إلى صفاء جوهر الروح والشاهد هو القسم الثاني وهو الاستدلال بالأشكال على
الأحوال . فإذا سمعت المفسرين يقولون أن أصحاب الأعراف يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وزرقة
عيونهم وأهل الجنة ببياض وجوههم وفضرة النعيم . وبعضه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فاعلم أن ذلك
ضرب من سيماهم والسيما العلامة الدالة على شئ وأصله من السمة (ونادوا أصحاب الجنة) أى نادى أصحاب
الأعراف أصحاب الجنة (أن) بمعنى أى كما تقدم (سلام عليكم) وذلك هبة منهم لأهل الجنة وقوله تعالى (لم
يدخلوها) صفة لرجال أى لم يدخلوا الجنة (وهم يطعمون) في دخولها قال الحسن ما جعل الله ذلك الطعم
في قلوبهم إلا للكرامة يريد بها بهم . ولا خلاف أن الجنة التى طعموا في دخولها لم يدخلوها إلا أعلى الجنة
التي لا يصل إليها إلا المقربون وإنما وقفوا على الأعراف ليطالعوا على الفريقين ليظهر عدل الله على أنسنتهم
وأيينوا للناس أن هذا جزاء ما فعلوا من خير وشر ثم يرتدون إلى مدارجهم العالية وحذا على أهم أعظم الناس
من الأنبياء وغيرهم وهناك تفسير آخر لا يحى ذكره وهؤلاء كما قالوا لأهل الجنة سلم من الآفات وحصل لكم
الأمن والسلامة حين ينظرون إليهم يقولون لأهل النار أين ينظرون إليهم - ما أعنى عنكم حكمكم الخ - ولذلك
أعقبه سبحانه بقوله (وذا صرفت بصارهم فلما أصحاب النار قالوا) نفوذنا (رمة) لاجتماعهم مع لقوم
الظالمين في النار (ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا ما أعنى عنكم
حكمكم وما كنتم تستكبرون) عن الحق أى على الخلق (أهؤلاء الذين أنسمت لا يذلمهم الله برحمة) وهذا من

نحة قولهم للرجال يشيرون الى أهل الجنة الذين كان الكفار يحقرونهم في الدنيا ويحافون أن الله لا يدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) أي فالتفتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وأنت ترى أن أصحاب الجنة نادوا أصحاب النار وأصحاب الأعراف نادوا انقر بيقين ولم يبق إلا أصحاب النار فلذلك قال تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن) بمعنى أي مفسرة (أففضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) من غيبه من الأشربة أو الطعام والفاكهة إذا أريد من الافاضة الاقواء (قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) منعهما عنهم منع المحرم عن المكاف . ثم وصف الكافرين فقال الله تعالى (الذين اتخذوا دينهم هوا ولعبا) غرموا وأحلوا ماشاؤا (وغرّبهم الحياة الدنيا) اغترّوا بطول البقاء فيها وحبب العيش ولذته (فاليوم ننساهم) تركهم في العذاب المهين (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يحطروه بياهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وما كانوا منكبين أنها من عند الله أي كفسانيهم وبحجودهم (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ وميزنا حلاله وحرامه وقصصه (على علم) عالين بكيفية تفصيل أحكامه (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه (لقوم يؤمنون) ظاهر التفسير

(لطيفة في قوله تعالى - يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكواوا واشربوا ولا تسرفوا

انه لا يحب المسرفين • قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين

آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون الخ -)

أيها المسلمون انظروا كيف يذكر الله عز وجل أخذ الملابس في الصلاة ويعتبه بعدم الاسراف في الأكل والشرب ويقع ذلك بحلّ الطيبات من الرزق . أيها المسلمون أي مناسبة بين الصلاة وبين الأكل والشرب وعدم الاسراف فيهما وحلّ الطيبات من الرزق . ان المقام مقام علم وحكمة وليس للاهمال فيه من نصيب ولذلك ختم للقال بقوله - تفصل الآيات لقوم يعلمون -

يقول الله هنا ان أخذ الزينة في الصلاة ونحوها والأكل والشرب بلا اسراف وطيبات الرزق إنما تفصلها لقوم يعلمون . ويقول في سورة الأنعام قبلها - وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون - وأتبعه بأنه خلقنا من نفس واحدة الخ وأن ذلك البيان لقوم يفقهون فعمل ذلك لقوم يعلمون وعلم التشريع لقوم يفقهون كما تقدم . وههنا علم الصحة لقوم يعلمون . إذن علم ذلك وعلم الصحة كلاهما محتاج الى علماء . أما علم ذلك والهيئة فصلهما ملئت به الأنظار إلا في بلاد الاسلام في القرون المتأخرة اللهم إلا شذرات ضئيلة وهكذا علم الصحة . اللهم انك أنت الذي أرشدت المسلمين لعلم الصحة فناموا وماذا تقول لهم أكثر من أن الطيبات حلال وأن الخبائث حرام وأن الاسراف في الأكل والشرب حرام وهكذا في الملابس وكل شيء . اللهم ان هذا هو علم الصحة . ان علم الطب قسمان قسم يخص ارجاع الجسم الى الصحة بالمعاقير . وقسم يحفظه الصحة من المرض وثاني القسمين أفضل من الأول وهو الذي أوجبه الله في هذه الآية وأمثالها . جعل الله علم حفظ الصحة واجبا وجوبا شرعيا عينيا فعلى كل امرئ أن يعرف من علم حفظ صحته ما يحتاج اليه وكما أن الواجب من علم الفقه كما تراه مسطورا في احياء الغزالي على كل نفس ما يحتاج اليه فالزكاة لا يجب تعلم تفصيلها إلا على من عنده ذلك النوع مما يملكه . هكذا هنا في صحة الأبدان يجب على كل امرئ في نفسه أن يعتنى بصحته ويتعلم ما يقدر عليه وكما ازداد مرضا وضعفا وجب عليه أن يزيد علما وعلى أئمة الاسلام أن يكون فيها علماء للصحة كما يكون فيها علماء للفقه

فعل في رعاك الله . قد جاء في السور السابقة - يا أيها الذين آمنوا اذا قم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الخ - أمرنا الله بالصلاة وقال لقلظوا أجسامكم تارة بالنسل وتارة بالوضوء . وما الوضوء ولا النسل إلا لصحة الصلاة وما طهارة الثياب إلا لذلك . وما هذا وذلك إلا ليكون الصلي حاضر القلب لابلية قدارة ثوبه ولا جسمه وهو

متوجه للقبلة مصروف الفكر للعبود . فإذا كان الوضوء وما يتبعه نوافات في حضور قلب المصلي فيكون بالأولى مرة وألف مرة صحة البدن ان المريض ومن به قولنج أو صداع لا يحضر قلبه في الصلاة فاذن تكون العناية بالصحة أولى وأجدر ولهذا لما جاء الوضوء والفعل في السور السابقة وجوب النظر في العالم العلوي والسفلي في سورة الأنعام جاء في هذه الآيات في هذه السورة يقول لنا توضؤا واطهروا وانظروا في السموات والأرض ولكن لا يهتم ذلك إلا بعلم الصحة فأنا أنما كم عن الاسراف في الأكل والشرب وغيرها وأما كم عن الخبائث في الرزق والاسراف في الأكل والشرب لا يعرفه إلا علماء يخلقون لذلك لأن هذا من فروض الكفايات وفروض الكفايات إذا لم تقم بها طائفة وقع الذنب على الجميع والمسلمون اليوم جميعا آمنون معذبون في هذه الحياة الدنيا لذلك عندهم الله بالجهل في سائر العلوم لاسيما علم الصحة الذي لا يهتم حج ولا صلاة ولا زكاة ولا علم إلا به . لهذا قال الله - إنه لا يحب المسرفين - وحرم الخبائث المفهوم من لفظ الطيبات اعتنى العلماء بعلم الفقه وابتدؤا بكتاب الطهارة . هذا حسن ولكن الأحسن منه أن يؤلف لأبناء المسلمين كتب صغيرة تعطى لهم قبل الوضوء والطهارة يذكر فيه علم الصحة لامتثال لقوله تعالى - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا - ولقوله - والطيبات من الرزق - يا عجباً كل العجب بذكر الله اللباس والأكل والشرب وعدم الاسراف - والطيبات من الرزق - مصحوباً بقوله - خذوا زينتكم عند كل مسجد - وقد علمت أن في تفسيرها الصلاة . ان هذا رمز ان الصلاة كما تحتاج الى الوضوء والفعل تحتاج الى جسم صحيح وعقل حاضر ولا صحة ولا حضور عقل إلا بمعرفة علم الصحة فلننرجع الوضوء فان الصحة أوجب أى الأخذ في أسبابها أولى فإذا طرأ المرض على المصلي وتجم ضرر الماء فليكن عليه أيضاً أن يتداوى أو يلائم شروط الصحة جوا على أمر الله من عدم الاسراف ومن ترك الخبائث من الرزق

﴿ علم الصحة ﴾

وها أنا ذا أبدأ بما بدأ الله به في الصحة وهي اللباس ثم الماء وأبين الطيبات منها والخبائث بطريقة مختصرة وأتبع ذلك بفوائده محبة . واني موقن أن علماء الاسلام بعد ظهور هذا التفسير وأمثاله سيقرؤن علوم الطب ويوقنون بأنها من علوم الدين وأن ما أذكره هنا نموذج صغير أو قطرة من بحر أوجبة سئبت سبع سنابل في كل سفلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء

﴿ اللباس ﴾

يقول الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد - ويقول - ولا تسرفوا - ولم يعين في أى الأنواع يكون الاسراف فهو وان ذكر بعد الأكل والشرب محذوف المعمول فانه تعالى لا يحب من أسرف في أى عمل من الأهمال وحذف المعمول مؤذن بالعموم . فالاسراف في اللباس وغير اللباس على حد سواء . وسواء أكان الاسراف بفساؤ الثمن للفقير أو باللباس التي تزيد عن الحاجة وهكذا فكله اسراف فلا ذكر لك أحوال اللباس . يشترط في اللباس ما يأتي

- (١) ألا تكون ضيقة تعيب الانسان في غدوه ورواحه بل يجب أن تكون واسعة
- (٢) ألا تكون ثقيلة فقد أجمع علماء الصحة أن الدفء لن يكون بتراكم اللباس وانما يكون بنوع ما يفيد الدفء

(٣) أن تكون اللباس لها مسام لتجفف العرق لأن العرق اذا بقي في الجسم أصابه البعد الذي يكون سبب الزكام والامه فالسالم انن أ كبرعون على الصحة

﴿ الصوف ونحوه والحرير والقطن والتيل والجلد ﴾

اعلم أن صوف الفقم ووبر الجمل وشعر اللعز لها خاصيتان . الأولى انها تحفظ حرارة الجسم . الثانية انها تقشف العرق . لأن كانت هذه المواد أصلح لأن تلبس على نفس الجلد وهو (الشمار) وعليه يحسن أن يكون الشمار من الصوف

(الحرير)

اعلم أن الحرير الذي أحله الله للنساء ورحمه على الرجال يحفظ الحرارة كالصوف ولكنه لا ينشف العرق بسهولة كالصوف

(القطن)

أما القطن فهو قايـل الحفظ للحرارة وفاريل الانشيف للعرق والملابس المأخوذة من (التيل) أقل من القطن في خواصه

(الجلد)

والملابس المصنوعة من الجلد تحفظ الحرارة ولا تنس إلا في البلاد الباردة

(فوائد علة في الملابس)

يجب أن تكون واسعة والا تكون طويلة وأن تحفظ في حيوان خاص وأن يوضع معها نحو الغافل الاسود بعد نظيفها أو (الفتاتين) أو نحوها خيفة (الشنه) وليغير الشمار مرتين في كل اسوع صيفا ومرة شتاء . ومعلوم أن الملابس (الوسخة) تفسل بالماء الساخن والصابون . وينتفخ الصوف بغسله بالماء البارد مع عدم عصره ثم توضع في الظل حتى تجف وليكن الشمار خفيفا في زمن الشتاء . وليكن لون الثياب الخارجية في الصيف غير قائم . أما في الشتاء فيجب أن يكون اللون (أدكن) وذلك ليمسح حرارة الشمس أن تدخل الى الجسم . أما الأبيض فانه يمنع حرارة الشمس أن تدخل للجسم وهو بالصيف ألق . انتهى الكلام على الملابس

(الأكل)

اعلم أن الأغذية المستحسنة عند علماء الطب هي الأغذية السهلة الهضم الطازجة من الأغذية الحيوانية والنباتية مثل اللحم والابن والزبدة والقمح والذرة والبطاطس . ويستحسنون طبخ الأغذية لسهولة هضمها لقتل الجراثيم الضارة ويوجبون غسل الخضار بالماء الساخن قبل أكلها وقاية من الإصابة بالديدان . فاذن يسل الفجل والجرجير والبصل وأمثالها بذلك قبل الأكل . ويقدمون من الحيوان ما كان أصغر سنا على غيره وطعم الضأن على غيره في اللحم . وطعم البجاج على لحم البط والأوز . ويقولون ان لحم السمك أقل فذية من لحوم غيره من لحوم الحيوانات . ويقولون ان اللبن غذاء الأطفال ولا يكتفى للكبار . ويوجبون غليه وحفظه في اناء مخصوص بحكم الفطام . ويقولون ان البيض الصالح يعرف بوضع مايلاً ذلة فتاجيل القهوة من الملح في ثمانية درهم من الماء . ويدوب فيه ثم يوضع البض فئا طفا فوق الماء فهو غير صالح ومارسب يكون صالحا . ويقولون الجبن أجود ما يصنع من اللبن المحض الخالي من المواد المضافة في الصناعة

(الزبدة)

الزبدة غذاء مفيد ويستحسن أن تؤكل مع الخبز وتقليل من السكر وهي ترفع رجال العمل الجسمي

(البقول)

هي مثل العدس والفول ونحوها يمكن الاستغناء بها عن مقدار عظيم من اللحم بأنواعه ويضاف إليها الزبدة أو الزيت

(الخضر)

بعضها أسهل من القمح وبعضها مثل القمح وبعضها عسر الهضم قليل التغذية ولكنه نافع للجسم مثل الاسفاناخ (السبانخ) . وخبز القمح أحسن من غيره وأكثر تغذية

(التوابل)

هي كالفلل والخل والخردل والملح . هذه كثيرتها تعسر الهضم . فإذا قلت الشهوة للطعام حسن تعاطى القليل منها . وقد نهى الأطباء عنها إلا قليلا

(الأذية التي هي غير طيبات وهي الخبائث)

القريب (الفسيح) والسردين والفواكه التي ليست ناضجة مثل (الرخ) وهو البلح الأخضر . ومن الفواكه التي زادت في فضجها . والحموم الكثيرة الدهن . والاسماك ذات القشور الغليظة وذات الحمار ولأختم هذا المقام ببيان المدة التي تهضم فيها الأطعمة من لحم وخضر وفاكهة ليختار الانسان مايناسب مزاجه ولا يتناول إلا ماقدتر معدته على هضمه . (فأولا) الطعام الذي لا يهضم في أقل من ست ساعات وهو لحم الضأن للقلو في السمن . واختيار . والقثاء . (وثانيا) الطعام الذي يهضم في أقل من ست ساعات ولا ينقص عن خمس وهو لحم البجل والكلبي المقايين في السمن ولحم الضأن المسلوقة . (وثالثا) ماينقص مدة الهضم فيه عن خمس ساعات ولا ينقص عن أربع وهو

(١) لحم السجاج والحمام والبقرباط والاوز للقلوات كلها في السمن (٢) لحم البجل المشوى (٣) لحم البط والاوز للمساقين (٤) لحم السمك للمسوق (٥) لحم العصافير للقلبي (٦) الكرنب (٧) الجزر (٨) الفجل (٩) السلم وهو (اللفت) . (ورابعا) مايقال عن أربع ساعات ولا ينقص عن ثلاث وهو لحم الأرنب والجمل المقايين في السمن . ولحم السجاج والحمام والكلبي المسلوقة . ولحم البقر المشوى . والكبد واللسان . ثم الدجج الجاف والكرفس والبطاطس والخس والتين والنشام والجوز (وخامسا) ماينقص عن ثلاث ساعات ولا ينقص عن ساعتين وهو لحم الديك (الرومي) المقايين في السمن والمسوق منه ومن الأرانب ومن لحم البقر ثم الملح . هكذا الباذنجان والبامية والتجو (اللوبيا) الخضراء والفول الأخضر والقنبيط والبطاطة المشوية والطماطم والتفاح الذي (وهو الذي لم يطبخ) والبلح والبرتقال والصب والكمثرى وعصير حب الرمان . (سادسا) ماينقص عن ساعتين ولا ينقص عن ساعة وهو الكرشي المسلوقة والمليون (كشك الماط) والقرع والاسفاناخ (السبانخ) والتفاح المطبوخ والموز والسفرجل . انتهى

فإذا سمعت قول الله عزوجل - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وكنت ضعيف المعدة فاعلم أن الأوفى لك ما كان سريع الهضم كالقرع والكمثرى . فإذا أكلت اختيار والقثاء فأنت مسرف لأنك جاوزت حدك وعلى هذا أبدا فقس . فأما إذا كنت قوى المعدة فلتأكل منشاء من لحم البجل والضأن وغيرها . ولكل مقام مقال . انتهى ماقدته من الكلام على الغذاء

(الماء الذي يشرب يجب له الشروط الآتية)

- (١) أن يكون خاليا من الرائحة . ومن اللون
- (٢) أن يكون راتقا فلا ترى ذرات صغيرة سابحة فيه . ولا يرسب منه في قرار الاناء شيء
- (٣) أن يكون عذبا
- (٤) أن يذيب الصابون وينضج البقول والخضر اضجا تماما . والا كان محتويا على أملاح ضارة بالجسم
- (٥) أن يكون خاليا من الجراثيم وهي (المكروبات) ولا يمكن معرفة المكروبات إلا بالمجهر أى

(المسكر كوب)

﴿ الأمراض التي يكون سببها الماء الذي ليس مستوفيا الشروط ﴾

(١) الاسهال المزمن بسبب التراب والرمل اللذين يكونان في الماء

(٢) الحمى التيفوزية

(٣) الحمى الاسيوية (الكوليرا)

(٤) البول الدموي (البهاریسا)

هذه الثلاثة الأخيرة بسبب الجراثيم المنتشرة في الماء

﴿ تنقية الماء ﴾

لذلك طرقت ثلاث (الطريقة الأولى) أن يوضع نوى الشمس أو الخوخ أو اللوز الحلو فيربس هناك طبقة تحمل الأقدار في أسفل الاناء ويكون مافوقها من الماء صافيا . ويوضع جزء من النبق في الماء . وهذه الطريقة فيها ضرر للشاربين يستعملها العامة وهم يجهلون أضرارها . (الطريقة الثانية) أن يرشح الماء في إناء ذي مسلمة من الفخار ويفصل من الداخل والخارج بالماء والصابون والليف غسلا جيدا ثم يغلى ذلك الاناء بغطاء نظيف ويوضع تحته اناء نظيف ليتلقى الماء النقي للتسايط بعد رشحه من السطح الخارج ويجب أن يوضع هذا الاناء ومآخذه في محل نظيف بحيث لا يصل اليه الغبار . والأحسن أن يكون وعاء خشبيا كبير الحجم . وفي اللغة العربية يقال لالاناء الذي فيه الماء (الحب) ولعنائه (الكرامة) فيقولون لمن يحبون (حبا وكرامة) وأصله هذا المعنى الذي عرفته . وهذا يسمى في مصر (الزبر وغطاه)

وهناك أدوات للرشح غير ما ذكر . وهذه تباع في الأسواق فلا تلاحظ في ذكرها مثل ما يسمى (راشح بركفيلد) . (الطريقة الثالثة اغلاء الماء) وهذه هي الطريقة التي بها تعرف تماما خلو الماء من الجراثيم وهذا هو الذي يتبع في زمن الأوبئة فيغلى الماء للشرب ولا يطبخ وغيرهما ويحفظ ما للشرب في امان نظيف يحكم الصمام ويشرب بعد أن يبرد

هذه نبذة مما يقتضيه قوله تعالى - يا بني آدم خذوا زينتكم - وذكر الأكل والشرب . ثم أمر بعدم الاسراف فمن لبس ما يضره أو أكل السردين أو الفسيخ أو الفواكه التي ازدادت في النضج فهو مسرف كمن يأكل فوق الشبع . ومن شرب فوق حاجته مسرف كمن شرب الماء الذي فيه التراب أو الرمل أو الجراثيم التي تصيب الانسان فتورثه البول الدموي أو الحمى التيفوزية أو الحمى الاسيوية . كل هؤلاء مسرفون فمن لبس شعار الصوف الفليظ في الصيف مثلا أو أكل البلح الأخضر أو شرب الماء الذي فيه قنر فكل هؤلاء مسرفون . فالاسراف اما في الكم كلبس الملابس الكثيرة وأكل وشرب الماء كل والمشارب الكثيرة واما بالسيف كما تتقدم . كل هذا اسراف والمسلمون نادمون والدنيا كلها طائفة بالعلم ولم يغفل عنه إلا المسلمون اللهم إني أديت ماعلى وما قدرت عليه وأنت مستنقم من كل من قرأ هذا التفسير وفهمه ولم يرشد للمسلمين الى جميع العلوم ومنها علوم الصحة التي ذكرتها في هذه الآيات خلقت الطيبات وحرمت الخبائث - إن الله لا يصلح عمل المفسدين -

اللهم انك أوجبت هذه العلوم على طوائف من الأئمة ولما قصرنا في ذلك عذبتنا في الدنيا بالضعف والذل وسلطت علينا الناس غاربونا لتندكر وحاضن أولاء نذكرنا وإني أكتب هذا تحسيرا لكتابك فهل للمسلمين عنرف الجهل بعد هذا التفسير وأمثاله . كلا . ثم كلا إن قارىء هذا التفسير ملزم أن يرفع صوته في كل مجلس ومقام . وفي كل كتاب يكتبه - والله علم حكيم -

(فوائد محبة)

اعلم أن أسباب نقل المرض من المريض الى الصحيح إما أن تكون من الأول الى الثاني مباشرة واما أن تكون بواسطة الماء واما أن تكون بواسطة الحشرات

فالأول وهو أن يكون بنفس المريض فذلك مثل (الجرب) وهو مرض جلدى معد سريع الانتشار ويكثر بين من لا يحافظون على نظافة أجسامهم . وينتقل هذا المرض من الأجرب الى الصحيح بالمخالطة والمساكنة والملامسة واستعمال ملابس المصاب بهذا المرض الويل . فأما الثاني وهو أن يكون بواسطة الماء . فانظر تر العجب العجيب في العلم وفي دين الاسلام . أنظر ترى علماء الفقه نهوا عن الاستحمام في الماء الزاكد . وعن البول في الماء مطلقا الخ . وانظر العلم الحديث وظهور فضائل الدين الاسلامي . أنظر ثم انظر . ههنا مريضان . مرض البول الدموي وهو (البهارسيا) المتقدم ذكره . ومرض الضعف العام المسمى (الانكلستوما) . فهذان المرضان يكونان بالعدوى ولكن بطريق الماء . فرض البول الدموي انما يكون من ديدان تسكن في (الأوردة) وتعيش في الدم وتبيض فيه ويخرج البيض مع الدم ومتى بال الانسان في الماء فقس ذلك البيض الذي لا يراه الناس ويخرج منه حيوان صغيرا تراه الميون ولكنه اذا نظر له الانسان بالنظار للعظم ظهر كهيئة العقرب . فهذا الحيوان يبحث عن قوقعة من قواقع الماء فيدخل فيها لتكون له اما بدل أمه فاذا كبر فيها خرج فاذا صادف انسانا يستحم مثلا ودخل جسمه كما كانت أمه سابقا وهو لا يعلم تاريخ حياتها فيدخل من المصام ويتجول في الجسم حتى يكبر ويبيض كما كانت أمه تبيض وهكذا يكون الخلف كالسلف . سبحانك اللهم ريت الدود في أجسامنا وأنزله في مائنا وأدخلته في القوقعة حتى يكبر ثم أرجعته الى أجسامنا بعد ما صار حيوانا عقابا منك للسامين على تقاعسهم عن علم الصحة وعلى مخالفتهم للفقهاء الذين نهوا عن التبرز والبول في الماء والاستحمام في ماء البرك والمستنقعات التي فيها ذلك الحيوان

أما مرض الضعف العام فهو المسمى (الانكلستوما) وهو فقر الدم فترى الوجه شاحبا والشفنتين ذابتين وعسر التنفس بعد أي عمل ويجس بآلم في الرأس والركبتين واضطراب في الهضم . وذلك أن هناك ديدانا تلحق ذكرانها أناثها فتبيض في الامعاء لا كديدان البول الدموي التي تبيض في الدم وهذا البيض يخرج مع الفضلات فاذا تبرز المصاب في الماء فقس البيض فيه وعاش الحيوان الخارج منه أشهرا فيه فاذا شرب انسان ذلك الماء أو أكل خضرا مفسولة في تلك المياه أو استعمله لاستحمامه دخل هذا الحيوان جسمه بواسطة الجلد أو بواسطة المعدة فيصاب بالمرض القتال

ولا ينبغي الناس من هذا ونحوه إلا ترشيح الماء كما تقدم . وألا تغسل أو أتى الأكل إلا بالماء المرشح أو المغلي . ولا تؤكل الخضرا التي لا تطبخ إلا بعد غسلها جيدا بالماء المغلي . ولا يمشي الانسان عارى القدمين . ولا يلبس في المياه القذرة . وأن يقضى الحاجة في حفرة ويطمرها بتراب جاف . وأن يغسل اليدين جيدا بالماء والصابون بعد قضاء الحاجة وقبل الأكل . انتهى الكلام على القسم الثاني

(القسم الثالث) وهو أن يكون نقل المرض بواسطة الحشرات . فاعلم أن الله عز وجل جعل ما ينفعنا وما يضرتنا من الحيوان على قسمين قسم ظاهر وقسم باطن وكل منهما إما نافع واما ضار . فالقسم الباطن النافع منه مثل السكريات البيضاء والجراء في الدم فاتها تشبه الحيوان من حيث الدافعة عن الانسان وتقاتل جراثيم المرض الداخلة في الجسم وهذا معلوم في الطب . والقسم الضار منه مثل ما ذكر آتفا من جراثيم البول الدموي وجراثيم فقر الدم الاثني قعش في الماء وتدخل جسم من يستحم مثلا وهكذا فأما القسم الظاهر من الحيوانات فهو قسمان أيضا نافع للانسان وضار . فالنافع للانسان مثل المذكور

في قوله تعالى - وأوحى ربك الى النحل الخ - وقد قدست لك أن النحل وأمثاله من الحشرات هي التي تطوف على الأشجار فتقتل الطلع من الذكور الى الاناث . ولذلك تجد الحداثي دائماً فيها أصوات هذه الحشرات ولذلك تصفها العرب بأنها غناء . فهذه الحشرات التي ترى شرحها فيما تقدم في التفسير كسورة (الأنعام) وغيرها جعلها الله لتكون سبباً في فاكهتنا وحبوبنا ونحن لانشعر فأكثر الناس يأكلون الفاكهة وينعمون بالتم وهم لا يعلمون أن الحشرات التي أمامهم هي من أسباب ذلك التمتع . فأما الضرر للإنسان من الحشرات فهي كثيرة منها الدباب والقمل والبق والبراغيث والناموس . ولأنك تعلم على الناموس ثم الدباب مكتفيا بهما في هذا المقام فأقول

(١) الناموس يعيش في المياه الراكدة والمستنقعات . وفي المنازل التي هي غير مهيأة . وهي تنقل حتى (الملاريا) وهي نوع من أنواع الجلي وتسمى (الجلي الاجبي) منسوبة للاجبات لأن الناموس يعيش فيها . ولذلك يجب إبادة الناموس من المنازل بوضع زيت البترول في المراحيض . ويجب ردم البرك والمستنقعات . أو وضع زيت البترول على سطح الماء حتى يقتل صفار البعوض التي تعيش على سطحه . وعلى الناموس أن تكون له ناموسية سليمة من القوب حتى لا يدخل اليه الناموس

فهذا الناموس اذا لدغ مصاباً بالجلي المذكورة ثم بعد ذلك لدغ آخر سلباً أصيب السليم بها أيضاً فينتقل المرض من الأول الى الثاني . فكما رأيت أن الجرب ينتقل من المريض الى الصحيح باللمسة ومرض البول الدموي ومرض الفقر الدموي ينتقلان بواسطة الديدان التي تعيش في الماء . هكذا ترى هذا الناموس ينقل المرض مباشرة من المريض الى الصحيح . وهذا ولأختم هذا المقام بالكلام على الدباب

(الدباب)

ان الدباب ينقل المرض من انسان لآخر كما يفعل الناموس

(غذاء الدباب)

تأكل اللحم والدم والخضر واللبن والزبد والخبز والسكرية والمواد المتخمرة كالجبن المتخمر والمش وبرز المواشي وبرز الانسان وهو يفضل المواد لتخمرة لأنها فيها بيض ومنها يأكل اذا علم أن الأنثى من الدباب تبيض ما بين شهر وشهرين ونصف . والبيض يكون على دفعات كل دفعة من مائة بيضة الى مائة وخمسين بيضة وجميع البيض يبلغ ألف بيضة . وفي النادر شاهد العلماء أنها باضت في احدى ولاذنين يوماً نحو ألفي بيضة . والبيضة تفرخ فيها بين ثمان ساعات واثنى عشرة ساعة . وتنفق نفس البيض خرج دود أبيض يتحول فيما بعد الى ذبابة في مدة ستة أيام أو عشرة أيام وأربع وأربعين يوماً بحسب اختلاف الأماكن حرارة وبرودة . ومن ذلك دود المش واللحم ونحوهما . فهذا كله دود ظهر من بيض الدباب أو نحوه لأن الدباب وسائر الحشرات يكون له بيض فالبيض يكون دودة فشرقة أي مثل ما ترى في دود القز لا ينام مدة بهذه الصفة ثم يصير حشرة كاملة

(ضرر الدباب بنوع الانسان)

(١) ينقل جراثيم الرمد الصيدي من العين المريضة الى العين الصحيحة من نفس الطفل المريض أو طفل اخر مجاور للمريض وأكثر العميان في مصر بسبب هذه الحشرة

(٢) مرض (الاستناريا) وهو اسهال شديد بهيئة خاصة . هذا المرض ينقله الدباب من المريض الى الصحيح

(٣) الدباب ينقل جراثيم الجلي التيفوذية لأنه يذهب الى البراز الملوّث بجراثيم المرض ثم يذهب الى أطعمة الأصحاء الذين هم قريب من ذلك المكان لأن الدباب لا يذهب بعيداً

(٤) السكوليرا تنتقل بأطراف الثبابة وسخوطوما • ويقال ان مكروب المرض يبق حيا ١٧ ساعة على أطراف الثبابة • وقد يدخل الجرثوم المرضى في باطن الثبابة بطريق الطعام ويخرج حيا بالتبرز في طعام الأصحاء فهي تنقل المرض بأطرافها وبرازها

(٥) جراثيم (السل) التي يتلفنها الثباب من بصاق المسولين يرى حيا في براز الثبابة بعد مرور خمسة أيام من أكلها البصاق للمدى • وهكذا وجدوا ديدان الحيوانات التي تعيش في أمعاء الانسان • وهكذا السودة الوحيدة • كل هذه يلعها الثباب مع المواد البرازية وتخرج مع برازه • انتهى مأردت من الكلام على الثباب

(الصراصير)

وهكذا يقولون ان الصراصير تعيش في جوفها جراثيم السرطان • فاذا جاءت على طعام الانسان أزلت ذلك فيه فتقوله السرطان في جسم من يأكله ولا يزال يعيش في الجسم حتى يجد له مكانا ضيقا فيعيش ويموت للمريض • اهـ

هذا قطرة من بحر من قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقوله - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الزرق - فيأجيبها كل العجب كيف يقرأ المسلمون الطيبات من الزرق وأكثرهم يحولون الفرق بين الطيبات والخبائث • فيأبى شرى كيف يعرف المسلم أن هذا الطعام خبيث وأن هذا الطعام طيب إلا اذا قام في الأمه جماعة فدرسوا هذه العلوم ثم نشروا بين الأمة كيف يكون الطعام الذي يحوم حوله الثباب أو تم به الصراصير خبيثا • وكيف يتحاشون الاستحمام في الماء الراكد أو الملامسة (الأجرب) أو نحو ذلك إلا بنشر هذه العلوم نشرنا تماما مع بيان الفوائد بقدر الامكان • اللهم إني ينت هذا المقام في كتابك بقدر امكاني وإني موقن أنه سيأتي بعدنا من يسهلون الطرق ويرقون الشعوب ويعلمون أم الاسلام وسري ما يكون

ولأختم هذا المقام بأرجوزة كنت نظمها منذ نحو عشرين سنين قبل طبع هذا الكتاب • وهذا نصها

(حفظ الصحة في فصل الصيف)

قرأت مقالة في حفظ الصحة في أول فصل الصيف سنة ١٩١٦ بقلم عظيم من أعظم الأطباء النطاسيين جعلتها نظما • وهما هي ذه

أرجوزة في الطب للاخوان • نظمتها أيام الامتحان
من بعد ماقرأتها تكرارا • لكي أزيد فهمها استبصارا
ليحفظوا صحتهم في الصيف • فخره مثل غرار السيف
للصيف حر يلفح الوجوها • ويذهق النفوس إذ يغزوها
والشمس مهبها قتلت جرثوما • فانها تحيي سواء دوما
ما أقتك الجرثوم بالأطفال • فانها مكثرة الاسهال
تسطو بحماها على الأولاد • فتحنى بقلد الأكباد
إن اتقاء المرض المخوف • أفضل من علاجه الموصوف
ففظ الطعام والشراب • والجسم والسكان والنبابا
كذلك الحداثى الفناء • وكل مجرى كان فيه الماء
• فانها حائلة للدهاء • تقذفه في داخل الأحشاء
فتحترس من طائف الثباب • فانه أعدي من القناب
يمدى الذي يلقي بلا أوتاب • ويجعل الأحياء في تباب

مثل القباب فصل الناموس • فانه لمرض جاسوس
 فاجعل له وقاية تقيكا • على السرير حيث لا يربكا
 ياربه للزول يا ذات الأدب • حفظ الصغار مما وجب
 فارعى رعاك الله عين الطفل • وفه وأذنه بالفصل •
 لا يشترق لبنا أو ماء • حتى يزول القار منه الماء
 كذلك الفواكه الطبخها • حتى يزول الماء مما فيها
 وليستحم الرجل الكبير • والطفل والطفلة والصغير
 بكل ماء • فآثر نظيف • منظف للجسم في الصيف
 وليأخذ القوى ماء باردا • إذا أراد حيث لا يخشى ردى
 وقلل المأكول والمشروب • ولا تفع من أكلوا ضروبا
 واكل ما تشربه مبردا • يبرد الاحشاء حتى تخمد
 والتلج والكازوزة المعروفة • وشبهها على الأذى معكوفه
 ولا تفع قول الدين قلوا • التلج يروى انهم جهال
 وخذ من البقول والفواكه • واخضر ما تنهوا غير واله
 • وأقلل اللحوم والغلظا • فهل تحب أن تكون في لظى
 خير الثياب البيض عند الحر • وشبهه بيض مثلها كالسمر
 ثم لتكن واسعة الأطراف • كالردن والقباب والاعطاف
 واجعل شعار الجسم لبس الصوف • لمص ربح العرق المعروف
 كذلك أما كنت في عراء • ليلا نخس الصوف بالغطاء
 ومن يكن ذا عرق في الصيف • فشرّب مثاوج له كاليف
 واكل تبار من الهواء • يدعوه للبأساء والضرءاء
 ﴿ جلال الله في هذا المقام ﴾

يا الله خلقت آدم وبنه بيديك وقت لا بلبس مامنعك أن تسجد لما خلقت يدي الخ فأنت بخلقك له
 بيديك شرفته وعظمته وهذا الشرف وهذه العظمة ظاهرة واضحة في التكليف التي كلفته بها فلم يقف التكليف
 عند الفرائض التي نزلت بها الأنبياء بل خاق الله للإنسان بأحدى يديه النور والهواء والجمال والنجوم
 والحيوانات النافعة • وهكذا النباتات للثمرة • وخلق باليد الأخرى الموت والحيوانات القاتلة الفانكة فمن
 السباع إلى الذباب والناموس والحيات والمقارب إلى القدرات القاتكة بالأجسام إلى ما وراء ذلك
 وهكذا نرى النبات يفتك به الكلا والحشائش القاتلة له • يتأمل العاقل في هذه الدنيا قبرى هذا
 الانسان يحوط بأحدى يديه النحل النافع لاقطع الأشجار ويقتل بالأخرى أنواع السباع والحشرات وهكذا
 يحافظ بأحدى يديه على القمح والقطن وأمثالهما ويقطع بالأخرى الحشائش والكلا
 اللهم ان نظرنا في هذه الأرض جعلنا نفهم انك خلقت الانسان ليكذب ويحذو بهذا يقوى على السير في
 عالم آخر والا فلماذا جعلت القباب بنحو ونحن قناته ويحيط بنا من كل جانب ونحن والحوادث الجوفية نبسده
 وهو لا يبيد وقناته وهو لا يزال في الوجود • انك بذلك فتحت بصائر الانسان وعلمته التبيان وجعلته لايهدأ
 ولأنه هدا لأحسته بالمهلكات • كل ذلك من رحمتك لأنك تريد رقى عقفه وقواه ولارقي لها إلا بالجهد في
 جلب النافع ودفع الضار وضعف النافع كالنحل وقوة الضار كالقباب يجعلانه دائما يجاهد لتقوية الأول

واضافه الثاني • انك يا الله بهذا تريد نقلنا الى عالم غير هذا تكون الحياة فيه على مقدار ما نلتنا من القوة وما كدنا من العلوم • فالتشر والخبر والباب والفتح جعلتها لنا راحة كما أمرنا أن نقرأ باسم الله الرحمن الرحيم • انتهى للمقصود الثالث من القسم الأول

(المَقْصِدُ الرَّابِعُ)

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرْثِدْ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْحَسِنِينَ * وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَنْ يَدَى رُحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفْلَحَ سَحَابًا نَقِلًا سُفْنَاهُ لِيَلْدِيَهُ مِمَّا فَوَّضْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأُخْرِجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِمَلَائِكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ بِآيَاتِهِ يَأْذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا تَكِيدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ •

(التفسير القلبي)

يقول الله تعالى (هل ينظرون) هل ينظرون (إلا تأويله) أى إلا ما يؤول اليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه ترك النامى (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين أنهم جاءوا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم (أو رد) وهل رد إلى الدنيا وجواب الاستفهام الثاني (فنعمل غير الذى كنا نعمل) ثم قال تعالى (قد خسروا أنفسهم وصلّ عنهم ما كانوا يفترون) بطل عنهم فلم ينفعهم • ولما كان ما تقدم من محاورات أهل الجنة والنار وأصحاب الأعراف ونعيم الجنة وعذاب النار راجعا إلى اليوم الآخر للرب على الايمان بالله والكفر به وكان التوحيد أجل ما يبنى عليه العالم المشاهد المحسوس أعقب ما تقدم بما يذكر بهجائب السموات والأرض الدالة على الله قد ذكر خلق السموات والأرض والاستواء على العرش ونسخير الشمس والقمر والنجوم ورسال الرياح والسحاب وانبات النبات المختلف احرار • وهذه الآية أشبه بآية - إن فى خلق السموات والأرض - المذكورة فى سورة (البقرة) وكأنها خلاصتها فارجع إليها هناك • ثم قال تعالى (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) أى فى ستة أوقات (ثم استوى على العرش) والعرش فى اللغة يطلق على السرير وعلى ما علا فأطلق - وسمى مجلس السلطان عرشا لعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والجاز يقال فلان ثلّ عرشه بمعنى ذهب عزه ومملكه وسلطانه • وثم لترتيب الذكرى والا فأنته عز وجل مستول على الملك أزلا وأبدا يدبر الأمر من السماء الى الأرض • ولذلك أخذ يبين الاستيلاء على

العالم العلوي فأبان أعظم الأعمال التي نراها من ذلك الاستيلاء وهو تسخير الشمس والقمر والنجوم وبهذه الحركات القديسة تكون جميع العوالم التي بها حياتنا وبقاؤنا فلذلك قال (يعنى الليل النهار) يغطي به فيصنع أن النهار ينشئ الليل وأن الليل ينشئ النهار ولا جرم أن كلا منهما يغطي الآخر بسبب جريان الأرض حول الشمس فالوجه المقابل للشمس مضيء والمغطى عنها مظلم (يطلبه حثيثا) يعقبه حال كونه سريعا كالطالب له لا ينفصل بينهما شيء . والحديث فيصل من الحث (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بقضائه ونصريفه بمقتضى استيلائه على الملك ونصبتها العاطف على السموات ولهب مسخرات على الحال ثم خصص ما تقدم كله في هذه الجلة فقال (ألا له الخلق) راجع لقوله - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض الخ - (والأمر) راجع لقوله - ثم استوى على العرش وسخر الخ - فالخلق وأمر الكائنات يديه كما قال - ينزل الأمر بينن - ثم قال (تبارك الله رب العالمين) تجمد وتكبر وارتفع . فانظر كيف ذكر أنه خلق السموات والأرض في أوقات ستة بحيث أدلر للذة اللطيفة المسماة (بالأثير) وسرحها في أزمان قديمة العهد جدا فكان منها شمس وشمس ثم دارت الشمس ومنها شمسنا آلاف وآلاف من السنين فانفصلت منها الكواكب السيارة ومنها أرضنا وانفصل القمر من الأرض ثم كان المعدن والنبات والحيوان والإنسان فهذه هي الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض . فأولها الشمس . فالأرض ومعها السيارات . فالمدن . فالنبات . فالحيوان . فالإنسان . هذه هي الأيام الستة التي خلق الله فيها عالمنا

{ لطيفة }

اعلم أن لفظة (يوم) قد وردت في علوم البابليين والاشوريين التي عثر عليها العلماء في المكتبة الملكية بقصر (أشور بانيبال) في هذه الخزانة وجدوا أنهم قسموا منطقة البروج الى اثني عشر تقما وهي البروج وقسموا المائة ٣٦٠ درجة وهكذا الدقيقة والثانية الخ والاسبوع سبعة أيام . ويقولون ان تقهر الاعتدالين في زمان (٤٣٢٠٠ سنة) ويسمون هذه المدة يوما من الأيام العالمية . وجعلوا السنة الشمسية التي قدرها ٣٦٥ يوما وربع يوم ثانية واحدة من السنة العالمية . ثم هم يقسمون اليوم العالمي الى اثني عشرة ساعة فتدبر تجد أن اليوم قد جاوز عشرات الآلاف من السنين وهو اليوم العالمي . فالיום في الآيات عبارة عن أزمان متطاوله نسما أياما عالمية لا أياما معتادة فتجب . وانرجع الى مقام التفسير فتقول وهاتين أولاه ننشاهد الأمر يجري بين السموات والأرض فترى الليل يغشى النهار والنهار يغشى الليل وترى القمر والنجوم مسخرات جاريات بحساب لاسرية لكوكب أن يبر على غير نظام . فإذا كان هذا الخلق له وهذا الأمر له أفلا يكون مستحقا للتظيم والاجلال فيقال - تبارك الله رب العالمين - من العوالم السفلية والعوالم العلوية . وإذا كانت هذه صفات الله وأنه خلق هذه الكائنات واستوى على عرشها وسخرها ونظمها فلم يبق إلا أن يتوجه له عبيده بالثناء فلذلك أعقبه بقوله (ادعوا ربكم تضرعا) تذلا من الضراعة وهي الذل (وخفية) سرا (لأنه لا يحب للمعتدين) المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره بأن يرفعوا أصواتهم ونداءهم وصياحهم في الدعاء . وبأن يسألوا منازل الأنبياء . قال رسول الله ﷺ سيكون في هذه الأئمة قوم يستنون في الطهور والدعاء أخرجه أبو داود . وعن النبي ﷺ أيضا أنه قال سيكون قوم يمشدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب منها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وهل الأفضل اظهار العبادات وأخفاؤها رأيان رجح الأول من نظر الى الاقتداء بالعابد ورجح الثاني من خاف عليه الرياء . وقال قوم الأول في الفرض والثاني في النفل كالصلاة والزكاة فرضا ونفلا ولما أكل الكلام على خلق العالم العلوي والسفلي وأتبعه بوجوب الدعاء والتوجه لله بالقلب مع الخشوع والتضرع وحرم مجاوزة الحد وأمر بالخشوع والتذلل لمن هو المستوى على العرش المدبر للأمر عند ذكر

العالم العلوى . أقول لما أكل ذلك كله أمر بإصلاح الأرض وعدم الافساد فيها قبل أن يبدأ بذكر الرياح
والسحاب الجارية حول الأرض الساقبات للزراع الثابت بسببها النبات . وأخذ يصف البلد الطيب والبلد
الذى خبث . فافطر كيف جعل عند كل عالم ما يناسبه فإذا نظرنا للاستواء على العرش دعونا وخرنا ساجدين
وان نظرنا إلى نظام أرضنا وسحابها ومطرها ورعدها وريقتها ونباتها وحيوانها وجب أن نكون عادلين
صادقين فتنسى لرقى الأمم حولنا ونظام حكوماتنا والارتفاع بخبرات هذه العوالم المحيطة بنا فهو كما دبر ملكه
وهو مستو على عرشه عجز كواكبه منظم لموالمه . أمرنا الله أن ندر ملكنا بالعدل ونقوم بالقسط ولا كنا
مفسدين فى الأرض مهملين غير شاكرين . وانظر كيف أمرنا هنا أن ندعوه خوفا وطمعا لأن الأمر فى
العوالم الأرضية غيره فى العوالم السبائية . فى الآوت لاجل لنا فى ائادة السموات فلذلك ترانا مضطرين الى
التضرع والتذلل لجرى الكواكب فرحين بأهماله . وفى الثانى ترانا ندعو خوفا من العقاب وطمعا فى
الثواب لأن المقام مقام عمل لا مقام علم . فبالعلم بما فى نظام الملك خشعنا . وبالنظر للعمل فى أرضنا دعونا
خاتمين تارة وطماعين أخرى لأننا مكفون بالنظام والقيام بالعدل واستخراج المنافع من علاننا وهذا قوله تعالى
(ولا تفسدوا فى الأرض) بالظلم والشرك والمعاصى والدعوة الى الشر واتلاف النفس بالقتل أو غيره وافساد
الأموال بالنصب والسرقة وأخذ من الغير الحليل وافساد العقول بالخر والانساب بالزنا وافساد الأديان بالكفر
واعتقاد البع والأهواء (بعد اصلاحها) بالعدل والإيمان والطاعات والدعوة الى الخير ونظام الأمم والأفراد
وحفظ الأعضاء والعقول وارسال الرسل بالاحسان ومكارم الأخلاق (وادعوه خوفا وطمعا) ذوى خوف من
الرد لقصور أهمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لمطر رحه . ثم رجع جانب الطمع
بالرحمة فقال (إن رحمة الله) شئ (قريب من المحسنين) فمن أحسن الله أو خلفه توات عليه الرحمة . ومن
أتقن صناعته أو زراعته أو عاشر الناس بالمعروف نشاهد الاقبال عليه يكون على قدر اتقانه . وكذلك الذين
صبروا وعبدوا وصدقوا فى العبادة فهو له تواتى عليهم الرحمة والرحمة فى كل عمل به . فان كان جسمانيا
كانت الرحمة من قبيله وان كان روحانيا كانت الرحمة من قبيله فالرحمة على قدر الاحسان إن الله حكيم فى
اعطائه يعطى على مقتضى الاستحقاق فإذا لم يحسن المسلمون صناعاتهم أقبلت اليهم الأمم الترية فأذا قهرتهم
العذاب الهون . وإذا جهلوا للزراعة والتجارة والصناعة ولم يحسنوها أقبل عليهم أهل الغرب وأهل أمريكا
وأزولوا بضائعهم فى أسواقهم وابعادها منهم وأخذوا ماملكت أيديهم لأنهم لا يحسنون صنعا ولا يقيمون للعمل
وزنا فيصيحون أذلاء فقراء يتخطفهم المحسنون وفى الآخر (إن الله يحب المتقن عمله) ثم أخذ يصف
الرحمة العائمة فقال (وهو الذى يرسل الرياح بشرا) جمع بشيرة وهى التى تبشر بالطرأى مبشرات . وقرئ
(فبشرا) مخففة لشر كرسى ورسى جمع نشور كرسول ورسى أى ناشرات للطر (بين يدي رحته) تقدم رحته
يعنى المطرفان الريح تهب حاملة قطرات الماء من البحار فتحفظها الجبال للرايات من الجانبين فلا تزال هابة
حتى تصل الى الأماكن البعيدة فتسقى الزرع قال تعالى (حتى اذا أقلت) حلت (سحابا غملا) بلقاء وانما
جمعه لأن السحاب بمعنى السحاب (سقناه لبلد ميت) أى لأجله أولاد حياته وسقيه ولن يكون ذلك إلا بحفظ
الجبال للهواء والسحاب من الجانبين (فأزلائاه الماء) بالبلد (فأخرجناه) بلقاء (من كل الثمرات) من
كل أنواعها (كذلك نخرج الموتى) أى كما أحيينا البلد الميت وأخرجنا من كل الثمرات نخرج الموتى يوفى
الأرواح الى أجسادها بعد جمعها وتنظيمها (لعلكم تذكرون) قطعون أن من قدر على ذلك قدر
على هذا (والبلد الطيب) الأرض السريعة التربة (يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وتيسيره حيث يكثر
النبات ويفزر نفسه (والذى خبث) كالأرض السبعة والحجرية والطشيرية والجيرية وما أشبهها (لا يخرج
إلا نكدا) قبلها عديم النعم ونصبه على الحال وتفسيره والبلد الذى خبث لا يخرج نباته إلا نكدا . فهكذا

الناس كالأرض لأنهم منها • ففهم من هم كالأرض الطيبة فهم يعملون ويعملون • ومنهم من هم كالأرض الخبيثة فهم لا يتقنون بالعلم ولا الدين • وفي الحديث ان مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل القيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت للماء فأنبثت الكلا • والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت للماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً • فذلك مثل من قفه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعمل وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله تعالى الذي أرسلت به • أخرجه في الصحيحين • ثم قال تعالى (كذلك نصرف الآيات) أي مثل ذلك التصريف نصرف آيات زبدتها ونكررتها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وليقوموا بحقتها فلا يفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بل عليهم أن يكونوا صالحين مصلحين عادلين فهو أول هم الشاكرين • انتهى التفسير اللغوي للقسم الأول من سورة (الأعراف) وفيه عشرة لطائف

(الطيفة الأولى) قوله تعالى - فلا يكن في صدرك حرج منه -

(الطيفة الثانية) - وكم من قرية أهلكناها الخ -

(الطيفة الثالثة) - والوزن والليزان -

(الطيفة الرابعة) نظام هذا القسم من السورة مع ذكر فرعين وهما قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباس الخ - وإيضاح ماضى من قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا لأنه لا يحب المسرفين -

(الطيفة الخامسة) قوله تعالى - كما بدأكم نعودون - وقوله تعالى - ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار الخ -

(الطيفة السادسة) - لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة الخ - وقوله تعالى - إن الله حليم على الكافرين -

(الطيفة السابعة) - لا تكلف نفساً إلا وسعها -

(الطيفة الثامنة) - وزعنا ما في صدورهم من غل -

(الطيفة التاسعة) أصحاب الأعراف وكيف يعرفون أهل النار وأهل الجنة بسماهم

(الطيفة العاشرة) إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض الخ -

(الطيفة الأولى في قوله تعالى - فلا يكن في صدرك حرج منه -)

لقد شرحت هذه الطيفة في أول السورة وأبنت كيف كان أول هذه السورة مؤذناً بأن الإنذار والارهاب حاصل فيها بهلاك الأمم الغابرة وذلك تذكرة للمؤمنين والنفار للكافرين • ولقد تبين هناك كيف حل هذا الوعيد بالأمم الإسلامية لما قست القلوب وضلت العقول وجهلت الأمم وخربت الدماء وقاتل الرؤساء وجعل الرؤسون فلم يعرفوا كيف يؤذونهم وقوله تعالى - اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم - هو وما قبله من قوله - فلا يكن في صدرك حرج منه - وما بعده من قوله - وكم من قرية أهلكناها الخ - من تمام الكلام في آخر سورة (الأنعام) • ألم نرفي آخرها قوله تعالى - وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - وفيه أيضاً - يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها الخ - ولا لطيل بإيضاح هذه الطيفة فقد استوفيت في أول السورة

(الطيفة الثانية - وكم من قرية أهلكناها الخ -) قد وضعت في تفسير أول السورة

(الطيفة الثالثة - للوزن والليزان -)

قد ذكر بعضه في هذه السورة وقد تنبأ في آل عمران وفي البقرة وفي الأنعام في مواضع شتى وإن

لا بد من ذكر عجيبه جادت في بعض الجرائد وهي تبين أن الأرض تنفس كما يتنفس الناس وتنفسها في أوقات
عديدة فهي في نفسها موزونة أيضا فتجب

(تنفس الأرض)

هل تعلم أن الكرة الأرضية (تنفس) مرة في نحو كل مئتي سنة وأن تنفسها هذا ينجمها على الأرجح
من الانفجار لأن الغازات تتكد في باطنها باستمرار . وعند ما تنفس تراها تنقلص من نواح وتتكد من نواح
أخرى فينشأ عن ذلك خلل صغير في ضبط المواقيت لم يتنبه اليه العلماء إلا منذ عهد قريب فقد اتفق في أثناء
حرب (البوير) أهم أنباء ما قرب وقوع خوف كلي ولكن ذلك الخسوف لم يقع إلا بعد الوقت المعين
بسبع ثوان . وحدث أيضا بعد ذلك ببضع سنوات أن خسوفا آخر تأخر عشرين ثانية عن ميعاده فدهش
علماء الفلك في العالم أجمع وشرعوا يبحثون عن السبب حتى اتجلت لهم الحقيقة وعرفوا أن تقلص الأرض
وتتقددها بسبب تنفسها مما سبب ذلك فأخذوا يحسبون حساب أرصادهم ويضبطون المواقيت

(الطيف الرابعة في نظام هذا القسم من السورة وفي قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليك

لباسا الخ - وإيضاح ماضى من قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا الخ -)

إن في نظام هذه السورة ولاسيما هذا القسم منها لعبة لنا وقهبا . انظر كيف ابتدأ السورة بالآخبار
بالأم البائدة والقرنر الخالية ومن فاجأهم المذاب ليلا وأنهارا وهم يقولون - إنا كنا ظالمين - وكيف أتبعه
بأن الميزان حق والنظام صدق فن غلبت حسنة فهو الفائز ومن غلبت سيئة فهو الهالك . ثم أخذ يقول
مامعناه أيها الناس إنا مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش فكفرتم النعمة وأبغمت الفضيلة فكان
شكركم قليلا وكفركم كثيرا . ثم أخذ يصف ما كان من إبليس من براهين المغالطة والحجج السفلية
والكبر الجاهلي . وكيف أصبح بعد أن ضل وغوى موسي لآدم وبنيه فخرج الآخر من الجنة كما سقط
الأول من الصورة الملكية ومن السموات العلية ثم تاب آدم ولكن إبليس لا يزال شيطانا رجيا

وكيف جعل سبحانه هذه القصة لنا عظة واعتبارا لم يدع جزءا من أجزاءها إلا جعله درسا نقرأه وعلما
نقفه وحكمة نتلوها وآية نعملها وعبرة نتعبر بها . ألم تركب وعظ بني آدم ألا يقتنم الشيطان
كما فتن أباهم آدم من قبل . وكيف حذرهم من نزع لباس الفضيلة والأدب بوسوسته كما نزع عن أيهم لباس
الجسم المادى . وكيف جعل ذلك عبرة للعرب الذين سوما اللباس في الطواف بوسوسة الشياطين ودعواهم
أن هذا اقربة لرب العالمين . وكيف كان أمثال هذا من مثار البدع والشكوك والأهواء منها عنها داخل في
حوزتها جاريا على منهجها . وكيف كان تحريم الحلال والتحرر من طيبات الرزق من خدع الشيطان .
وذلك كله مبنى على وسوسة إبليس لآدم ومثابه ومماثل . وكيف كان سقوط المسلمين اليوم في الخنيز
والجهالة العمياء والضلالة العوراء والنوم العميق والجرم العظيم مشبا لما حصل لآدم من الوسوسة بل لما
حصل للعرب الجاهلية الذين ظنوا العري قربة الى الله في الطواف كما غلب للمسلمون اليوم ترك العاوم والمعارف
والصناعات وترك حب الامور على غاربها من المتربات لدى الجلال والاكرام وكما كثر من يدعو الى ذلك من
بعض رجال الصوفية الذين يعملون أتباعهم مناهجهم ويفهمونهم أن طريقهم خير الطرق بل ربما كفروا
بقية المسلمين . ولعمري إن هذا طوالة المباء والأمم العظم . وسوس الشيطان لعرب الجاهلية فأعرام
في الطواف ووسوس لمسلمي الشرق والغرب يقول صغار العلماء وضعا فشيخ الصوفية الذين هم ومن قبلهم
من شياطين الانس يوسى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا أن العاوم حرام ومما شبه ذلك من الضلالات
والخرافات التي علقت بالأذهان فليس يخرجها إلا بنشر الحكمة والعلم والرفق بين أم الاسلام

﴿ حكاية ﴾

لما حضر الى مصر العالم (وان وين كين) من مدينة تاينشن الذي أشرت اليه سابقا قال
 لقد سمعنا الوثنيون وقالوا للمسلمين أتم محرفون وليس عندكم إلا الخيض والنفاس والجهل والبواس
 فأتم لا يحفظون إلا علم الطلاق والميراث والبيع والهبة والقرض وماشا كلها من العلوم فأما هم فانهم يقرؤن
 العلوم بأنواعها من طبعة وفلك ويقولونها نحن أهل أوروبا . فأما العلماء في الاسلام هناك فاهم يصدون الناس
 عن سبيل العلوم ويقولون انها حرام ودين الاسلام لا يوجب أن نحب الأوطان ولا أن نعلم شيئا عن بني الانسان
 ولا أن نفكر إلا في الركنات والسجعات والحج والزكاة وما عدا ذلك فأنما هو حديث خرافة . وقد كان
 كتاب (القرآن والعلوم المصرية) يطبع إذ ذاك فترجمه وكانت سورة (الفاتحة) من هذا التفسير تطبع
 فترجمها وأرسلها الى بلاده . أفليست هذه الحكاية دلالة أن الشيطان أعزى المسلمين من العلوم كما أعزى
 الجاهلية في الطوائف

﴿ رأى للفسر ﴾

والذي أراه أن أم الاسلام قد دخلت فيها أم وأدخلت على عقائدها ما أصبح عائقا بالاسلام وقواعده
 حتى أصبحوا كالبودية في التزهد ودخل في الصوفية الصحيحة ماشوها من الفواشي القريبة فان المتأخرين
 من الصوفية أخذوا بدعا أبعدت أصولهم عن الدين وصاروا هم قادة الأمم الاسلامية لاحتلال الأمم الافريقية
 اللهم إلا الصالحين منهم الصادقين الفضلاء أولئك هم الصالحون . ثم انظر كيف ذكر الناس بأنه أنزل عليهم
 لباسا من الحرير والقطن والكتان وقال ان ذلك من آيات الله لهم يذكرون . نعم انه من آيات الله
 ألا ترى أن شعر القطن وجب الشعر كلاهما مكون من مواد واحدة . ولما اختلف التركيب اختلفت الصور
 فالبوتاس في الشعر ٢١ في المائة قريبا وفي القطن ٥ في المائة قريبا والصودا ٤ في المائة في الشعر و٤
 في المائة في القطن إلا قليلا والجبر ٢ في الشعر و١٥ في القطن والمغنيسيا ٩ في الشعر و١٥ قليلا في القطن
 وحض الصفصوريك ٣٤ الا قليلا في الشعر و٨ في القطن وحض الكبريتيك ٢ في الشعر و٨ الا قليلا في
 القطن والسلكا ٢٨ الا قليلا في الشعر ٦ في القطن والكالكور أقل من واحد في المائة في الشعر ٦
 في القطن وأوكسيد الحديد نحو ثمن الواحد في المائة في الشعر وهو معدوم في القطن . هذا صنف واحد مما
 نلبسه وهو القطن قد وازناه بالشعر وكلاهما يزرعان في حقولنا

﴿ عجائب الجنود الأرضية النباتية ﴾

فذهب كيف كان نبات القطن ونبات الشعر قد أعطى كل منهما فتحات صغيرة في الجنود وهذه
 الفتحات قدرت بقدر بحيث لا يدخل في فتحات جنود القطن ما لا يصلح لللبس ولا في فتحات جنود الشعر
 ما لا يصلح للأكل . هل يعلم الناس ذلك وهل يعلم الناس أن فتحات جنود الشعر لاتصلح لادخال شيء من
 مادة الجبر إلا نحو سبع مائة دخله فتحات جنود القطن ولو أن جنود الشعر أخطأت فتحاتها فأدخلت من الجبر
 فوق سبع مائة أدخلت جنود القطن لم يكن الحب شعيرا بل كان شيئا فاسدا . فيا ليت شعري ما هذا الحساب .
 ما هذا النظام . أيها المسلمون هل كانت جنود القطن علامة دراية فوزت البوتاس بحيث كان ما أدخلت في
 جرم شجرة القطن يبلغ محور ربع ما أدخلته جنود الشعر . عجب لهذا النظام . أيها المسلمون هذا هو دينكم هذا
 هو الذي عندهم في القرآن . يقول الله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - فهذا هو
 اللباس . وكيف ينادي الله بني آدم ويقول قد أنزلنا عليكم لباسا وهو لا يناديهم إلا في الأمور العظيمة . لماذا
 ناداهم . ناداهم ليقول لهم - ذلك من آيات الله - ولقد عرفت في هذا المقام كيف كان من آيات الله بالعلوم
 الكسبية التي تقدم ذكرها

(إضاح قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - أيضا)

(ذكرى أيام الشلب وطلب العلم)

أذكر في هذا المقام ما كنت أفكر فيه أيام الشباب في نحو سنة ١٣٥٠ هجرية ذلك اني كنت نلت في الأزهر قطا من العلم وهو النحو والفقه وشئ من التوحيد . ومعلم أن العادة جرت أن الصبي يحفظ القرآن صغيرا ملاعقل ولا يفكر ولا يفهم فيها فإذا كانت هذه حاله في تلك الأيام . أيام أن دخل الانجليز مصر انقطعت عن الأزهر ردها من الزمن وهو ثلاث سنين كنت في خلالها ألقى متاعب ومرضا ومشاق وفي الوقت نفسه كنت أقوم بأمر الأسرة وهناك تجلت لي هذه الحياة بظهر لا يتسنى لي وصفه الآن وقد وصفته في كتابي للمسعى (التاج المرمع) وهو منتشر بالربية واللغة الأوردية بالهند واللغة القازانية بالروسيا ولكن الذي يهمني الآن ما يناسب هذه الآيات فأقول . لقد كنت أصوم بعض الأيام وأصلي بالليل وأفكر في أكثر الأحوال في هذا الوجود وفي صانع العالم وما الدليل عليه وهل العالم منظم وإذا كان منظما وعرفت ذلك نلت كل مطلوب من حياتي . فليفكر الله في موقفي لأعلم عنتي ولا علماء حولي ولا كتب تهديني ولا مدارس ترشدني ولا أعرف إلا علم التوحيد وعلم التوحيد بصورته في البلاد الاسلامية مبعد عن الحقائق إلا قليلا أخذ ورد والقرآن في ناحية والناس في ناحية وكنت أقول هل القرآن يترك نظام هذه الدنيا وهل ديننا قاصر على هذه المشاغبات في علم التوحيد وكيف يكون دين القطرة فصمت أن أقرأ القرآن بتعقل في الصلاة لأنني كنت أرددها البيت وصلاة الليل مساقها • فاذهب فيها بالفهم وحى

وكثيرا ما كنت أصلي ليلا وأتممت قراءة في صلاة الليالي أشهر لا أتذكر عددها الآن وهاتذا وصلت الى ما أريد الآن وذلك أتى ليلة كنت أقرأ في الصلاة هذه الآيات - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا - وكنت كثيرا ما أكرر الآية عشرات المرات في نفس الصلاة مستحضرا المعنى فأعجبني معنى هذه الآية وأدهشني كيف يوافق ما أراه في حقولنا . نحن نزرع القنرة والقطن بجانبه القطن للاباس والقنرة والقمح للآكل كل . عجبا ذرة تؤكل وقطن يلبس كانت هذه الآراء تهيج في نفسي وأقول ان في هذا القطن وفي هذه القنرة التي في حقولنا بمصر لسرا يدعشني أن ألبس من قطن الحقل وأكل منه . وكيف يكون هذا الطين يخرج لنا غذاء ولباسا . أهذا الطين يتحول لملبسا ويتحول غذاء بهضم وهكذا كانت هذه المعاني لا تفرقني من وجهين . وجه الغاية منهما وهي ملابسنا وما كنا . ووجه التركيب في الخلقة أي اني أقول كيف اتفق أن الأرض صالحة لأن يتحول طينها الى قطن وكتان الخ فلبس على الأجسام والى طعام وغذاء ثم كيف ظهر أن هذا التحول لللبس وللغذاء مناسبا لحياتنا فأنا في دهش من هذا الوجود ثم أعود فأقرأ الآية في الصلاة فرحانتهما كثير التعجب كثير الحسرة على جهالي والحزن على نفسي للمسكينة التي لا تعبد لها معلما يرعدها ولا هاديا يهديها فبريها كيف ترك هذان النباتان وما الأجزاء الداخلة فيهما . وهكذا تمر الشهور تلو الشهور وأنا على هذه الحال وكنت لا أجد محيما من هذا إلا التصريح لموجد هذا الكون ليلا ينهرا أن يرجعني الى الجامع الأزهر فأجاب السماء ووصلت لطلب العلم مدة كافية ثم دخلت (دار العلوم) فدهشت أيضا إذ وجدت العلوم الطبيعية والمسلكية هي التي كنت أبحث عنها وأنا أصلي حتى ضج اخواني الطلبة من فكري وتوجهوا الى أستاذنا المرحوم الشيخ حسن الطويل وقالوا ان (طنطاري) متبوس في هذه العلوم التي أتى بها النصارى وهي كلام لا طائل نحته فأجابه قائلا (دعوه يبحث عن ربه في سمواته وأرضه دعوه دعوه) فكنت إذذاك أرى أن ما طلبته في الحقول وفي الصلاة هو عين ما يدرس في المدارس في علم الإنسان كله

أفليس هذا الذي ذكرته لك أيها الذكرى بوجب على أن أوضح لساكنين أن القرون الماضية في الأم الاسلامية كانت في نوم عميق وأن الدين الاسلامي هو أمثال ما في هذا التفسير . أليس مما يؤلني ويوجب

الحسرة والأسى أن أرى أهما تنبهما أم يتلاحقون ويحبون ويموتون وهم يقرؤون وأكثروهم لا يفقهون .
 هاهي ذه حقيقة الاسلام . حقيقة الاسلام مجاهد في نحو هذا التفسير . ذكرت لك أن فطرة الاسلام هي
 مثل ما اتفق لي فهل من المقول أن يكون هذا دين أضف الأمم قوة . اللهم اني أبرأ اليك من الكتمان وأعلم
 أني محاسب على كتمان هذه الحقائق بل فوق كل ذلك من اطلع على هذا التفسير وشاركني في هذه الحقائق
 فهو مدبر ومعاقب ومغضب في الدنيا والآخرة ان لم يفعل ما فعلته أنا من بث الفكرة بين أمتي على قدر إمكانه
 وليعلم أن الله سميعه وفوق ذلك يرى اكراما واجلالا واحتراما وعظما وحبا وودا

أنا مسؤول عن نشر هذه الآراء وأنت أيها الذي المشارك لي فيها مسؤول . كيف يكون دين الاسلام العلوم
 التي ربما ارتقت أوروبا وأمريكا والمسلمون لا يصلحون . على وعليك أن نعمم الفكرة بين الأمم التي لعبش فيها
 وهذا التفسير اليوم يقرأ بين يدي المسلمين في أقطار الاسلام فاذا ذكرت قومك بما قرأته فيه فلتعلم أن
 اخوانك في الأقطار الأخرى يذكرون قومهم بما يقرؤون فيه أيضا . واعلم أن هذه الفكرة ستم سريعا وسيتم
 ما أنبأ بك عنه وسيكون في الاسلام جبل وأجبال خبر ما أقلت الأرض . فن هذا للنبي فاسق للمسلمين وعلى
 هذا للمبغ فليجده المجنون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . انتهى

بهذا فليفسر القرآن . وبهذا وأمثاله فليرقق المسلمون . ثم قصة آدم على كثير من المسلمين وغيرهم في
 مشارق الأرض ومغاربها ولكن القرآن يقول فقولوا اتخبطوا أيها الناس ادسوا نياي الظنوه . ألم
 أقل لكم في أول السورة - والوزن يومئذ الحق - أنا واحد ووزني واحد في الدنيا والآخرة كما قلت - وإن
 هذا صراطي مستقيما فاتبعوه - فزنا ذرات اللباس وذرات الماء كل النباتية ونهجبوا من صنعتي حتى
 تحبوني وتمنوا العروق في فلان فتروا بالأرض ومن عليها . ولما كان مقام اللبس ربما يصعب عليكم ذكرت
 مباحث بعد كلام الأرض والنبات والبلد الطيب والبلد الخبيث واختلاف النبات تبيا لما ذكر من اللباس
 النباتية في القصة الآدمية - والله هو الولي الجديد - . وهنا نذكر القرعين لهذه الطليقة

(القرع الأول إضاح - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا الخ -)

(تفصيل معنى (عليكم) في قوله تعالى - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يورى سواكم الخ -)

قوله تعالى - عليكم - يفيد تخصيصه ببني آدم وهنا ينظر في صفتين وهما

(الصف الأول) - أسد . ثور . طير (الصف الثاني) - الانسان

هذان الصفان تراهما في الأرض وفي الجوّ ها أنت ذا ترى الطير له ريش يقيه غوائل (القيظ والزمهرير)
 وترى الأسد والثور وكل منهما قد كفاه ماله من جلد وما عليه من أشعار . كفاهما الله وكفى غيرهما من
 دواب الأرض حتى الحيات في أجحارها والسماك في الماء والخشرات في الغلال . كل هذه كفاهها ما خلق لها
 من فلول على السمكات ووقايات مختلفات . أما الصف الثاني فهو أمر عجيب أقول أمر عجيب لأنني نظرت
 وما أعجب ما نظرت . هذا الانسان خلق عارى الجسم رقيق البشرة قلّ شعر جسمه فإذا صنع الله له . منع
 له نظاما آخر واليك موالده (١) أنزله في الأرض لحما (٢) وجعل قوة الكهرباء (٣) وبذر القطن
 (٤) وجعله واقفا على رجلين (٥) وله يدان تعملان (٦) وله عقل يفكر (٧) فرفأ أن القطن
 والكتان والأوبار والأشعار والأصواف وقاية له (٨) زرع القطن (٩) جعل الله القطن قوة بها ينت مرة
 أخرى (١٠) استعمل الكهرباء والمحم في إدارة الآلات لسقيه (١١) وهكذا حلجه (١٢) ونقله بالتجارة
 (١٣) وغزله (١٤) ونسجه (١٥) وخاطه (١٦) وإليه . هذه ملابس الانسان من نيسل وقطن
 وغيرهما وكذا الحرير تعاون عليها الماء والأرض والحيوان والكهرباء والنعم . فانظر للإنسان عارى البدن
 ورقيق البشرة كيف اضطر الى جمع هذه الأهمال ووجد كل ما يحتاج اليه فلبس بعد كل هذا لينال ما ناله الأسد

والثور والطيور . فانظر لحكمة مدهشة وآية عجيبة حيوان ضعيف جعل له ما يهرده في نفسه بالفعل وفي الآفاق فانا نجدها تساعده وهذا هو اوضح قوله في أول السورة - ولقد علمنا لكم فيها مباحش قليلا ما - بكون - . وانما قل - تشكرنا لأننا كثيرا مانذهل عن هذا الجلال الباهر والنظام المحكم . إن هذه آيات بحروف كبدية ليقال كيف كان هذا النظام ساعدا ولم رأينا الوجود كاملا في خلقه تاما في نظامه . ما أجهل هذا الانسان بزرع المصري والأميركي القطن وأكثرهم لا يعقلون إلا ربحه في الثمن أو خسارته ويحومها أما كون هذا النوع من الحكمة عجيب وغريب وكيف اختص الانسان بالعقل وجعلت أعضائه الحركة ملائمة للزرع وللفلز وللنسيج وواقته العوالم الخارجة كلها وساعده على أعماله وكيف منع هذا العقل وهذه الأعضاء المطاوعة للعمل عن الثور والأسد والطيور . وكيف رأينا نظاما عحكما في كل ما شاهد من هذا الوجود فان الناس جميعا لا يفكرون فيه إلا قليلا من حكاياهم . هم الذين تراهم دلي أرائك الحكمة مشككين . هؤلاء هم الذين يقرؤون هذا الوجود بلا حروف ولا كتاب فيرونه ناطقا نطقا نطقا أصح من اللسان قائلا تضافرت الأدلة وتكاثرت بل أصبحت أشبه بالشمس المشرقة بخلت وجهه الأرض ولوتها بلوتها الذهبي بحيث أصبحت البساتين في ضوئها الالامع أشبه بأعين الخفافيش تهرها الأضواء الالامعة ولا تبجل لها النور إلا في دجنات الليال وظلمات الآفاق . ان هذا المرس وحده أي درس للملابس بل درس الحكمة (كم) وحدها أي تخصيص للملابس بالانسان في الآية وفي الطبيعة يعطى علما جاء وهو الذي عبرنا عنه بالنور الشمسي ان الناس يعرفون وجود أنفس الحيوان والانسان بما ظهر لهم من الحسن ومن الحركات فإذا قد هذان من الهى حكمتا بأنه ليس فيه نفس . اننا لم نر نفسا قط وانما حكمتا على النفوس التي في أجسامنا وأجسام حيواننا بما نراها فإذا كانت أنفسنا وأنفس حيواننا ما عرفناها بأبصارنا وانما عرفناها بقولنا مستدلين بما نراها وإذا كان هذا حكمتا على وجودنا فهكذا حكمتا بوجود مدبر حكيم لهذا العالم وإذا كان حكمتا على وجود زيد ودابة زيد والطيور وكرة والأسد في عريته بما ظهر من آثار أرواحهم حكما لا يشوبه شك فكيف يكون حكمتا على هذا الحيوان الكبير الذي نعيش فيه وهو المجموعة الشمسية التي رأيناها مرسومة مصورة مفهومة في (سورة الأنعام) هذه المجموعة التي نحن وأرضنا جزء منها فيها آلاف وآلاف من الحكم التي رأيناها في القطن والكتان واختصاصهما بالانسان . فكل هذه ناطقات شهادات بحكمة فطمت وقدرة بها أبرزت هذه الجانبات . ان الشواهد الناطقة بالحكمة العاتقة والتدبير المحكم لاعدادها وأي نسبة بين حيوان عرفته بما نراه جسمه وبين منظم الكون الذي رأينا له آمازا لاتنتهي ونما لانحصى

سهل على عقل الانسان أن يفهم وجود زيد وحيوانه لأنه مغير فهم الصغير ولكنه قد يصير عليه فهم خالق العالم لأنه عظيم ودلالته لانهاية لها بهرت بصيرته فصار يبحث عن هذا الخالق في ظلمات البراهين والمناقشات والكتب أن جميع ما نقلت به الأدلة للمنطقية والعالم الوضعية المكتوبة بالحروف الفظية أشبه بظلمات الليالي والناس فيها خفافيش فأما الدلائل التي عرفتها هنا فهي أشبه بالثآليل فغابت عن العقلاء فتأهوا في البدياء . هذا ماورق في نفسي عند طبع هذه السورة أثبتة ليكون تبصرة لأولي الألباب . إن هذا هو الحب والشوق والعشق والفرام والقيام . هذا هو اللقام الذي فيه تذوب القلوب حبا وهياما . وهذا هو اللقام الذي يقال فيه ان طلبنا أن نرى نفس الصانع لا مجرد الصفة وهما يضمحل جمال الجنات وتختفي أنواع اللذات إلا لذة النظر الى الذات الواجب الوجود وهذا مقام الحكماء والأولياء . قال الشاعر

إذا اشتبكت دموع في خدود • تبين من بكى عن نياك

وكل يذمى وصلا ليلي • وليسى لا تهر لهم بذكا

وهذا هو الفرع الأول من فرعي هذه الطيفة الرابعة في اوضح قوله تعالى - وكلووا واشربوا ولا تسرفوا

(الفرع الثاني من اللطيفة الرابعة)

(زيادة اصباح لما مضى في قوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فإنه لا يحب المسرفين -)

لقد تقدم الكلام على جسم الانسان ونشرحه صرارا في هذا التفسير لاسيما في سورة (آل عمران) ولكن لابد لنا من جملة وجيزة توضح بحمل هذا البدن ثم تتبعها بجملة أخرى في أطعمته اجمالا وفيما يضر منها زيادة الفائدة فأقول

ان البدن الانساني كله قوامه الهيكل العظمي وأهمه العمود الفقري الذي ينتهي بالججمة الكاسية الخ الذي تنفتح فيه أعصاب الحس وأعصاب الحركة وفي هذا العمود الفقري تفرس الأضلاع المنحنية المكوّنة لما يشبه صندوقا يحتوى على القلب والرئتين وتحت هذا الصندوق البطن وفيه المعدة والأمعاء والكبد والكليتان . ثم ان هذا الهيكل يمتد منه الرجلان من أسفل واليدين من أعلى فيالرجلين اسى جلب الطعام وباليدن تناولوه وضعه في الفم وتناولوه الأسنان بأنواعها وتطحنه كما تفعل الطواحين التي صنعها الانسان ليصلح أن يدخل في المرئ للوصول الى المعدة فيستقر هناك زمانا ويهضم حتى يصلح أن يكون دما

ولما كانت الآلة البخارية الطاحنة مثلا لابد لها من وقود هكذا كانت أجسامنا فهذه الآلة الجسمية يجب أن يقيم لها الوقود وما هو اذن هو الطعام . ان الجسم ليس موقدا توقد فيه النار حقا ولكن فيه الطعام الذي يدفئنا بلادخان ولانار وينقلب دما يجري في شراييننا فينتشر من القلب الى ججمة الرأس وإلى نهاية أصابع اليدين والرجلين . وما القلب إلا كالمضخة الماصة الكاسية فهو يجذب الدم اليه ثم هو يدفعه دائما ولن يدوم القلب في حركته التي لا تفيض إلا بها الا اذا استوفينا شروطا لابد منها لتلك اليوم فضلا عن الطعام كالهواء النقي والصفاء والرياضة البدنية . اذا تم هذا كله فان الفضلات لابد من اخراجها وهي تخرج بالجلد والكليتين والرئتين والأمعاء فبالجلد يخرج العرق وبالكليتين يخرج البول وبالرئتين يخرج الكربون أي المادة الفحمية وبالأمعاء يخرج الفضلة الغليظة . ومعلوم أن الكليتين يأخذن الماء منهما الحالبان وهما يوصلانه الى أحد السيليين . اذا عرفت هذا وقت بما يوجب صحة بدنك وضفت الطعام جيدا ولم ترف ذلك أي ضرر فانك تكون في صحة جيدة ولكن لا يتم ذلك الا بخمسة أمور وهذا بيها

- (١) أن تكون مسرورا بما حولك وبمملك
- (٢) وأن تكون آراؤك وأمالك موزونة لامعتربة
- (٣) وأن تكون قانعا بما لديك من أمور هذه الدنيا
- (٤) وأن تكون صابرا عند الملل والحواشي للزجة
- (٥) وأن تجعل لك في وقت فراغك عملا مقبولا لأنك اذا تركت نفسك لحظة تنازعها الأهواء ضلت فأخزتك فغمت الصحة

اعلم أيها الذي أن الفقير ليعينه الصحة على جلب القوت وإذا فقد الصحة الفنى والفقير فقد فقد السعادة والسرور . فالصحة شرط للسعادة متى صح جسمك تقف نفسك وتقف غيرك وكنت سعيدا فأياك أن تأكل فوق الشبع مثلا أو تمرض نفسك للبرد أو تأكل ما يضرّك بل عليك بالنظام الذي يشير به الأطباء ان الدم الجارى في الأوعية الدموية يعوض ما تفقده كما تقدم فنه يكون العظم والشحم واللحم والظفر والشعر والعين والأذن وما شاكل ذلك فاذا اختلفت الأعضاء وجب أن يختلف الغذاء والخبز عماد الحياة وقوامها فانه يحتمل على مادة اللحم والمادة التي تحدث في الجسم حرارة ومن الأغذية الفاخرة والخضر واللبان والبيض . ثم ان الملح في الطعام وبعض المعادن الأخرى التي تدخل في الأطعمة كلها يتكون منها العظم

فكان هذا النوع الانساني اذ يميل الى الملح في خبزه وفيما يطبخه من الخضر واللحم يعمل لتكوين عظمه وهو لا يعلم لماذا دام هذا الاصطلاح في الناس . واعلم أن الناس لما اتفقوا على أن يطبخوا ويخبزوا ويخلوا الطعام لم يكن ذلك عبثاً فهذا فضلاً عن جعله الطعام مقبولا في ذوقنا يجعله أقرب الى الهضم وأسرع ذلاً في الأوعية الدموية

(مناقضات الصحة وموجبات الطل والأسقام)

(١) الطباقي وتسميه القرنجية (توباكو) سموه باسم جزيرة (توباجو) إحدى جزائر (انثيل) بأمریکا قد اعتاد الناس تدخينه وحرم جميع الأطباء استعماله وقد شرحنا هذا المقام في سورة (البقرة) عند آية الخمر بإيضاح تام وكذلك شرحنا مسألة الطعام عند قوله تعالى - أنشدبلون الذي هو أدنى بالذي هو خير الخ - فقد أضنا في هذا المقام هناك وبيننا أن أكثر ما اصطاح عليه الناس أنه حسن هو ضار بهم كالسكر الصناعي المعروف فقد أشار الأطباء بالاكثر من الفواكه بدله لأنه ضار وقد علمت بهذا ووجدته حقا . وهكذا مما لانعيده هنا واتما نريد أن نخرج مسألة الطباقي (الدخان) شرحا أوسع لم نذكره هناك . واليك مواد أضراره بالصحة العمومية وهما هي

ان أكثره (١) يفسد الريق (٢) ويضر حاسة الذوق والشم والبصر (٣) ويضعف المعدة (٤) ويقلل شهوة الطعام (٥) ويهيج الأنسجة الهوائية في الرئة (٦) ويورث الخفقان في القلب (٧) ويضعف الأعصاب (٨) ويجعل في المخ ارتجافا وتخديرا (٩) ويجعل الذاكرة ضعيفة (١٠) ويضعف القوة للمفكرة (١١) وقوة الإرادة (١٢) وربما يحدث الجنون (١٣) وتارة يحدث الرمد في العينين (١٤) وفي المجموع العصبي يجعل فتورا (١٥) ويبقي الجسم عن النمو . وقد حاله الأطباء كياديا فوجدوا أنه يحتوي على مادة سامة اذا وضع منها خمس قط في فم كلب مات في الحال أو عشر قط في فم جل كفت لقتله . وهاك حكاية

أكثر طبيب من النصح لرجل كان يدمن تعاطي التدخين فلم يزد المرض الا غراما به فبينما هو سائر ذات يوم اذ رآه الطبيب يسلم وهو لا يستطيع المشي ولا أي عمل الا يبط . وقد أصبح يحمل العصا لتعينه فقال الطبيب له لقد صدق من قال (الذي يفرط في استعمال (الطباقي) لا يسرق متاعه اص) ولا يعضه كلب ولا يبيض له شعر) فلما استفهم المريض عن سبب ذلك قال الطبيب لأنه يسلم الليل كله لمرضه فيظنه الناس مستيقظا فلا يسرق منزله وعصاه التي يتوكأ عليها تخرسه من الكلاب وهو يموت في ريعان شبابه فكيف يبيض شعره وقد ضمه القبر فاعتبر المريض وتحمل فراق (الطباقي) وعاش قرير العين اه

(ويلحق بالدخان الأفيون)

هو عصير الخشخاش يعصر منه قبل تمام شجره فاذا يبس تراه أسود اللون من الطعام وهو خطر شديد يورث اخلاخ العقل فيهدى الانسان ولا يعقل ما يقول . ومتى ملكت هذه العادة الانسان أصبح في عبودية لها لاطلاق ومثل ذلك أيضا ما يسمى

(الخشيش)

وهو مخدر مزعج شديد الفتك بالأبدان والعقول . وهو من نبات ينبت في البلاد الحارة . وتستهمله الطبقات المنحطة في بعض البلاد كبلادنا المصرية والحكومة ترافيه مراقبة شديدة وتعاقب من يتعاطاه بالحبس وهو سم مهلك لمن استعمله إلا من تاب . وأنا أسأل الله أن يجعل ما أكتبه الآن مثالا ينسج على منواله المسجون وينشرون مضار هذه السموم بينهم حتى يخرجوا من عداد المذكورين في قوله تعالى - إنه لا يحب المسرفين - فهذا كله من الاسراف للمذكور في الآية وأن هذا البيان الذي ذكرته تشمله الآية وتشمل غيره فالسلم الذي يتعاطى الدخان أو القهوة أو غيرها مما هو أشد فتكا كالشاي والتبغ والخشيش والأفيون . أو أقل

فنكامل الكاكو وغيره معدود من المسرفين ويقول الله تعالى - إنه لا يحب للمسرفين - ولما قلّ حب الله لنا بسبب تعاطي هذه المنار ساطع علينا الأثم فهو لا يحب أكثرنا لجهلنا بأصيرين القرآن وعجائب صنعه لأنهما متفقان إذ كلامه يوافق عمله والحمد لله رب العالمين

(الطيفة الخامسة قوله تعالى - كما بدأكم تهودون - وقوله تعالى - قال ادخلوا في أُمّ قد خلت الخ -) قوله تعالى - كما بدأكم تهودون - اعلم أن الناس إذا ماتوا فقد درجوا على طباع ألقوها وأخلاق سلكوها وعوائد عرفوها وأحوال اقترفوها • وكل فريق مغرم بما جبيل عليه محب لما خلق فيه من صلاح وصلاح وكمال ونقص وفضل وجهل كل يعمل على شاكلته فإذا ماتوا رجع كل إلى مشربه وحق إلى مآله وفرح بما عنده • وروى عن ابن عباس أن الله عز وجل بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا • قال - هو الذي خلقكم فكم كافر ومنكم • ومن - ثم يبيدكم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا • وروى جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يبعث كل عبد على مامات عليه (أخرجه مسلم) • وزاد البغوى في روايته للمؤمن على إيمانه والكافر على كفره • وهذا هو الذى ورد في علم الأرواح في الوقت الحاضر فاتهم أثبتوا أن روح الانسان تبقى فيها أخلاقها وآدابها وأعمالها وذلك كله تام غير متقوص • ويعنى أن أنقل اليك أيها التقي ماسطرته في كتاب الأرواح لتعجب من مطابقة الكلام النبوى والقرآن لما هو العصر الحاضر وهذا فيه

(مطابقات للشرعية الإسلامية الفراء)

ثم قلت أليس هذا (ياشير محمد) من الحجب الحجاب وأوليس حديث ديكنس السابق هذا يوجه الى قوله عز وجل - ولوترى إذ وقعوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين • بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولورثوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - وقوله - وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة - وقوله - اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - فقال (شير محمد) أما حديث ديكنس فهو عجيب ان صح بل هو أعجب ماسمعنا وأما هذه الآيات فلا أدري ما موقعها وأنى علاقة لمرض جهنم على الكفار يوم القيامة وعلى الله وقراءة الانسان كتابه لما في حكاية ديكنس من نخط الانشاء وخطا الاملاء • فقلت اعلم (ياشير محمد) ان هذه الآيات فيها دلالة واضحة أن كل عمل نعمله واعتدناه يصبح فينا سجة وغريزة ثابتة فلا يترعه منا الموت وأن ديكنس لم يقطع الموت منه خطأ الاملاء وأبقى عنده حسن الانشاء • ولا جرم أن كل ذنوبه وأعماله من الخير والشر بقيت في نفسه يحاسب عليها ويعاقب وهذا قوله تعالى - ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - لأن الغريزة لا تقاوم كما لم يمكن اصلاح الاملاء بعد الموت عند ديكنس وهكذا كل ذرة من الخير والشر حاضرة عندنا باقية في نفوسنا هي هكذا لم تتغير فلا ينادى الله صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وكفى بنفسنا حسبيبا علينا • وإذا قلنا ارجعنا نعمل صالحا غير الذى كننا نعمل أجابنا - أولم نمركم ما يتد كرفيه • من تذكر وجهكم النذير فذوقوا عذاب اللظائم من نصير - ويقول لورد دتك لم نهدم لما نهيتكم عنه وأنتم تكذبون كما كنتم تكذبون في الدنيا بنقض عهدي بعد مرض يصيبكم أوفاءة تقابكم أو نزله بتحقيقكم فلاعهد لكم عندي ياشير محمد اننا غافلون عن نفوسنا في هذه الدنيا ولقد أفلح المؤمنون الذين هم في آيات ربهم يتفكرون ولاذكرك بالحدث الصحيح الشريف (يعنى العبد على مامات عليه) وقال الشيخ محمد الزرقاني

وتحشر أطفال وسقط كتل ما • يكونون عند الموت ثم تكمل وقال في شرحه للظلم هل يحشر الطفل والسقط بصفته وقت الموت أم لا جوابه قال الحافظ ابن حجر كل واحد من أهل الموقف يكون على مامات عليه

أقول ألت ترى (ياشير محمد) أن كلام النبوة صريح في أن الانسان حافظ لأخلاقه وآدابه حتى يحشر

عليها . أليس هذا يصنع ما في حكاية ديكنس وأنه قد حفظ أخلاقه في أسلوب الانشاء - خطأ الاملاء . وهكذا يقاس عليها سائر أخلاقه التي يحشر عليها الآن هذه الأخلاق الثابتة فينا بعد الموت أدخل نافذ وأكبر شاهد كنت فينا فأظهرها الله . ألا وإن العادات المفروسات فينا بال تكرار لن نزل بل نبقى خزايا علينا دعارا وفضيحة يقرؤها الناس في محافل أرواحنا ويكون عذاب الخزي . فليقلع المرء عن عاداته وليوطد النفس على منبذة الطوى ومحاربة العادات القديمة فانها برسوخها فينا تشهد علينا

أوليس الخطأ في املاء ديكنس شهد عليه بذات . أليس ذلك صدقا لقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون • اليوم نحتم على أفواههم ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون - وقوله - حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون • وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم - معكم ولا بصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون - اه
(اللطيفة السادسة قوله تعالى - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء الخ -)

اعلم أن هذا المقام قد استوفيناه في سورة (آل عمران) بما لازم يد عليه فالمدار في هذا الوجود على الاستعداد فالنفوس الطيبة التي لا تعرف إلا المادة ولا تقدس إلا الأجسام ولا قدرة لها ولا ميل إلى صفاء النفوس وتهذيبها ورقيتها لا تقدر على العروج إلى الدرجات العالية والسموات الصافية بل تبقى في عوالم منحلة على مقدار طاقاتها كما مثلنا لذلك صرارا بأحوالنا الدنيوية فليس منا أحد يقدر أن يطير إلى الجوّ ولا أن يعيش في البحر بل حكم علينا أن نبقى على وجه الأرض ومن لم يتعلم الهندسة لا يتدر أن يجارى المهندسين ومن جهل البناء لا يוכל له بناء البيوت هكذا في الآخرة يجحد الإنسان في نفسه مانعا يمنعه من الصعود إلى المقامات الرفيعة متى كان ليس أهلا لها كما يمنع في الحال الجسمية من الطيران في الهواء مع أن الهواء مباح مبسول للجميع وليس المانع هو الهواء ولا خلق الهواء ولكن المانع استعداد الإنسان ومثل ذلك يقال في قول أهل الجنة إلى أهل النار ما قالوا لهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - قالوا إن الله حرّمها على الكافرين - وليس ذلك التحريم إلا استعداد نفوسهم وضعتها عن تلك المنازل الرفيعة إذ يجحدون روحا ويربحان ويشرّبون ويأكلون

(اللطيفة السابعة قوله تعالى - لا تكلف نفسا إلا وسعها -)

لقد تقدّم الكلام عليها في (سورة البقرة) فراجعها هناك فقد شرحتها شرحا وافيا يشمل العلوم الواجبة على الأمة الإسلامية وعلى نظام التدريس فيها

(اللطيفة الثامنة قوله تعالى - وزعنا ما في صدورهم من غل -)

في البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يخاف المؤمن من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصن لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وتوا أذن الله لهم في دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا اه فتأمل هذا الحديث فانه موافق للقرآن والحقائق العلمية فذكر الاقتصار وكيف يأخذ كل حقه وهذا موافق لقوله تعالى - والوزن يومئذ حق - وانظر كيف يقول انهم يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار الخ ويقول حتى اذا هذبوا وتوا أذن الله لهم في دخول الجنة . فاعلم أيها الذكى أن هناك من الأمور الخفية وراء هذه الألفاظ ما لا تعلمه الآن فالجنة لن يدخلها إلا من تأهل لها بالعمل كما تأهل الطير باستعداد جسمه إلى الارتفاع في الجوّ . هذا هو الحقيقة فاذن نزع الغل والحقد لا بد منه قبل دخول الجنة وما دام الحقد باقيا والعداوات متراكمة فلاجنة ولا نعيم . وكيف يتعم الإنسان والعداوة كامة في صدره وأهل الأرض معذبون

بالعداوات في الدنيا فمن مات على ذلك بقي معدنبا به فسكيف يفرح بالجمال المحيط به وقلبه بالعداوة مشغول وكشف هذا المعنى في علم الأرواح بأوروبا فقد جاء في كتاب الأرواح في ترجمة كتاب (برايفت) داودينج قال . ألا وإن جهنم دار خداع وضلال . ألا وإن من أنس بالحواس وصدق أنه لا وجود إلا ماصورته ولا حياة إلا مانسجته فآغتر بفرورها واستضاء بنورها وفرح بجملها فذلك مضدوع يوم يلقى حتفه . ومن ذا يقرر أن يرجعه عن غيه وهو يقول ياليتني أردت فأقاتل الأعداء وأوأسى الأصدقاء وأقضى الوطر واستلذ بما تسعد به الحواس من اللطاعم والمنشرب والمآرب . هنالك تنور فيه نائرة الحزن والأسى على مفاته وتحيط به خطباته من الحسد والغش والعداوة والبغضاء والطمع والكبرياء وحب الدفات والحقد وصغر الهمة . بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . وهناك مطهرة أنا الآن فيها يخرج المطهرون فيها الى العلا وقليل من الناس يأبونها . ألا وإن الناس فريقان . فريق عرف أن هناك حياة روحية فعمل لها وآخر عكف على لرضاء أهوائه وسد شهواتها . فالأولون هم الناجون . والآخرون لا يسمعون نصحا . ولا يبدرون ما اعتادوه في الحياة من اللطاعم والشهوات . ولما أن حلت بساحة جهنم قال الرسول لن تقدر أن تخترق تلك الآفاق المظلمة فكنت مكاني وتقدم أخى والملاك حتى وصلا الى ذلك الجندي لينقذاه ولكنه أبى أن يشارك الجحيم لأن الملح خلع قلبه أن يغادر مكانه حتى لا يصيبه ما هو أشد من العذاب فالخوف والجهل أهمياه ولو عرف الحب لكان من الناجين . فانظر كيف ذكر أن هناك مكانا للتطهر الذي عبر عنه بالملطمة بكسر الميم وفتحها . وقال السدي في آية - وزرعنا ماني صدورهم من غل - أن أهل الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوها من احداهما فينزح ماني صدورهم من غل - فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم (الحديث) فتعجب كيف تقول الأرواح ان عصفها ماء تطهر به أتزيل الحقد من القلوب وكيف كان هذا مصداقا للحديث

(اللطيفة التاسعة في أصحاب الأعراف وكيف يعرفون الناس بسيماهم)

لقد عرفت أن أصحاب الأعراف هم أعظم الأمم وهؤلاء يعرفون كلا بسيماهم وفي الحقيقة أن كبار الحكماء والأنبياء والعلماء يعرفون اليوم كلا بسيماهم فمن هم أصحاب النار ومن هم أصحاب الجنة . اعلم أن أصحاب النار وأصحون لنسب البصائر في الحياة الدنيا في الحديث (أنت مع من أحببت) فمن أحب البهاهة والمفاخرة والمكاثرة والمقابلة وأحاديث الباطل والزور والكاذب والظلم فهو في الحياة لا قرار لراحته ولا سعادة لقلبه ولا هناء لميشه ولا صفاء لضميره فهو متقلب في الشقاء . يظن القلق راحة والاضطراب صفاء وهو أبدا قلق معذب كثير الهموم والأحزان . يرضى من السعادة بالرياء . ومن الحياة بالتخيال . ومن الراحة بالتخيال . فهو أبدا في هم مستطير وألم مقيم وعذاب دائم والناس يرونه سعيدا وهو شقي قريبا وهو بعيد . فمن هذه حاله اذا مات لا تفارقه صفاته وتبقى روحه معذبة أبدا حتى تغير حاله بحال أخرى كما قال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم -

فأما أهل الجنة فانك تراهم من الذين هدأت نفوسهم وصفت أرواحهم وهم ساكنون هادئون قد كشفوا الناس شرهم وضأثرهم في راحة وقد اتسموا بالصبر والفضيلة والعفة وعيشهم أشبه بالكفاف . لا كثرة تقطيعهم ولا قلة تقلعهم ولا ظلم يصف بصرهم . فأهل الجنة يعرفون بسيماهم وأهل النار يعرفون بسيماهم . فالنفوس الماثلة للأموم والمعارف أقرب الى الجنة . والنفوس المنهكة في جمع المال وفي الوظائف أقرب الى أهل النار وهناك منازل بين الطاقتين - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - فالنفوس في الدنيا - النفوس في الآخرة وخير النفوس من عملت لمصلحة الجميع وأحبت النوع الانساني وكانت مغرمة بالعلم وريقة الجميع فهذه أقرب الى الجنات وأبعد عن النيران والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ الطليقة العاشرة في قوله تعالى - إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام - ﴾

لقد ذكرت في تفسير الأيام الستة بما يناسب العلم الحديث ولا تظن أن الذى قلته هو للمؤمن وإنما هي صورة من الصور المحتملة فانا نعلم أن هناك المادة الأصلية للكائنات وهي الأثير ثم كانت شمس وأرضون ومعدن ونبات وحيوان وإنسان فهذه ستة أعمال في ستة أزمان . ويقال أن أول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقر ثم مد الأرض وبسطها من التربة التي خلقها أولاً ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه أهبط الى الأرض فتكامل جميع الخلق في ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة وهذا قول أكثر العلماء

أفلمست ترى أن هذا الحديث أقرب الى ما كشف في العلم الحديث وذكرته في (سورة الأنعام) في أولها أفلا ترى أن قوله خلق السماء من درة بيضاء أقرب الى خلق جميع الشمس من الأثير الذى لا يرى وقوله ثم خلق التربة إشارة الى انفصال الأرض وجميع الأرضين من الشمس وجميع السيارات التي بردت بعد مدة فاستعدت لمادة التراب والشمس لتزال حارة وقوله ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقر والح إشارة الى نظام الشمس في دراهمها وتنظيمها وقوله ثم مد الأرض وبسطها من التربة إشارة الى ما حدث في الأرض من الطبقات المذكورة فيما تقدم في (الأنعام) من صوانية الى خمبة وهكذا . وقوله خلق جميع ما فيها من جبال إشارة الى علم المعادن الذى في الجبال الذى هو مقدم على النبات الذى أشبهه هنا بالشجر وهو مقدم على الحيوان وهي الدواب المذكورة هنا . ثم في آخر الأمر خلق آدم . فهذا الحديث على وجه التقريب أقرب الى الكشف الحديث - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

﴿ بهجة العلم والحكمة والنظام والسلام العالم في قوله تعالى - وهو الذى يرسل الرياح بشرا الخ - ﴾

سأريك أيها التقي في هذا المقام عجبا عجبا وذلك في نظام المطر والرياح وكيف كانت الكرة الأرضية كلها متصلة متضامنة متحدة والناس يقرؤون وكأنهم لا يقرؤون ويعلمون ولكنهم لا يشعرون أنهم يعلمون أنت تعلم أن الهواء لا يكون رياحاً إلا بسبب ذلك السبب هو الحرارة الشمسية . وآية ذلك أننا نوقد النار في ثورنا في منازلنا فيمضخ الهواء في داخل المنزل ويلطف فيعال الى الجوف ويحل عمله الهواء الذى هو خارج القرية فتدعى الى الحال تيارا يجرى الى داخل المنزل وذلك التيار جاء خاصا بهذه الحادثة . هذه حادثة تمر على الناس في منازلهم وهم لا يعلمون وعلى هذه القاعدة ننظر في الأرض كلها أى في نصف الكرة الشمالى ونصف الكرة الجنوبى فإذا نرى

﴿ نرى هذه المسألة وأمثالها تظهر في قارة آسيا وقارة استراليا ﴾

إذا حل زمان الصيف فإن داخل بلاد آسيا يكون حاراً ترتفع درجة الحرارة تبعاً لشدة حرارة سطح الأرض وهناك تتدافع الرياح من المحيط الى النار كما رأينا تيارا يدخل منازلنا لما ارتفعت الحرارة في التندر نخبز الخبز فهذه الرياح للتدافعة تهب على الهند والهند الصينية والدين وهناك تكون أمطار غزيرة وتقف الجبال في طريق المطر فتصد الأمطار عن الدخول الى أواسط البلاد الجافة . وكما رأيت صيف آسيا هكذا ترى صيف قارة استراليا فإنه أيضاً يكون داخل القارة فيه شديد الحرارة فتهب هناك رياح شمالية غربية تحمل الأمطار وهذه الرياح هي تلك الرياح التي تهب على الهند في ذلك الوقت نفسه الذى هو شتاء هناك

﴿ فصل الشتاء في آسيا وفي استراليا ﴾

ومثل ما رأيت آسيا واستراليا في الصيف هكذا تراهما بعكس ما تقدم في الشتاء . ذلك أن كلا منهما

يكون وسطه شديد البرودة فإذا يكون تتجه الرياح من الداخل إلى أطراف القارة في الجهتين . ومضى هذا أن استراليا في زمن الشتاء وأسيا كل منهما يبرد وسطه حتى يبرد الوسطان كان هناك شتاء مع العلم بأن ماء البحر في أطراف القارتين يملؤه هواء أدفأ مما في وسط القارة وقد قلنا ان الحرارة بها يرتفع الهواء فيصل محله الهواء البارد وعلى ذلك تجرى الرياح من داخلهما إلى خارجهما في شتاء كل منهما . ومعلوم أن شتاء أحدهما هو صيف الآخر فيصف النصف الشمالي من الكرة شتاء الآخر والعكس بالعكس . فتجد الرياح في زمن الشتاء في استراليا متى انجحت من الداخل إلى المحيط تمر من الجنوب للشرق إلى الشمال الغربي وتستمر إلى بلاد الهند التي يكون ذلك الوقت صيفا عندها فتكون هناك رياح موسمية جنوبية غربية . ومثل ذلك الشتاء في بلاد آسيا فان الرياح التي تهب من وسطها إلى خارجها من الشمال للشرق تصير شمالية غربية جنوب خط الاستواء . فاذا رأيت الجهات الموسمية في بلاد آسيا وهي الهند والهند الصينية والصين وكوريا وسهول منشوريا وجزر اليابان . أقول انذا رأيت هذه الجهات تول المطر فيها مديرا في زمن صيفها فزرعوا الارز والشاي والقطن الخ فاعلم أن تلك الريح امتداد للرياح الآتية من وسط بلاد استراليا في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية

(عجب عجاب شتاء في آسيا وصيف في استراليا في زمان واحد)

يكون ابرد في أولهما والحرارة في آخرهما سببا في حدوث الرياح بحيث تهب الرياح من الجهة الشتوية إلى الجهة الصيفية وهكذا بالعكس شتاء في استراليا يدعو الرياح أن تهب منها إلى الجهة التي فيها الشمس فهذه هي الرياح الموسمية المحددة الهبوب فتنه أشهر تهب إلى جهة وستة أشهر لعكس على طول الزمان . تظهر الشمس في جهة فتجلب الرياح إلى جهتها فان كانت في الجنوب فالرياح تتبعها وان كانت في الشمال فستكذلك

(عدل الله في التسم بين الشتاء والصيف والبر والبحر)

يعلم الناس اليوم أن الأرض تدور حول نفسها وتدور حول الشمس فبالأولى يكون الليل والنهار وبالتالي يكون الشتاء والصيف والعجب العجيب هنا . ان الحركة الأولى كما يكون بسببها الليل والنهار ليقوم العدل في الاضاءة والازلاطم هكذا يكون العدل أيضا في الرياح . ان اشراق الشمس على اليابسة يسرع تسخينها أكثر من الماء فيخف الهواء فوقها فيصعد محله نسيم البحر فيهب في البر فاذا جف الليل وأرخى سدوله كانت الأرض أسرع للبرودة من البحر فالتعكست الآية وأخذ نسيم البر يهب على البحر الذي لا يزال جوه أدفأ من البر فهناك عدل ونظام وحكمة فكما يقلب الله الليل والنهار بالاضاءة والازلاطم هكذا يقلب الشتاء من البر إلى البحر ليلا ومن البحر إلى البر نهارا وهذا يسمى نسيم البر والبحر فأما الذي يكون بالنسبة للحركة السفوية فهي الرياح الموسمية التي شرحناها فيما تقدم . فاعجب لنظام محكم مقدّر بالعدل ليلا ونهارا وصيفا وشتاء - ذلك تقدير العزيز العليم - الذي أحسن كل شيء خلقه . اللهم ان صنك لجيب موزون منظم ولعمري ماذا تريد من الوجود إلا أن نقرأه فتراه بهجة الناظرين وجنة المفكرين وحياة الأنبياء والعلماء العالمين اللهم ان جلال وجهك أشرق فلا الأجوا

هذا ويبدأ نرى الرياح تهب تبع حركات الشمس صيفا وشتاء وليلا ونهارا ترى ذلك يتبعه سير السفن للتجارة وسير الرياح لتفريق المطر على اليابسة - إن ربى لطيف لما يشاء - إنه هو العالم الحكيم -

واعلم أنه كما يكون الشتاء والصيف بعيد الشمس وقربها هكذا يكون الخلود في الأمم والنشاط بقرب العلوم وبهدمها . كان أهل انشروق قديما أعلم من أهل أوروبا ثم طاعت على الغربيين شمس المعارف وأصبح الشرقيون في برد شتاء الجهل . ولكن الله يقلب الليل والنهار والرياح الموسمية ونسيم البر والبحر كما رأيت فهاهوذا سبحانه وتعالى أخذ بعكس الآية وهاتين أولاه نرى أهل الشرق قد استيقظوا في مصر وشمال أفريقيا

واليابان والصين والبرك والأفغان لأن الله له نظام مبني على العدل في الضوء والظلام والرياح وهكذا في سياسة الدول ونظام الشرق والغرب . اقرأ هذا المقام في قوله تعالى - قل اللهم مالك الملك الخ - في سورة آل عمران هذا بعض قوله تعالى - وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته - فلولوا الرياح ما كان سحب وما عاش انسان . ولولا حرارة الشمس لم تكن رياح غرارة الشمس بها تحريك الرياح والرياح يحمل السحاب والكرة الأرضية كلها متضامنة متحدة . فيلاد استراليا وبلاد آسيا تغطي كل منها الأخرى في زمانها هواءها تغطي استراليا لآسيا الرياح زمان صيف الثانية وتغطي آسيا لآستراليا زمن صيف الثانية فهناك اتحاد لم يعمل الانسان بعلمه والحيوان عمل على مقدار غريزته فالانسان اليوم قاصر وهو جهول كعار اللهم ان الناس على أرضك غافلون . اللهم اني وجميع المتعلمين في أوروبا والشرق تعلم هذا وتدرس نظامك وتعرف انك جعلت كرتنا الأرضية جميعها ذات نظام . ووجد فرياح آسيا ورياح استراليا تتجه من كل منها الى الأخرى في زمان معين فكل منهما لها نصف السنة وهذا قد رتبته على مقتضى سير الشمس والشمس واحدة أنت جعلت نظامك واحدا ولم تجعل فيه تفاوتاً . ونواك هلمتني وعلت جميع أهل العلم في الأرض هذه المعارف ولم تعلم هذا لأمثال الخمل والنحل والفربان وكلاب البحر تلك الأمم التي تقيش جماعات وجمهوريات ذات نظام جليل تام على حسب طبائعها وغرائزها . هذه الحيوانات لا تعرف النظام العام كما نعرفه نحن وقد قامت بما تعرف من نظام جماعاتها وحاربت جماعات الخمل في قرية جماعات الخمل في قرية أخرى فهي لا تعرف إلا ذلك ولو أنها درست كما درستنا نظامك لكانت تعلم الشرق متحداً مع تلك الغرب . أما الانسان الذي أعطيته هذه العلوم والمعارف فانه جميعه طفل في الشرق والغرب . كل هؤلاء، ساداتهم وفلاسفتهم أقفادهم قاصرات على أنهم يحاربون العامة والجهلاء

(الانسان الأعلى)

فأما الانسان الذي يصل الى مدى الانسانية الحقة فهو ذلك الذي يجعل جميع الناس في الكرة الأرضية متحالين متحدين منظمين الكرة الأرضية على مقتضى نظامك وعدلك فكما أعطت كل من آسيا واستراليا الرياح للأخرى زمن شتائها هكذا يكون الانسان في شمال الكرة وجنوبها وشرقها وغربها كل منهم يعدل مع الآخر كعدل هذه الرياح . أما الانسان الحاضر فهو لانزال طفل لا ور بما عدهناه مرافقاً . والباليل على ذلك انك بينا تراهم منشأ كين تقتخر الدولة بتسخير دولة أخرى في اطعامها ومساعدتها ترى بلاد أمريكا تباغ للممالك المتحدة فيها فوق مائة مليون بعد أن كانوا بممالك مختلفة بهذه المرافقة . فأما بقية الأمم كأممنا الاسلامية وغيرها فانهم لم زالوا جهلاء مختصمين لجهلهم مع ان الله خلقهم ليكونوا خلفاء

(ما الواجب على المسلمين في هذا الزمان)

جاء في هذه الآيات - والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً - ان الأمم الاسلامية ما عاقها عن ظهور السكال فيها وبزوغ الشمس المحمدية والسلام العام فيها إلا انها أمة في هذا العصر جاهلة جهلاء مريبين محزنين فانها ولا يؤهلها للخلافة في الأرض إلا تعمم التعليم فتعمم التعاليم هو الذي يؤهل القلوب أن تقبل النافع القرائية وتكون القلوب هناك مثل الأرض الطيبة تقبل الاصلاح سريعاً فليستعد المسلمون لتعليم جميع الأفراد رجالاً ونساء من الآن لتكون خلفاء الله في لأرض ويكون التعليم ابتداءً وتالياً وعالياً كأهل اليابان وأوروبا وأمريكا ولناخذ بأحسن الطرق والأساليب فهناك يلقى أن يكونوا مع الأمم وليبدأوا هم بالسلام العام وذلك لأن نبينا ﷺ أرسل رحمة للعالمين فلنكن نحن رحمة للعالمين ومستحيل أن نكون رحمة وهم علماء ونحن جهلاء بديننا لأنك تعلم من هذا التفسير أن العلوم التي ملأت الأرض اليوم هي نفسها علم التوحيد الذي هو أهم من علم الفقه والتعمق فيها فرض كفاية فتي عرفنا العلوم

وهت أقطار الاسلام هنالك تجلس معهم أى مع أهل أوروبا واليابان والصين وتقول نريد السلام العالم لأن الله أخبرنا أنه يأتى يوم تضع فيه الحرب أوزارها كما سأتى في سورة (الفتح) والقرآن لم يقيده وقال المفسرون هو يوم يحج عيسى عليه السلام ولكن القرآن لم يخصصه . فلما أن الأُم استعدت للسلام فلامعنى لأن المسلم هو الذى يحارب . ان الانسان اليوم ناض وهو يسير الى السكالك فلامعنى لأن المسلمين يتقاعسون فليتعلموا وليكونوا خبراً مة أخرجت للناس بأمرين . (أولاً) أن يملوا كما نلت الأُم . (ثانياً) أن يقودوا الأُم للسلام العالم . فاما الآن فان الانسانية جاهلة غائلة يتحاربون كما يتحارب النمل لم يمتازوا عن الحشرات وكلاب البحر والغربان في فظالم الجمعية الانسانية - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

{ ذكرى للأُم الاسلامية }

فيا أيها الأُم الاسلامية استعدوا للواجبات العالمية والعملية . أفلاترون أن الأرض التي نعيش عليها قد أصبحت مغلفة بالأسلاك البرقية والطرق الحديدية وتبادل البريد والطرق الجوية للطائرات وهكذا للتغرف الذى لاسلك له فهمها هذه أرضنا اليوم أصبحت أشبه بحجم حيوان فلكل حيوان جلد يحس بما يصبه بالحواس الخمس المفرقة على ظواهره هكذا أرضنا فهمنا حصل في جهة فان سائر الجهات شرقاً وغرباً تعرفه الأرض كانت قبل اليوم لاعلم لشرقها بما عند غربها ولجنوبها بما عند شمالها إلا قليلا واليوم أصبحت أشبه بانسان في ابتداء صباحه يحس ويتحرك ولكنه يعوزه التربية والتعليم أصبحت الآن الأُم متصلة بعضها فهاك { مسألة الفطن في أمريكا ومصر والعرض والطلب بأوروبا انها كسالة الرياح الموسمية بين آسيا واستراليا } قد عرفت أيها المسلم الذي فيما تقدم كيف كانت الرياح في شتاء استراليا تبعث منها الى الصين وما والاها ستة أشهر وفي ستة الأشهر الأخرى ينقلب الأمر فترسل آسيا الريح من أواسطها ذاهبا الى استراليا وتكون تلك الأيام صيفا لها . هكذا نحن نرى الفطن في أمريكا لما كثر أضرت بقطنا في مصر فصار السمر رخيصا على قاعدة العرض والطلب فيقال ان عندهم في هذه السنة (١٩٣٦) عند طبع هذه السورة نحو (١٨) ألف ألف بالة غير ما خزونه من عام أول وهو نحو ثلث هذا المقدار فأضر هذا بقطنا المصري . هذه مسألة واحدة من مسائل التجارة والاجتماع فاذن تصرف الرياح وازجاء السحب ونحوها ذلك يضارعه أحوال أهل الأرض فاناس أشبه بأسرة واحدة كما ان المطر والرياح قد صرفها الله بالتبادل والتكافؤ والاشتراك . فالانسان لا يتم كماله إلا اذا أصبح أمة واحدة . ان النحل والنمل لا اشتراك بين شرقية وغربية ولكن الانسان يتبادل المنافع شرقية وغربية فإدام أشبه بالحيوان في نظامه وأن كل جماعة تحارب أخرى كالنمل فانه طفل ظالم لنفسه جهول وهذا قوله تعالى - إن الانسان لظالم كفار - وقوله - إنه كان ظلوما جهولا - فليكن نظامه على مقتضى رقى عقله اه

يقول الله تعالى هنا - كذلك نصرخ الآيت اقوم يشكرون - قد صرف الله هذه الآيات في القرآن كما صرف آيات الرياح والسحاب كل ذلك ليشكر الناس ولامعنى الشكر إلا بثلثه أمور { الأمر الأول } العلم بهذه الدنيا ونظامها وحكمها { الثاني } ما يتبع من هذا العلم طبعاً وهما أمران . حب منافع المخلوقات طرا لاسيا الانسان . الثاني حب الله لأن من أعجب بهذا النظام المتقن بحيث يرى أن الرياح والسحب لم تكن بلا قوانين بل هي تابعة لسير الشمس الذى هو نظام لاخال فيه فينبهه نظام مثله وحيتئذ ترى النظام في مزارع استراليا كما نراه في الصين فكل قوم فيها يعلمون أوقات الزرع والحصاد فلا يخفون والمطر يحجى لهم في وقت ذلك لحسن نظام الشمس وسيرها . فانه لم يترك الرياح وسحبها بلا نظام متقن فخل هذا يحدث في القلب حباً للخالق وإخلاصاً لعباده . وهذان هما الأمران الناتجان عن الأول { الأمر الثالث } انطلاق الانسان بالجد وتسخير الأعضاء للعمل للصالح العامة . هذا هو الشكر الذى قاله علماؤنا وهو المذكور هنا

في قوله تعالى - كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون - اللهم اننا معاشر المسلمين قد قصرنا في شكرنا فلاعلم نظامك الذي ذكرته هنا درسنا ولا تاجبه حملنا بل نحن من أقل الأمم علما فأين الشكر اذن فالشكر ماضينا وذلك بالتعليم العام بجميع أنواعه ثم قيادة أهل الأرض الى السعادة والسلام حتى نكون شاكرين ورحمة للعالمين وهناك تكون نحن خلفاء الله في أرضه والحمد لله رب العالمين

وهذا ما يرى اليه قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - أوصل الله نبينا ﷺ رحمة للعالمين ولايتهم هذا في الدنيا إلا باجتماع الناس على فكرة علقه بينهم وللمسلمون هم نواب عن نبينا ﷺ فليقوموا بهذه النيابة . وقد ألقت كتابا بمعنى هذا يسمى (أين الانسان) وقد انتشر في أوروبا والشرق وقرطه الاستاذ (ستلانه) التلياني في مجلة العلوم الشرقية وكذلك الاستاذ (كراديفو) الفرنسي في المجلد الخامس من كتابه (مفكرو الاسلام) وهكذا غيرهم من العلماء لا أذكرهم الآن . وما كنت أعلم الالهية . اني أتي أعيش حتى أرى هذه الفكرة بنشرها الناس في حياتي في الشرق والغرب وهذا من محائب الحكم قد قلت في الكتاب المشار اليه أن الأمم سائرة الى هذه الغاية . فافطر كيف جاء اليوم الى عصر الاستاذ الشاعر الهندي (طاغور) الذي ملأ صيته الآفاق شرقا وغربا أثناء طبع هذا التفسير وخطب خطبة يوم الجمعة ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٦ توافق ما نحن بسنده الذي قرأته فيما تقدم وتوافق كتابي (أين الانسان) وهذا نص ما قاله

تقلا عن جريدة (الاهرام) في التاريخ المذكور وهما هي

لقد أمرفت الأمم في الآخرة والانانية وفي المصيبة الجنسية التي يتمسك بها فريق كبير من أهل الأمم للتحضرة على أن هذه العصبية أكبر مظاهر ضعف المدنية الحاضرة فهي التي تبحر الأمم الى التلاعن لنيل غايتها وهي التي تبرئها حروبا مهلكة ما كانت تتغفل لولا هذا التصب وتلك الآخرة . وما أشك مطلقا في أنه قد وجدت أمم من قبل وبادت أفتتها الحروب في سبيل أغراضها . وما زال الآن في مجاهل أفريقيا أمم تسير في طريق الفناء لأخذها في حياتها بهذه الخلقة . ولئن كان هذا يمكننا تصوره يوم كانت الحدود الجغرافية حقيقة واقعة فصل بين الأمم وتجعل كلا تعزبكياتها وبجنسها وتجعل من لون أصحابها وسيلة لحرب من كانوا من لون آخر فلم يبق لهذا التصور اليوم على بعد أن أصبحت الحدود الطبيعية لاحقيقة لها الأسباب أهمها تقدم المواصلات والنموذج العقلي بين الأمم . لذلك يجب أن يزول الآخرة وأن يزول التصب للجنس والتصب للون . ويجب أن يشعر العالم أن هناك وحدة روحية تربط أممه المختلفة . ومن حسن الحظ اني رأيت أثناء سياحاتي في البلاد المختلفة كثيرا من الرؤس الكبيرة متفقة وإلماي في الرأي واتفة كما أتفق بأن سيأتي اليوم الذي تسود فيه هذه الفكرة الشعوب جميعا . بل لم يقف الاقتناع عند الرؤس الكبيرة فقد احتفل في بلاد عدة كثير من البسطاء لأنهم أحسوا في كتاباتي الدعوة لهذه الوحدة الروحية التي تصبو اليها نفوسهم والوسيلة لقهر الانانية ولزوال التصب الجنسي ليست هي الحديد والنار وإنما هي انتشار الأفكار السليمة بين الشعوب وسحبها جميعا لادراك الحقيقة . فهذه الحقيقة . الحقيقة المجردة . الحقيقة المطلقة يجب أن تصكون غاية الغايات لكل شاعر ولكل مفكر ولكل فيلسوف وغاية الغايات للإنسان الكامل . ويوم يأتي الوقت الذي يعمل فيه كل لمعرفة الحقيقة فإذا رآها لم يتردد في اعلانها بروموشد يكون الانسان قد وصل الى الكمال . وفي هذا اليوم بنشر السلام على الأرض . نعم . فالسلام لن يترتب على عمل صناعي مطلقا كالاتفاقات الدولية وما إليها إنما الوسيلة الوحيدة لتحقيقه هي الوحدة الروحية وأحسن أن هذه الوحدة بدا في العالم ظهورها . وختاما لهذا الحديث ارتل حكمة غالية من أحد كتبنا المقدسة . وهنا أطرق ورتل حكمة بصوت عذب يصل الى القلب بلفته الأصلية أبياتا قلها الى الانكليزية ومناحا على التقريب ما يأتي

(رب الأرباب واله البشر جميعا تزهت عن كل لون وجنس . يامهميتنا على جميع الأمم وان اختلفت

أولئها وحده بين قلوبها وألهمها تبادل المحبة وأيدها بروح الحق والعدل ﴿
وهذه الفكرة الدينية نزل بأجل منها القرآن كآية - والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - وكآية - يا أيها الناس إنما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الخ - وكآية - وتعاونوا على البر والتقوى الخ - ٥ انتهى

﴿ جوهرة ﴾

﴿ عجائب أسرار القرآن في هذا التفسير معنى - المص - ﴾

قبل الانتقال من القسم الأول من سورة (الأعراف) والابتداء في القسم الثاني المشتمل على قصص الأنبياء عليهم السلام يحسن أن أذكر من عجائب القرآن ما به يتذكر أولو الألباب ويعجبون لآي التنزيل قد جاء في أول السورة - المص - وقد أحلنا ذلك على أول سورة (آل عمران) ولكن المعنى هناك عام والخاص بآل عمران ذكرته هناك عند قوله تعالى - ألم تر إلى الذين أوتوا - وأريد هناك أن أيبن السر للصون والجوهر للمكتون والحكمة البالغة والآية الباهرة والنور الزاهر والسلطان القاهر - انظر وتجب كيف اختبر في أولها هذه الحروف الأربعة - فاعلم أن المقصود من قصص القرآن تأنيجه - ولعمري ما لنا حظ من هذا القصص إلا ما انتفعنا به فإن لم ننتفع ولم نعلم فلا تفسير ولا علم ومحل الانتفاع في هذه السورة أصح من أنان بجمعان زهرة علومها ومقاصد حكمها ونمات أخبارها (أولها) الاعتبار بهذه القصص والأخبار فالاعتبار هو الذي أنزل له القرآن ومنه هذه السورة (الأمر الثاني) نصح الناصحين مع صبر المسترشدين بالعمل بالنصيحة وإلى الأول (الم) وإلى الثاني (ص) فانظر قوله تعالى - ألم أقل لكم إني الشيطان لكم عدو مبين - هذه الجلة تجمع مقصود السورة بتمامها لأن أخبار نوح ومن بعده يقصد منها ملخص هذا المعنى ألم أقل لكم كذا فهذه الجلة تفيد كل ماسأى من الإنسان إذا وقع في الجريمة فهو مقصّر إذ وضحت أمامه الأدلة فالألف واللام والميم قد أدت مقصود هذه السورة إجمالا وقوله - ألم أقل لكم الخ - تفصيل للجمل - ثم نفس أخبار الأنبياء مع أنهم ترجع لهذا المعنى

وانظر قول إبليس لآدم وحواء - إني لكم ابن الناصحين - وقول نوح - وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون - وقول هود - وأنا لكم ناصح أمين - وقول صالح - ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين - وقول شعيب - ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين - وقول موسى عليه السلام لقومه - استعينوا بالله واصبروا الخ -

فهنا نصح من الأنبياء ومن إبليس وأحد الناصحين أمين كما في قول هود والنصيحة تلتبس فلا بد من الإنسان أيهما أصدق - نصح إبليس فعمل آدم بنصيحته - ونصح الأنبياء فكفر الناس بهم - فالأمين متروك والكاذب متبع - هذه هي قضية هذه الدنيا - لذلك يقول الله - ألم أقل لكم إني الشيطان لكم عدو مبين - فالنصح والصبر على قبول النصيحة ممدوحان وفي كليهما الصاد ولصح الصاد في صعوبة ومشقة لكن نصح الكاذب فيه لذة كالأكل من الشجرة - يقول الله - ألم أتهكم عن تلك الشجرة فهذا التوبيخ منصب على آدم وأولاده لأنهم يقعون الشهوات بسبب النصح للفتوش فلا صبر عندهم ولا يميزون بين النصحين كل هذه المعاني متدرجة في - المص - وتفصلها السورة بتمامها فإذا تذكر السلسل في أكثر أوقاته هذه الحروف الأربعة كانت كثراله ثمينا فهي تذكره بالقرع على المصية الشهوية وعلى عدم الصبر على الفضيلة وعلى عدم سماع النصيحة وتذكره بخفض الورق على أبويه من قبل - فهذه أربع مصادات - وهذه الألفاظ في نفس السورة كلها وتذكره بالقصص للذكور في هذه السورة إذ قال تعالى - فاقصص القصص - هذا هو المعنى للقوم من - المص - - ولقد تبين لك في سورة البقرة أن - الم - هناك تدبير إلى قصة

الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . وإلى قصة العزيز وقصة الخليل إذ يقول - ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه الخ - فكأنه في سورة (البقرة) ذكر المسلمين بأهم الأمور وهي أمران الجهاد والعلوم الطبيعية والفلكية وغيرها وهذه الأخيرة تضمنتها قصة الخليل والعزيز وهكذا سورة (آل عمران) جاء فيها - ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الخ - يحذر المسلمين من الفرور الذي وقعنا نحن فيه الآن . وقد أوضحت هذا هناك ايضا كما تأملوا بطنا وبينت مسألة البقرة هناك لاني سورة (البقرة) لاني لم أوفق لذلك إلا في (آل عمران) أما هنا فان - المص - تبين لفهم القصص وتتميز النصيح من الناصحين المختلفين والصبر على المشاق حتى نجز بين الأيمن وغير الأيمن فهذه السورة فيها تشديد وتوبيخ وتقرير ولذلك زاد حرف (ص) فكأنه يقول في أول (البقرة) و (آل عمران) و (الأعراف) هكذا عليكم بالجهاد وحوز العلوم ولذا تألم ذلك فإياكم والفرور ثلثا تفرقوا شيعة ويدوق بعضكم بأس بعض . ثم إياكم أن يفركم الشيطان بنصحه ألم يكن الشيطان عدوكم فليكن الصبر يدنكم . هذا هو الذي افتتح الله به هذا المقام والحمد لله رب العالمين . انتهى القسم الأول من سورة (الأعراف)

(التيسيم الثاني : من سورة الأعراف)

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْلُغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوْعَيْجِيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلَسْتُمْ أَتَىٰكُمْ وَلَمَلِكُمْ تُرْجَعُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا بِقَوْمًا عَمِينَ *

(التفسير اللفظي)

قد علمت فيما مضى أن هذه السورة نزلت للاعتبار بالأثم وهلاكها والدول وخوابها وأن هذه أول سورة جاءت لهذا المعنى بحسب الترتيب الذي جاء في السور بحسب ترتيب الوحي فابتدأ بقصة آدم وحواء وإبليس وكيف كان أمرهم عبرة للعتيرين . فإبليس أقصى عن المعالي وآدم وزوجه نزلوا إلى الأرض وحكم عليهما وعلى أولادها بالملك في الأرض وأن بقاءهم فيها متوقف على تنازع البقاء المعبر عنه بقوله تعالى - بصمكم لبعض عدو - وفي قصص آدم نكتة جيلة وهي أن البيعة والتوارث من أسباب الأخلاق وتكوينها في الأشخاص فآدم لما خالط إبليس غشوه هذا هو الذنب واخلق بسبب (البيعة) أي الوسط وآدم لما أذنب خرج هو وكل ذريته إلى الأرض . والذي يهمني من هذا القصص ما تراه ماثلا أمامنا كل حين وهو أن الوسط والبيعة تأثيرا في أخلاقنا وكذلك الميراث قصة آدم منطبقة تمام الانطباق علينا معاشر أهل الأرض . اننا نعيش غافلين فنرى ابن المسيحي مسيحيا وابن اليهودي يهوديا وابن البوذي بوذيا وابن الوثني وثنيا وابن المجوسي مجوسيا وهذا تأثير البيعة وتأثيرها في الأخلاق . وهكذا نجد للنفسول من أسرة عريقة المجد طيبة الأصل غالبا يتخلق بأخلاقها . ومن كان أبواه طويلين أو أبيضين أو أسودين خرج غالبا على هيئتهما وهذا في الشكل الظاهري . وهناك بواطن لا ندرکها نراه قد خلق بها كما نرى العصفور بده العصفور والبازي بده البازي والنخل يتج نخلا . فقصه

أدّم تريثاً أصراً عجيباً . تريثاً أننا في هذا الوجود قد حكم علينا أن نعيش على صفات خاصة وأديان معاملة يوجبها علينا تناسلنا وتوارثنا وأوساطنا التي نعيش فيها . وهذا هو الأمر الطبيعي الذي خلقه الله على الوجوه ورسمة في القلوب . ولكن يمنع ذلك ما جاء في قصص هؤلاء الأنبياء من أنهم فكروا الأغلال عن الناس وكسروا الأصنام وأصهروا الناس أن ينفروا عاداتهم ويتركوا ما عليه آباؤهم من الأخلاق والآراء والعقائد وأن من بقي منهم على ذلك حاق به الهلاك وأودى به العذاب وعليه ذكر هذه القصص كقصة قوم نوح وعاد وثمود وما بعدها ليقول لنا ذروا العادات واخضعوا عن أعناقكم ربة الكسل والجود وارثوها في الأسباب

ثم إن القطن إذا علم أنه في وسط بيئة عمادة من الأباطيل وأنه واحد من هذه البيئة له ما لها وعليه ما عليها يجتهد ويجهد في تهذيب طباعهم وغسل أدرانهم وتطهير أخلاقهم ورفع رؤسهم ولنا في الأنبياء قدوة حسنة فلي كل عاقل أن يجتهد في تطهير المجتمع الذي هو فيه من أدرانته فيكون أقرب إلى ربه وذلك هو المقام الأوفى . وهاك قصص نوح عليه السلام

اعلم أيها الذكر أن هذه القصة وما بعدها من سورة (الأعراف) وهكذا بقية قصص الأنبياء أكثرها إنما نزل قبل الهجرة يوم لم يكن للنبي ﷺ تابعون كثيرون فانظر هذه القصص وتأمل فيها تجد أن كل واحدة منها تبتدئ بتكذيب الأنبياء وهلاك الأمم المكذبة وبقاء المؤمنين . ثم تراه يقول - فانتظروا إني معكم من المنتظرين - فلتتأمل أيها الذكر كيف كان قصص هذه القصص وليس في يده حول ولا طول ولا جيش بل كانوا يملكون خفية خائفين من الكفار . وإن من أعجب العجائب أن يكون تاريخه ﷺ كتواريخ الأنبياء الذين قصهم فكان في أول أمره مكذبا وفي آخر أمره منصورا . وهذه في الحقيقة أكبر مهزلة لأنه ﷺ نبيا بما سيحصل وقد تم كما جاء به الوحي . فانظر في هذه القصة يقول الله والله (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) فهي واقعة في جواب قسم محنوف • يقال إنه كان نجارا • ويقال إن أباه ملك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو لادريس عليه السلام ومعلوم أن لادريس نبى قديما للمصريين وهومن المقدسين عندهم وله (سبزوستر) المذكور في كتبهم المنقول عن آثارهم . وعلى هذا يكون نوح من أبنائه وهذه مما لا يقوم عليها برهان قاطع وليس يهتأ من تحقيقها شيء وإنما المقصود أنه أرسله الله (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وغيره يجرى على اللفظ ويرفع على المحل لأن إله مرفوع بحسب إعرابه مجرور بحسب لفظه (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أي يوم نزول العذاب بهم من الطوفان لأن التحقيق أن عذاب الناس في الدنيا والآخرة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم معذبون فالعاصون والظالمون معذبون بظلمهم فإذا هلكوا ذهبوا إلى جهنم ليتموا دروسهم التعذيبية فيوم العذاب قد يكون في الدنيا كما هو في الآخرة . ثم قال تعالى (قال للآل من قومه) أي الأعراف لأنهم يملكون العيون جلالة والقلوب مهابة (إنا نراك في ضلال مبين) بين (قال يا قوم ليس بي ضلالة) أي شيء من الضلال (ولكني رسول من رب العالمين) والرسول يكون في النهاية التصوي من الهدى (أبلغكم رسالات ربي) ما أوصى إلى من الأوقات المتطاولة أوفى المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواظب والبشائر . وهذه الجملة مستأنفة ببيان لكونه رسول رب العالمين (وأوضح لكم) وأتخذ صلاحكم باخلاص يقال فصحتته ونصحت له والنصح أن تريد الخير لغيرك أو هي النهاية في صدق العناية (وأعلم من الله ما لا تعلمون) فأعلم صفاته من القدرة والعلم وأنه لا يرد عذابه عن الكافرين (١) كذبتم (وعجبتم) من (أن جاءكم ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منك) على لسان رجل من جنسكم إذ تنكرون إرسال الأدي ولا تصدقون إلا بملك من السماء وتقولون لو شاء ربنا لآتزل ملائكة (لينذركم) لينذركم عاقبة الكفر (وليتقوا) ولتخشوا بسبب الإنذار (ولعلكم ترجون) ولترجوا بالتقوى إن وجدت عنكم (فكذبوه) فسبوه إلى الكذب (فأجبيناهم والذين معه) يقال أنهم كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة • ويقال أيضا هم

نسمة سام وحام ويافث وهؤلاء الثلاثة أبناء نوح وستة آمنوا معه (في الفلك) متعلق بعه كأنه قيل والذين محبوبوه في الفلك أى السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (لأنهم كانوا قوما عيبن) ععى القلوب غير مستبصرين يقال أعمى في البصر وعم في البصيرة • انتهى القسم الثانى من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ : مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ)

وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بى سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُنَبِّئُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوْ يَحْسِبُكُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَسْطَةً فَآذْ كُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فُلُوحٌ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتَانَا بِمَا تَمَدَّنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونِى فِى أَسْمَاءِ سَمِيتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَى مَتَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ فَانجِيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ * وَإِلَى نَمُودِ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ * وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْسَوْنَ أَلْجِبَالَ يُبُوتَا فَآذْ كُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَمْنُوا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْفِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَمْنَوْنَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِى آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَمَقَرُّوا نَاقَةً وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَبِّئُنَا إِذَا تَمَدَّنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَائِعِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ مِنِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ

(التفسير اللفظى)

اعلم أن عاداً ونموداً من العرب البائدة كالعاقلة وطسم وجديس وأميم ووزبار وجهم وحضرموت ومن

ينتمى اليهم • ويقال انهم كانوا نزحوا من بابل وحلوا بجزيرة العرب وجميع العرب البائدة من نسل سام بن نوح • أما المالقي فن نسل لاد بن سام • وأما بقيتهم فن نسل ارم بن سام • وعلى ذلك يقال عاد ارم وغود ارم ثم قيل لكل من كان من نسل ارم بن سام ارماني • وهذا ملخص ما يقوله العلامة ابن خلدون والكشف الحديث على الاجال يؤيده فالعرب البائدة جميعهم آراميون إلا العماقة فانهم من نسل لاد • ويقال انهم ملكوا العراق وملكوا مصر ويسمون الرعاة • ولقد كان في العراق دولة الماذهين ودولة الكلدان ودولة العرب ودولة الاشوريين والدولة العربية للذكورة هي التي تسمى (الدولة البابلية الأولى) ورأسها يسي (حوراب) المشهور كان في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وقيل ان عدد ملوكها (١١) ملكوا ثلاثة قرون وهذا رأى (مسيبو)

وفي أيام هذه الدولة العربية ظهر ابراهيم الخليل عليه السلام وقد كشف العلم الحديث ما كان لهذه الدولة من العلوم والقوانين وجميع القوانين (٢٨٢) مادة وجدوا نسخة منها سنة ١٩٠١ في بلاد السوس متقوشة بالحرف للسامري على مسلة من الحجر الاسود الصلب طولها سبعة أقدام • ولما غلبت هذه الدولة على أمرها نحو ٢٨٢ ستقبل للميلاد وقد حكمت ٣٣٤ سنة خرجت من العراق الى جزيرة العرب راجعة الى موطنها الأصلي وأنشأوا في (اليمن) دولة عربية تسمى (دولة المعينيين) كانت عظيمة جدا قبل دولة سبأ وحبر وآثارها ظهرت في العالم الغربي اليوم • ولقد كشف المستشرق (هالتي) لما سافر الى بلاد الجوف وحدها ٧٩ تقشا في معين ١٥٤ تقشا في براقش بالقرب منها • ولقد حكم المعينيون جزيرة العرب حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط وشواطئ الخليج الفارسي فكانها حكمت جزيرة العرب كلها وهذه الدولة أفتانها السبأون

(الكلام على عاد)

ان العرب كما قلنا نزحوا من العراق لما غلبوا على أمرهم فرجعوا الى الجزيرة وقلنا ان المعينيين سكان اليمن أخذوا دورهم ثم أفتانهم السبأيون وهذه الدول آثارها ظاهرة اليوم • هكذا نعلم أن العرب دخلوا مصر وبقوا بها نحو ٥٠٠ سنة أي من نحو الاسرة الثانية عشرة الى نحو الاسرة الثامنة عشرة ثم طردهم المصريون فرجعوا الى جزيرة العرب أيضا • أفلا ترى أن يكون عاد من هؤلاء كالمعنيين للذكورين فيما تقدم وربما كانوا هم أنفسهم ولقد أفتانهم أهل سبأ • أولست ترى أن هذا القول يوافق ما هو معلوم أن قسما للمصريين كانوا ينتحون من الجبال بيوتا • وكيف لا يكون ذلك وأنت ترى في جبالنا المصرية بيوتا مهيوة لأغراض خاصة وقد كانوا اذا اقتطعوا سحارة من جبال مصر جعلوا هذا الاقتطاع هندسيا ليستفيدوا فائدتين البناء بما اقتطعوا من الجبل والارتفاع بمكان القطع • فإذا قال الله - نتحتون من الجبال بيوتا - كان ذلك مما تعلموه من المصريين

(لطيفة)

فدكان العالم الأثرى الفاضل كال بك الذي هو أعلم العلماء في فتح الآثار المصرية يوما يلقي درسا عاما فيها عرقه من علوم قسما المصريين فذكر لنا تاريخ حياته وأنه تعلم هذا العلم من ابتداء سن الخامسة عشرة من عمره وأنه أخذ عن علماء فرنسا وقال قد كنت أعر من وقت لآخر على كلمات أجدها مطابقة للغة العربية حتى ان اخير وحده وجدت له ٤٢ كلمة مثال ذلك (خبز • عيش • خبز الملة • كملك • بتاو) وهكذا • قال وقد كنت أبحث في (لسان العرب) و(القاموس) فأجد جميع الألفاظ عربية غاية الأمر انها دخلها القلب والابدال وهكذا وأرانا ١٣ جزءا أمامه قد كتبها مينا اتفاق العربية مع لغة قسما المصريين • ثم انه بعد ذلك بسنين أتم هذا الكتاب ثم توفي قريبا رحمه الله

فلما انصرف من ذلك الحرس التفت اليها معاشر مدرسي اللغة العربية وقال قد وجدنا كتابة على الدبر

البحرى تاريخها في الأسرة الثامنة عشرة ملخصها أن المصريين قد كثفوا جدًّا فهاجر منهم طائفتان طائفة
 نزلت الى بلاد العرب وطائفة نزلت الى بلاد المغرب في شمال أفريقيا وعلى هذا يكون منهم عاد ونموذ .
 أفلاتون ذلك باحضرات الأساندة فوافقه للرحوم حفنى بك ناصف وكذلك أنا (ملفظوى) وقلنا لامانع من
 ذلك وليس عندنا ما يمتنع . فهذا آخر ما وصل اليانا من العلم في أمر عاد من حيث التاريخ الحديث
 أما عاد فكان مقامها في الحجر للعروقة بمدائن صالح في وادى الترى بطريق الحاج الشامي الى مكة . وقد
 وصلت لها السكة الحديدية الحجازية . والذى ثبت الآن أن مدائن صالح وهى الحجر دخلت قبل تاريخ الميلاد في
 حكم النبطيين سكان بطرا . وبطرا هذه قصبة الأنباط مدينة صخرية قائمة في مستوى من الأرض تحيط به
 الصخور وهى واقعة في وادى موسى عند ملتقى طرق القوافل بين تدمر وغزة وخليج فارس والبحر الأحمر
 واليمن وأطلالها الآن باقية كشفا للماء في هذه الأيام . وهناك كتابات وقوش بالقم النبطي وبجانبها مرسع
 منقور في الصخر ووراءه كهوف كثيرة منقورة وطبيعية وكانوا يسكنونها قديما وهى الآن بأوى اليها القراء
 من المطر التزير

هذه هى (بطرا) التى هى عاصمة النبطيين الذين ملكوا الحجر وهى مدائن صالح التى كلامنا فيها فلقد
 وجد على أطلال تلك المدائن كتابة نبطية وقد زار هذه المدائن مستشرقون وقرؤا نقوشا منقوشة في الصخر منها
 أنقاض تعرف (بقصر البنت) و(قبر البانثا) و(القلعة) وقرؤا عليها ما نصه
 هذا القبر الذى بنه ككم بنت واثه بنت حرم وكتبه ابنتها وذرتيها في شهر طيبة من السنة التاسعة
 للحادث ملك النبطيين محب شعبه فصى ذوالثرى وعرشه واللات وعمند ومنوت وقبس ثلعن من بيعع هذا
 القبر أو يشتره أو يرهنه أو يخرج منه جثة أو عضوا أو يدفن فيه أحدا غير ككم وابنتها وذرتيها ومن يخالف
 ما كتب عليه فيلعنه ذوالثرى وهيل ومنوت خنس لعنات ويرغم الساحر غرامة مقدارها ألف درهم حارنى الامن
 كان ييده نصريح من يد ككم أو كتبه ابنتها بشأن هذا القبر والنصريح يجب أن يكون صحيحا . صنع ذلك
 وهب اللات بن عبد عباد . انتهى
 واعلم أن هذه المعالومات التى وصلت اليانا في العصر الحاضر ستزيد على مدى الأيام فان بلاد العرب مشحونة
 بالامور الجسيمة المدفونة تحت الترى

(كشف الأزم العربية القديمة في العصور القريبة)

اعلم أن أول من فكر في كشف آثار آبائنا العرب مثل نموذ وسبأ وحير ومعين والحبان وأمثالها انما هم
 الألمان في أواسط القرن الثامن عشر . ومادعاهم الى ذلك إلا ما كان يسمعه الفرنجة في أسفارهم الى الهند عن
 طريق البحر الأحمر ومصر وما تناقله ألسنة أهل شواطئ اليمن وحضرموت إذ يقولون عندنا آثار مدفونة عليها
 كتابات لا نعرفها وأول من فكر في ذلك العالم (ميخائيلس) وهو عالم ألماني توفى سنة ١٧٩١ وهو الذى
 اقترح على (فرديريك الخامس) ملك الدنمارك سنة ١٧٥٦ تأليف لجنة للبحث عن تلك المدائن لذكرها في
 التوراة تحقيقا للعلم . وكان الرجل فيلسوفا عالما عظيما فأرسل الملك المذكور جماعة فانوا إلا رجلا يسمى
 (نيبوه) كتب كتابا عن بلاد اليمن التى هى المقصودة بالذات وانتصر في أوروبا . وفي القرن التاسع عشر
 عرفت اللغة (الهيروغليفية) بمصر فطمع العلماء بأوروبا في معرفة علوم جيرانها . ثم سافر (رئسن) الألماني
 سنة ١٨١٠ الى اليمن ففتح على مدينة (ظفار) وبعد ذلك تنبه الانجليز . فأول الباحثين الألمان فالانكليز
 فالفرنسيون وهم أوسع مجالا ومنهم العلامة (هالني) سنة ١٨٦٩ بلغ مأرب ورجع ومعه ٦٨ نقشا وقد مر
 ببلاد الجوف التى هى قرب (صنعا) وأهل صنعا لا يعلمون بها . ثم كشف معين المتقدمة وهو سائر الى
 (بحران) ثم ذهب (أدوارد غلازير) الى اليمن وهو عالم ألماني فوصل الى مأرب ونقل معه ألف نقش وفيها

كيفية بناء سد مأرب وإصلاحه

ولقد أصبحت متاحف أوروبا الآن مملأة بالآثار التي بعضها منقوش على الحجر . وبعضها على البرونز وبعضها منقوش بالبرونز أو النحاس . وفي هذه الرسوم والنقوش عرفنا بعضاً من أخبار القرآن كما سيأتي في سورة (سبأ) والسورة المذكورة في القرآن وطوله وعرضه والجنتان اللتان هناك كما سيأتي في سورة (سبأ) أيضاً . هذا ملخص ما وصل لنا الآن من الكشف واهتمام أوروبا بالبحث في علوم العرب آبائنا وآثارهم لأنه ورد ذكر هذه الآثار في التوراة

(الخرافات)

لقد كان كثير من أهل السير قديماً يتسلون بحكايات خرافية ككذبة ذكرها القصاصون تسمى (لأم ذات العماد) بناها عاد وهي في اليمن لينافس بها قصور الذهب والفضة في الجنوة كذب إلى ههنا أن يجمعوا جميع ما في أرضهم من الذهب والفضة والبر والياقوت والمسك والعنبر والزعفران فيوجهاها إلى ههنا ثم استخرج المعدن من الذهب والفضة ثم استخرج عماله الجواهر من البحر وأتوا بالياقوت والزمرد من المعدن فضرب الذهب لبناء بني به المدينة وأمر بالبر والياقوت والجوزع والزمرد والعقيق فقصص به حيطانها وجعل فيها غرفاً من فوقها غرف بعمد من الزمرد والجوزع والياقوت ثم جعل تحتها وادياً ساقه تحت الأرض . فرسها وأجرها في كل مكان تحتها وجعل حصانها الجواهر وجعل على حافتي البحر أشجاراً من الذهب مثمرة وغرها الياقوت والجواهر وطول المدينة ١٢ فرسخاً وعرضها مثل ذلك وفيها ٣٠٠٠٠٠ قصر مربعة ومربعة وقصره يعاود على القصور كلها واتخذ بندق للمسك والزعفران فألقبت في الشوارع وارتفع البيوت ٣٠٠ ذراع والصور ٣٠٠ ذراع ومكث في بنائها ٥٥٠ عام . هذه ملخصات علوم الأوائل وخرافات أرباب السير من المتقدمين

(يا أمة الاسلام)

عجبا كننا نقرأ في القرآن أخبار عاد وثمود فنمّر عليها من الكرام كأن عاداً ليسوا من أسلافنا وكأن ثموداً لبست مساكنها في بلاد الاسلام . وبالنسبة شمرى كيف بحث الفرييون عنها ونحن نأمنون . ويدرسون آثارها ونحن غافلون . بل يبحثون عن معاني كتابنا المقدس ونحن عن ذلك كله ساهون لاهون . نعم ان قصة عاد وثمود لم ترد إلا للاعتبار بالأمة المكذبة ولكن بأسوأها واحسرتها على أمة الاسلام . ان سمعوا قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - قالوا لقد عرفنا الله فلماذا ننظر . وان سمعوا قصص الأولين قالوا انها جاءت للاعتبار ومعركة قلب الأيام ونحن بذلك علمون . وعلى هذا أصبح القرآن في نظر الأمة الاسلامية كتاباً يتلى . فأما للعاني والمباحث فهم عنها نائمون . اللهم إلا للمباحث النفعية وليس منها إلا مائة وخمسون آية كما قدمنا . وبالإلصاف لا يستدلون بها إلا نبتة للأمة الأربعة رضوان الله عليهم وغفرهم من كبار العلماء

بهذا وأمثلة نامت أمة الاسلام فعلى مجدهم فليبكوا وعلى بلادهم فليحزنوا للجهالة العمياء والبلاهة العنبراء والنومة الشوها السوداء وقد آن أوان استيقاظهم - والله بكل شيء محيط -

وقد آن أن أفسر الآيات قصيراً لنظراً بمد ما بينت المقام بقدر الامكان فأقول . قال تعالى (و) أرسلنا (إلى عاد) وهو عطف على نوح (أخاهم) واحداً منهم يقول يا أبا العرب لواحد منهم وإذا كان واحداً منهم كانت الآية أزم عليهم (هودا) عطف على نوح (أخاهم) وهو من نسل سام بن نوح كما تقدم (قال يا قوم اعبدوا لله) إلى قوله (أفلاتقون) وهذا ظاهر (قال الملائكة الذين كفروا من قومهم إنما لنا في سفاهة) خفة وطيش وسخافة عقل (وانا لظنك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من

رب العالمين) الى قوله (وانا لكم ناصح) فيما أدعوكم اليه (أمين) على ما أقول لكم

(جمال الخطاب)

اعلم أن مقابلة الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلال يمثل هذا القول الجليل الرفيق الاطيف داع الى كسرة الخضم وهو الدواء الوحيد للتطيف حذنه وقوره بل ربما أذعن بمثل هذا الخلم . يقولون - إما نراك في - فاهة وانا لنظنك من الكاذبين - فيقول - يا قوم ليس في سفاهة الي - فلا يقول لا بل أنتم السفهاء فان هذا من أخلاق الجاهلين والغبو وحسن البيان والأدب بالأنبياء والعلماء ألزم . فهذا من الله تعالى لا نبياء ولا عاذة . وأما قوله - أو عجبتكم أن جاءكم ذكر - اني قوله - لينذركم - فقد ختم نظيره ثم قال (واذكروا إذ جعلناكم خلفاء من بعد آدم نوح) أي خلقتموهم في الأرض أرفى مساكنهم واذمفعول به وليس ظرفا (وزاكم في الخلق بسطة) قائمة وقوة (فأذكروا آلاء الله) جميعها (لعلكم تفلحون) لأن ذكر أيعم يؤدى الى شكرها فيكون السلاج (فأما أنجبنا أعبدا لله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) وهذا احتجاج كالذي تقدم في حجة إبليس المذكورة في أول السورة إذ احتج بأصنامهم وهو النار وهؤلاء احتجوا بصفة من صفات آبائهم الذميمة فاتبعوها وهذا برهان سفلى (فأتقنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) فيه (قال قد وقع عليكم) تدوجب عليكم (من ربكم رجس) خذاب من الارنجاس وهو الاضطراب (وغضب) ارادة الانتقام (تجدلونني في أسماء سمعتموها أنتم وآبائكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة أي في أشياء سمعتموها آلهة وليس فيها معنى الإلهية (فانتظروا) نزل العذاب (إلى معكم من المنتظرين) ذلك (فأعجبناهم ولعنهم) أي من آمن معه (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الأصل أو الكائن خلف الشيء وقطع دابرهم استأصلهم ودمرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) وخصص القصة التي في كلام المفسرين أن عاد أقام ملكوك البلاد ما بين (عمر بن وحضر موت) وكانت لهم أصنام يعبدونها صداد وجود وطها فبعث الله اليهم (هودا) عليه السلام فكذبوه فأمسك منهم المطر ثلاث سنين وكانوا إذا نزل بهم بلا طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام فأوفروا اليه قبل بن حنزل ونعيم بن حزال ومرشد بن سعد وكان يكتم إيمانهم بهود عليه السلام وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عماليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر نزلوا عليه بظاهر مكة فقال لهم مرشد بن نوح حتى تؤمنوا بهود نفلنا مرشدوا وخرجوا فقال قيل اللهم اسق عاد ما كنت نسقهم وأنشأ الله سبحانه ذل بيضاء وحراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء (يا قاتل لنفسك ولقومك فان نار السرداء على ظن أساء أكرما نغريت على عاد من واء لهم فاستبشروا وقالوا هذا عارض مطرنا فاجتنبناهم رجع عنهم فأهلكهم ونجا (هودا) والفرنجيون معه فتواتوا مكة لعبدا لله بها حتى ماتوا اه

أما أطيل لك فيما لديك في هذه القصة فقد أسمعت ما قال المنسرون وما حقه علماء المرماض

(ولذلك نزل أين فائدة الله)

تقول أين فائدة الله . عاد هلكوا وماتوا . مع دمر عاتية . ومانا لهم . أنزل نستفيد فاندنين فائدة أدبية وفائدة علمية . أما العلمية فقد تقدمت في البحث في أرض النجاشية . وأما الأدبية فاعلم أنه وإن لم تكن سحاح نزل علينا اليوم ولم تخبر كما خبرنا فإن هذه الأحوال تشمل لما كل يوم ونحن غافلون أم ترى الأمم الشرقية كيف يغترون بالفرجة فيجتمعون بهم ليضربوا بهم أعداءهم من جيرانهم الذين ثم ينقص عليهم الترتبة أيضا . وهذه قاعدة مطردة يدخل العربي بلاد الشرق بلاستمانية ببعض أهل البلاد كما في العراق والشام ومصر وغيرها فيقتاب الفرجة على أهل البلاد فيكونون سببا لخسارهم وهذا هو الحاصل الآن تماما فيقتاب أهل الشرق أن هذا الفر في فعة عليه لشاه واجاه ادا هو كالعناية الدواء كثيرة الماء فاذا دخلوا بلادهم ألقوا عليهم نارا ودمروا فاجزوا أموالهم . وكل غفل اغريبون أهل الشرق فأذلواهم أجمعين

- إلا من رحم ربك - وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون -

وهذه كقصة المسيح الدجال من حيث ان الناس يطمعون في جنته اذا هي نار بل أكثر أمور الحياة هكذا نحن لمنصب بما ظننا أنه نعيم فلنناصب والأموال والبنون كل ذلك يكون من أسباب الشقاء والتعب كما وضح في سورة (البقرة) فلنجعل ذلك سدا للفتنة لا لتيجبة الحياة • قال تعالى (والى نوح) أى وأرسلنا الى نوحهم من ذرية إدم بن سام بن نوح وهم وعاد ونحوهم يقال لهم الآراميون نسبة لآدم ولذلك جاء في القرآن - عاد - إرم - بالإضافة وهو ظاهر والتاريخ يوافقه والكشف يبينه • وقد تقدم ذكر مساكنهم بإسباح ثم قال تعالى (أناهم صالحا) أى قوله (قد جاءكم بينة من ربكم) آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتى فكان سائلا قال ما هذه البينة (قال هذه ناقة الله) اضافها للتعظيم واتخذهم يص لأنهم كبرتها بلا صلب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل بمعنى الإشارة ولكم بيان لمن هي له آية وهي نوح لأنهم عابوها (فندروها) نأكل في أرض الله) أى الأرض أرض الله واتتفة ناقة الله فندروها تأكل في أرض ربها من نبات ربها (ولا تمسوها بسوء) ولا تضربوها ولا تقربوها ولا تطردوها (فأخذكم عذاب أليم) وهو جواب التهيؤ (وإن كروا) إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم (وزللك المياة أنزل (في الأرض) تخذون من سهولها قصورا) غرفا لأصيف (وتنحتون الجبال بيوتا) للشتاء ويبتوا حال مقدرة كما قول خط هذا الثوب قيما فالجبل لا يكون بيتا حال النحت ولا الثوب قيما في حال الخياطة (فأذكروا آلاء الله ولا تنفوا في الأرض مفسدين) ولمخلص قول المفسرين في قصتهم أن عاد لما هلكت هممت نوح بلادها وخلفوها في الأرض وهمروا أعمارا طولا فأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا عليه السلام وكانوا عربا وصلح منهم فلم يبقه في دينه إلا المستضعفون فأنذروهم فقالوه أن يخرج من صخرة بينهما ناقة عسرا فصلى ودعاه به فتمحضت فخرجت منها ناقة كما شأوا فمن به رهط من قومه (قال للذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار ثم أبدل منه قوله (إن آمن منهم) أى من قومه فيكون جميع المستضعفين مؤمنين وأمن الذين استضعفوا فيكون المستضعفون قسدين كافرين ومؤمنين (تعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية والاستهزاء (قالوا إنا بأمرسل به مؤمنون) فكأنهم قالوا إنا نعلم أنه مرسل ودليله إنا مؤمنون به وهو أبغ في الجواب (قال الذين استكبروا إنا بالذي آتيتكم به كفر) فوضوا أمتهم موضع أرسل به رد لما جعله المؤمنون • ولما مسلما (فنفروا الناقة) أى منحروها ومانحروها إلا قدار بن سالف ولكن كان ذلك برضاهم • وكان قدار هذا أحر أزرق قصيرا (ودعوا عن أمر ربه) تولوا عنه واستكبروا وهو ما بهم صلح بقوله - فندروها الخ - (وقالوا يا صالح اتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من المرسلين) فأخذتهم الرجفة (التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها) (فأصبحوا في دارهم جاثين) خاضعين مبتهين • قال المفسرون أنهم من بعد عاد همروا بلادهم وخلفوهم وكثروا ونحتوا البيوت في الجبل وكانوا في خصب من العيش فأرسل الله لهم صالحا وأجابههم الى الآلة التي طلبوها كما تقدم فخرجت الناقة من الصخرة ثم تجت ولدا ملها في الظلم فكنت الناقة ترحى في الشجر وترد الماء غبا فارتفع رأسها حتى تشرب انجر ثم يحلبون منها ما يشاؤون ويلبؤن أو انهمس ويتخرون وكانت تصيف بظفر الوادى فتهرب أنعامهم منها الى بطنه وتشتوي بطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فتشع بهم ذلك فذبحوها واقتسموا لحمها وغاب انفصيل في الجبل بعد أن رغا ثلاثة أيام فقال لهم صالح أصبح بوجوهكم غدا مصفرة وبعد غد حمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله في أرض فلسطين • ولما كان فحرة اليوم الرابع تحفظوا بالصبر وتكنفوا بالأنطاع فأتتهم مبيحة من السماء فتططعت قلوبهم فهلكوا • ثم قال تعالى (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين)

والظاهر أنه خاطبهم بهذا القول بعد موتهم كما خاطب رسول الله ﷺ أهل مكة في قلب بدر وهم ميتون
(سؤال ورد على المؤلف)

لما وصلت الى هذا المقام والطلع عليه أحد الأصدقاء أهل العلم المفكرين قال أى فائدة هذه القصّة في زماننا ونحن اليوم في عصر الحديد والبخار والغازات الخافقة والكهرباء والطيارات وزلزلة الأرض بأنواع الديناميت فلا يتظر الناس أن ترتل بهم الأرض زلزلة عظيمة طبيعية . وأى فائدة لمعرفة ناقة خرجت من صخرة وتبعها ابنها ثم قتل . وأى فائدة في ذكر أنهم شربوا لبنها ثم خالوا فأنتهم الصاعقة . وباسبحة ان عصر التقلبات والآيات والمفاجآت قد مضى وانقضى وأن العقول اليوم لا ترى لهذا أثر في الوجود . وكيف يأتي كتاب - جادى مثل هذا . وما الفائدة اذا كان لا يتنفع به الناس

(الجواب)

اعلم أيها الذي أن هذا السؤال يرد على جميع العقول الذكية ففهم من اذا مرّ عليه هذا الكلام يكت ويقول في نفسه انني ان نطق بهذا كفرت مع ان الله مطلع على قلبه . ومنهم من يجهر ويقول ان الدين للعوالم أما نحن فنحن علماء فلا حاجة الى الديانات عندنا . هذا ما عليه المتدينون في هذه الدنيا شرقا وغربا واعلم أن كل دين فيه أمثال هذه القصص ولو خلا دين من أمثال هذا لم تتبعه الأمم فان الديانات جاءت ليظهر بها الجهلاء بظواهرها ويستنتج منها العقلاء من أسرارها ومخائنها وليس يخفى عليك كتاب (كافية ودمنة) الذي يقرأ في المدارس جميعها شرقا وغربا وفيه حكمائيات يفهمها الجهلاء بظواهرها ويدرسها الحكماء والفلاسفة والسياسيون بحسب باطنها ويستخرجون منها نظام الدول والممالك والحيل السياسية وهي بحر علم وفلسفة وحكمة وأدب وخلق وجمال . واذا كان هذا فيلسوفا فكيف بكتاب أنزل على نبي من ربه . إن سائر الديانات ظاهرها سهل وفيها معان الحكماء لهم يتدبرون . ولا تظن اني أقول أن ناقة صالح حكمائيات كتاب (كافية ودمنة) في انها غير حقيقة فنحن نؤمن بناقته وبما جاء في ظواهر القرآن ونسلك عليها الى الله تعالى ولا نؤمن بالتفصيلات الطويلة التي لم يرد فيها نص . فقال عرف هذا وأى فائدة فيها عند الخواص . قلت اعلم أن أحوالنا التي نحن عليها ونشاهدها كل حين في بلاد الاسلام أشبه بما حصل لقوم صالح فنانة انقرها كل سنة والرجفة تأخذنا كل يوم ونحن غافلون . قال وعجبا لك أنت رأيت الناقة وسمعت الرجفة . قلت له وأنت أيضا لأنك من الذين رضوا بقتل الناقة فمذبوا . قال هذا خارج عن المعقول فكيف تفسر القرآن اذا كنت تقول ما يخالف العيان . قلت أنا أقول لك كما يقول القرآن . قال قل . قلت انظر أليس أمر الناقة المذكورة انها خرجت من صخرة وكان لها لبن يشربونه فنحروها . قال بلى . قلت أليس الصخر يفتته الماء والهواء والحرارة فيصير حصا ورمالا ويجري عليها الماء فينزل الى السهل فيزرع فيخرج منه الشجر والزرع فتأكله الدواب فيخرج ألف ناقة وألف جبل ونحن نشاهد هذه الآيات ونكفر بها أوليس من الكفر بها أن نترك النعم التي أنعم الله بها علينا في السهل والجبل والسماء والأرض أوليس السموات والأرض من آيات الله كما ان ناقة صالح من آيات الله غاية الأمر أن الناقة يفهمها العامة والآيات الأخرى يفهمها الخاصة ألم يقل الله - وفي الأرض آيات لموقنين - وللموقنون أرقى من المؤمنين فلئن آمن قوم صالح بناقته وهي آية - فكأنى من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - وقال الله تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين - أفليست آية النهار أرقى ألف مرة من آية ناقة صالح أليس شروق الشمس بعد الاظلام وظهورها مشرقه تلالا كمرور تريف بالحلى والحلل وقد نشرت على الأرض - لآلهة ذهبية جميلة مشرقة بهجة بهية منيرة تعطي الحياة لكل حي أكبر ألف ألف مرة من ظهور ناقة في صخرة يشرب منها قوم في قرية خاصة بل لا لبسة بين الناقة وبين الشمس . على أن الشمس لا يتدبر على قلبها الناس فانها قد بقيت

المحموم وكما أناس تضايبتوا منها فلم يقدروا أن يقتلوا وهي باقية إلى اليوم والناس يحبون ويؤمنون وهي باقية والله سبحانه بها آية وسمى ناقة صالح آية . فأما الأولى فهي آية العقلاء . وأما الثانية فهي آية العقول الجاهدة ولذلك جاءت هذه السورة لتوضح الفرق بين الآيات العقلية والآيات الخارقة للعادة كما سيأتي إيضاحه عند الكلام على سحرة فرعون وأتهم علماء فكان إيمانهم ثابتا . أما إيهلاء من د. إسرائيل فان إيمانهم المبني على خوارق العادات لم يلبث أن تبدل كفرًا . فالسورة يراد بها اظهار الحقائق للساكنين وأن الإيمان يمثل هذا إيمان الغافلين . إيمان لا يثبت له . أما العلوم الكونية فالإيمان التابع لإبراهيم هو الإيمان وهو اليقين . فقال صاحب أي كفر كفرناه وأي ضرر أصابنا وأي مناسبة بين حالنا وحال قوم صالح . قلت ألسنت تعلم أن الله أعطانا أرض عاد وثمود التي هي كانت أولا في الجبل ثم رحلوا إلى الأرض التي يقال لها مدائن صالح على ما يقال وعندنا أرض الحجاز ومصر وفلسطين وسوريا والعراق كل هذه وغيرها من البلدان المذكورة في القرآن ملك للمسلمين الآن ولا جرم أن هذا الملك أضخم من ناقة صالح . ألسنت ترى أن المسلمين لم يقوموا بشكر النعمة فيخذلوا الأمانة التي استودعها الله أيهم فبقي المسلمين أقل الأمم علما وعملا وتجارة وصناعة ذاك عقر الناقة أعظم من هذا . اننا نحن الآن عقرنا ألافنا من النباقي عقرنا معنوا لأننا لم نقيم بزراعة الأرض حق القيام ولا باستخراج مناجها ولا بحفظ ثورها ولا بتعليم أبنائها ولا بتحريمهم . فإذا عقرت ثمود ناقة خرجت من الجبل فنحن منعنا أن نخرج ومنعنا ألف ألف ناقة وبقرة واسنان بتخريب الأرض وقلة حفظها . قال صاحب في هذا رأيت كافرون . قلت كلا بل نحن عاصون لأن انتشار الصناعات والعلوم فرض كفاية وكل عنه مؤول . أدرى الله تعالى يقول في أول السورة - وذكرى للؤمنين - ونحن المؤمنون وهذه هي الذكرى . ألا ترى أن أهل أمريكا الأصليين وهم الجنس الأحمر النحاسي انقض عليهم الأوروبيون فأهلكوهم وأخذوا ديارهم لأن الله هو الذي فعل ذلك لأنهم ألبق لعامة الأرض . فأما الجر التوحشون فاهم عقروا الدقة وعتوا عن أمر ربهم . وانظر إلى اننا عارب الأندلس في زمن التريب كيف أفتاهم الأسبان بالانحداد مع أهل أوروبا وقتلهم أجمعين ألبس ذلك لأنهم عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وأي ناقة أعظم وأضخم من ملك الأندلس . قال إذن تريد أن نخرج عن ظاهر الظاهر إلى المعاني التي ذكرتها ولكني أراه بعيدا عن القرآن . قلت بل هو القرآن قصه . قال وكيف ذلك . قلت لسببين (السبب الأول) مجاء في أول السورة من قصة آدم وأبليس أم ترانه خرج من تلك القصة التي لا يجهلها أصغر وأجهل انسان في بني آدم إلى مسألة اللباس وكيف استنتج منها اسمهم يجب عليهم أن يلبسوا اللباس في الطواف ثم ارتقى إلى أن أنطق والكتمان والحرب التي هي لباس لنا من آيات الله وإلى أن هناك لباسا أعلى وأشرف وأعلى وهو لباس التقوى ثم طلب من بني آدم ألا يقتسم الشيطان كما فتن أباهم آدم ففزع عنه لباسه فليس ينبغي أن يخلع عنكم لباس التقوى بالمعاصي فلا تفرحوا أغواش ماظهر منها وما بطن فانظر كيف جعلت القصة درساً في الطبيعة النباتية . ودرسا في ستر العورة في الحلة . ودرسا في أن الشياطين يرونكم ولا ترونهم وهكذا . فإذا كان القرآن هو الذي فتح باب الفهم والعلم مع ان الكتب السماوية لا تتجاوز الظواهر انكلا على العقول فكيف تقف عند الظاهر في قصة ثمود والناقة (السبب الثاني) ان الله لا يريد لنا هذه الآيات بل يريد لنا الآيات الكونية وهو اقل - وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون . وآيتنا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ومارسل بالآيات إلا نخوفها - فانظر كيف أبان أن خوارق العادات ليست مثار الهداية للأمة وإنما هي زجر وتخوف وانظر كيف خصص ثمود والناقة فعلى القادة والعلماء أن ينهوا المسلمين عن الاضرار الواقعة بهم وليوظفهم من غفلتهم وليعلموهم مقصود هذه الآيات وان الله إنما يريد أن تنظر الحقائق ولذلك لما ألح كفار مكة على النبي ﷺ أن يأنهيم بآية

مثل هذه قال الله - أول يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - قال وما السبب في أن خوارق العادات لا تكفي للإيمان وأن الأمم اللاهية يجب أن يكونوا منكسرين لا مقلدين • قلت اعلم أن خوارق العادات أشبه بالتنويم المغناطيسي وكلما كانت الأمم غافلة كان الكذب عليها أدخل وكلما كانت أعقل كان العلم اليها أقرب والكذب عنها أبعد وهذا التنويم الشائع بين المسيحيين والأطباء والدجالين وبعض رؤساء الديانات

﴿ الطب ﴾

اعلم أن أهل الأرض جميعا بالنسبة للأطباء كالمؤمنين ولولا أنهم قالوا لهم الحق لم ينتفعوا بالطب لجهالهم فإن أكثر الناس لا يعلمون وأينما لوفال الأطباء الحق لم يكونوا أغنياء

﴿ حكاية ﴾

قابات طبيا كان تلميذى بالمدارس التجريبية وسألته عما يدركه من البراءة التي قل لها • فقال الكشك والفجل وعدة أنواع كثيرة • قلت وكيف ذلك • فقال تأخذ ماء الفجل مثلا وتعطيه لتبيلة الابن فتشربه وهذا أمر سهل والسكن الأطباء عندكم قاعدة وهي أنهم لا يقولون للرضى أن دواءك فيا هو بين يديك لأنهم لو قالوا ذلك لاحتقروا الطبيب ولم ينتفعوا بدوائه ولم يعلموه تقودا وكلما كان الطبيب أكثر حفظا لمركزه وأكثر اغترابا في القول والعمل كان ذلك أدعى للاحتفال فيه ولولاه تزل للرضى وقال إن دواءك في الفجل مثلا أوفى الملح لاحتقاره المريض وقال انه جهول بل يكتبون النذير (الروشتة) باقة لا يفهمها الجهور حرصا على المنفعة وجلبا للدراهم والناس جاهلون • أليس هذا تنويم للنفس وتغشية على عقولهم وهم لا يعلمون

﴿ الدين ﴾

ألمست ترى أن كثيرا من مشايخ الطرق يستعملون أموراً غريبة ليبدعوا فيهم أتباعهم ويؤمنون بهم أفليس ذلك ككثافة صالح وإن هذا الإيمان بالشيخ قد يصعد للتلميذ عن بعض العلوم وتبقى علم تقيصة في شيعة رجع إلى المعاصي وهو غوى شيطان كما قال تعالى - وما ترسل بالآيات إلا تخويفا - وإنما الذي يحفظ الأمم إنما هو العقل والتبصر • أفلا ترى أن أكثر العلماء في الاسلام يتبعون الشيخ لا مأمور تقوم على يدهم إما دجلا وتزويرا وإما بأمور أخرى كاتى ذكرها ابن خلدون عن قوم يسمون اتباعه متى أشاروا إلى قطع من انعم انبجعت بطون بعضها فيعطى صاحب النعم بعضها ليتقى بهما سوء الفقر والهلاك فسواء صح هذا أم لم صح فخوارق العادات سواء أكانت على يد صالح أو ساحر لا يمكن أن ترتقي بها أمة ولذلك ترى أتباع هؤلاء الشيخ من الصوفية لا يرقون المجموع بل ترى معلومتهم قاصرة على بعض الأحوال ويدرون الكون وما حواه والقرآن ومن تلاه وتقف العتول متصورة على شيوخهم نائمة حول أضرحتهم وهم غافلون • فعلى المسلمين أن يعلموا جميع الأمة تعليما عاما والا فلا حياة لهم ولادنيا ولادين • هذا ما نؤمله ونرجو الله أن يحققه

﴿ السياسة ﴾

وأما تنويم السياسة فاعلم أن السياسة في أوروبا يقولون للشرقيين قد جئنا بلادكم لنخرجكم من الوحشة إلى نعم المدنية فإذا هم أكثر توحشا وأوسع بطونا وهم ظالمون • فهذه الكلمات يتسلى بها الشرقيون وهي كلمات يقوها الذنوم للزوم بالفتح حتى تقفل عيناه ولا تسمع أذناه ويصبح قليل العقل لاعتياده النوم واتباع منومه وذلك ضياع انوار المادية والعقلية • هكذا اذا نامت أمة للسياسيين فاتهم يخربون بلادهم وهم غافلون • وهكذا أتباع الشيوخ اذا نامت عقولهم تبعوا لأشياخهم كان رقبيا محبوسا • ومن مصائب الانسان أن يقف عقله عند حدود شيخ واحد وربما كان جاهلا • فالعقل الانساني أوسع مجالا وأوفى علما وأرق عملا وأبعد أملا • ولست أقول ان جميع أبواب الطرق كذلك فإن كثيرا منهم صالحون مصلحون

(التجارة)

وهكذا ترى الأمم الغريبة حبست عقول الشرقيين بتجاراتهم الجسلة المنظر فبهروهم وأخذوا تقودهم فأصبحت بلادهم خازية على عروشها من الجهالة العمياء فلا اقتصاد ولا أعمال ولا علوم وهذا من نوع التنويم والأخذ بالعيون وإمامة الأمم واضعافها . ومن ذلك إشاعة الفسق والفجور في الأمة فيصبح الناس على الفسوق عاكفين وبالكسل راضين . سرح طرفك في بلاد الشرق التي احتلها الفرنجة تجدهم بهذا متصفين قال تعالى - وما كان ربك ليهلك الترى بظلم وأهلها مصلحون - . انتهى الكلام على القسم الثالث والرابع

(القسم الخامس)

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ *

(التفسير اللفظي)

(و) أرسلنا (لوطا) ابن هارن بن تارخ وهو ابن أخى إبراهيم وإبراهيم عمه (لإذ قال لقومه) يعنى أهل سدوم والبهيم كان قد أرسل . وذلك أن لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه إبراهيم عليهما السلام إلى الشام فنزل إبراهيم عليه السلام أرض فلسطين ونزل لوط بالأردن أرسله الله إلى أهل سدوم يدعوهم إلى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وقوله تعالى - إذ قال - أى وقت قوله (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) وهذا توبيخ وتقرع على تلك الأملة أى مانعها قبلهم أحد قط ثم بين الفاحشة فقال (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) وهذا مبالغة في الانكسار والتوبيخ والماتل يأتى أن يجعل المباشرة لداع غير الولد فإن الشهوات أودعت غرائزها قصد التناسل وبقاء العمران (بل أنتم) أيها القوم (قوم مسرفون) مجاوزون الحلال إلى الحرام (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من الفواحش (فأنجيناه وأهله) أى من آمن به (إلا امرأته) فإنها كانت تسر الكفر (كانت من الغابرين) أى الباقيين في العذاب لأنها كانت كافرة فهلكت مع من هلكوا (وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) أى نوعا من لظنر عجيب . وبين في سورة أخرى بقوله - وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ - وهو الطين المطبوخ (فأنظر كيف كان عاقبة المجرمين) * روى أن لوط بن هارن بن تارخ لما هاجر مع عمه إبراهيم عليه السلام إلى الشام نزل بالأردن فأرسله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم يفتوا عنها فأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمُ الْحِجَابَ فَهَلَكُوا * وقيل خسف بالمقيمين منهم وأَمْطَرْنَا الْحِجَابَ عَلَى مُسَافِرِهِمْ * اهـ التفسير اللفظي للقسم الخامس

(القسم السادس)

وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ
تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَإِذْ كُنْتُمْ فِيلًا
فَكَثُرَكُمُ * وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ
أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَخْضَعَكُمُ اللَّهُ يَسْتَأْذِنُ اللَّهُ يَسْتَأْذِنُ اللَّهُ
اللَّهُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَمُودُنَّ
فِي مَلَيْنَا قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ
نَحْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى
اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفَجَعَلْنَا يَتَنَاءَ وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاحِشِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ لَتُنَجِّنَّ شُعَيْبًا إِنَّا كُنَّا إِذَا تَخَالَفُونَا * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَفْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا مِنْ الْخَالَسِينَ *
فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَى عَلَى
قَوْمٍ كَافِرِينَ *

(التفسير اللفظي)

أى (و) أرسلنا (الى) أولاد (مدين) بن ابراهيم خليل الله (أنهم شعيبا) بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان
يقاله خطيب الأنبياء حسن مراجعته قومه ثم ان أم ميكيل بنت لوط وكان شعيبا عمي وكان قومه أهل كفرة نجس
في المسكيات والميزان (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم) يريد المعجزة التي
كانت له ولم يبينها القرآن (فأوفوا الكيل) للكيل (والميزان) ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوهم
حقوقهم (ولا تفسدوا في الأرض) بالكفر والحيف (بعد إصلاحها) بعد ما أصلح من أمرها بالتحبب والهداية
باتباع الأنبياء (ذلكم) الذي ذكرت وأمرتكم به من الإيمان بالله ووفاء الكيل والميزان وترك الظلم والبخس
(خير لكم) يعنى مما أتم عليه من الكفر وظلم الناس (إن كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين (ولا
تقعُدوا بكل صراط توعِدُونَ) وكانوا يقطعون الطريق ولما أرسل شعيب كانوا يمسكون على المراسد فيقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتنك عن دينك ويوعدون من آمن به بالانتقام (وتصدون عن سبيل الله
من آمن به) أى بالله (وتبغونها عوجا) أى وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الله به ووصفها للناس بأنها
معوجة (واذ كروا إذ كنتم قبلا) عددكم وعددكم (فكثركم) بالبركة في النسل وللال والعدد (وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين) من الأمم قبلكم فلكم فهم عبرة وقوله (فاصبروا) ترصوا وانتظروا وقوله (حتى
يحكم الله بيننا) أى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين (وهو خير الحاكمين) إذ لا معقب لحكمه لأنه
حاكم عادل منزّه عن الجور (قال للملأ الذين استكبروا من قومه) الى قوله (في ملتنا) أى ليكون أحد
الأمرين اما اخراجكم من القرية أو عودكم في الكفر ومعلوم أن شعيبا لم يكن في ملتهم وانما خوطب بما خاطب

به الذين آمنوا تغلبا للجماعة على الفرد (قال) شعيب عليه السلام (أ) نعود الى ماتكم (ولو كنا كارهين) أى أنعمودنا فى حال كراهتنا (قد افترينا على الله كذبا) أى قد اختلفنا عليه (ان عدنا فى ماتكم بعد إذ نجما لله منها) وجواب ان محذوف يدل عليه ما قبله يقول قد نخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فسادها وأتقنا الله منها (وما يكون لنا أن نعود فيها) وما يصح لنا ذلك (الا أن يشاء الله ربنا) خذلانا وارترادنا وهذا يفيد أن الكفر بمشيئة الله تعالى ومشيئته على حسب ماسبق به القضاء وما سبق به القضاء على مقتضى حال المعلومات والاستعدادات والقوابل • وكان نينا عليه السلام يقول كثيرا يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك (وسع ربنا كل شئ علما على لله توكلنا) فى أن يشقنا على الايمان ويخاضنا من الأشرار ويوفقنا لازدياد الايمان (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم والفتاح الفاضى والفتاحة الحكومة • وأظهر أمرنا حتى يتكشف ما بيننا وبينهم ويميز الحق من المبط (وأنت خير الفاتحين) اتق ضيق أوالكاشفين الامور (وقال الله الذين كفروا من قومك انهم اتبعتم شعيبا) وتركتم دينكم (انكم اذا ظالمون) لاسدالك صلاته بهذاكم ولأنكم تحرمون ما نالون من الخس والتطفيف وهذه الجلة سادة مسد جواب الشرط والتقسم للوطأ باللام (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا فى دارهم جاثين) أى فى مدينتهم ميتين • يقال ان الله حبس عنهم أربع سبعة أيام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا • وقال قتادة بم الله شعيبا الى أصحاب الأيكة وال أهل مدين فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة وأما أهل مدين فأخذتهم الرجفة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا جميعا (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) استؤصوا كأنهم لم يقيموا بها والمغنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الظالمين) ديننا وديننا لا الذين اتبعوه كما زعموا فانهم هم الزاللون من الوجود وهذا رد على قولهم - نحن اتبعتم شعيبا انكم اذا ظالمون - ثم قال تعالى (فتولى عنهم) بعد نزول العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى) أحن (على قوم كافرين) اشتد حزنه على قومهم ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد حزنى على قوم آيسوا بأهل الحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم نرا بهم • انتهى التفسير القضاى

(لطيفة)

ترى أن قصة أهل مدين وقصة قوم لوط قد ذكرنا بعد عاد ونورد لتكون العبرة شاملة والدكرى جامعة فكما أن قوم عاد أهلكوا بما اختاروا لأنفسهم من السحابة السوداء فهبت عليهم ريح صرصر عانية وأصبح القوم ضريحى كأنهم أعجاز نخل خاوية فكانت العبرة فى ذلك كما تقدم أن الأمم تغتر بعود الأمم الخلافة فتكون عليها عذابا وهكذا قوم هلكوا بعقر الناقة وكانت العبرة أن كفر الذم مؤذ خراب الأمم • هكذا كان فى قوم لوط استبدلوا الرجال بالنساء فكان اهلاك الواقع عليهم مشيرا لما فعلوا فقال فى سورة أخرى - فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل - وكذلك قوم شعيب بنحسوا الناس أشياءهم فى المكياج والميزان فأرسل عليهم حر شديد فأخذ بأفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا فى الأسراب كما تيل ليعردوا فيها فوجدوها أشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فأظلمت وهى الظلة فوجدوها باردا ونسبا فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساءهم وصبيانهم أهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض من تحتهم فاحترقوا كاحترق الجراد فى القلى وماروا رمادا - إن بطش ربك لشديد - • هذا ما قال عن قوم شعيب عليه السلام

(تطبيق هذا على حال المسلمين اليوم)

اعلم أن الأمم الشرقية اليوم قد افتنت بأهل الغرب الذين يحتلون بلادهم فيخذوا الناس أشياءهم • ومعنى ذلك أنهم يحبون مناجر الفاتحين ويضرمون بمصنوعاتهم وهذا نجس لأشياء أهل وطنهم وظلم لقومهم

قد وفوا للأعداء وبغضوا الأولياء وهكذا في العلم فتراهم يحقرون دين آبائهم وتاريخهم وينسون مجدهم وهذا بخس لأبناء ملتهم وتحقير لشأنهم . هكذا في الأزياء والأحوال . تراهم يتزبون بزبهم ويتطبعون بطباعهم ولا ينطقون إلا بلغاتهم . وهذا بخس لأهل وطنهم . وهذا أشد وقعا من البخس في المكيبات والميزان وإذا وظفوا أجنبيا أحترموه ولو كان جاهلا . هذا هو الذي نفهمه من العبرة في ذلك . هكذا تراهم يقبلون الحقائى وهذا كما قلب الحقائق قوم لوط فقلب الله على قريتهم سافلها . هكذا ترى أهل الشرق حينما يسمعون ذلك ويعتدون بالأجانب ويأبسون ملابسهم ويشربون شرابهم ويشاركونهم في ظهورهم ولعبيهم ويفرحون بهم . قد جعلهم ظلة لهم فاستظلوا بهم يربوا أولادهم على مشاربهم وأعطوا بعضهم شهادات دراسية كاذبة من بلادهم فيرجعون إلى الشرق وهم حاملوها وهم جاهلون فيجلسون على أرائك الحكم فيظلمون ولا يزالون على تلك الحال - حتى ينقض عليهم أولئك الأعداء فيفتكون بالأم فتكاهم صريحا ويسلبون أظالمين والمظلومين . هكذا كان ذلك بالأندلس . وهكذا هو اليوم في مصر والشام والعراق والهند . إن هؤلاء جميعا يقوم طوائف منهم يستولون بظل الأمم الغربية هم ونسأؤهم وأولادهم كقوم شعيب حتى إذا اجتمعوا تحت الراية الأجنبية وتم لهم الفوز اتلبوا عليهم فأهلكوهم فصار القيس سموما والرحمة عذابا والنعم حبيبا فالعبرة في القصص الأربع التي مضت راجعة لحفظ البلاد من الأعداء وعمارة الخراب وحفظ النسيب والعلوم ولا يخس لوطى ويعظم الأجنبي الخ فمن احتسب بالأعداء أضربه الداء ومن نبذوا تاريخهم ولغاتهم وأديانهم وأبجل من عادتهم أولم يقوموا بما ربههم الله من أرض وعقول فينموا ويرقوها أهلهم الله وأذلهم كما فعل بالأمم السالفة

(حكاية مصرية)

أخبرني منذ أيام مفتش من أفاضل المفتشين بوزارة المعارف المصرية قال . لقد ألفت (فلان) الافرنجى كتابا في علم الفلسفة العربية لا أفهم له معنى ولا أعتل فيه لفظا عبارات غامضة وآراء غامضة وعلوم خاطئة ولحن مشين وعلم ركيك قال فرائده لقد طلب مني تقرير هذا الكتاب بوزارة المعارف ثلاثة وزراء على التوالي فما أجبت لهم سؤالا ولا أطعت لهم أمرا . ولقد تركت الوزارة هاربا ورجعت إلى العلم نائباً . انتهى أقول إن سبب عدا أن الفرنجة لاحتلالهم بلادنا قبل استقلالنا يأمرون الوزراء أن يجعلوا كتب أبناء ملتهم هي التي تكون في مدارسنا أنهم يعلمون أنها لا تسمن ولا تفتنى من جوع والوطيئون يجيبونهم لذلك حفظا لما أكرموا واستبقاه لمرتباهم وقياماً بأوامر المبتطرين عليهم

(حكاية أخرى مصرية)

إلى أول ما ألفت من الكتب كتابا يسمى (جواهر العلوم) فقرره المفتشون في المعارف فلما علم بذلك وزير المعارف وكان متخرجاً من مدارس (الفرير) وهو من نسل تركي أخذ الكتاب وقرأه فرأى أن فيه مزيج العلم بالدين فلم يرقه ذلك فعمد إلى الأمر بعدم تقرير الكتاب وذلك لأنه على غير المبادئ التي تعلمها وعلى غير النظام الذي تلقاه عن اللبشرين من الأوروبيين . انتهى القسم السادس

(القسم السابع)

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

المصريين والاشوريين والبابليين وأهل سبأ والعينيين وأهل أمريكا القدماء والاشوريين والبابليين يقول انكم أيها الناس تقرأون تاريخهم وتظلمون على آثامهم وأنتم تعلمون انهم ما هلكوا بعد عظمتهم ولا ذلوا بعد أنفتهم إلا بعد أن غيروا نظمتهم وعصوا علماءهم وطغوا وظلموا فعاقبتهم وجعلناهم مثلاً لكم أفلا تخافون أن أطع على قلوبكم أي أختهم عليها فلا تفهم الحقائق لثراكم الضلالات والبسع عليها فلا تعرف الحق وتكون الحياة كلها تقليداً وجهلاً

يا محمد أنا قصصت عليك قصص تلك القرى وقد كذبوا الأنبياء وقد طبعنا على قلوبهم هكذا نطبع على قلوب الكافرين لمشابهتهم في الأعمال فتشابهوا في النتائج • ان أكثر الأمم لا عهد لها • ان أكثر أهل الأرض فاسقون لأن العالم الأرضي مقدمة لعالم أعلى منه وليس عالماً تاماً كاملاً والناس فيه أطفال جهال وسيفلون في عالم أرقى بعد الموت • ولكل درجات مما عملوا -

(تفسير بعض ألفاظ الآيات)

(البأساء) البؤس والفقر (الضرراء) للمرض (ينصرون) يتنقلون (بذلنا مكان السبئية الحسنة) أعطيناها بدل ما كانوا فيه من البلاء نعمة ورحمة (عفوا) كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم • يقولون عفا الثبات اذا كثروا وقوله (أهل القرى) أي التي أرسل اليها الأنبياء (لفتننا عليهم بركات من السماء والأرض) بالمطر والنبات أولاً تيناهاهم بالخبر من كل وجه وقوله (بما كانوا يكسبون) أي بكفرهم وقوله (أنأمن أهل القرى) عطف على قوله (فأخذناهم بفتة وهم لا يشعرون) وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك أمن أهل القرى وقوله (بيانا) أي تبيننا أو وقت بيات أوميتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البيتوتة وقوله (وهم يثاقبون) حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياننا وقوله (أنأمن أهل القرى) أي اغفلوا وأمنوا وقوله (نضحى) أي نحموة النهار وهو في الأصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وقوله (وهم يلعبون) يلهوون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم وقوله (أنأمنوا مكر الله) هذا تقرير لقوله - أنأمن أهل القرى - ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب وقوله (الخامرون) أي الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار وقوله - أولم يهد - أي أولم يبين فلذلك عديت باللام وقوله (ان لو نشاء) أي ان الشان لو نشاء (أصبناهم بدنوهم) وان وما بعدهما في تأويل مصر فاعل يهد وقوله (ونطبع) أي نختم (على قلوبهم) معطوف على ما يؤخذ من قوله - أولم يهد - كأنه قيل أيفعل الناس فلم يبين لمن يرتون أرض من خلا قبلهم أنا قادرين أن نصيهم بدنوهم ثم قال - ونطبع - كأنه يقول يفلون ونطبع ويصح أن يكون مستأنفاً وهو أسهل وقوله (لك القرى) أي التي ذكرناها وهو مبتدأ خبره (نقص عليك الخ) وقوله (بالبنات) أي المجنات وقوله (وما وجدنا لأكثرهم) أي لا أكثر الناس أولاً أكثر الأمم المذكورين (من عهد) أي وفاء عهد فان أكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الإيمان والتقوى بازال الآيات ونصب الحجج أو ما يسطون من العهد وهم في مخافة فيقولون - اننأنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (وان وجدنا أكثرهم لفاستقن) وجدنا علمنا وان هذه هي الخفة واللام فارقة • ويقول الكوفيون ان نافية واللام بمعنى إلا كأنه قيل وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين • انتهى القسم السابع

(القسم الثامن)

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَاهُ كَيْفَ كَانَ حَاقِقَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ

لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ *
 قَالَ إِنْ كُنْتَ جئتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
 ثُوبَانِ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ سَاكِئَةٌ لِلنَّاطِقِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا
 لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَإِذَا تَأَمَّرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
 وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تَوْكَلْ بِكَ نَ سَاهِي عَالِمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
 لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِلَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا
 أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ
 وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
 يَأْفِكُونَ * فَوَقَّحَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَوَلَّيْنَا هَٰؤُلَاءِ وَأَنقَلَبُوا صَاحِرِينَ *
 وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ
 آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَكُفْرٌ مَكْرُمُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَتَجْمَعِينَ *
 قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ * وَمَا نَنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ
 عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
 الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنَقْتُكَ أِبْنَاءُكُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ
 مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
 لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أَوِزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَنَحْنُ بَعْدَ مَا جِئْنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ
 عُدُوْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
 بِالسَّيْنِ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ * فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا إِنَّا هَٰؤُلَاءِ وَإِنْ
 تُصِيبُنَا سَيِّئَةٌ سَبَّئَتْ يَظْهَرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا ظَلَمْهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا
 يَنْتَلِمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَا بِه مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَاتَّخَذْنَاكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالنَّمْلَ وَالضَّمَادِجَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَلَا تَسْكُبُرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

مُجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَمِدَ عِنْدَكَ لَشَيْءٌ كَشَفْتَ
 عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ
 مُّ بِالْقُوَّةِ إِذْ أُنْمِيتُوا يَنْكَبُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
 عَنْهَا غَافِلِينَ * وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا
 فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَخرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ
 وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَى
 أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْجَلُونَ * إِنَّ
 هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ
 عَلَى الْعَالَمِينَ * وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُمْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ
 وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
 وَأَتَمَمْنَاهَا بِشَرْقَى مِيقَاتُ رَبِّي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي
 وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي
 أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا
 تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا
 أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي نَخَذُ مَا آتَيْتُكَ
 وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ
 نَخَذُهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ * سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي
 الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
 الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهَا لَكِنَّهُمْ لَا يُخْزَوْنَ إِلَّا
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْفِهِمْ مَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورَاءٌ أَلَمْ يَرَوْا
 أَنَّهُ لَا يَكْلَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا

أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قَالُوا لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَلَمَّا رَجَعَ
مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَكَ أَسْفَا قَالَ يَشْسَ مَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَمْدِي أَتَعْبِدُونَ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى
الْأُلُوحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي
فَلَا تُشِمْتُ بَنِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْمَلُنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا
فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَبَابًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ * وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا
وَأَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأُلُوحَ
وَفِي نَسْحَتِهَا هَدَى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ * وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا
لِيَلْقَا رَبَّهُمْ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمْ الرِّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا
فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا
إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ
آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي
وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَقَطَعْنَا لَهُمْ عَشْرَةَ أَسْبَابًا أُمَمًا
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أُمَّتَانِ عَشْرَةٌ
عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلًّا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَارِزَقْنَاهُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا

هَذِهِ الْقَرْيَةُ وَكُلُّوْا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَمْتَزِلْكُمْ خَطِيئَتَكُمْ
سَتَرِيْدُ الْمُحْسِنِيْنَ * قَبَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُوْنَ * وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَمْدُدُوْنَ
فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَّائُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُوْنَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُوْنَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا قَالُوا مَعَذِرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ
يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُوْنَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ
مَآثِهِمْ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَنْ يَسُوْهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنْ رَبُّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ * وَقَطَعْنَا فِي
الْأَرْضِ أَمْمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُوْنَ وَمِنْهُمْ دُؤُوبٌ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاكُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّكُمْ
يَرْجِعُوْنَ * نَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُوْنَ عَرَضَ هَذَا الْأَذَى
وَيَقُولُوْنَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوْهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ
لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَارِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ *
وَالَّذِيْنَ يُسْكُنُوْنَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُسْلِحِيْنَ * وَإِذْ تَفَقَّأْنَا الْجَبَلَ
فَوَقَّعْنَاهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوْا أَنَّهُ وَافِقٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُوْنَ * وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ
بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا
أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُوْنَ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَرْجِعُوْنَ *

قد أخر الله عز وجل هذه القصة لطول الكلام عليها ولما فيها من العبر والآيات ولقد كان زمانها بعد ما
نقدما وكما فيها من عبرة . وكما فيها من حكمة . ألم تركب كان موسى عليه السلام تارة يحاج الفراعنة
وبعدوا الى الله ثم يحاج قومه ويعظهم أخرى . وكيف أفادت تلك المحاورات الفرعونية ما كان في مصر من
المجالس النبائية والحكومات الشورية مع وصفهم بالظلم وبعدهم عن العدل مع الغريباء . ثم كيف استبان
ما للإيمان البني على العلم من الأثر الشريف والفضل المنيف . وكيف كان السحرة أذبت إيماناً وأعلى بدياناً

من جهة بني اسرائيل إذ قالوا - ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة - وكيف رضى السحرة المصريون أن يموتوا وهم موقنون ورضوا بالقتل وهم مسلمون . وكيف عبد بنو اسرائيل عجلا مصنوعا من الذهب بعد مارأوا العسا فلبت ثمتا ففهم بذلك أشبه بالصبيان يفرحون بالجلوى حتى اذا شتموها أكلوا غيرها وكالذين يبيعون الرطب من التخل الذى هم زارعوه يأكلون رطبا كثيرا فاذا شتموا منه أكلوا سمكا ملحعا وهكذا شأن جمع الناس في أمورهم الجسمية يستحبون تغيير المناظر والأطعمة والملابس والأزياء والسفر الى البلدان ترويعا للنفس من عناء الأعمال . فالعالم للمادى كثير التلون والغبر وعلى ذلك لاثبات له . فأما الثبات فليس يكون إلا لعالم المعنويات والبراهين العقلية والعلوم الرياضيات والحجج للمنطقيات ذلك هي العلوم الباقية والآراء الثابتة والأحوال الصادقة . فانظر كيف كان إيمان الجاهل أضف أثرا وأثقل دوما . وكيف أضل السامري بنى اسرائيل إذ صنع لهم - عجلا جسدا له خوار - فقال - هذا إلهكم والله موسى -

وفى هذه الآيات دلالة أن الجهاد من المهد الى المهد فان موسى عليه السلام بعد أن حاج المصريين ونجى قومه وذهب الى التيه معهم أصبح في جدال وحوار معهم وهم يكفرون تارة ويؤمنون أخرى فهو محارب لعدوه وعلى حذر من قومه ولكن العاقبة للتقين فقد فاز بقبولهم الألواح واحتدوا بهديه وأصبحوا مؤمنين . فهذه القصة تعطى علم الصبر وإن النجاح يتبعه وتفيدنا أن الإيمان يقبضى لاسبيل اليه إلا بالعمل ولا نجاح لأمة إلا بالعمل فأما التقليد فانه شر مستطير . فالأول كالسحرة والثاني كبنى اسرائيل وتعلمنا أن الانسان محاهد مادام حيا فلا يركن الى أحد فانهم جميعا متقبلون وليس الخلد من الصديق بأقل قوة من مقاومة العدو بل الأوياء والأصدقاء هم الذين يراقبون لأن القلوب متقلبة والنفس الانسانية غير ثابتة كاللادة التي فيها يتقبلون وأيضا هؤلاء ملازمون والأعداء مفارقتون ولما شر اذا ضرب لم يتحلى في ضربه بل يصيب المرمى . ولذلك قال عليه السلام (وجهنا من الجهاد الأصفر الى الجهاد الأكبر جهاد النفس) وذلك لما رجع من إحدى الغزوات وبنى هذا والمحافل هذه القصة فان موسى كانت عدواة فرعون له وقتية ونجاة منه . أما قومه وأهله فقد تلذذوا مرار كثيرة . شتموا المتن والسوى . وعصوا أن يدخلوا الباب سجدا . وعبدوا الجبل وهكذا فلا تظهر عورات الأمم الا في حال أمنها . أما في حال الخوف فانهم بالعدو مشغولون . وهؤلاء لم تظهر عيوبهم إلا بعد أن خرجوا من مصر ففرغوا لما استعنت له نفوسهم من التأون وانفرت في انجباة والشك والاشراك ولذلك ختمت هذه القصة بآية أخذ العهد وسألت أن العهد الذى أخذه الله على الناس يرجع الى نظام العالم وجهاله وكأنه ناطق بضميخ الدبرة أن الله لا رب سواه وأردف ذلك بقصة من هو عالم وترك العلم فلم يميل به وعصى وانسلخ منه وصار شيطانا مريدا . فأتم مافى هذه القصة العلم اليقيني ولا يكون إلا بالنظر في الطبيعة بدليل العهد المأخوذ على الناس في مناظر الأرض والسموات ويتلو العلم الصبر والأخلاق الفاضلة وتكون النتيجة العوز والنجاح

وتجيب كيف تكون هذه القصص كلها على نسق واحد وقد كانت تنلى على المسلمين وهم ضغفاء فتقوى عقائدهم ثم كيف أصبحوا أقويا مشاكة لقصص الأنبياء . هكذا تكون العلوم . وهكذا تكون المجزآت وهذه هي العوائد المستنتجة من الآيات لافائدة إلا بشحو ما ذكرناه . ولا نفع إلا في نحو ما حورناه فأما القراءة اللغزية والتفسيرات الحرفية فانما هي شأن المقرئين وقراء القرآن الجودين ولكن حياة الأمم بالاستنباط والاستدلال والرقى بغير ذلك وأمثاله محال . ولنبدا بالتفسير المنطقي فنقول . قال تعالى (ثم بشنا من بعدهم) الضمير للرسل فى قوله - ولقد جاءتهم رسالهم - (موسى بآياتنا) بالمجزآت الواضحات (الى فرعون ولئن فظلموا بها) فكثيرا بآياتنا أجري مجرى الكبر لأنهم من واد واحد وفرعون لقب لكل من ملك مصر ككسرى الملك فارس (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أى انظر يا محمد بين العقل والبصيرة كيف

فلما بهم وكيف أمكنكم (وقال موسى لفرعون إني رسول من رب الملئكة) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) أي أنا رسول على ألا أقول على الله إلا الحق (قد جئتكم بيعة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل) غلظهم يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم (وذلك أن يوسف عليه السلام) لما توفي غلب فرعون على نسل الأسباط واستبعدهم لأن المصريين القدماء كأهل الصين لا يسمعون للغير أن يطأ بلادهم ولكن لما دخل العرب العمالة مصر واستوطنوها نحو خبيثة سنة أباحوا دخول الأجانب كالعبرانيين . ولما شب يوسف عليه السلام وعظم شأنه وأصبحت في يده خزائن مصر أرسل إلى أبيه وأخوته فأثروا مصر وبعد مدة رجع المصريون إلى فكرة الخوف من الأجانب فاضطهدوا بني إسرائيل بحكم تنازع البقاء فجاء موسى وقال لفرعون فأرسل معي بني إسرائيل (والدة) بين دخولهم أيام يوسف وخروجهم أيام موسى الذي اتفقهم أربع مائة عام (قال إن كنت جئت بأية) من عند من أرسلك (فأتيتك إن كنت من الصادقين) فأتيتك بها تصح دعواك ويثبت صدقك فيها (فأتاني موسى صاعداً هاهنا) لذا هذه المفاجأة وهي ظرف زمان بمنزلة تمت وهناك (فبان مبيّن) حية عظيمة وقوله - مبيّن - ظاهر . روى أنه لما لقيها صارت مبيّناً أشعر فأغرا فاه بين لحية ثمثون فذلها وضع لحية الأسفل على الأرض والأعلى على صور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وانهزم الناس من جميع فلت منهم (٢٥) لقي خمسة لخم . وهذا لم يذكره القرآن فلانعرف إلا ما جاء به أو ما ثبت في الأحاديث قام البرهان على صحته وعلى كل فالهم في هذا كله العبرة من هذه القصص فالتقص تذكر بناسبتها العلوم وما هذا ذلك بكتفي به القاصرون واعلم أن هذه الحية العظيمة كانت خفيفة الحركات فمن يراها يظن أنها جان أي حية صغيرة كما في آية أخرى - سكتها جان - أي في خفة الحركة فهي كبيرة الجسم خفيفة الحركة (وزرع يده) من جيبه أودن تحت إبطه (فاذا هي بيضاء للناظرين) معناه أن البياض لم يكن من جبلها وطبيعتها لأن سيدنا موسى عليه السلام كان آدم شديد الأدمة فليس في يده بياض فلما أدخلها في إبطه وأخرجها إذا هي بيضاء فورانية غلب شعاعها شعاع الشمس فصار بياضها للناظرين لاني جبلتها ويصح أن يقال بياض بياضاً خارجاً عن المادة تجتمع عليه النظارة (قال الملا من قوم فرعون إن هذا لاسر عليم) ولقد جاء في سورة الشعراء - وقال فرعون للملا حوله إن هذا لاسر عليم - اعلم أن مجلس الأعيان والنواب عن البلاد والملك على رأسهم متى تناوؤوا في أمر وأقرروه بعد المراجعة والمحاورة أصبح مقولاً لهم جميعاً وإذا كان هذا قولهم هنا وقول فرعون في سورة القصص فمعناه أن الأمر كان شوري وكان الرأي متى تم عملوا به بدليل أن الملا قالوا هنا وفرعون سيقوله في الشعراء فإن الحكومة لا تعمل بالمشورة إلا بعد تمامها فكان ذلك إشارة إلى الحكومة للنظرة إذ ذلك يقول للملا ثم يقول الحكومة وقول الملا جعل في القرآن في السورة التي تقدمت على السورة التي ذكر فيها قول فرعون وهذا من عجائب العلم والحكمة . قول الأمة فتتضع الحكومة . ومعنى كون سلسرا عليها أنه يأخذ بأعين الناس حتى ينجح إليهم أن الصا صارت حية ويرى الذي يخالف ما هو عليه كما أراهم يده بياض وهو آدم اللون وقد كان السحر غالباً في مصر (يريد أن يخرجكم من أرضكم فإذا تأمرون) تشيرون في أن تفعل (قالوا أربحه) أي أربحه أي أخوه أي أخراهم وقرئ - أربحه - على الأصل (وأخاه) هارون (وأرسل في المدن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر عليم) مله بستانة السحر (وجاء السحرة فرعون) بعدما أرسل لهم الشرط في طلبهم (قالوا أتنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين) وهذا جواب سؤال كنهه قيل ماذا قالوا إذ جاءوا (قال نعم) لأن لكم لأجرا (وانكم لمن اللقيين) عطف على الجملة التي سبقتها نعم (قالوا يلوسى) لما أن تلقى واما أن نكون نحن اللقيين خيروا موسى مراعاة للأدب وأظهرا للجلالة وإن كانوا هم أنفسهم يرغبون أن يلقوا قبله (قال اتقوا) من باب الكرم والتسلع وحسن الخلق والأدب

اللائق بالأنبياء (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) بأن خيلا إلى الأعين ما يخالف الحقيقة (واسترهبوهم) وأرهبوهم لرحاها شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم (وجاؤا بسحر عظيم) في فته • يقال انهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقا أيضا وألقوها على الأرض فلما أرتح الشمس فيها تحركت والثوى بعضها على بعض حتى خيل للناس أنها حيات والأرض إذ ذاك قد امتلأت بالحيات وأوجس في نفسه خيفة موسى لأجل فرع الناس خيفة أن يفترقوا قبل ظهور معجزته (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك) فألقاها فصارت حية (فلذا هي تلقف ما يأفكون) أي تتلع ما يزورونه من الافك والافك هو صرف الشيء عن وجهه يقال انها لما تلقفت حياها وعصيمه وابتلعها بأسرها أقبلت على الحاضرين لتبتلعهم أيضا فهربوا وازدحوا حتى هلك جمع عظيم منهم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فثبت لظهور أمره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة والافك (فطلبوا هنالك) وانقلبوا صاغرين أي صاروا أدلاء مبهورين أوردجوا إلى المدينة أدلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه (والتي السحرة ساجدين) فله أي ان الله جعلهم على السجود حتى ينكسروا فرعون ويهزم عن أي هم عتة ليكسرهم موسى واتقلب الأمر عليه فان الحقيقة تظهر ويغتمها ما هو في جانبها وما هو في صف عدوها على السواء فالحقيقة غالبية ولو بعد حين ومادم الانسان على الحق فانه غالب لا محالة (قلوا أئنا رب العالمين رب موسى وهرون • قال فرعون أمتهم به) بالله أو بموسى (قبل أن أذن لكم إن هذا لكم مكر عظيم) أي ان هذا الصنيع حيلة احتتموها أتم وموسى (في المدينة) في مصر قبل أن يخرجوا للبلاد المضروب (لتخرجوا منها أهلها) أعني القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة ما فعلتم وهذا تهديد مجمل ثم فصله فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لأصلبنكم أجمعين) فتنصبا لكم وتنكلا وخزا لكم وعبرة لتبركم (قلوا إنا إلى ربنا منقلبون) بالمولت فلا نبالي بوعيدك • وقيل في المعنى

وإذا لم يكن من الموت بد • فمن الهجز أن تكون جانا

ثم قال الله تعالى (وما ننقم منا) وما نترك منا (إلا أن آتينا بآيات ربنا لما جاءتنا) أي ما نترك منا إلا إيماننا ولا جرم أن حرية الفكر هي مبدأ السعادات فإذا لم تكن أحرارا في آرائنا فالقبر خير لنا ولم يبق لنا إلا الرجوع إلى الله (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي هب لنا صبرا واسما وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويضمنا كما يفرغ الماء افرغا (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام • قيل انه لم يفعل بهم ذلك فلم يقدر على انفاذ وعيده فيهم لما جاء في آية أخرى - أننا ومن اتبعكم التالبون - وهنا قد فرغت الحاجة وخذل القوم من جهة السحر وعبادة القوى أن يستعمل الحجة فإذا بطلت استعمل القوة وهذه حادة الأقوياء مع الضعفاء وأوروبا مع أهل الشرق وقلبك أعقبه بقوله (وقال للملأ من قوم فرعون أئذرموسى وقومه ليسدوا في الأرض) أي أرض مصر بالاستعداد فيها وتغيير دين أهلها (ويذكركم وأهلككم) معطوف على يسدوا • ومعلوم أن مصر فيها معابد كثيرة وفيها أبواهل وغيره وكانوا كالمساكين يعبدون الكواكب ويعملون لها على الأرض أصناما ينبت لتأخذ بألباب العابدين ولهم جداول وفتية للكواكب البسة وفيها حساب دقيق قد ذكرت ملخصه في أول سورة البقرة وإن الله هو الواحد فله عدد (١) وأما المادة التي بها هذه الكائنات فلها عدد (٢) وزحل (٣) والمشتري (٤) والمريخ (٥) والشمس (٦) والزهرة (٧) وعطارد (٨) والقمر (٩) وقد كانوا يعملون لها ربما يكتبونها في محافهم من ذهب في أوقات خاصة لمنافع يزعمون أنهم ينالونها وتلك الربعات ناشئة من ضرب الصد في نفسه • فخلا المشتري له عدد (٤) وشكله (١٦) ونجد الأعداد في الطول والعرض إذا جمعتهما تكون متساوية وهي تتبدى بواحد وتنتهي بعدد (١٦) وكل صف أثني أراسي

أرطغر من القطرين مجموعته (٣٤) فإذا كان الصف الأعلى (٤) و (١٤) و (١٥) و (١) والذي تحته (٩) و (٧) و (٦) و (١٢) فانك تجد كل واحد (٣٤) وهكذا ولعلماء الارتباط في هذه الأشكال قواعد يمكن وضعها في غاية السهولة . ويظهر أن هذه الأشكال كانت تخلف عقولهم إذا علموا أن حسابها منظم مدبهر فتحدثت في النفس الإنسانية استهواء فتصير في حال أشبه بحال التنويم المغناطيسي فبمثل هذا كانوا يبدون الصور المصنوعة والصور المصنوعة قائمة مقام الكواكب والكواكب من صنع الله الذي هو الواحد وهي من تكرار الواحد فلو كان الواحد ما كان الاثنان وهو المادة ولولاها ما كان الثلاثة وهو زحل وهكذا فكل واحد هو وما قبله سبب فيها بعده كما أن كل عدد هو وما قبله عليه ما بعده . هذه هي الآراء التي كانت فاشية عند أكثر الأمم القديمة . ومعلوم أن فراغت مصر كانوا يسبون للعالم العلوية انسابا خرافيا كلكوك الصين وملوك اليابان ولولا بطلان الآراء القديمة ما تقدم نوع الانسان لأنه اذا كانت الكواكب السبعة هي التي وقف عليها علوم البشر وحاموا حولها وجعلوا النظام الإلهي الشمسي قاصرا عليها حتى تصل إلى القمر الذي من تحته علنا الأرض فما كان يقضى للناس أن ينظروا السيارات الجديدة مثل (لورانس وبنوتون) كما أوفحنه في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام في سورة الأنعام فلما قال للآل من قوم فرعون ذلك (قال) فرعون (استقل أنباهم) صفارا كما كنا نقتلهم قبل ولادة موسى (ولستحي نساءهم) نتركهن أحياء لنستخدمهن وذلك لنقلل عدد بني اسرائيل الذين يمتز بهم موسى (وانا فوقهم قاهرون) وهم مقهورون تحت أيدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون وتنجروا منه وذلك ليسكن قلوبهم (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وهذا وعد لهم بالنصر وانهم سينجسون من قبضة المصريين والأرض للجنس لا للعهد والافقوا اسرائيل لم يملكوا القطر المصري (قالوا) أي بنو اسرائيل (أؤذينا من قبل أن تأتينا) بالرسالة بقتل الأبناء (ومن بعد ما جئنا) بأعدائه (قال عسى وبيكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض) أي جنس الأرض وهي هنا فلسطين وهذا وعد صريح بعد التلويح زيادة في التثبيت لزيادة الشكوى وتكرارها (فينظر كيف تعملون) فيرى ما تعملون من شكر وكفر وطاعة وعصيان فيجازيكم على مقتضى أعمالكم وحقبة قد فصل بهم ذلك لأنهم لما خرجوا إلى فلسطين كانت لهم حكومة جمهورية ثم حكومة ملكية ثم طغوا في الأرض فأذلم الله على يد مختصر فرقم في جهات أسبلان ثم رجعوا وعصوا أيلهم عيسى عليه السلام فأجلاهم الروم الجلاء الكبرى قبل انتهاء القرن الأول للمسيحي ولم يرجعوا إلى الآن . نعم في هذه الأيام أرجعهم الانجليز في الحرب الكبرى ولكن لا تدري ماذا يصنع الله بهم بعد الآن . هذا معنى قوله تعالى - فينظر كيف تعملون - فليس مجرد النصر كافي كما أنه ليس مجرد الانتساب إلى الاسلام كافيا فالمدار على الأعمال

(الآيات التي أنزلت على موسى عليه السلام)

اعلم أن قصة موسى في التوراة ذكرت في سفر الخروج فذكر في أوائله أن بني اسرائيل بعد موت يوسف تغير حالهم عبد للوك الذين جاؤا من بعد فقالوا ان بني اسرائيل قوم أجانب عنا ولذا حدثت حوب بضمونهم إلى اعدائنا وبحارونا وضعدون في الأرض فسخرهم وأذلهم وجعلوا عليهم رؤساء من المصريين ليسخروهم فبنوا لهم مدينتين وهما (عخازن فيثوم ورعمسيس) وكانت أهم أعمالهم في الطين والقراب وهمل الزراعة فهم يصنعون اللبن للبناء ويرزعون الحقول وكان ما كانت من قتل الأطفال ونجاة موسى من القتل وهو طفل وكيف كبر موسى ونصر الاسرائيلي على القبطي وقتل للمصري ثم فر وتوجه إلى شعيب وزوج ابنته بدين وكل هذا سيأتي تفصيله في سورة القصص والتوراة قد أطالت القول فيه ثم رجع بإمرائه فأوحى الله إليه لما رأى النار في شجرة الملق وأمره بأن يخاطب فرعون فامتثل أمر الله . ولما رجع إلى مصر

أظهر آية الصا وآية اليد لى اسرائيل قآمنوا . ثم توجه الى فرعون ومعه أخوه هرون بأمر الله فقالا لفرعون . وهذا لى التوراة

(هكذا يقول الرب لى اسرائيل أطلق شعى لىعبدنى فى البرية . فقال من هو الرب خنى أسمع لقوله فأطلق اسرائيل لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه . ثم زاد الكرب والنفط على بنى اسرائيل بحيث كانوا يؤرمون بجمع التبن لأجل ضرب اللبن فضلا عن عدد اللبن المطلوب منهم المفروض على كل منهم)

يقول فى التوراة ان موسى حينما دخل على فرعون كان ابن ثمانين سنة وهرون كان ابن ثلاث وثمانين سنة . وأمر الله أن يلقى الصا ألم فرعون فصارت ثعبانا . ويقول إن السحرة للمصريين رموا عصيم فصارت ثعابين فابتلعت عصا موسى وعصيم والذى رماها هو هرون بأمر موسى . ثم لما لم يمثل فرعون فلم يرسل بنى اسرائيل أمر الله موسى أن يقول لفرعون (ها أنا ذا أضرب الصا التى فى يدى على الماء الذى فى النهر فتتحول دما ويموت السمك الذى فى النهر فيجاف المصريون أن يشربوا ماء من النهر الخ)

ولم يمثل فرعون بعد ذلك ولم يطلق بنى اسرائيل ف ضرب هرون الصا بأمر موسى على الأنهار والسواقي الخ فصدمت الضفادع وغطت أرض مصر . وفى كل مرة يستغيث فرعون ويقول (أرسلهم معك) ثم بعد زوال المصيبة بدعاه موسى وهرون يضر عليهما ثم كان ضرب الصا أيضا فم البعوض بلاد مصر ثم التباب ثم موت المواشى ثم السامل ثم نزول البعد من السماء على هيئة مطر قتموت البهائم التى فى الحقول والنار كانت تنهب فى وسط البلد ثم كان الجراد ثم كان ظلام داس

لذن الآيات للذكورة فى التوراة اليد والصا والهم والنفادع والبعوض والتباب وموت المواشى والسمام والبرد والجراد والظلام الداس . وقد جاء فى هذه الآيات الصا واليد وقد تقدمتا . وقد ذكر غيرها من البقية فقال (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) بلحطب لقلة الماء والسنة غلبت على علم القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم لشتق منها قيل أسلت اقوام اذا خلطوا (وتقص من الخرافات) بكثرة العاهات والآفات (لهم يذكرون) لى ينهبوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ففرق قلوبهم بالشدة فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيها عنده (فلذا جاءتهم الحسنة) كالغيب والسنة (قالوا لنا هذه) لأجلنا ونحن مستحقوها (وان تصبهم سيئة) جنب وبلاء (يطعروا بموسى ومن معه) يتشاءموا بهم ويقولوا ماحل بنا هذا البلاء إلا بشؤمهم وهذا من قسوة القلب فان المصائب إنما تحل بالناس لترقق القلوب . فأما هؤلاء فان قلوبهم اشتدت صلابتها فهم كالطين يمسك ويصطب بأقاد النار عليه بخلاف الماء وأنواع السوائل فان النار تطفئها . فالتاس اذن (قسيان) قسمة تهنه المصائب فهو كاللواذ المستعقة للنيران . وقسم تقسى قلبه فهو كأنواع الأحجار والطين وما أشبه ذلك ومنهم من يحتاج الى نار شديدة فتهدبه كالحديد والنحاس ثم قال تعالى (ألا انما طأثرهم) سبب غيرهم وشترهم (عند الله) فى حكمه ومشيئته ولقته هو الذى يقدر ما يسبهم من الحسنة والسيئة . قال كل من عند الله . (ولكن أكرههم لا يعلمون) ذلك (وقالوا مهما تأتنا به من آية تسحرنا بما كنا عنك جومنين) يعنى أيا شئ تأتنا به . وبين مهما للقسرة بما ذكر بقوله من آية تسحر بها أميلنا ونسبه علينا . فما نحن فك جومنين . والضمير فى به وفى بها لهما . ولكنه مذكر أولا ليعتبار لفظهما ومؤث تأتيا لما يثبت بلفظ آية ومهما فى محل نصب بفعل يضره تأتيا أولى محل رفع بالابتداء (فلرسلا عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغشى أما كنهم من خطر وسيل . وقيل للموتان أو الطاعون وهذا القول الأخير أقرب عما جاء فى التوراة (والجراد والقمل) قيل هى الباغيت (والنفادع والهم) وقد تقدم أكثر ذلك قلا عن التوراة (فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالثوء) الى حد من الزمان هم بالثوء لا محالة كما قدرناه عندها فى صلتنا القديم (لذا هم ينكتون) أى فلما كشفنا عنهم العذاب فاجزا بنكت العهد وتقص الميثاق

ولقد تقدم ذلك في عبارة التوراة فقد كانوا كلما عاهدوا موسى أن يدعوا الله رفع العذاب وبعد ذلك يأذنون له بأخذ بني اسرائيل فيدعو الله ويستجاب الدعاء يشكون ثم يأمره الله بآية أخرى وهكذا في كل مرة يعاهدونه ثم ينقضون الميثاق بعد ذهاب العذاب عنهم (فاتقنا منهم) والانتقام ضد الانعام كذان العقاب ضد الثواب (فأغرقناهم في اليم) هو البحر وهو مظلم الماء (بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أى كان اغترابهم بسبب تكذيبهم بالآيات. (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) وهم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارك الأرض ومغارها التي باركنا فيها) أى مشارق الأرض للقدس ومغارها وهي بيت للقدس وما يليه من الشرق والغرب وهذا هو الذي تم فعلا في التاريخ وأما ذكر مصر في هذا الموضوع فهي خرافة دخلت في كتب التفسير وهي كاذبة بأمرين التاريخ وهو معلوم والقرآن فان الأرض التي بارك الله فيها في القرآن لا تطلق الا على الأرض للقدس! الأثرى الى قوله تعالى - سبحان الذي أمرى عبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله - فافهم (وتحت كفة ربك انطسى على بني اسرائيل) وهي قوله تعالى - وزيد أن غن على الذين استضعفوا في الأرض ونجلهم أئمة ونجلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وسنودهما منهم ما كانوا يحذرون - فهاهنا تحت كفة الله الحسنى لهم بأن ملكهم أرض بيت المقدس (عاصمدا) بسبب صبرهم على الشدائد (ودمرنا) وخربنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من المباني العظيمة وبعض الاهرامات والهارات (وما كانوا يمشون) أى ما كانوا يسبقون من ذلك البنيان أو ما كانوا يبتون من البيوت والصور . وهذا تمام قصة فرعون وقومه . وهنا الطائف

(العليقة الأولى)

قد علمت أيها الذي أن هذا القصص جله تذكرة لنا وآيات موسى من الجراد والقمل والسما واليسعت في الأيام العظيمة والصور الدائرة وبنو اسرائيل الأولون قد ماتوا ونحن الآن في عصر لانهم فيملا بما ينضج الآن الله يقول - وذكرى المؤمنين - فأما الذكرى لنا فاعلم أن النذر والآلام والبلايا اذا صبا الله على قوم فانه لا يريد إلا ايقاظهم وديمهم وهؤلاء القوم اما أن يكونوا كالمطين كما قدما فيزدادوا صلابة فيستحقوا النار كالذين المصنوع من الماء والطين والتبن اذا ضربته الشمس صلب فيوضع في التور فيزداد صلابة . واما أن يكون كالثلج أو كالزبد فاذا سلطت النار عليهم لانت شكيبتهم ولبت طبيعتهم واتقادوا شاعين خاضعين كلماء ينزل الى الأنهار فيجري كالسمن من الزبد . ولقد فعل الله ذلك مع المسلمين في مشارق الأرض ومغارها فأرسل عليهم ظم الأم التي حولهم بعد أخرى على وفاق ما فعل الله في مصر على يد موسى وهرون فلبينا السلام وأقرب أمة (الأندلس) هؤلاء أبناء العرب اخواننا أصابهم مصائب متكررة من الفرنجة في قرون عدة فلم يزدادوا إلا حبا للشهوات وقربا من الظلم وبعدا عن العدل واختلاف كفة وبدمودة وضبابا واصبا ماله من دافع فزقوهم شر ممزق وأسكنوهم الحود خامدين وورثوا أرضهم وديارهم وهم مطرودون . انتهت العليقة الأولى

(العليقة الثانية)

ان بني اسرائيل لما صبروا بحاجهم الله وأسكنهم في بيت المقدس . وهكذا تتم كفة الله الحسنى على كل أمة صبرت وصاحبت . الأثرى أن دولة (بولونيا) قد مزقت بين ثلاث دول من أوروبا أى بين الروسيا وألمانيا والنمسا فبقى أبنؤها حافظين ذكرى بلادهم وهم صابرون حتى اذا جات الحرب الكبرى استقلت بلادهم وحفظوا كياناتهم . فاذا تمت كفة الله الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا فهي تتم على كل أمة صبرت ويقال لها - وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغارها - فاذا لم يمكن بيت المقدس للقدس

لبنى اسرائيل نفى الأرض التي أنبتهم الله منها . وهكذا اليونان والبلغار والسرب والجبل الاسود وأم كثيرة جاهدت وصيرت فأخضت استقلالها وأصبحت أمة لا سلطان لأحد عليها . وانظر الى دولة الترك ودولة الأفغان ودولة الفرس المسلمين كيف نبذوا الأجانب في هذه الأيام وأخرجوهم من البلاد بما صبروا وهم فائزون وانظر الى الأمم التي سكتها دولة القيصرية أزماناً وأزماناً وجعلوهم في حكم دولة واحدة وهي (روسيا) كيف استقلت بما صيرت . هذا هو الوعد الذي وعده الله للأمم وهذا الوعد صادق على جميع الأمم فلم يذكر ذلك في القرآن لأجل سواد عيون بني اسرائيل وإنما هو لأهل المشرق والمغرب فالصابرون هم الذين يتألون الاستقلال لهذا أنزل القرآن . انتهت اللطيفة الثانية

(اللطيفة الثالثة قوله تعالى - ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه إلخ -)

اعلم أن مدائن بلادنا المصرية كانت كثيرة وقد شاهدت بعيني رأسي المدينة التي هي قريضة من قريتنا وهي قرب الزقازيق وتسمى (تل بسطه) واسمها قديماً (يوبسطيس) باسم معبودهم وهو (بست) وهي القبطوقة وجدت محطتها هناك فكنت أرى في حادثة سنى بيلها مرتفعاً ارتفاعاً شاهقاً جداً يعا على كل بناء مشيد قديم العهد أو حديثه وكأنها مدينة بنيت فوق مدينة وهذه الأبنية عبارة عن آكام وقد يكشف الناس عما تحتها فيظهر بعض الجدران بالبن الذي طاش نحو أربعة آلاف سنة وهم وجدوا فيها من كنوز . وهذه المدينة بما حولها ربما بلغت أربعة آلاف فدان . أما الآن فقد اقتضت تلك الآكام ولم يبق إلا أطلال دارسة قليلة جداً تحافظ عليها الحكومة . وكل في البلاد من مدن مثل هذه أو خلقها الله فوجدناها محترقة لا يدرى إلا الله كيف كان خرابها . وقد سألت أستاذي في علم التاريخ (إسماعيل بك رافت) فقال خربت بزلزلة كبرى بدليل ما عوهد في معبد من معابد تلك المدينة أن الأعمدة مائة ولله أعلم بغيره

وهذا هو قوله تعالى - ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه - ثم بطلت الحال بعد قرون وبطل الدين المصري القديم بالدين المسيحي والإسلامي . هذا معنى قوله تعالى - ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه إلخ - أيضاً . انتهت اللطيفة الثالثة

(اللطيفة الرابعة)

اعلم أن تدمير ما صنعه فرعون وقومه لم يكن إلا في قرون متطاولة وذلك لأسباب عمرانية وأخلاقية ودينية وأهم ما أزال ملك المصريين القدماء خرافاتهم الدينية كما يشيرنا القرآن إذ كانوا في القرون الأولى قوما عارفين بحلال الله وحلاله . ومن غرامهم به بنوا في الأرض معابد عجبية باقية للآل ونصبوا بها كل قد شاهدنا آثارها في جهات منف (٢) وأهرام الجيزة وغيرها . ثم لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم بحكم السنن الإلهية في الأرض واستدراج الأمم بما جبلوا عليه من التفنن والاعراق في الدين حتى يصبح الدين الجديد كأنه ليس من الأصل في شيء . مثلاً كانوا يقتنون الطيور لأن العلماء أمروهم بحفظها لتأكل البهائم فصبوا بعضها بالقدس فتقدسها بأمر الدين وعبادتها افراط كذلك البقر مقدس لمنقت فصبوه . ولقد شاهدت مدافن الجحور التي كانوا يصبونها في جهات (سقارة) فوجدت هناك نحو ٢٤ مدفناً قد سرقتها تلك الجحور وتلك المدافن لاتزال باقية وهي أحواض زرق حجرية كبيرة يزورها الناس للتفرج عليها ولم تكشف إلا قريبا وهكذا توسع القوم في الأمور الجسمية وعبادتها حتى عبد قوم جهة اصوان (التمت) وآثرون (السك) ولا تزال ترى في المدافن سمكا صبروه وغشا من الذهب تستخرج للآن ويتنافس فيها المتنافسون من القرى هذه أمة بعد أن كان نظرها الى الكواكب والشمس ولها من نور الله وكانوا صابئين أصبحت أنظارها

(٢) قوله منف وأهرام الجيزة قال البيضاوي في تفسيره منف على ضفة النيل الغربية أعنى محل مدينة

(الجيزة) الآن له مصححه

متجهة إلى العوالم الأرضية ففسدت النفوس وخربت العقول فالتفروا ماذا جرى لما حضر الفرس بجيوشهم وعلى رأسهم الملك الفارسي قاتلوا جنود المصريين وقد عرف الفارسيون ضعف عقول المصريين وعقائدهم فأحضروا القطط المعبودة عندهم للفتنة في دينهم فأوقفوها بين الصفيين فخرج المصريون من ضربهم خيفة على القطط التي هي آلهة في الأرض فأوغل الفارسيون فيهم قتل وأسرا . ومن ذلك الحين سقط عجد مصر وهوت إلى أسفل سافلين . فالنظر كيف كان الدين سبب الهلاك . بهذا خربت مصر . ولهذا قال الله - ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون - . انتهت الطليقة الرابعة

(الطليقة الخامسة)

كما ان المصريين ندلوا في الدين ونزلوا في العقل . هكذا كثير من الأمم الاسلامية فترتقوا شيئا بمثل الطريقة التي تفرق بها المصريون سواء بسواء واتصلت دولهم بسبب التفرق الديني . ألم تر كيف ذات النفوس وصرفت العقول وأصبح كل فريق من أرباب الطرق يختص بأهل طريقته ولا يعتقد الفضل إلا فيهم ثم يقوم آخرون وآخرون وهم يتغالون في شيوعهم ولا يزالون يقتسونهم حتى يخيل لمن يراهم أنهم على دين غير دين الاسلام . وهذا هو اتغالي في الدين . ولقد علمت أن شيئا علما أزهريا قد أتبعه عشرات الألوف في مصر وفي منبها وفي قرأها وذلك في زماننا الحاضر وقد تمسك بأمور مثل ان (العلبة) التي تنزل من السماء فرق بين المسلم والكافر وتمسك بأن بعض البدع تورث الكفر حتى اعتقد أتباعه أن المسلمين جميعا كفار وهم المؤمنون . وهكذا قام آخرون معاشر المصريين واستباح لنفسه أن يذكر أتباعه اسمه مائة ألف مرة في اليوم فكما يقولون (الله) يقولون (فلان) وهكذا أمة الاسلام أصبحت اليوم فرقا ذاتي بعضها بأس بعض . وكما رأيت أن (قنيز) الملك الفارسي غلب المصريين بأمر ديني . هكذا ترى أهل أوروبا تمسكوا على عقول المسلمين واقتلعوا منهم طوائف لتلوهم في أمور دينهم أو تترسلهم ان المسلمين ظنوا أن الدين هو ما في كتب الفقه وحده ولو أنهم عرفوا أن القرآن أوسع ألف مرة من الفقه ودوسوا ما فيه وانتهبوا الأمثال ما ذكر الآن لكانوا أقرب إلى التحاين . ولكن القرآن من أيلم الأمة الأربعة رضى الله عنهم تركه الناس استغناء عنه بالفقه وأفهمهم العلماء أن خلاصة القرآن الفقه وما عدا ذلك فأنما هو بركة يترك به الناس لا غير . فهذا أصبح للمسلمون شيئا وغلنوا أن فروع الفقه هي الدين والحق إنما سباج الدين وحارس الدين لا نفس الدين . أما نفس الدين فهو عجائب هذا القرآن كالتي نذكرها الآن لتقريب فهم مقاصده ومراميه إلى الأذهان لتهديب العقول ورفع منزلة النفوس وتدميت الأخلاق وتوسيع المدارك

وسيقوم بها قوم أعلى مقاماً وأرفع نفوساً في العلم وأطول في النعم بلغا - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - واعلم أنه لا سبيل لرق المسلمين إلا بأمر واحد وهو تعميم التعليم ونشر العلوم الطبيعية والرياضية والتأمل في عجائب السموات والأرض مع التحلي بالدين فانهم بذلك تتفق مشربهم وتقوم قائلهم . فالعلوم وتعليمها هي الهواء وما عدا ذلك فهو هراء وهواء . انتهت الطليقة الخامسة

(الطليقة السادسة)

ان هذه القصة تخص بلادى وأهلها المصريين فتحن وقومنا سكان وادى النيل وقد ورثنا أرضهم ورأينا آثارهم وبلادنا كانت مرالع الأجانب منذ أيام (قنيز) لأن ولم تقدر أن تتخلص منهم إلى الآن منذ ألفي سنة فأكثر . ولكن في هذه السنة حين تأليف هذا الكتاب قد نال قومي حكما ذاتيا ولنا مجلس نواب ومجلس شيوخ وعسى الله أن يتم أمرنا ونهوز بالاستقلال ويرجع الفلك إلى دورته الأولى - واقعة هو الولي الجديد - . انتهى الكلام على قصص فرعون وقومه ولطائف ذلك السنة

ثم أخذ سبحانه بين عقول بني اسرائيل وما هو مقدار عقوبتهم وفهمهم بعد أن نجوا من أرض مصر فان شأن الانسان اذا مسته البأساء أن يتضرع حتى اذا نجا من الهلاك طغى . فأما فرعون وقومه فقد تقدم القول فيهم وهذا القول خاص ببني اسرائيل وفيه ذكر

- (١) طلبهم عبادة الأصنام ورد موسى عليهم وكيف سقوا احلامهم
- (٢) وذكر وعد الله لموسى بالمناجاة واصطاء التوراة وكان ذلك بعد انعام (٤٠) ليلة
- (٣) وذكر استخلاف موسى لهارون وذكر بعض وصايا التوراة
- (٤) وذكر اتخاذ قوم موسى عجلا من الخلق كما اتخذ المصريون العجل (ايس) معبودا
- (٥) وذكر رجوع موسى لهارون وقومه واعتذار هرون له
- (٦) وذكر اختياره السبعين رجلا من قومه ليتوجهوا معه
- (٧) وذكر الاستطراء بمسح الأتمة الحمضية التي بشر بها التوراة والانجيل
- (٨) وفداء الناس جميعا أن نبينا ﷺ وسلم
- (٩) وقسمهم في السبت والحكم عليهم بتفرقهم في الأرض شثر من أجمعين . فهذه تسع مباحث واليك نياتها

(البحث الأول)

قال تعالى (وجاوزنا بني اسرائيل البحر) فاصموا يوم عاشوراء شكرا لله تعالى (فأتوا على قوم يكفون) يقيمون ويواطبون (على أصنام لهم) تماثيل بقر . يقال انهم كانوا نازلين بالركة أى ساحل البحر (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) لأن الله لا يراه وهذه زواها فتعبدوا لتقربنا الى الله زلنى (قال انكم قوم تجهلون) وكيف تطلبون ذلك بعد ما عرستم كفر المصريين لعبادتهم الأصنام والتماثيل (ان هؤلاء متبر ما هم فيه) أى مكسر مهمم فلفه يهيم دينهم الذى هم عليه فالديانات التابعة للصورة منقلبة كتقلب الصور لاثبات لها (ولبلبل) مضطرب (ما كانوا يملكون) من عبادتها وان قصدوا التقرب بها الى الله تعالى (قال أغبر الله أبغىكم إلها) أطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) الجلة حالية ومن شأن الانسان ألا يحمده الله إلا على الصفات الخاصة بنفسه والامتياز الذى له على غيره . وهذا شأن أكثر الناس لجهاشهم والا فآله عند التحقيق يشكر على النعم العامة والخاصة بل العامة أولى فهذا ذكر لهم أنه فضلهم على العالمين . ثم أردفهم نجلتهم إذ قال (واذ أنجبناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) أى واذكروا صنيعهم معكم في هذا الوقت حال كونهم يسومونكم الخ ثم أبدل منه قوله (بقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم) أى وفي الانجاء أو العذاب (بلاء من ربكم عظيم) نعمة أو محنة عظيمة . انتهى البحث الأول

(البحث الثاني)

أما ذكر الله هذه المباحث التي تتعلق ببني اسرائيل ليثبت قلب رسول الله ﷺ على ما يصبه من قومه فليس نصره في غزوة أحد وبدر وأمثالهما مما تقدم ذكره في سورة آل عمران بدافع ما يصبه للنفاق من الكذب والافتراء على دين الاسلام كما فعل بنو اسرائيل ولبيين المسلمين كيف كانت الأمم جاهلة فيعتسرون من جهلهم . نولنا أبلن جهلهم ذكر بعد ذلك ما أطمع الله به على موسى إذ علمه التوراة وتلجاء وهذا جزاء الحسين فانه فزع قومه وأخرجهم من الدل فأخذوا يرتقمون ولله يجرى الحسين فيزيدهم من فضله . فلذا جهل قوم موسى فان الله قرب به اليه واصطفاه وأزل عليه التوراة فان جزاء العبد عند ربه لا عند الناس . هذا ما يفيد هذا المقام فليصبر الانسان على ما يصبه من الناس فذلك مقور لروحه كما قويت

نفس موسى حينما آذاه قومه بعد ايداء فرعون وقومه . ثم قال تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذا القعدة (وأعمنها بعشر) من ذى الحجة . ذلك أن موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل اذا هلك عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذى وعد به فأمره أن يصوم ثلاثين يوما ويصوم ما يتقرب به الى الله ثم كله وأعطاه الألواح فى العشرين زادها . فلها قال - وأعمنها بعشر - وهو تفصيل مألوف فى سورة البقرة فى قوله - وواعدنا موسى أربعين ليلة - ثم قال تعالى (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) بالثا أربعين ليلة . انتهى للبحث الثانى

(للبحث الثالث)

(وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا (ولا تتبع سبيل المفسدين) ولا تلحق سبيل من دعاك الى الفساد (ولما جاء موسى لميقاتنا) أى لوقتنا الذى وقتناه والام للاختصاص أى اختص بحجته لميقاتنا عدين (وكله ربه) من غير وسط كما يكلم لللائكة وكلام الله ليس ككلام الناس فليس يأتي من جهة خاصة فلا جهة له خاصة فلما سمع كلامه الذى ليس بحرف ولا صوت اشتاق الى رؤيته وغلب الشوق عليه هنالك (قال رب أرني أنظر اليك) ذاتك بأن تمكثني من رؤيتك أو تجعلني فأفطر اليك وأراك (قال لن تراني) بعين فانية بل بعين باقية (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقى على حاله (فسوف تراني فلما تجلي ربه للجبل) ظهر له عظمته وتمدى له اقتداره وأمره . ويقال أعطى الله له حياة وعلماء ورؤية حتى رأى الله فلما رأى الجبل ربه (جعله دكا) مذكوكا مفتتا والهدى والحق أخوان . وفى قراءة - دكا - أى مستوية بالأرض إلا مكة فيها وناقة دكا لاسنام لها (وخر موسى صقحا) حال أى سقط مشيا عليه (فلما أفاق قال) تعظيما لما رأى (سبحانك تبث اليك) من الجرأة والاقدم على السؤال من غير إذن (وأنا أول المؤمنين) أى أنا أول من آمن بأنك لا ترى فى الدنيا لأن النفوس البشرية مهما صفت فعلاقتها بالدينا تمنعها من رؤية ذاتك العلية وإذا كانت الكهرباء والمغناطيس والجاذبية والقوى الخفية فى المادة لا تضر أن تراها فى الدنيا لشدة لطافتها وغلظ أجسامنا التي سكنت فيها أرواحنا بل ان مادة الأثير ومافيه من الثرات لم يرها أحد فى الدنيا ولم نعرفها إلا بالبرهان فليس من المحقول أن نراك فى الدنيا بل ان أرواحنا اذا تجردت من المادة لا قدرة لها أن تراك مادامت أقرب الى أحوال المادة وعلاقتها إذ لا مناسبة بينها وبين جمالك . اللهم اذا ارتقت أرواحنا وخاصت ولطفت وخلعت جميع العلائق للمادية بعد دهور ودهور تخيئتد يمكن أن نشاهد ذاتك لقرب الأرواح من التجرد عن المادة وتكون تلك الرؤية بعد معرفة جميع العوالم والوقوف على عجائب صنعك لا يستحيل التوصل لطيف إلا بعد اختراق الحجب الكثيفة كلها ومعرفة أسرارها حتى يزداد قربا ويزداد القرب يزداد الشوق الى أن يصل الى السكالك وقد عرف أسرار كل موجود واذن يصل الى المقام الأعلى عند سدرة المنتهى ويرى ربه جلّ وعلا بما لا نعلم من الأحوال الغيبية عن الناس . ثم قال تعالى (قال يا موسى انى اصطفتك) اخترتك (على الناس) الموجودين فى زمانك وهرون كان تحت أمر موسى (برسالاتي) هى أسفار التوراة (وبكلامي) وبشكائى اياك (نغد ما عنتك) أعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة ولاشكر على النعمة إلا بصرفها فيما خلقت له بأن تباغ الراسامجدا فى ذلك (وكتبنا له فى الألواح من كل شئ) مما يحتاجون اليه من أسرار الدين (موعظة وتفصيلا لكل شئ) أى وتبيننا لكل شئ من الأمور والنهى والحلال والحرام وقوله - موعظة - بدل - من كل شئ - أى كتبنا كل شئ من المواظ وتفصيل الأحكام (نغذها بقوة) أى فقلنا لموسى إذ كتبنا له فى الألواح كل شئ خذها بحجة واجتهاد وأخذها بقوة قلب ومهنة عزيزة ونية صادقة (وأمر قومك ياخذوها بأحسنا) بأحسن ما فيها كالحبر والمغزو بالنية الى الانتصار

والاقتصاص على طريقة التدب والحث على الأفضل (سأريكم دار الفاسقين) كنازل عاد ونمود ومن نحا
نحوهم من الأمم البائدة كقوم (معين) الذين كشفوا حديثنا وكو بر التي قال فيها الشاعر
ومر دهر على وبار • فهلكت جهرة وبار

وانما أريكم دارهم لتتبعوا بهم وتتحاموا أعمالهم فلاتقعوا فيها وقصوا فيه من الهلاك والسمار والبولر
(لطيفة في كلام الله مع سيدنا موسى فوق الجبل)

في هذا المقام جاء في التوراة في سفر الخروج أن بني اسرائيل ارتحلوا الى برية سيناء وزلوا مقابل الجبل
وأما موسى فعهد الى الله فناداه الرب من الجبل وأخذ يأمره بما ملخص بضمه ما يأتي
(أني نجيتكم من المصريين وجئت بكم الى • وإذا حفظتم وصايتي وهلمت بها كنتم أمة مقدسة) فيبلغ
موسى هذه الكلمات الى شيوخ الشعب فأجاب جميع الشعب ثم قال له الله (أني سأقي اليك في ظلام السحاب
ثم أوصاه أن يتبأ الشعب بالنظافة وغسل الثياب ولا يقرىوا النساء الى اليوم الثالث وفي ذلك اليوم صارت
رعود وبروق وسحاب على الجبل وصوت بوق شديد جداً فارتعد كل الشعب • وكان جبل (سيناء) كله
يذخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الاتون وارتجف كل الجبل لرجفها شديداً جداً
وموسى يشكلم والله يحبه • ولم يؤذن لأحد بمعود الجبل إلا لموسى وهرون • وأما بقية الشعب فهم تحت
الجبل) ومن كلام الله له مامعاه وملخصه ما يأتي

(١) لاتعبد إلهاً غيري ولا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما في السماء وما في الأرض الخ

(٢) لاتنطق باسم الرب إلهك باطلاً

(٣) اذكر يوم السبت وقته • اعمل ستة أيام واسترح السابع لاتصنع فيه عملاً ما لا أنت ولا ابنك

ولا ابنتك ولا عبدك ولا أمتك ولا هيمنتك وكل من هو داخل أبوابك

(٤) أكرم أباك وأُمَّك تطول أيامك على الأرض

(٥) لاقتل (٦) لا تزني (٧) لا تسرق (٨) لاتشهد على قريبك شهادة زور

(٩) لاتشته بيت قريبك

(١٠) لاتشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك

وكان الشعب من بعيد يرتعد من الرعود والبوق وصوت البوق ومارأوا من دخان الجبل فالشعب كان

واقفاً من بعيد • وأما موسى فاقترب من الضباب حيث كان الله • وقد ذكر في هذا المقام أن العبد إذا

كان اسرائيلياً لا يخضع إلا ست سنين وفي السنة السابعة يصير حراً • ومن الأحكام ما يأتي

(١) من ضرب انساناً فمات يقتل قتلاً

(٢) من ضرب أباه أو أمته يقتل قتلاً

(٣) من شتم أباه أو أمته يقتل قتلاً

(٤) وإذا فطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرحم الثور ولا يؤكل لحمه • فأما صاحب الثور فإنه يقتل إذا

كان ثوره لظاناً من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فإن لم يكن ذلك فهو بريء • وإذا وضعت عليه

فدية فليدفع كل ما يوضع عليه

(٥) وإذا فطح ثور انسان ثور صاحبه فمات يبيعان الثور الحي ويقسمان ثمنه والميت أيضاً يقسمانه الخ

(٦) إذا سرق انسان ثوراً أو شاة فذبحه أو باعه بمؤض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة

من الفتم

(٧) ان وجد السارق وهو يتقب فضره ومات فليس له دم

(٨) لا تضلهم الفريسيين ولا السامريين لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر

(٩) لا تنسوا إلى أرملة ولا إلى يتييم . ان أسأت اليه فاني ان صرخ ان أسمع صراخه

(١٠) ان أقرضت فنة لشعي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي لا تضعوا عليه ربا . اه المقصود أقول هانذا قد أسمعتمكم بعض وصايا التوراة وأحكامها مما سمعه موسى عليه السلام . وهو على الجبل تطلع على الأخلاق التي لاتنافي أخلاق ديننا وسائر الديانات وعلى الأحكام الشرعية التي تختلف عن أحكامنا الشرعية الحمديدية بعض الاختلاف باعتبار اختلاف الزمان والمكان والأمم . ثم ان هذه الأحكام والوصايا وأمثالها في التوراة وفي الانجيل وفي القرآن لا يعقلها ولا يقوم بها إلا القلوب للتواضعة النقية . أما أرباب الكبرياء والعظمة فانهم يأخضون أن يخضعوا للحق . فاذن الكبر يحجب بين المرء وبين الحقائق العلية . وعلى ذلك يعيش التكبر ويحوت وهو غافل عما بين يديه من العلوم والمعارف ويكتفي بما يراه ولا يزيد علمه لكبريائه الذي حال بينه وبين مالهيه من الجبابرة الحكيمة العلية والعملية والسموية والأرضية ولذلك أعقبه بقوله تعالى (أسألف عن آياتي) المنسوبة في الآفاق وفي الأفضس (الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) فلا يتفكرون في السموات والأرض ولا يسمعون كلام الأنبياء ومواعظهم كالقرآن والتوراة (وان يروا كل آية) منزلة أو مبجزة (لا يؤمنوا بها) لعنادهم ولذلك لا يتبع الأنبياء في أول بعثهم إلا الضعفاء والفقراء (وان يروا سيل الرش لا يتخذوه سبيلا) لاستيلاء الكبرياء عليهم كما تقدم في أول السورة من كبرياء ابليس الذي جعل أساسا لهذه المعاصي (وان يروا سيل التي يتخذوه سبيلا . ذلك) الصرف (بانهم كذبوا بآياتنا) بسبب تكذيبهم للآيات (وكانوا عنها غافلين) أي وعدم تدبرهم للآيات فلا تلاحظ لهم بها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي ولقاءهم النار الآخرة أو ما وعده الله في النار الآخرة (حسبت أعمالهم) لا يتفتنون بها (هل يجوزون إلا ما كانوا يعملون) أي الاجزاء أعمالهم . انتهى للمبحث الثالث

(للمبحث الرابع والخامس)

اعلم أنه جاء في التوراة أن الرب قال لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحى الحجر والشرية والوصية التي كتبها لتعليمهم فقام موسى ويشوع خادمه وصعد موسى إلى جبل الله . وأما الشيوخ والسبعون فقال لهم اجلسوا لنا ههنا حتى نرجع إليكم وهاهوذا هرون وحور معكم فن كان صاحب دعوى فليقدم إليهما فضع موسى إلى الجبل فغطى السحاب الجبل وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام . وفي اليوم السابع دعى موسى من وسط السحاب . إلى أن قال . وكان موسى في الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة . وهما أعطاه أوامرا أهمها ما يخص صنع الثابوت المقدس الذي يجعل من خشب السنط وطوله وعرضه وهناك ذكر البخور وأنواع الزينة كالذهب والفضة وما أشبه ذلك . وكيف تصنع المائدة من السنط . وكيف تفسى بالذهب ويكون عليها اكليل من الذهب . وكيف تصنع المنارة من ذهب نقي . وكيف يصنع للذبح وقد أطال الكلام في هذا المقام في التوراة بتفصيل عجيب وبيان أوفى

ثم قال (ولما رأى الشعب أن موسى أبطل في النزول من الجبل لاجتماع الشعب على هرون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة نسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصدرنا من أرض مصر لا تعلم ماذا أصابه . فقال هرون ازعوا أقرط الذهب التي في آذان نساءكم وبيكم وبتاسكم واتقوني بها) . ثم أفاد أن هرون عليه السلام هو الذي صنع الجبل من ذلك الذهب وبنى هرون مذبحا أمامه وقال غدا عيد للرب

(يقول مؤلف الكتاب)

تبارك الله انه لولا أن القرآن نزل لأيقن الناس أن هرون وهو بني قد صنع الجبل . اني لأعجب من الأمم السابقة كيف كانوا يبيحون لأنفسهم أن يغيروا الحقائق . وكيف يقال ان هرون كفر بالله وصنع مجلا . ان

القرآن قد أتى بالخفاقي الناصحة وسيأتي نص الآيات وأن الذي صنع الجهل هو السامري • فتعجب من تلك الأمم ومن تقييرهم الكتب المقدسة • فترى النصارى يرضون أن عيسى إله واليهود يقولون انه كذاب • وترى اليهود يعتقدون أن هرون صنع الجهل من الذهب والقرآن أتى بالخفاقي ونزه الأنبياء عليهم السلام وفي ذلك الوقت أخبر الله موسى أن قومه زاغوا عن الحق وأفهمه كل ما حصل فرجع موسى الى قومه فأبصر الجهل والرقص فغضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرها في أسفل الجبل ثم أحرق الجهل وطعنه وذراه على وجه الماء ولام هرون كما في الآيات الآتية • وأمر جميع بني لاوى فقتلوا من الشعب ثلاثة آلاف كما تقدم في البقرة ثم صعد الى الجبل وطلب للمغفرة من الله كما في الآيات الآتية أيضا لأنه قال ﴿والآن ان غفرت خطيئتهم والا فاعنني من كتابك الذي كتبت ﴾ فاستجاب الله دعاءه ووعدهم أن يملكوا الأرض التي وعدهم بها ويرسل لهم ملكا ولا يكون هو في وسطهم لأنهم شعب صلب الرقبة • وهنا ذكر كيف قال الله لا تقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لا يراى ويهيش • ثم قال فتظنن ورائي وأما وجهي فلا يرى ثم أمره أن ينحت لوحين بدل المسكورين ففعل وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع اسرائيل وكان هناك عند الرب أربعين نهرا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر • وهنا في سفر الخروج وصايا كثيرة جدا وكذلك في السفر الذي بعده وهو المعنون (الاوليين) بما يستغرق عشرات الأوراق واعلم أن هذه أهم الناصح في التوراة • واذا ذكرت لك ملخص ما في التوراة في هذا المقام مع اعتراف بعضه عن الخفاقي العلنية وعصمة الأنبياء فاسمع الآية قال تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه ليلقات (من حلیم محلا جسدا) من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البديل (له خوار) صوت البقر • يقال ان السامري لما صاغ الجهل ألقي في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حيا • وقبل صاغه بنوع من الحيل قد دخل الرب جوفه وهو صوت كما نراه الآن في السيارات (الانوموبيلات) واعلم ان الناس في الصور السابقة في الاسلام قد توصلوا لما هو أبعد من ذلك اضلالا فيأتون بهل مذبح مطبوخ ويوضع على المائدة ويحضرون (مفدعة) ويضعونها في داخل فم الثور فيكون لها نقيق وهو يشبه صوت البقر • وكمن حيل يعملها الناس ليهشوا الناس بذلك فلانما ع أن يفعل السامري أمثال ذلك ثم قال تعالى (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) فكيف يتخونونه لها والاله يرشد عباده ثم كره للنم فقال (اتخذوه) لها (وكانوا ظالمين) واضعين الأشياء في غير مواضعها (ولما سقط في أيديهم) أي ولما اشتد ندمهم • وأصله أن من اشتد ندمه يعض على يديه غما تصير يده مسقوطا فيها لأن فاه وقع فيها وسقط وقوله في - أيديهم - مسند اليه (ورأوا) وعلموا (أنهم قد ضلوا) باغخاذ الجهل (قالوا لن لم يرحنا ربنا) بإتزال التوراة (ويغفلنا) بالتجاوز عن الخطيئة (لنكونن من الغافرين) ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا شديد الغضب • وقيل حزينا (قال بشما خلفتموني من بعدى) فعلم بعدى حيث هبدم الجهل ومانكرة موصوفة تفسر للسكن في بش والمخصوص بالهم محذوف تقديره بش خلافة خلفتموني من بعد اطلاق الى الجبل خلاصكم (أعجلم أمر ربكم) أي أعجلتم وعد ربكم الذي وعده من الأربعين وقترتم موتى وغيرتم بعدى حكما غيرت الأم بعد أنبيائها (وألقى الألواح) طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حية للدين (وأخذ برأس أخيه) بشر رأسه (بجره اليه) توها بأنه قصر في كفهم وكان عليه السلام حولا لنا ولنا وكان أحب الى بني اسرائيل (قال ابن أم) ذكر الأم ليرقى عليه وكان من أب وأم (ان القوم استمضوني وكادوا يقتلونني) وقاربوا فتكى (فلانتمت بي الأعداء) فلانصل بي ما يستمتون بي لأجله (ولا يجعلني مع القوم الظالمين) معدودا في عدادهم بالمؤاخذه (قال رب اغفر لي) بما

صنعت بأخي (ولأخى) أن فرط في كفهم وانما ضمه الى نفسه في الاستغفار ليرضيه وليدفع الشهامة عنه قال (وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) فانت أرحم منا بنا وأرحم من أمهات الطير وسائر الحيوان بأولادها فرحتها كلها مشتقة من رحمتك ومستمدة منها . ثم قال تعالى (ان الذين اتقنوا الجهل سينالهم غضب من ربهم) وقد حصل ذلك بالقتل المذكور فها قد تم (وذلة في الحياة الدنيا) وهو خروجهم من ديارهم (وكذلك نجزي للمفترين) على الله ولا فرية أعظم من فريتهم وهي قولهم - هذا إلهمك والله موسى - (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا من بعدها) من بعد السيئات (وآمنوا) واستغفروا بالآيمان وما هو مقتضى من الأعمال الصالحة (ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لنفور رحيم) وإن عظم الذنب ولو كان عبادة الجهل أو كثرة الذنوب بنى اسرائيل (ولما سكنت عن موسى الغضب) باعتذار هرون وبثوبتهم وفي الكلام مبالغة من حيث جعل الغضب كأنه كان مغفرا له فسكت عن الاغراء (أخذ الألواح) التي ألغها أوالتي أحضرها بأمر الرب على ما تقدم ان صرح مافي التوراة الحاضرة . وأيضا فيها أنهما لوحان فيكون الجع لما فوق الواحد وإن لم يصح مافي النسخة الموجودة فالجع هنا على حاله (وفي نسختها) وفيها نسخ فيها أي كتب (هدي) بيان للحق (ورحة) ارشاد الى الصلاح واعتبر (للذين هم لربهم يرهبون) أي للذين هم يرهبون معاصي الله لربهم

(لطيفة)

جاء في التوراة ما لم نلحظه في هذا المقام أنه لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يده لم يعلم أن جلده وجهه صار يلمع غفافوا أن يقتربوا اليه فدخلهم موسى فرجع اليه هرون وجوع الرؤساء في الجماعة فكلهم موسى وبعد ذلك أقرب جميع بنى اسرائيل فوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه في جبل سيناء . ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقا وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليشكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج ثم يخرج ويكلم بنى اسرائيل بما يوصى به فاذا رأى بنو اسرائيل وجه موسى أن جلده يلمع كان موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليشكلم معه . وانما قلنا لك هذا لتعلم نوع أقوال التوراة في هذا المقام حتى لا يفوتك أهم ما فيه . انتهى البحث الرابع والخامس

(للبحث السادس)

قال تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) أي من قومه والمراد بالملاقات الذي كلف فيه ربه وقد تقدم هذا المعنى منقولاً عن التوراة الحالية وبه قال بعض المفسرين . وقال آخرون ان هؤلاء السبعين حضروا للاعتذار من عبادة الجهل (فلما أخذتهم الرجفة) إذ دنوا من الجبل ودخل موسى بهم التهام وخزوا سجدا فسمعوا الله يكلم موسى بأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه - وقالوا لن نؤمن لك حتى ترى لئله جهرة فأخذتهم الرجفة - معنى الصاعقة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي) تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما يرى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية أو بعبادتهم الجهل وهؤلاء السبعون قد اختيروا للاعتذار كما هو رأى المفسرين فخشيتهم هيبة قلقوا منها ووجفوا (إن هي الا فتنة) ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجبت في الجهل خوارا فزلفوا به (فقلن بها من تشاء) ضلله بالتجاوز عن حقه (وتهدى من تشاء) هداه فيقوى به إيمانه (أنت ولينا) القائم بأمرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ما قارفنا (وارحنا وأنت خير الغافرين) تغفر السبئية وتبذلها بالمحبة (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفي الآخرة) الجنة (أنا هدانا اليك) تبنا اليك وهدا اليه يهود لنا تاب ورجع والهود جمع هائد وهو التائب . هذا هو الدعاء الذي دعا موسى به الله فكانه يقول يارب كيف تسم النعمة والعاصون أقل من للضروب عليهم . وكيف تؤاخذنا بالفتنة وانما هي

من عملك فأنت للفنل - وأنت الهادي . وأيضاً أنت متولى أمورنا . ثم رتب على هذه الثلاثة طلب المغفرة ليخلصوا من الذنب ثم الرحمة ثم أن يجعل عيشهم سعيداً في الدنيا والآخرة لأننا تبنا إليك . فأجاب الله على هذا السؤال فقال سبحانه وتعالى . إني وإن كانت الفتنة من خلقي واهدي من عندي فلي الحجة بالهبة (عذاباً أصيب به من أشاء) أصابته وهل أشاء إلا ما كان حكمة وعدلاً فأسلط عذاب القفر على من أتكل على عمل غيره وعذاب الهم واضطراب القلب والحزن على من جعل جمع المال كل همه وعذاب اللرض على من ترك أعضائه وجسمه فلم يشغلها بالحركات لتتشط وتقوى . وأسلط عذاب الجوع على من ترك الفناء حتى يأكل . وأسلط عذاب الشبق ولذع الشهوات على قوى الزواج حتى يقترب بمن تلده ولها . وسلط الندم والألم على من لم يخلص في عمله بأن قصد بمله رضا الأزواج وأولاده أو السلطان أو الميراث أو نحو ذلك ولم يكن موجهاً قصده إلى الله تعالى فإن العالم السفلي أكثر أهله جاهلون يكذبون الأنبياء ويؤذون العلماء ويسبون للحسين ويمتدحون الولد أبوه فإذا كانت الوجهة شخصية قدم العلماء والمحسنون على ما عملوا من خير لم يمدح به فلا سعادة لأحد إلا بالأخلاص في عمله وتكون وجهته الاقتداء بمالك الملك امتثالاً لأمره . أنه يفعل رحمة واحساناً لارياه ولا طلباً للكفاة . وأسلط حزن الجهل على من ترك العلم كسلاً وخولاً . وبالجملة أسلط العذاب على من لم تكمل جميع قواه الجسمية والعقلية فليكمل جسمه بأنواع الرياضات ليقوى وعقله بالعلوم ونفسه بالتهذيب وأهله بالأكرام وأمه بالنصيحة وأهل دينه بنشر العلم وهكذا فمن قص شيئاً من ذلك عذبه عذاباً أرقى نفسه به . ان العذاب هو الشريعة الصامتة . شريعة عادلة هي سوط أئزله في الأرض أسوق به الناس إلى السعادة ولو أتى لم أشأ العذاب للناس وهم مغرطون لما تواتر في بعض يوم . فالآلام نعمة جليلة ترقى النفوس ان هذه الشريعة التي حتمتها في الطبيعة تعاقب على الصغيرة والكبيرة وعلى العمد والخطأ والفعل لأنها لا تنفل طرفة عين . وليس هذا ظلماً لأنها ناطقة بلسان فصيح (لا تفعلوا أيها الناس) وتعلموا العلوم وتغنظوا . وعلى ذلك تكون الرحمة (قسمين) قسم هو اللذات . وقسم هو الألم كما يؤلم الأب ابنه والاستاذ تلميذه والطبيب مريضه بشرب المر وما أشبه ذلك . وأنالم أفعلى خلقي أقل من الطيب ولا للملم ولا الاستاذ بل ار هملي أبداع احكاما . وأعظم شأننا . فاذن الآلام من أجل النعم . وهذا قوله تعالى (ورحني وسعت كل شئ) لأنه بعد هذا البيان أصبح الألم نعمة فأين العذاب لذن ولا عذاب الا حيث الألم ولا ألم الا حيث المنفعة وتهذيب النفس أو نحو ذلك . وإذا وسعت الرحمة كل شئ فلم يبق من اعراض بعد . وإذا قال موسى - ان هي لا تقتنك فضل بها من تشاء الخ -

يقول الله هنا قننه ليستيقظ ولا يزال أفنته وأعذبه حتى يستيقظ . فهذه الفتن كالعذاب الجوع ومن ذا يقول ان ألم الجوع نعمة . ومن ذا يقول ان ألم العضو المريض الذي ينادي بلسان فصيح (كل ما نقص مني) ومن ذا يقول ان هذا غضب وأين الرضا . ان الألم من الجوع والعطش والمرض والشبق والحقد والحسد تنطق بلسان فصيح أن كل الفناء واشرب الماء ودوا العضو وتزوج من تلذ لك ونظف قلبك من الفنل لأن نار الحقد ستحرقك وعذاب الحسد سيهلكك وما أشبه ذلك . ان الناس في عذاب وهم لا يشعرون . وفي ألم وهم وهم لا يصرون . فخي عرفوا ألم النفوس كما عرفوا ألم الأجسام أقلعوا عن تلك الذنوب وتغنظوا بالمعارف وتركوا الحقد والبخل والحسد وأمثالها فيصبحون سعداء ويصبحون في نعيم مقيم - لا يمنع الناس من فهم ما ذكرناه إلا جهلهم وكبرياؤهم - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

ولما كان هذا اللقام من اللذة يمكن لا يقفه إلا الحكما . ولا يدركه إلا الكبراء . ولا يتألى حده إلا أولوا الألباب شرع بذكر الألم التي تدرسه وتعرفه حق معرفته وهو ما يأتي

(المبحث السابع)

قال تعالى (فسأكتنبا) فسأكتبها في الآخرة (الذين يتقون) الكفر والمعاصي (ويؤتون الزكاة) ونحسب بالذكر لأنها أشق - (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها • ثم أبدل من الذين يتقون قوله (الذين يقيمون الرسول النبي الأحمي) الذي لا يكتب ولا يقرأ فأكمل علمه مع عدم القراءة وهذا مهجة من مهجته ثم وصفه فقال (الذي يحسنونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل بأصمهم بالمعروف وبناهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) محارم عليهم كالشعوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالهم ولحم الخنزير والربا والرشوة (ويضع عنهم أصرهم) وهو الثقل الذي يأصروا عليه أي يحبسهم عن الحركة لثقله • والمراد التكليف الصعبة كقتل النفس في توبهم وكبعض الأحكام الشاقة التي تقتم ذكرها قولا عن التوراة ثم قال (والأغلال التي كانت عليهم) هي الأحكام الشاقة السابقة للذكر (فالذين آمنوا به) بمحمد ﷺ (وعزروه) وعظموه أو ساعدوه من المدح حتى لا يقوى عليه عدو • وأصل العز المنع ومنه التعزير لأنه منع عن معاودة القبيح (ونصروه) واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن ومع متعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن للقول مع اتباع النبي ﷺ والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية والنعيم

(لطيفة)

اعلم أن هذه الآية لا مجال للشك فيها ان ماري الى انما هو فيما يبدو للقارى أن من اتبع نبينا رسول الله ﷺ وقد جاء وصفه في التوراة والانجيل فانه ناج ومن كفر به من النصارى واليهود مع ثبوت وصفه في كتابيهم المقدسين فانه داخل النار لأنه سجد حقيقة لجرد الشهوات الدنيوية والعناد والحسد وحسب الرياسة أو التقليد الأحمي • وللتأمل يجد فيها معنى أدق وهو أن محاربة موسى عليه السلام تدور على كل لسان وفي كل جنان ولازال جميع الهيئات وعلم الفلسفة تذكر هذا السؤال (لم يمدنا الله وأين رحمة • ولم أمرض وأجوع وأدخل جهنم • ولم هذه كلها) فأجاب الله أن عذابه لحكمة وإنما قلنا لحكمة كما تقتم لأنه قال - ورحمتي وسعت كل شئ - وعلى ذلك يكون للعنب دخلا في الرحمة وقت تعذيبه لأن التعذيب ثمره الانذار والتذكير • ومن ظن الشذ كبير عذبا فما أجبه • ومن ظن الوعظ حجة فما أضله • ان أكثر الناس غافلون • والنوع الانساني مادم لا يفرق بين النعمة والنعمة فهو طفل • وما دام الناس لا يعلمون أن الآلام مذكرات عذوها شقاء ومنى عذوها شقاء لم يتدبروا بها ولم يتداركوا ما فرط منهم فيكونون أشبه بالأطفال سيكون والطيب بدلهم ولا يعلمون أن هذا أصلحتهم فهم يكونون دائما في عذاب

ولما علم الله أن الأمة التي سترني في المعارف والعلوم انما هي الأمة الاسلامية فهؤلاء هم الذين سيعرفون حقائق الأشياء ويدركون سر الرحمة ولذلك كتبها لهم • وكيف تكتب الرحمة لمن لا يعقلها أو تساق الهدية لمن لا يتقبلها فلا يزال الناس في عذاب حتى يدركوا الحقائق ومنى أدركوها زال عنهم النصب والصاب والاسباب ولا سبيل لهم في الآخرة إلا بعد التصرف في الدنيا • ولما كانت أمة الاسلام لم يمس عليها من الزمن غير ألف وثلاثمائة سنة وكانت أمة اليهود محصورة العدد لأنهم يكرهون اتساع دينهم لأنه دين قوم مخصوصين وأمة النصارى قد نبئت تعاليم كتابها وفشكت بأهل الأرض • خطر بنفسى أنه سيأتي في هذه الأمة أناس مفكرون حكماء لم يسمح بهم الدهر وهؤلاء يدركون حقائق العالم الذي نحن فيه فيعلمون الرحمة وتنتج الآلام وما أشبه ذلك فينالون الرحمة تامة في الآخرة ككثير من سلفنا الكرام الذين أفبضت عليهم المعارف وأدركوا الحقائق • - وفيه عاقبة الامور -

(لم خلق الانسان وهو في آلام وذنوب وظلمات وما فادته من الوجود)

وبما يناسب هذا المقام ما دار من الحديث بيني وبين بعض الفضلاء من مفتي وزارة المعارف العمومية

المصرية . وهذه صورتها

جلست وطاقة من العلماء والسادة الأدباء ممن لهم قسم في العلم راسخة . وشهرة في الفضل ذالمة . من رجال وزلة المعارف وأخذنا تتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث . فقال أوسطهم مقاما وأصحهم كلاما وأوسمهم جاها حدثني رعاك الله حديث هذه الدنيا والحياة فيها وماشأها وكيف ضل أهلها وجبر أعظمها ولم زمن هذا الانسان للتمددين بمدمني الدهور وكر الصور والارتقاء المشهور والا أخلاق الدواب وحوص الكلاب وتهافت الدباب ولوانك سرت في أمريكا وأوروبا واطلعت على أسرار الأسرار لرأيت أمرا - إذا • نكاد السموات يتفطرن منه وتلشق الأرض وتخرّ الجبال هدا - من خبابة الى خبابة الى السحابة الى السحابة الى عاروشنار وهم مستطار فلا الزوج بمخلص لزوجته ولا الزوجة بصادقة لزوجها ولا الأسرة بصاحبة لشأنها بل كل لكل حاسد وعليه حاقه فلو قش ما في القلوب - وحصل ما في الصدور - لم يجالس الأخ أخاه ولا الابن أباه ولا الزوج حاه . فأين الانسانية المنشودة وهذه أكلها للمنكودة . فيا عجبا لم خلق الانسان ولم علم البيان ولم يقرأ التوراة والانجيل والقرآن . فلما فرغ من فصيح بيانه وعجيب كلامه أصغى الجمع الى مأسأليه من الجواب . فقلت بالقرآن أجيبك . قال كلا فنحن به عللون . فقلت اذن بالبرهان . قال نعم . قلت البرهان (قسنا) يقيني واقتنعي أما يقيني فانت تعلمه كدلائل الهندسة والحساب والجبر وهذه ترجع في أواخر الأمر الى القضايا الأولية المستخرجة من المشاهدات الحسية . قال نعم . قلت ولكن عقول أهل الأرض وفلاسفتهم لاطاعة لها ولا قدران تعلم هذه العلوم بالبراهين العقلية المستمدة من المعلومات الحسية لأن الأمر أعظم وأوسع من هذه الأرض ومن فيها . قال اذن تكون الأدلة اقتناعية . قلت نعم . قال فمن أين نستمدّها . قلت من مدارسكم المصرية أفليس فيكم المدرسون والمفتشون . قالوا بلى . قلت أستمرون للدارس متفاوئة الدرجات . قالوا بلى . قلت هكذا الانسان يرتقي درجات في آلاف السنين ومئات الآلاف بل فيما لا يتناهى من الزمان - لتركن طبقا عن طبق - وهو في كل درجة يستمدّ مما قبلها ويستمدّ لما بعدها وكل فكرة يجدها أوسبة يجترحها أوحشة يضلها تكون له أو عليه ولا تزال كما ترى الخلد في المدارس يركب طبقاتها عن طبق فما للناس لا يفقهون . قال أمتدّد بالقرآن ونحن اليوم في مقام الاقتناع بالبرهان . قلت كلا وإنما هو اقتباس واستئناس لإبرهان وقياس . فأجاب قائلا أجبتني على غير السؤال ولعمري لشئان ما بين المدارس المصرية وسؤالنا على الحياة الانسانية فأين الثريا وأين الثرى . قلت ان الناس اليوم على هذه الأرض أشبه بالعبيان في مدرسة (روضة الأطفال) فاستفرقوا ضاحكين ورفعوا أصواتهم ساخرين وقالوا أمتدّدنا هزوا . قلت أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وهم صاخبون مازحون متغامزون . فقال قائل منهم سألوه عن كنه جوابه ولا تسرعوا بالإدعة على مقاله فقال البدي سألني أوضح ما تقول . فقلت على شريطة ألا يقاطعتني في الحديث أحد حتى أتم البرهان . قالوا قبلنا شريطتك فاتم مقالتك . فقلت أحدثكم حديث النبات وحديث الحيوان وحديث الكواكب ففيها البيان . فقالوا نعم . فقلت (١) النبات ينشأ من الحرّ والبرد والمطر والصقيع والتلج ليكون له تلج ظاهرة ومنافع باهرة من الكلا للحيوان والحب للانسان (٢) والحيوان ينشأ من النبات ما ينشأ من النبات من الحوادث المذكورة ثم يزيد عليه الآلام النفسية والحوادث الجسمية ويعطى الحواس الخمس المعالومة وهي تختلف اختلافا كثيرا فبينما ترى البهائم في لب الثمار وجوف الحيوان لا ينال إلا حاسة اللمس اذا لم يجد الذي يدب على العود يعطى حاستين اللمس والذوق وبعض الحيوان في قاع البحر يزيد عليهما حاسة السمع ثم الحاسة العمياء تزيد السمع لأنها تعيش في جوف حالك الاهاب ثم تكون الحيوانات للمعلومة ذوات الحواس الخمس ثم الانسان الذي يستنتج المعلومات الأولية ويقرأ العلوم المشهورة والمعارف المتقدمة (٣) الكواكب . أما الكواكب فانت ترى أن

أرضنا التي نحن عليها لاهى في العبر ولاقى النغير ولو أنا وإزناها بأخواتها الصغيرات من السيارات حول الشمس لازدراها المشتري والمريخ ولنبذها ظهرياً (أورانوس ونبتون) وفوق ذلك أنها بالنسبة للشمس كرة صغيرة ضئيلة والشمس وما حولها إذا تبين إلى كواكب أخرى كانت كثرة في الفضاء بالنسبة لتقصير شامخ البناء أو قطرة من يلبوع ماء كما كشفه العلم الحديث وسارت به الركبان وعرفه علماء هذا الزمان . ولو أن الشمس ناظرت الفرقدين أوفانرت السماكين لقالا لها بفصبح البيان وساطع البرهان ما قاله لبيد
ففض الطرف انك من نعيم • فلا حكمنا بلغت ولا كلابا

• أطرق كرا إن النعامة في القرى •

(رأيتك في الكثر لافى الضحى) هذه هي المقدمات التي أوردتها لإيضاح المقام في قوله إن اللسان على هذه الأرض كالتلاميذ في مدرسة (روضة الأطفال) إذن • قال من سألني فإذا بيني على هذه المقدمات قلت أليس تعلمون أن التعذيب في مدرسة (روضة الأطفال) يدخلها وهو ابن خمس سنين • قالوا بلى • قلت أليس أخلاقه شيطانية • قالوا بلى • قلت وأعماله صبيانية وآرائه هزلية والأبوان والأساندة به فرحون فان نطق بالحروف المعجائية مدحوه أو بالأعداد الحسابة كانوا وهم يرونه طول النهار يقاتل الصبيان ويضارب الاخوان ولم تر أحدًا يمس من أعماله المستقبل ولا من أن هؤلاء الصبيان هم بعد ذلك الوزراء والعلماء والملوك والحكام والحكام • قالوا بلى • قلت فإذا رأيت هذا الانسان طفلي وبني وتعدى حده ولم يقدر حقوق الفضل والمثلث وخان اخوانه ظلمًا ومشامة وعدت الدول القوية على الضعفاء وأمسى كل لكل عدوًا مينا وعم الحسد والكبرياء واغتبط وسوء الطوية والحرص والتكدر والحلم والغم • ثم رددناه أسفل سافلين - فلتعلموا أنه اليوم في مدرسة (روضة الأطفال)

(الحيوان والانسان)

فإذا اختلف الحيوان في قدرته الحسية ونعالت أنواع النور والقرود وارتقت عن جماهير السود التي تدب على العود في عدد الحواس واشتدت اختلاف الناس في معقولاتهم ودرجات فهمهم فكانوا أوسع نطاقًا من درجات الحيوان في المحسوس • أفلا نقول إذن إن هذا اللسان على هذه الأرض الضئيلة المسكنة التابعة لشمسنا الصغيرة أشبه بالسود على العود الذي يدب على النبات ولم يملك من الحواس إلا اثنتين اللامسة والدافقة وأن هذه الأرض التي هو عليها لا يستعبد سكانها لأكثر مما يعلمون ويكون هم الأطفال والأرض روضتهم ومدرستهم فان صغر علمهم فهذا استمدادهم وإن شكست أخلاقهم وقبعت طباعهم فلذلك خلقهم لأنهم أطفال لا يزالون في أول درجات الآمال وربما كانت آلافا مؤلفة كما نرى درجات الحيوان في الإدراك وكذلك الانسان - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - ومستلوه كل علم على طول الأزمنة والدهور المستقبل - أفطر كيف فضلنا بعضهم على بعض ولا شرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا - ولئن راعكم ماترون من جهل الظاهر وخلقه الباهر ورأيه الفاتر فلنفس عقله بقياس الكوكب الذي هو عليه ولننظر كيف يسوغ أن يكون الانسان أعلى العالمين وقد رأينا أرضه لانسبة بينها وبين الكواكب العفري فضلا عن الكبريات • أفلا نقول على سبيل القياس التمثيلي إن العقول تتفاوت في درجاتها تفاوت الكواكب في أقدارها والحيوانات في إدراكها وإنه الآن في أول سلم الارتقاء فرمما ارتقي في عوالم طبقا عن طبق فوق ماعرفناه • ولقد كان اللسان يظن أنه سيد العالمين حينما كانت الأرض مركز الموالم • فأما الآن فقد زال البهتان ورأيناها حجرة صغيرة في مدينة واسعة • ومن عجب انك تسمع العلامة (أوليغروديج) سيد علماء الطبيعة في بلاد الانجليز يقول على ملا من قومه (انني أصبحت موقنا أن عقل هذا الانسان بالنسبة للعوالم الروحية به المحيطة أشبه بالفعل بالنسبة لعقل الانسان)

ثم قلت وإذا رأينا الانسان يزداد على مدى الزمان شراسة وشكاسة والدين لم يهذه والعلم لم يؤدبه . قلت
هكذا المرض يزداد انتشارا كلما ازداد الطب اختصارا فهل ترون افعال مدارسه أو اغفال ثقافته . قولا لا
ولو فعلنا ذلك لاضمحلت الانسانية ولرجعت الى حال الحمجية . قلت هكذا تلك الديانات والعلوم والتي قلتم فلما بنا
نرى الأمراض تفتابه والمقربون فيه والجهل يرديه والعذاب يحيط به لنقول ان الآلام الحيوانية والحوادث
الانسانية ليرتقى بها وجدانه كما أنتجت حوادث الجوع في النبات حبه وثمره فارتقاء الوجدان في الحيوان والانسان
بحوادث الأيام كاستكمال الحب والتمر بثمره الحجير وبرد الزمهرير . فقال قائل منهم لاني منذ أيام ذهبت زوجا
من الحمام وهو ينظر الى الدنيا نظرا المريض الى وجوه الموت وكنت أدهش من هذا النظام لم ذبحناه وهو صغير
فقلت ألم أقل لك اننا في مدرسة (روضة الأطفال) وهذا انتقال من فرقة دنيا الى فرقة عليا . وما من دابة
في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُم أمثالكم .

وقصارى الأمر وحجاده أن للانسان خمس درجات حسية وخمس أخرى نظامية أو طبيعية في مدرسة
(روضة الأطفال) تابعا في ذلك ستة الارتقاء كالحیوان انه يتقلب جنينا في صور مختلفة من صور الحيوانات
من أدناه الى أعلاه حتى اذا ولد طفلا تبنت له مدرسة اللس فالقوى فالشم فالسمع فالابصار يتلو بعضها بعضا
كقصائل الحيوان ثم تكون تربية منزلية فمدارس أولية فالابتدائية والثانوية والعالية ان دخل المدارس
النظامية والا اكتفى بالمدارس الطبيعية من العسر واليسر والفنى والفقر والنفق والضرر والصحة وللرض
والخبر والشر . ولئن قلتم فما بنا لانعرف برهان ما تقول وانما أنت تلقبه لنا على سبيل القياس التمثيلي
لا البرهان . قلت يسبحان الله لو أنكم سألتم السود في الشجرات والسماك في البحيرات والحشرات في
الخلوات والطيور في الهواء عن الانسان وعالومه أو كل فريق عن الآخرين لقالوا جميعا - وما شهدنا إلا بما
علمنا وما كنا لغير حافظين - ولو أنك أردت أن تفهم صبيان (روضة الأطفال) عن الوزارة وعظمة الامارة
لم تجد لذلك إلا أمثلة مما يلقون من الكرة والصولجان والزهر في البستان والورد في الأكمام وحلادة التفاح
وطعم أقد الفواكه والخمرات

ولما كان العقل الانساني خلق في الأرض طفلا أعطى من العلم على مقدار طاقته ولو أنك سألت السوداء
في لب النبات عن عالم الحشرات أو السمك عن عالم الطيور أو الحشرات عن السباع لكان الجواب - وما شهدنا
إلا بما علمنا وما كنا لغير حافظين - هكذا الانسان لا يشهد العالم الذي بعد هذا وانما يعلم بالقياس ويدرس
بالاقتباس الذي دله على عوالم متظرة . ولذا علمه للمؤدبون مثالا له أحواله للمستقبل بما يناسب معارفه
فالكلام كالسواء يعطى لمن يفقهونه بمقدار . واعلم أن هذا الارتقاء كله روحى لا جسمى في عالم البرزخ فافهم
اتتهى الحديث

(حكمة)

لقد أطلت المقال في هذا المقام لتفسير - قال عذابي أصيب به من أشاء ورحتى وسعت كل شئ - لأن
أعقد العقد في العالم الانساني رحمة الله مع انه يعذبنا . وكيف نعتقد انه رحيم واضيق به وهو يؤلمنا فهذا
القول قد أبان هذا المقام على قدر الطاقة وبهذا تفهم كيف كان من أركان المباشرة الاسلامية في الابن نزول
الشريعة الاسلامية عند الحضرة المحمدية أن يقال لمن أراد الاسلام (وأن تؤمن بالقدر خيرته وشره من الله)
فكان المسلم ملزما أن يسلّم أن الشرّ الذى نابه من الله وكيف يتفق هذا مع الرحمة فهذا المقام زال الإبهام
وعليه تعرف قوله تعالى - فمضى أن تكررهما شيئا وهو خير لكم - ولا جرم أن العذاب في الدنيا وفي البرزخ
مكره لنا فاذن يكون خيرا وهذا القول هو للمقول وهو مقتضى قوله تعالى - يا أبت انى أخاف أن يسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا - فهذا عذاب من رحمن كما يكون العذاب من الطبيب إذن هو

﴿ غرق الانسان في الرحمة أعماه عنها ﴾

اعلم أن الناس يمشون مغمورين بالرحمات غارقين فيها ولكن القليل من يحس هذه الرحمات . ليس من الحكمة ولا العقل أن يكون عدم خبرنا من الوجود . ان الحكيم اذا خلق خلقا فهو لاجل عمله بالانعام ويجعل له الحياة محبوبة لامبضة مكروهة . ناهيك ما ترى في الأمهات والآباء فهو لا . وان لم يكونوا خالقين وانما كان لهم بعض الأسباب في وجود انسرية رأينا حرصهم عليهم وتحننهم وتعطفهم واستماتهم في سبيل انماش الأبناء واسعادهم واتخاذهم من الهللكات

ان العقل والقياس يقتضي أن يكون خالق هذا العالم الذي نعيش فيه أكثر رحمة وأشدّ عطفة وعظما على مخلوقاته . والا فان خلقهم يكون مخالفا للحكمة منافيا للصراف المستقيم . ان محدث هذا العالم لا يجوز ولا يعقل أن يكون كالأبوين رافة ورحمة بل القياس يقتضي أن يكون أكثر رافة ورحمة . وهنا يقبدر هذا السؤال . فلماذا اذن نرى البؤس والشقاء والذل في الانسان

﴿ الجواب ﴾

اعلم أن الناس غارقون في الرحمة كما قدمنا ولكنهم عنها محجوبون وهالما اذا أحدثك عن نفسى وأنت طبعا مثلى اننى من الأمة المصرية ومن نسل عربى فافظر ماذا ترى أليست الحكومة المصرية والأمة المصرية هما اللذان يحافظان على حياة أفراد المصريين وأنا منهم . ان الحكومة نظام واحد وهذا النظام لو اختل اختل الامن فهو كدولاب واحد لابد من محبة سائر أجزائه . النيل يجرى لسنى الأرض والحكومة تهتدس وتحافظ وهذه الأمة تتبادل للنافع مع اليابان والصين والهند وأوروبا وهذا معلوم بدليل مصلحة (الجارك) وصادراتها ووراداتها . فاذن كل الأمم شرقا وغربا تساعدنى سواء أعرفت أنا أم لم أعرف أى انهم يساعدون أمى المصرية التى لا أكون مطمئنا إلا باطمئنائها . اذن جميع العالم الانسانى يساعدنى علمت أم لم أعلم وهذه الأمم كلها تشرق عليها الشمس والقمر والكواكب . وهذه الأنوار لاسيما ضوء الشمس مؤثرات في الزرايع والحيوان والنبات وهى التى تثير البخار من البحار وترجى الهواء فيكون رياحا ثم الرياح تحمل السحاب فيكون مطرا ثم ان الضوء يؤثر في نمو النبات فلا يكون المادّة اللينة في النبات إلا به وبها تكون المواد للنمية للنبات كما أوضحناه في سورة الانعام . اذن تكون الأمة المصرية والأمم كلها والشمس والقمر والكواكب والهواء والماء والسحاب والرياح كلها خادمت لى . وبهذه كلها كان لى جسم وأعضاء تبلغ (٢٤٨) عضوا وعضلات وأعصاب حسن وأعصاب حركة وعقل في الدماغ وحس مشترك وقوة خيالية وأخرى مفكرة وحافظة وواحدة . وهذه كلها متصلات بالحواس الخمس بأعصاب الحركة التى تتجه الى ظواهر البشيرة فتحرك الأعضاء للطالب نارة والحرب أخرى وفي أعضائى من الحجاب الملاحظ له . خذ مثلا العين والأذن وأقرأهما في سورة آل عمران فهما هناك مرصوتان معورتان مشروحتان شرعا وافيا وفيهما من الحجاب ما يدهش العاقل ويحير اللبيب ويربى في الحقائق المدهشة على ما يدهش المرء من عجائب ألف ليلة وليلة التى هى وأساطيل خيالات يتسلى بها الشاب قبل أن يلج الحقائق التى تشرحها من العلوم الطبيعية والفلكية . هذا الجسم وحواسه وعقله وقواه مغمور في الهواء الذى يتنفس فيه وحوله الماء متوافر والغذاء والدواء والفاكهة والمدارس والمعالم والتلاميذ وقراء الكتب التى يؤلفها وهى يتعلم منها وبلاده ومدارس وحكومة منظمة . كل هذا نعمة على أنا . فاذن العالم كله نعمة أسديت الى أنا وأبناء جنسى ودينى

ولكن الانسان يشأ من صغره غافلا جاهلا ماحوله حكم عليه أن يكون هذا العالم مدرسة له واقتضت الحكمة أن يكون منه غذاءه ودواؤه وحياته وموته كما يكون منه علمه وحكمته فهو علم وهو غذاء

خلق الانسان في الأرض وقيل له أنت ملزم أن تحافظ على قوتك وملبسك ومسكنك ومحتك وأمتك
وتعاطى الطعام وتجلبه ولست كالثبات يأكل من الأرض ولا كالحويان يأكل من غير أن يزرع ولا يحترق
ولا يطحن كلا

ينتكب الانسان على ما يستجرعه ويرذل مرضه ويأخذ في أسباب العلم والرق ويستغرق في الهوموم
والأحزان بما ينتابه من الآلام والفقر أو التنافس أو الكسل أو العداوة أو الكبرياء أو الحسد أو الشره فهناك
يفسى قلبك النعم نسيانا حقيقيا . فيقول الفقير أنا أريد الفنى . والجائع أريد الخبز . والمظالم أريد النصر
ومن علا عليه أفرانه يريد أن يظلمهم . ومن شمت به أعداؤه يريد الفوز
وأضرب لك مثلا شابا عشق قطة جميلة وامتنعت عليه فهل يفكر في نعمة العقل والحواس والصحة والفنى
والثروة والهواء والماء والأمة والأمن والشمس والقمر . كلا . ثم كلا لا يرى لله نعمة ولا رحمة إلا أن يحظى
بمعشوقته . كفناك هذا المثل وأنت تعرف أمثاله وأمثاله

فالانسان تحيط به الرجات التي لا تعد لها ولكنه يحجب عنها حجابا حقيقيا بطمع أو كبرياء أو غفلة أو ظلم
يكون للانسان آلاف من الجنيات فيحسد من زاد عليه ألفا واحدا وينسى آلاف الآلاف من النعم
ومن النقود ومن الصحة والبنين والأصحاب والخلان ويعترض على خالق هذا العالم الذي جعل له رجلا يشاكله
واعتلى عليه . هذا هو مثل الناس في بدوهم وحضرهم . فأين رحمة الأب وأورحة الأم من أرحم الراحمين
ولكن الشهوات وأنواع الغضب وأخلاق السوء وما أشبه ذلك أصبحت حجابا كثيفا بين الناس وبين الاحساس
بالنعمه والرحمة

﴿ الحجاب المضروب بين الناس وبين رحمت الله ﴾

رأيت من هذا البيان أن الناس جميعا في رحمت لانعمه بالآلاف والآلاف ولا حصر لها وهي مشاهدة ملموسة
مسموعة مشهومة منقودة قد غرق الناس فيها ولكنهم لا يحسون بها - إن هم الا كالأنعام بل هم أضل
سبيلا - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - وهذا أنا إذا أريتك السد
ببصيرتك فهذا السد أنواع كثيرة جدا كسد الحرص والشره والحقد والحسد والجهل والغفلة
يعيش الانسان ويموت وهو لا يدري أن له جسما وأن هذا الجسم نعمة ولا يعقل أن ذلك كله فضل من
الله ومنه . فمن عجب أن تحيط بنا سدود ولا تراها وتلك السدود تحجب عنا جمال هذه المخلوقات فالعيون
مفتحة ولكن لا تبصر وذلك لتلك الحجب التي شرحتها . انما مثل الناس في الدنيا بالنسبة لما حولهم من
النعم كمثل اعمى والصم الذين أمامهم الصور الجميلة وحولهم النعمات الشجية البديعة والأزولون لا يستلنون
بالبصريات والآخرون لا يشعرون بالنعمات فلا فرق بين حاسة لم تخلق وبين حاسة مخلوقة عليها غشاء حسي أو
معنوي . هذه اللعاني مقتبسة من أول هذه السورة أى من قوله تعالى - ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا
لكم فيها ما يمشي قليلا ما تشكرون -

بين الله هناك أن الناس أعطوا معاش وقليل منهم شاكرون و بين مجمل تلك النعم بالخلق والتصوير ثم
أبان موانع الشكر كعدم الاعتراف بالنعمه أو جهلها أو عدم استعمالها فما خلقت له فذكر عصيان ابلis عن
السجود واستكباره بأصله الناري الذي هو القوة الغضبية السرية في أكثر الناس فهم أشبهوه من هذه
الناحية وحجب عنهم الاحساس بالنعمه وانحصرت قواهم في القلبية والحسد والشهوات والتنافس ففسدوا سائر
النعم إلا ما بسبت عقولهم فيه من الترهات . ثم انظر كيف يقول ابلis مشبرا لما قرئ رثاه أنه أقدم أن
يقوى بني آدم فلا يكون أكثرهم شاكرين . ألا تتعجب معي هذا العجب أن تكون الآية التي نحن بصد
الكلام عليها قد ذكر في أول السورة معناها وبين مفزاها . يقول الله هناك أنه مكن بني آدم في الأرض

وقليل منهم شاكرون . ثم أعقب ذلك بقصة خلق آدم وتصويره ويتبع ذلك جيع النعم ثم كيف فني على ذلك بقصة إبليس الذي حلف أن يهوى أبناء آدم حتى لا يكون أكثرهم شاكرين فردّ الجز على المصدر الذي هو نوع من أنواع البديع الذي يفرح به أطفال العلم في الأمم الإسلامية المتأخرة وقد جهلوا الحكمة المحبوبة ومنها ما ذكرناه أن الكبر والحسد والحقد والحرص والشره وأمثالها هي المحب التي أسدلت على عقول الناس باغواء الشيطان الذي حلف أن أكثرهم لا يكون شاكرًا وذلك أن الشكر لا يكون إلا بالاحساس بالنعمة والاحساس بها مادام المرء مشغول بالفؤاد بما يهوى من ماله وأوله أو صيت كاذب أو فتاة حسنة فكل هؤلاء متى فتنوا بما أجوا فانهم لا محالة يفسون جيع النعم لأنه جبل بينهم وبينها بسد كفيف قوي متين فلا يكونون شاكرين

(من هم الشاكرون)

اعلم أن الانسان لا يشكر النعمة إلا بأحد أمرين (الأمر الأول) منع النعمة عنهم كما ترى الفقير والمظلوم والجائع والظمان وهذا الشبق والدليل والمرضى . ففى اغتنى الفقير وجبر كسر المظلوم وأكل الجائع وشرب الظمان وتزوج ذوالشبق وعزّ الدليل وشفي المريض . أقول متى نال هؤلاء ما منع عنهم شكروا بهم قد يعيش المرء عشرات السنين وقد أعطى مالا وولدا ولكنه لا يحمد الله على شئ منها لأنها لم تزع منه حتى يعرفها ويرى الفقير بجانب منزله نال كسرة بعد جوعه فيحمد ربّه جدا كثيرا وذلك بسخر منه ويستزىء واعلم أن هذا الشكر ضئيل أشبه بشكر العبد الدليل الذي اعتاد سيده أن يضربه ففى سكت عنه جد سيده على هذه النعمة أى نعمة الغفوة عنه . وانما الشكر الحقيقي فيما يأتي من الأمر الثاني وما هوذا

(الأمر الثاني) دراسة هذه الدنيا ونظامها وقرارة علوم هذا العالم والالمام بمجملها والبحث فيها وذلك هو المسمى (علم ما وراء الطبيعة) ولا تظن أن هذه الكلمة على حقيقتها بل ما وراء الطبيعة معناه العلم الذى يشمل الرياضيات والطبيعات أى العلم الذى لا يختص بأحدها فالبحث فى نظام الكائنات العام منه وقراءة المقولات وتقسيم العلوم منه . وهذا التفسير أشبه بهذا العلم لأن مباحثه عامة . فليس معنى ما وراء الطبيعة غير ذلك ويدخل فيه علم الأرواح والبحث فى وجود الله والرسول وما أشبه ذلك

قلنا فيما تقدّم ان الانسان يعيش عشرات السنين وهو فى سجن شهواته وغنمه فلا يرى جلالا ولا لمة ولا راحة وقد ينجى الموت كما قالت مريم - باليتى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا - فلما كلمها عيسى وهو طفل وأفهمها أنه رسول الله سرى عنها وعرفت أن هذه المصيبة والنصيحة والخزى لادوام لها وأن الشرّ الذى نوى يعقبه الخير الأخرى والسعادة الأبدية بالمنافع العامة للناس

هكذا خلق الله فى نوع الانسان أناسا اصطفاهم واختارهم فهم يدرسون هذا الوجود ولهم يتجلى الوجود على ما هو عليه على قدر الطاقة البشرية ويدركون جلاله . وهم وان اتابهم المصائب وحلت بهم التواب كسائر الناس فإن فى بواطنهم براعت السرور والجلد والفرح بالحكمة التى هى جلال لا يضب وذخر لا ينفد فيذهب عنهم الحزن فى الدنيا . وكلما أصابهم غم أو هم أشرق عليهم ذلك النور فهم دائما فى حبور وسرور واشراق ونور وجمال وهما . ومماثل هذه الطوائف لا كتل السمع والبصر فى الانسان كالأهمل مدرك لما بعد عنه . أما بقية الناس فانهم أشبه بحاسة السمع والذوق فهما لا يدركان غير اللامس . أما هذه الطائفة فإن بصائرهما مفتوحة لجمال هذا العالم فأدركت الرحمة فى الهواء وفى الماء وفى النبات وفى السماء . ولا يحجبهم تراكم النعم عليهم بل هم يخترقون تلك الحجب ويهجمون على الحقائق ويقتلونها بحثا وتنقيا حتى تظهر واضحة كالشمس فى رابضة النهار . وكما سرى عن مريم بما سمعت من صوت ولدها أنه رسول وأنه برأها كذلك يذهب السوء عن هذه الطائفة الشاكرة بما يلهمون فى قلوبهم من جلال الوجود وبهجته

وأن الدل والشرب يقبان عزاء وخيرا ويرون الصبر نعمة عظمى يشير لذلك قوله تعالى - فأسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الخ - فهؤلاء للتقون المتقون أموالهم هم الذين فتحت بصائرهم للنظر في هذا الوجود وهم هم الشاكرون حقا

وهنا يرد هذا السؤال فيقال لم عذب الناس عند الموت بنزع الروح أليس ذلك شقاء للبالغ والبالغ على سواء بل الخوف من الموت شقاء ملازم . أقول هذا السؤال لا يرد بعد ما بينا أن الناس في سجن من الجهالات والأخلاق ولو أن الناس قرؤوا العلوم لأدركوا أن الموت لا ألم فيه البتة بل هذه خرافة مثل قصص الجباز . وانما الألم كما قلنا راجع للحجب المسدود على العقول وهذه يوزعها التربية والتأديب الإلهي . ولقد قال علماءنا المتقدمون كالإمام الغزالي أن الموت لا ألم فيه . وانما الألم الوارد في الأخبار راجع إلى التحسر على فراق الدنيا لفقد العلم كما تقدم في قول إبليس ولا يجد أكثرهم شاكرين . ولأنهم هذا للعالم بما خبره بنفسه وقرأه في الكشف الحديث استئناسا للعالم فأقول

كان بوزارة المعارف أحد المستخدمين وكانت علاقته به أنه تلميذ في فناء عنى شهورا ثم تصادف أن قابلته معاتبا قصص على قصص ما اتقاه إذ سقط على أفريز الطريق (الرصيف) المرصوف بالحجر وهو يريد ركوب قطار الترام فزلقت رجله فصرعا قال ولم أعلم بنفسى إلا بعد أيام وأخبره الطبيب أنه منذ أيام لم يذق طعاما وأن رأسه مبروط بالحرج بسيط في جلدة الرأس ثم بعد أسابيع شفى تماما قصص عليه الحقيقة فقل انك قد كنت كليتي ورأسك كان مشدوخا ولوأخبرت لك لأضر ذلك بك . فقلت له ما الذى أحسست به حين وقعت على رأسك . فقال لم أحس بألم البتة وانما أحسست بأنى قد خف جسمى ثم لم أع بعد ذلك شيئا اه هذا ما عرقت به بنفسى . فأما عذاب النفس بعد الموت فذلك ناشئ من نقص العقول والأخلاق فهناك مانع الأطباء في أوروبا أيام طبع هذا التفسير فقد جاء في بعض جرائدنا المصرية ما يأتى

على عتبة الأبدية

(بماذا يشعر الإنسان عند الاحتضار)

نشر أحد الأطباء الانجليز مقالة في إحدى المجلات العلمية آثارها اهتمام الرأى العام ودعا الأطباء الى القيام بمباحث واسعة النطاق لمعرفة ما يشعر به الإنسان في دقائقه الأخيرة على هذه الأرض وذلك لتجريد الموت من كل ما يلبقى الملع في النفس ولائيات أن دخول المرء في دور الاحتضار لا يصحبه شئ من مسببات الفزع على الإطلاق . ومن رأى الطبيب المذكور أنه متى عرف المرء هذه الحقيقة لم يبق للخوف أثر في نفسه ان العلم لا يعرف عن الموت حتى الآن إلا النزر اليسير . والأطباء وإن صكبتوا المجلدات الضخمة عن الولادة وفق التوليد فإن ما كتبوه عن الموت قليل ناه لا يشفي الغليل . ذلك لأن الموت لا يزال سرا مهما ترى بماذا يشعر الميت وهو في حشرة الموت يحاول أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وهل الموت أمر بسيط كالولادة أم هو مصحوب بالطلع مما يجتدل المرء من ظلمة الصبر ورحشة الأبدية . ان معظم الذين يقولون على آرائهم مجموعون على أنه متى حضرت المرء الوفاة زال كل أثر للخوف . وفي الواقع أن معظم الناس يموتون بالسهولة التي يستنرقون بها في سبات عميق ولا يشعرون بشئ من القلق . وبعض الناس ينظرون الى الموت وهم في ساعة الاحتضار كأنهم على سفر الى عالم جديد . أما الذين يعانون الآلام المبرحة فانهم يرون في الموت انتقاذا لهم من تلك الآلام . وللفطنون أن قليلا جدا من الناس ينزعجون أو يصابون بالطلع متى حضرتهم الوفاة قال الدكتور (فيليب انمان) مدير مستشفى تشارنج كروس بلندن . لقد رأيت المئات من الناس في ساعة احتضارهم وقاما رأيت على أحدهم شيئا من علامات الطلع ولست أعتقد أن المرء يشعر بالخوف متى دخل

في دور الاحتضار ولعل ما بلغ حدث خبرته بنفسه من هذا القليل ملوقع لشاب في السابعة والعشرين من عمره دخل للمستشفى وكان على أجرة الزواج قبيل مرضه بضعة أيام ويظهر أنه كان قد عين في وظيفة خارج إنجلترا ولكن مرضه الفجائي حال دون سفره ونظرا الى اشتداد وطأة المرض عليه لم يبق أمل في شفائه فاضطرت أن أخبر خديته التي كانت تحبه ويحبها حبا يقرب من العبادة وليس ذلك فقط بل كان من الواجب على أن أطلعها هو نفسه على حقيقة حاله لكي يكون مستعدا للموت وقد تمت بذلك الواجب المؤمل على ألفت وجه فأخذ يصبح صيحات مؤلة قائلا كلا . كلا لا أريد أن أموت ويلاه لا أريد أن أموت وكان للشهد مؤثرا للغاية وظل ذلك الشاب في اضطراب عظيم مدة يومين متوالين ولكن في اليوم الثالث طرأ عليه تغير عظيم إذ هدأ ثأره وانقطع عن الصراخ ولما قابلته رأيت أعصابه هادئة فقال لي بكل هدوء ووربطة جاش إن أبي توفي لما كان عمري ثلاث سنوات وتوفيت أمي منذ أربع سنوات وكنت بعد وفاتها أتمنى الموت كثيرا الى أن تعرفت بخطيبي فزالت عني كآبتي وعزمت أن أبدأ الحياة من جديد وها أنا ذا الآن على أجرة الرجل من هذا العالم وقد اعتدت فكرة الموت فلم يبق للخوف أثر في نفسي . على أنني إن جهل ماهو للسكان الذي أنا ذاهب اليه وهل يتاح لي أن أرى أمي وأبي هناك . قال الطبيب وقبل وفاته إن نحو ساعتين استعدي للمرضة وطلب منها أن تضيء الأنوار الكهر بائية لأنه لا يبصر . فقالت له المرضة ولكن الوقت نهار ونور الشمس علاء الفرقة فقال لها ان الظلام حالك ولست أبصر شيئا فلم يسع المرضة إلا أن تنجيبه الى طلبه وظلت الأنوار الكهر بائية مضيئة في غرفته الى ما قبل وفاته بضع دقائق فنادى المرضة وقال لها الآن يمكنك أن تفتشي الأنوار لأتني أبصر ولأن أمامي منظرا سالعا جميلا

ومن الامور التي تكاد تكون مؤكدة أنه مهما يكن الموت مفزعا لنا نحن الأحياء فإنه يفقد كل ما فيه من أثر مفزع في ساعة الاحتضار . ولقد ثبت أن الكثيرين يقولون في دقائق احتضارهم أنهم يسمعون ايقاع القباير وأصوات الموسيقى الحربية . ويقول غيرهم أنهم يرون مناظر بدئية لم يروا مثلها في حياتهم . ومنهم من يخطون أذرعهم وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة كأنهم يستقبلون أشباحا تبو لهم ومن رأى السر (اربوقت لابن) وهو من مشاهير الجراحين الانجليز أن الخوف من الموت يتقوى بتأنا في ساعة الاحتضار . وهذا رأى معظم الأطباء في الوقت الحاضر فالوقت لا يخرج عن كونه حادثا طبيعيا ولا شك أن الكثيرين من الشيوخ الذين شجعوا من الحياة وعاتوا أحزانها لا يرجحهم الموت مطلقا بل قد يرجحون به من كل قلوبهم

وقال السر لابن المشار اليه . انه في معظم حوادث الوفاة التي شهدا كان الموت أشبه بالاستسراق في سبات عميق وهو غير مصحوب بما يلقي الهلع في النفس وإذا كان العلم يسعى لتسهيل عملية الولادة فلماذا لا يسعى لتسهيل عملية الموت وتجريد ما من عوامل الهلع والفرع . وفي الواقع أن الموت أسهل بكثير عما تصورنا له الخيلة . فان الكثيرين ممن كانوا على وشك الموت ونجوا بأعجوبة يشهدون أنهم لم يشعروا بشئ من الهلع وأن حاسة الخوف اتفت منهم عند ما شعروا بدنو دقائقهم الأخيرة

يروى عن المستر (باربيليون) من كبار مؤلفي الروايات أنه مرض مرضا لم يكن يرجى له منه الشفاء فلما علم بدنو أجله أظهر شجاعة غريبة إذ قال (إن الموت لا يخيفني على الإطلاق لأن الحياة قد أصبحت عبأ ثقيلا بل أنا أتمنى الموت بسرعة لأرى ما وراء هذا الأفق ومن هم الذين سأقابلهم في ذلك العالم . انني أرى الموت كلاستسراق في سبات هادي)

وكتب المستر (بريكس) الكاتب الشهير ما كان يشعر به في دقائق الأخيرة وهذا بعض ما كتبه (إذا كان الموت حالة من حالات عدم الشعور كما اعتقد فأحسن ما يستطيع المرء عمله متى حضرته الوفاة

أن يفتن نفسه بأنه عما قليل سيستقرق في سبات هادي لا تزعمه فيه الأحلام ولا تقلقه الأشباح . وإذا كان
ثمة عالم آخر وراء هذا الأفق فما أسعدنا إذ سنالنا جبارة الأجيال الماضية مثل (أفلاطون وأرسطو وسقراط
وشكسبير وغيرهم) . اهـ

وقد شهد جميع الذين كانوا يزورون هذا الكاتب في دقائقه الأخيرة أنه كان بشوشا يشرب إلى قرب وفاته
بشجاعة غريبة حتى لقبه الناس بعد وفاته بالبيت الشجاع

وبروى عن (المس كافييل) الممرضة الانجليزية التي حكم الألمان عليها بالاعدام في زمن الحرب أنها أظهرت
شجاعة فائقة كأن الموت حادث اعتيادي . ولما زارها الكاهن قبيل اعدامها بدقائق أكدت له أنها
لا تخاف من الموت لأنها رأت الكثيرين من الأبطال يموتون أمام عينيها في ميادين القتال . وقد دهش
جميع الذين حضروا اعدامها من الشجاعة التي أظهرتها حتى آثر نفس من أنفاسها

وخالصة أن آراء معظم الكتاب والعلماء مجمعة على أنه عند ما حضر المرء الوفاة يفقد الموت كل ما فيه لمن
أثر الرهبة والطمع اهـ

هنا أتب إليها النبي معك وقفة وأخاطبك بما وقر في نفسي . أقول لك ان هذا القول الذي يذمه
أطباء أوروبا والذي قلته أنا كلام اقناعي ليس يقينا ولكن هو الذي يوافق حكمة الحكماء ورجحه فهو يعطينا
صورة من رجحه . وأقول لك ولا أخشى لومة لائم ان هذه الصفة هي التي أعتمدها في صانع هذا العالم والا
فبالله كيف نراه يسير على وتيرة واحدة في نظامه . نراه ألهم الناس فأعقدوا أطباء للولادة وهناك القابلات
لتسهيل خروج الولد من الرحم . هكذا نراه عمه ذلك في أصغر الحشرات . ألم ترى ما مستقرؤه في سورة
الأنحل فانك ترى هناك فيما قلنا عن كتب الترجمة بطريق الترجمة أنهم شاهدوا الأنحل قد خضعت طائفة منها
لنزع القاذورات عن أولادها الصغار (وذلك) أن الأنحل تصنع بيضا والبيض يكون دودا ثم يصير (قبيحة) أي
كرة صغيرة مغطاة بخيوط حريرية تنسجها البودة الخلية على نفسها كما يفعل دود القز ثم بعد أيام تنبت لها
أعضاء الحركة فتستعمل للخروج قري الغلات الكبيرة المذات لذلك يساعدن الصغار ويجاهدن حتى تفك
الربط الحريرية . أليس هذا عينه هو ما تفعله القابلات عندنا وأطباء الولادة . أأنا لا أشك أن الله تعالى
جعل هناك عالما روحيا لمقابلة الأرواح عند خروجهم من الحياة جريا على عادته أن قانون الله في الحياة والموت
لا يتغير فهو يرسم للولود ويرحم للبت . فسبحانه من إله عظيم . وإياك أن يصدك عن هذا مسألة المصاحي
والكفر فان هذا يحتاج الى تطويل ولكن يكفيك الساعة أن أقول لك قائدتين (الفائدة الأولى) اعلم
أن الامام الغزالي يقول كما قلناه عنه في كتاب (الأرواح) ان العذاب أولا يكون بسبب الشهوات ثم بعد
أمد يكون على الذنوب ثم بعد أمد يكون على الجهل . ولا شك أن الجهل يدخل فيه الكفر ثم بعد ذلك
يكون عذاب النار (الفائدة الثانية) اننا نرى الله يخلق المصبيان وقد سوى بينهم في أن القابلات مستعدات
للجميع فلا تفرقة بين الأغنياء والفقراء من حيث العموم ثم بعد ذلك يمتاز الأطفال في حياتهم على حسب درجات
آبائهم وأمهاتهم وهكذا . وللوقت جميعا يخرجون من الدنيا فيختلفون بعد الموت بحسب أعمالهم وأخلاقهم
كما يختلف أبناء الأغنياء والفقراء قال تعالى - ولكل درجات مما عملوا -

وان كان الجميع قد ساعدتهم القابلات مع العلم بأن ابن الزانية تقابله القابلة وهي مشتمزة . هكذا التقجار
يقابلهم العالم الروحي وهو معرض عنهم هذا معنى قوله تعالى - ورجعي وسعت كل شيء - والجله رب العالمين
(زيادة ابلناح في قوله تعالى - ورجعي وسعت كل شيء - أيضا)

(حكمة بالغة في جوهره ناضرة)

حدثني أحد الصالحاء الأذكياء قائلا ما يأتي

كثيرا ما يختلج في صدرى قوله تعالى - ورحتى وسعت كل شئ - بعد قوله - عذابي اصيب به من شاء - فكيف لمتقد أن الرحمة عاتة لاعتقاد صادقاً وأنت لو نقتت في القلوب لوجدتها مطبقة على التأمل من هذه الدنيا التي حوت الحرب والمرض والمطاعون وأنواع الجلي والجدرى ونقص الأتقى والأموال والفقرات والبرد القلوص القاتل . فأين هذه الرحمة واني أتمنى أن أقف على هذه الرحمة الواسعة حتى أفرج بها . ويألت شعري لماذا نزل هذا في القرآن بل كيف يكلفنا الله بالمستحيل . ألم يرد لنا في الحديث الصحيح أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن نؤمن بالقدر خيره وشره من الله . فهذا صريح في أن الله عنده خبر وشر فأين سعة رحمة إذن . وراتنا قول في قنوت الصبح كل يوم ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ إذن نحن نحمد الله على القضاء عامة أى على الخير والشر وكيف يكون الحمد على الشر ولا جد إلا على نعمة . أما النعمة فكيف تتصور الحمد عليها . يظهر لى أننا نعيش في جو من الجهالة ونلوك ألقانا لا ندرك معناها وعجبي للديانات كلها أنها في هذا المعنى متشابهات. ومماثل الناس في ذلك إلا اكتمل عبود الصائعبون ساداتهم خوفاً من أذاعهم لا حباً لهم

(الاجابة)

قلت له اعلم ان هذا المقام بسطته في سورة آل عمران عند قوله تعالى - بيدك اختبارك على كل شئ قدير - ففيه هناك ما يكفي ذا القلب . وقد أبنت لك هناك أن ما أذكره تقع باب للبحث وأن اليقين إنما يأتي من طريق البحث والتفتيح وقراءة آراء الأمم وعدم التعصب لرأى خاص ورجوع النفس الى الله والله في الفكر . واعلم أن الله عز وجل ماذكر هذا في كتابه ولا على لسان رسوله ولا في دعاء الصلاة ولا في الفاتحة إذ كرر الرحمة فيها أربع مرات إلا ليعجزنا الى درس هذا الوجود ويحثنا على دراسة هذه الكائنات التي نعيش فيها فان هذه الشبهة التي وردت عليك لم تخلق فيك عبثاً وإنما خلقت لحكمة وهي حثك على الجدة والتأبرة في البحث حتى تدرك بصيرتك سر الموت والحياة والمرض والأرزاء ومعنى أدركت ذلك المحامات ففسك لهذا الوجود وعرفت ما يبدل على هذه الحكمة . ليس في الامكان أبديع مما كان

فقال ذلك الصالح الذي أنا لم أقرأ ما كتبه أنت في سورة آل عمران ولم أدرس كتب الفلاسفة ولم أنل حظاً عظيماً من الذكر فهأت لي لغة فتضح لي باب النظر وعجالة يكون فيها المبتدأ والتجرب بحيث يفهم العامة والعلاء والخامسة والجهلاء ولا يكون لها سابق ذكر في هذا الكتاب . فقلت ان جميع ما تقاسيه في هذا الوجود أشبه بما يقاسيه للمريض من الطبيب . فكم من مريض بسم الله الدهر بالطبيب فسقام المرء ومنع عنه زيارة الأصدقاء وجاءه من اللذات والشهوات وبتر منه بعض العظام والعنات . فهل ذلك لنكايه فيه أم لاهتمام به إنما الآلام مبدأ للرحمت وباب النجاة . ان طبيعتنا أرضية وأحوالنا حيوانية فالتأديب بالتعليم والحوالوت صرغفات لئلا نمانقويات لنفوسنا حتى نرجع الى علنا الأعلى ومماثلنا في ذلك إلا اكتمل ماء البحر للملح ساط الله عليه الشمس جعلته بخاراً قاصر في الجو سحبا قتل على الأرض مطراً جري في مجاري مختلفات فاجتمعت تلك المجارى فكونت نهراً جري النهر الى البحر - كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا - فرجعت القطرات الى أوطانها فرحات بأهلها . هكذا هذه الأرواح جاءت لهذا العالم وذاتت حلوه ومره ثم رجعت الى علها . وان أردت ضرب أمثال للشر يكون هو قسه خيراً فهناك هذه الحوالوت

(الحادثة الأولى)

عملية جراحية أدوت الشفاء في السمع والنطق . ذلك أنه في أيامنا هذه كان رجل يسمى (أرنست بلانج) مفرماً باللاكمة والبراة فيها وبينما هو يلاكم مرة أصيب بلكمة في عنقه فجعلته أصم أبكم وبقى هكذا مدة عامين ومنذ أسابيع من كتابة هذه المقالة التي أكتبها الآن قبيل جولة ٤ يناير سنة ١٩٢٧ دخلت شظية

في إحدى أصابعه فقصده طبيبا جراحا لأخراجه لأن أصبعه التهب فكانت العملية شديدة الصعوبة فأسية الألم فلما أن أخرج الشظية شنى تمام الشفاء من اللرضين معا فقباله أحد رفاقه فأراد أن يأخذه من ذراعه فصرخ قائلا (دعني وحدي فاني بخير الآن) فهذه العملية أعادت له حاستي السمع والبصر . انتهت
ان ماذوقه في الدنيا من الألم لعله أخيه بالألم هذا للريض عند استخراج الشظية من أصبعه وانفتاح البصيرة لمعرفة حال هذه الدنيا الموصدة أبواب علويتها أمامنا أشبه بما حصل له من شفاء سمعه ونطقه
(الحادثة الثانية)

أن رجلا أعمى أخوس من قرية في مقاطعة (نورمبتون شير) قصد طبيبا فقررت له عملية في عينيه وهو لا يشي برجوع حاسة البصر له وبينما هو ينتظر الجراح وهو يحضر مشارطه إذ سقط على الأرض وعند النهوض وجد نفسه قادرا على الكلام . انتهت

(الحادثة الثالثة)

أن رجلا أعمى جاء به الى مستشفى في مدينة (برمنجهام) لاجراء عملية جراحية له في دمل بالبخ كان يهدد حياته فنجحت العملية نجاحا فوق ما يصفه الواصفون إذ شفى من الدمل وعاد اليه بصره

(الحادثة الرابعة)

روت مجلة (اللائب الطبية) أن رجلا في الثلاثين من عمره أجريت له عملية (الكاتاركت) في عينيه بمستشفى اليرد في مدينة (جلاسجو) وكان ولد أكمه لم يشهد في الدنيا شيئا فنجحت العملية وعادت له حاسة البصر التي لم يعرفها قبل ذلك

(الحادثة الخامسة . من عجائب حصف الخلق)

في سنة ١٩١٤ كان رجل مجرم اسمه (سيزيكلي) في سجن الحكومة بولاية (بيلسفانيا) فاصيب بأصابة قوية في رأسه فطلبها عطا شديدا والجمجمة كانت اسبنتها خطرة فأسرع طبيب السجن وأصفه بالعلاج فأخذ حياته وهناك حصل ما يدعش الأصار . ان سيزيكلي كان رجلا متوحشا فاسيا يدخل الرعب على نفوس رفاقه للمسجونين فما انتهت هذه العملية حتى تبدل خلقه وصار ذكيا نشطا رجيا مطيعا فرحا مساعدا للسجانين والمسجونين ولفه في خلقه شؤون . اه

(الحادثة السادسة)

وقع لص في الخامسة عشرة من العمر يسمى (حبيسى يرد) وله زعة قوية في الاجرام فأصيب يوما بجرح في رأسه فلما أجريت له عملية جراحية تبين أن في رأسه قطعة عظم ضاغطة على المخ فلما رفعت هذه القطعة صار الصبي ذا خلق جميل وهو فرح مسرور اه

(الحادثة السابعة)

حدث في بلادنا المصرية منذ ثلاثة أعولم أن قرويا في بلدة (طلخا) أصيب بقصد بصره ولم ينفعه علاج ولم فدانين من أرضه لنفقات العلاج ولا جدوى . واتفق يوما أن جلس في بار (قهوة) في بلدة ولما فتح عامل القهوة (الجرسون) زجاجة الفانوزة لأحد الجالسين طار سداد الزجاجة فأصاب أنف الرجل الأعمى المذكور فسقط الدم من أنفه كما يحصل في القصد فعاد للرجل بصره في الحال . قال الشاعر
من يتمم به المرش يحفظه • فهو الحكيم يدبى للماء بالداء

أليست هذه الحوادث تمر على الجهال من النسيم على الحبيب والصرصر على القضاء . أخلاق تبدلت وأساع وأبصار شفيت بأعمال جراحية . لعل حياتنا كلها عملية جراحية تشفى نفوسنا من أمراض فيها لا تدبرها . فإذا جهلنا نحن كما جهل ألباؤنا جميعا في الأرض أن مرض العين في الحادثة السابعة مثلا يشفيه

فصد في الموضع لعين من الأنف . وأن الجرمين في الحادثة الخامسة والسادسة يكفي لتحسين خلقهما عملية في رأسهما مع أن علم الطب قد تقدم في زماننا قتلنا عظما وقطع دابر الأمراض العاتية وأثرأرأ محسوسا حتى كثر نوع الانسان على الأرض . أقول اذا جهل أبطلنا ما ذكر في أجسام انسانية حاضرة لدينا فان ذلك يدل دلالة قاطعة أن هذه الأجسام وهذه العوالم مكتنزة بالعلوم والرحلات علوية حكمة ونورا وأسرايرا وأن الله يتحدث أمثال هذه النوادر ليقول لنا . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - خلقوا وإبحثوا فلن تصلوا الي - حتى أعلمكم على حقائي رحائي . وما أتم اليوم إلا كسمك في البحر والرحمة أشبه بالعوالم المائية والهوائية فأتهم لأمرفون من رحائي إلا كما يعرف عالم السمك عن عالم الأرض والهواء من نبات وحيوان وطير ولين يكون يقين إلا بالجد في التذنب ودراسة العلوم جميعها شرقية وغربية . فلذا قال السلم رضى الله عنه . ولذا قال أمنت بالتدبير خيره وشره من الله فان ذلك يسوقه الى أن يقب الايمان بالعلم ان استطاع الى ذلك سبيلا . ومتى درس النظام جاء اليقين . واليقين هو المقصود من هذا الوجود وهو الذي أعطاه الله لابراهيم الخليل عليه السلام كما تقدم في سورة الأنعام إذا أراه الله ملكوت السموات والأرض ليكون من المؤمنين ولذا أمر بنشرح الطيور فشرحها وقطعها ثم أحيها الله وذلك إشارة لعلم الكيمياء الذي يدل على حسن النظام والترتيب وقد تقدم هذا في سورة البقرة بإضاح أوفى فراجع ان شئت . فلذا كان الخليل يطلب من الله اطمئنان القلب فطمأنه اليقين بعلم الكيمياء في البقرة وعلم الفلك في سورة الأنعام فهذا أمر لي أنا وأنت أن تدرس هذه العلوم اذا قدرنا لأن نبينا ﷺ أمر أن يقيمه إذ قال تعالى - فبهديهم اقتده - وأمر النبي أمر لائمه . وما ألفت قوله ﷺ (نحن أحق بالناس من ابراهيم) ككأنه يدعونا نحن أن نقول ذلك وبذلك نجد في العلوم فرجت هذه الآية الى تقوية للمدارك العلمية في البلاد الاسلامية

ان عذاب الدنيا والآخرة مرجعه الجهل بنظام هذا الوجود . ان الله خلقنا للعلم والعمل وكل ما لمانيه في الدنيا مفتاح للعلم حتى ان مصائب المسلمين اليوم مغايب لرقهم ولولاها لاصدروا أمثال هذا التفسير الذي صرح بامور قد كفر بأكل منها للمسلمون العلامة ابن رشد والفرازي وابن سينا والفارابي راجع ذلك في سورة الأنعام تحت عنوان (برزخ بين بحرين) بل لولاها لم يكن هذا التفسير . ان مثل ما أصيب به المسلمون اليوم من الضنك واذلال الفرنجة لم تكن تلك العمليات الجراحية التي عملت في (الحوادث السبعة) الآفة الذكر فنشتت أضرار المرضى وأبرأت أصعبهم من حيث لا يعلمون . ان الانسان لا يزال مضطرا على مقدر جبهله وكل زاد علما بهذا النظام العام أدرك للرحمة ففرج . ان جهنم دار خلقها الله لمن لا يعلمون . ألا ترى الى قوله تعالى - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير - وقوله - ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عيانا وبكأوصا ما أولهم جهنم إلح - ومن تقب هذا التفسير أرجو أن يكون له فيه سداد من عوز والحمد لله وب العالمين اهـ

فلما سمع ذلك (ذلك الصالح) قال هنا حسن ولكن الاحسن من هذه النوادر أن أسمع منك أمورا في نفس الطبيعة المشاهدة حتى ترى بأنفسنا أن الرحمة في المصائب فلا أما هذا الذي قلته فأنما يجعل بالاستنتاج قلت سل ما بدا لك . فقال ما الفوائد الناجمة من شدة البرد ومن تغطية الأرض بالثلج في الأنفطار الباردة فلذا عرفنا أن الحر في الأنفطار الاستوائية يهيج الأرض بالنبات والروائح الطرية والأزهار الالهجة والجمال والغابات والنم العظيمة فأى فائدة في شدة البرد وفي كثرة الثلج للاراضي الباردة المسكونة بالانسان والحيوان (قللت أماندة البرد) فانها تقتل الحشرات الفاتكة بالزرع وذلك علم في بلادنا المصرية والبلاد التي اشتد بردها ففى أقبل فصل الشتاء غابت هناك الحشرات التي كنت تراها في أرضنا مثل أبي دقيق والجراد وغيرها فهذه فانكأت بزعرنا فالحكماء الله ثم يخلق غيرها (أيضا) البرودة تجعل في الأرض قابلية لنبات الحبوب بما خلقه في الطين

من التفتت . أما الثلج في البلاد الثلجية فانه ينطى الأرض ليحفظ البنود والنباتات الصغيرة من سطوة البرد كما يحفظ الماء الذي تحته في الأنهار من أن يصير ثلجا والامات السمك . فالثلج يحفظ نبات البرد وسمك البحر . قال هذا والله عجب عجاب . قتل إذن الثلج نعمة على الحيوان والانسان بحفظ البذر والسمك والنبات من البرد . والبرد نعمة فيقتل الحشرات ويصلح الأرض للزرع فنبهان الخلاق العظيم فهنا إذن (١) حشرات تخلق لتنظيف الجوف وذلك بأكلها الرطوبات المفسدة بنا (٢) برد قاتل لتلك الحشرات (٣) ثلج مانع لتلك البرد القاتل أن يقتك ببنودنا وزرعنا الصغير (٤) ثم ضوء الشمس المزيل للثلج فيخرج نباتنا ويجوزرعنا ونعيش آمنين

جهل الناس هذا الجبال فزعوا الى الروايات وأبرزوها بهيمة مسارح نسرت الناظرين . ولوأنهم رأوا هذا الجبال لبرهم . هذه هي الحكمة . حشرة نافعة في امتصاص الرطوبة فهي آتت واجبها ضربها البرد ففي آتم واجبه منه الثلج أن يضرب الزرع الصغير فهي آتم واجبه برزت للنفس . هذا هو الجبال وهذا هو العلم ومن هذا يفهم الناس معنى قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شيء - أنظر كيف وسعت رحمته . أنظر كيف كان ثلجه وبرده وحشراته كلها مهلكات ولكنها حكمة عاتمة . فلما سمع صاحبي ذلك . قال هذا هو الذي يشرح الصدر . ولكنني أسألك سؤالا أهم من هذا . اذا كان الله هكذا رؤفا رحاما فلماذا يبعثنا وهل هذا فضل الرحيم . قتل هذا هو الذي أحب أن أكلك فيه . اعلم أن الأطباء في زماننا الحاضر في أمريكا وأوروبا يمجدون أن في طاعتهم أن يطيلوا الأعمال ويمزجون أن هذا ممكن . وأنا أقول لك انه مستحيل ومستحيل أن تطول الأعمال كما يشتهون . ثم يسرقون على سبيل التهور والقهة . أما ان طول المريم في المسكونة فذلك لاسبيل اليه وذلك لأصبرين (الأول) ان الناس لو عاشوا ألف سنة أو خمسمائة سنة مثلا وتناشوا لأصبحت الأرض لاتسهم أي لانسح سكانهم وحدها فلا يجدون مكانا يجلسون فيه فيبقى الابن وابنه الى الجيل العاشر أو الثاني عشر وهذا هو العذاب الأليم والله يقتل الناس بعضهم بعضا ان عاشوا ووجدوا قوتا ومن أين يكون قوتهم إذن (الأمر الثاني) ان هذه الملائكة التي نعيش فيها لو اننا خصمت بنا نحن ولم نلد ولم نولد وعشنا أعمالنا طولا لكان ذلك خطا وخطأ (وذلك) لحصر النعمة في عدد معلوم من القلوبات . فاما الموت والحياة والجلد والولادة فان معناه تكثير الأحياء فيعقوب بمئات الآلاف من الأجيال بدل جيل واحد . وأيضا لو كنا جيلا واحدا على الأرض أزلا وبدا فما الذي نأكله . أليست الحيوانات والنباتات . ولكننا فرضنا أن الأحياء لاتمتجدد . فما الذي نأكله بعد اقراض النبات والحيوان اللهم إلا اذا كان هناك (نظامان) نظام لنا بالخلود وعدم الموت ونظام لنبات والحيوان بالتمجدد وهو خطل في النظام . فنبهان مدبر الكون ومبدعه

هذا معنى قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شيء - فلما سمع صاحبي ذلك قال كفى لقد أصبحت موقنا بسعة رحمة الله وعرفت أن أهل الأرض في الشرق والغرب يأمجون وأحببت ما يحببه الله من حياتي الآن وموتى عند بلوغ الأجل وأبغنت أن أكثر هذا الانسان ظافلا ساء ولوأنهم علموا ما دار بيننا لم يكره أحد الموت . إن الله حكيم . ان الله رحيم . هذه هي النعمة . وهذه هي الرحمة . ان هذا هو العلم الذي تكون به سعادة النفوس وانتسراج الصدور . بل هذا هو السرّ الصون والجوهر المسكون . والله لله رب العالمين . انتهى

(جهود الناظر الجببية في محاسن الخلق)

أيها الذي ها أنت ذا شاهدت منظرًا ساحرا تخترقه العقلاء للأذقان سحبا . قد شهدت هنا وفي مواضع كثيرة من هذا التفسير الذي جعله الله روضة من رياضه فيه جنات من نجيل وأغنان وفواكه مما يشتهون . فما أنت ذا رأيت تلك الصور الساهرة . انها صور قتييلة أو صور متحركة (سبنا) ان الطبيعة

أمام العقل الجامد جامدة وأمام القول اللطيفة متحركة ساسة بأهرة جميلة النحيا . فالظفر عاك الله هذه المناظر فهنا طاقنتان شاهد ومشهود ﴿ ذلك ﴾ أن الله عز وجل ألهم الناس أن يمشوا في الأرض محال لتشثيل تمثل فيها الروايات بالأشخاص في السارح المشهورة ومحال أخرى للصور المتحركة كما ذكرناه والنظار من الناس يشهدون . إذن الناس ﴿ قسمان ﴾ شاهد ومشهود هكذا هنا في الحكمة . الناس فرشان مشهود وهم علماء الأمم في اللغات كالنحو والصرف والمعاني والانشاء وفي العلوم الرياضية من الحساب والهندسة والجبر والفلك . وفي الطبيعيات كعلوم المواليد الثلاثة وكالكيمياء والطبيعة وفروعها

أما الشهداء هذه للمناظر العلمية فهم الحكماء والصديقون أولئك الذين يخلقون في الأمم جيلا بعد جيل ويحيون النظر في تلك العلوم وينظرون إليها نظرة علة كما ترى في القرآن . فهؤلاء هم الشهداء أشبه بالنظارة في السارح العاتة ومشاهد الصور المتحركة . هؤلاء نظروهم علم هم الذين يخلقون في الأرض ليرشدوا الأمم لتلك العلوم ويهيئهم للإصلاح وهم هم الأبرار الذين - يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يضربونها نجسها - وهم - في نعيم على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مخثوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وسترى قصير ختام للسك والرحيق هناك في الجزء الأخير من هذا التفسير . وستعلم أن ذلك يرجع إلى الحكمة والعلم واليقين فهؤلاء شهداء على الأمم يهيئون هنا إلى الأرض وفطرتهم مولعة بحب الاطلاع والإصلاح وهؤلاء هم الأبرار الذين قال الله فيهم - إن الأبرار لني عليين وما أدراك ما علييون . كتاب مرقوم يشهد للمقربون - فهؤلاء كتابهم في عليين لأن علومهم وأفكارهم عاتة . فأما أصحاب العلوم الخاصة كالقضاء والحكمة والفلكيين والرياضيين فأنهم محتصون بعمل في الشهد العام ومسارع الختيل في الكون والأبرار هم الشهداء عليهم وهم الذين يعرفون كلا بسماهم . وكتاب هؤلاء الأبرار يشهد المقربون من الملائكة عند الله تعالى لأن المقربين نظروهم كلي فهم يلاحظون هؤلاء المصلحين ويشهدون أعمالهم ويلهمونهم الخير في الدنيا . ولن يشهد المقربون أصاغر الأمم الذين ليسوا مشرفين على العلوم العاتة والنظام الكلي لأن كتاب أولئك الأصاغر ليس في عليين فليس كليا . إن الأبرار والصديقين كتابهم في عليين وهم من جهة أخرى مشهودون يشهدهم للمقربون وهؤلاء هم الذين جاء فيهم قوله تعالى - ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم - فأناس مختلفون ولكن هذه الطائفة من المفكرين هم الذين رحمهم ربك وإنما نظرهم علم وبه فهموا الرحمة العاتة التي في هذه الآية - ورحمتي وسعت كل شيء - وهؤلاء الأبرار هم من الذين يشملهم قوله تعالى - فأسألتها الذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون - إلى قوله - وأولئك هم المفلحون -

إني أرجو أن يكون هذا التفسير وأمثلة نواة صالحة لانشاء فئة من المفكرين في الأمم الإسلامية يكون مشربهم على نعله فيكونون هم الأبرار وهم الصديقون وهم الشهداء على الناس وتشهد كتابهم الملائكة وهم الذين رحمهم ربك لأنهم يتحدون . وبإعادههم تتحد الأمم الإسلامية للمكة التي اختلف قولها وأقبلها لجهااتهم الفاسية إلا قليلا منهم . فهؤلاء الذين يقرؤون ما كتبناه سيحبسون أنهم على مشرب واحد في سائر المذاهب الإسلامية فيوحون الأمم الإسلامية جيلا بعد جيل والحمد لله رب العالمين . انتهى

للمبحث السابع

﴿ المبحث الثامن ﴾

هذا المبحث هو للتصود من التصص للتقمة وهو أثبات نبوته ﷺ فلقد ذكر في التصص للتقمة معجزات الأنبياء وأنها قوبلت بالأعراض . فأما رسولنا ﷺ فإنه قال فيه - واتبعوا النور الذي أنزل معه -

﴿ بدائع سورة الأعراف ﴾

اعلم أن هذه السورة تنفي أن الإيمان على ﴿قسمين﴾ إيمان دائم يرفع إلى أعلى الدرجات وإيمان ناقص لا يثبت أن يزول . والقسم الثاني إيمان العاتية ومن نحا نحوهم من الأمم الجاهلة فإن الله عندهم لا يعرف إلا بما يخالف النواميس الطبيعية والأنبياء والتدريسين في نظرهم لا يعرفون إلا بما يخالف نواميس الطبيعة . ولعلك ترى العالم الانساني من قديم الزمان وإلى هذا العصر يخضعون لكل من أدهشهم بأمر فوق طاقتهم فلا يفي إلا حيث يخرق النواميس ولاولى مقفلاً إلا حيث تقلب له الأوضاع جاءت سورة الأعراف فتقتضت هذه القضايا وكذبت هذه التعالوي وأبصت هذه الزايا وأعنتت الجنس البشري من التحويل على ما كان مخلفاً للنواميس فقد ذكر كيف كفرت الأمم بعد الإيمان . وكيف صدق السحرة في الإيمان وكفر بنو إسرائيل بعد ما رأوا الآيات بالعبان فلم يلحوا على الأنوار النفسية والعالم العقلية والوقوف على الحقائق الكونية حتى تعرف الرحمة الالهية ويمتاز الخليل من الطيب إذ العاتية ومن نحا نحوهم يعيشون ويموتون وهم مخدوعون إيمانهم تقليدي ودينهم نظفي فلا يعرفون النواميس الطبيعية ولا الجاهات الفلسفية ونفوسهم نائمة فلا يدركون الله إلا إذا دهمتهم واقعة وصدمتهم قارعة وبلطت بهم بالمشة فلا يدركون الله إلا قليلاً

أما القسم الأول فهم الذين يرون الله عند كل حركة وسكون ونور وظلام وسهل وجبل وشمس وقمر وجبر وشجر لأنهم يعرفون نظام الطبيعة وأقان الخلقة وعجائب هذه الدنيا . وهذا معنى وصف القرآن هنا بأنه النور . فالأنبياء عندهم يهدون الناس بطريق الحقائق والعلماء والمصلحون هم الذين يرشدون الناس بمقوهم لا بآثمة أفكارهم بالدهشت والثرائب حتى تقف العقول عند ما وصل إليه الشيوخ . وكم من شيخ كان الاعتقاد فيه سبباً لووقف عقل تلاميذه . وكم دين كان الوقوف على ظواهره من أسباب اختلاف النظام والجهل في الأحكام ثم تفرق الأمة بعد ذلك شذ مندر والناس تآهون لا يلبسون ما يصنعون

واعلم أن هذا الطريق في الأمة الحميدة اليوم كبير قد تركوا عقولهم وأناموا بآثارهم فهم بعد الصدر الأول عالة على الأمم . وسيكون في المستقبل منهم حكماء وعلماء . دارسون لهذا الوجود . مؤمنون بما صنعه يد الله في كل موجود . موقنون بإمان الحكماء لا تقليد الجاهل . هذا ما توقعه وزجوا الله أن يحققه هذا هو الذي سيكون في أمة الاسلام في مستقبل الزمان وسبق تقليد الشيوخ الجاهلين الذين يقولون الله لا يعرف إلا بنظراتهم . وسيفر المسلم أن الله لن يعرف حق معرفته على قدر الطاقة إلا بعمرة جلال هذه العوالم العلوية والسفلية . وفيه الأمر من قبل ومن بعد . وفيه عاقبة الامور .

ولما كان هذا هو شأن القرآن وهو الذي أومعته في سورة الأعراف التي يشير اسمها إلى معرفة المعاني العالية . والحكم والآراء الثاقبة . والعالم الغالية . والأنوار للمعرفة . والشموس للتألق . والأضواء البارقة والقوة الساحقة . أخذ يأمر نبيه ﷺ أن يعلن هذه الحقيقة على رؤس الأشهاد ويقول (قل) يا محمد (يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) فإن الدين العام هو مناسب الفطرة والنفرة تأنس بالنظام . فأما الخواص النادرة فلا نظام فيها ولا ثبوت وقوله - جميعاً - حال من اليكم (الذي له ملك السموات والأرض) صفة لله تعالى (لا إله الا هو يحيي ويميت) ولذا كان له ملك السموات والأرض وهو المتصرف في الوجود وحده والحياة والموت من صنعه فإني رسول الله الذي على النظر في نظامه العام فلا أعول إلا على النظام الطبيعي والجاهات الفلسفية والثرائب الحسكية . فهذا هو الذي أرسلت لأبيته وهو أرحم الراحمين وأنا أرسلت لجناس رحمة . ولما كانت هذه صفة الرسول ﷺ قال الله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته) ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الهداية مربياً على الإيمان المذكور وعلى التقوى فمن آمن به وهو غير تقي فليس مهتدياً . ولما فرغ من وصف أمة

محمد ﷺ على سبيل الاستطراد رجع الى قوم موسى فقال (ومن قوم موسى) يعني من بني اسرائيل (أمة يهدون بالحق) يهدون الناس بكلمة الحق (وبه) وبالحق (يعلمون) بين الناس في الحكم وهم الثابتون على الايمان فكأنه سبحانه يقول انا قد ذكرنا في هذه السورة مخزى بني اسرائيل وانهم قوم خشن العقول والطباع فقد عبدوا الجبل ولهم غزاز كثيرة وأن أمة محمد ﷺ هم الذين يجتمع لهم الرحلت وتزل عليهم البركات فهم أرقى من أمة موسى ولكن هذا لا يدل على أن قوم موسى جميعهم فاسقون كلا فان من قوم موسى طائفة قامت بالحق وحكمت بالعدل (وظلمناهم) وصيرناهم قطعاً متميزاً بضمهم عن بعض (أقنى عشرة) مفعول ثانٍ لقطع أى صبر وقوله (أسباطاً) بدل منه (أعماً) بدل بعد بدل أى جماعات وقبائل والأسباط هم أولاد يعقوب ويعقوب هو اسرائيل وكانوا اثني عشر (وأوحينا الى موسى إذ استسقاء قومه) في التيه (أن اضرب بصياك العجر فانجست) أى فاقبجرت (منه) من العجر (اثنتا عشرة عينا) يعنى لكل سبط عين (قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم وظلمنا عليهم الغمام) ليقبهم حر الشمس (وأزنا عليهم للناس والى كلوا) أى وقتلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) واعلم أن هذا المقام تقدم شرحه في البقرة وقد وازنت هناك ما بين الصا التي ضرب بها موسى وبين عجائب الطبيعة التي أبرزها الله في الأرض التي بها تنفجر الأنهار والمسلمون غافلون فارجع اليه ان شئت (واذ قيل لهم استكنوا هذه القرية) أى اذكروا القرية بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حلة ودخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئكم وسنزيد المحسنين) وهذا المقام تقدم في سورة البقرة أيضاً فافهم فيها (فبقتل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون) كل هذا تقدم في البقرة ذكر ثلاث حوادث اثنتان خاصتان ببني اسرائيل والثالثة عامة لنوع الانسان أما الحادثان الخاصتان ببني اسرائيل فأولاهما مسألة القرية التي كانت حاضرة البحر (وذلك) أن اليهود الذين كانوا يسكنون أيلة وهي العقبة وهي بلدة قريبة من البحر قد فعلوا أمراً عاثلاً للشرية فلتهم صلوا مع الله في شريعته ما يفعل السارقون والنشالون وكذبوا عليه تعالى بحيل ففقهوا وقتلوا شرعية كتبوها (ذلك) أن الله حرم عليهم كل عمل يوم السبت فاحتلوا على العمل في ذلك اليوم بحيلة شيطانية كما يحتال مغال الفقهاء من المسلمين بالحيل الشرعية غروراً وجهالة ذلك أن السمك في يوم السبت كان يظهر فوق وجه الماء فتعصموا میده ولم يحكموه ولكن اذا رأوه داخل مكان في جانب البحر جعلوا على مدخله سقاً فلابغت منه السمك حتى اذا كان اليوم الثاني انقضوا عليه فاصطادوه . فظاهر الأمر أنهم اصطادوا في غير يوم السبت ولكن الحقيقة أن الصيد الحقيقي هو في يوم السبت فأزل الله هذه الآيات على رسوله ﷺ ليوبخهم ويقرعهم ويظهر لهم مكنون العلم الذي خبؤه في التوراة وليفضحهم وليقول لهم يا أيها الناس أنتم قديماً وحديثاً صلون عظامون مكركون لأوامر الله فأتم أشرار الناس . وهذا قوله تعالى (ولأسألم) يا محمد (عن القرية) وهي أيلة وهي قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر الأحمر . وهذا معنى قوله (التي كانت حاضرة البحر) الأحمر أى قرية منه (إذ يهدون في السبت) يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذا ظرف لكانت أى وقت يتجاوزون الحد (إذ تأتيهم جيتانهم) أى وقت تأتيهم جيتانهم (يوم سبتهم شرعاً) يوم تنظيمهم أمر السبت ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان (ويوم لا يسمتون لأتانيهم) أى ويوم لا يدخلون في السبت الخ (كذلك) مثل ذلك البلاد الشديد (نبأهم بما كانوا يفسقون) ولتحلف أهل القرية إذ ذاك فكانوا فرقا ثلاثة تقوم هم الغاطئون وقوم نهوهم عن ذلك وقوم سكنوا وقالوا للتاهين - لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو مذهبهم هذا يا شديد الخ - وهذا قوله تعالى عطف على - إذ يهدون - (ولذلك أتت منهم) من صلحاء القرية الذين أسوا من وعظهم بعباداً كثيراً لهم من الوعظ للفرقة التي لازال نطا الفرقة المخطئة (لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو مذهبهم هذا يا شديد) علماً

منهم أن الوعظ لا ينفذ فيهم (قالوا) وعظناهم (معذرة) أي وعظناهم للمعذرة (إلى ربكم ولعلمهم يشقون) أي ولعلمنا في أن يتقوا (فلما سموا) أي أهل القرية (مذكروا به) مذكروا به الصالحون عبر عن ترك العمل بالنسيان للبالغة في تعريف ضلالتهم (أعجبنا الذين يهونون عن السوء) عن أخذ الحيتان يوم السبت (وأخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة أمر الله (بمذاب بئيس) شديد من يؤس يؤس يؤس إذا اشتد (عما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم . عن الحسن قال نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان • يقال إن التاهين لما أبسوا من العاقبة للمتدين كرهوا مساكنتهم فجعلوا بينهم وبينهم جدارا فيه باب مطروق ثم فصل ذلك المذاب البئيس فقال (فلما عتوا عما نهوا عنه) أي فلما أبوا أن يرجعوا عن المعصية وتمردوا في العصيان (فلما لم) وهذا كقوله تعالى - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن قول له كن فيكون - (كونوا قردة خاسئين) أي صاغرين مبغدين من كل خير • قال مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم • أقول وسبب ذلك أن الإنسان قد امتاز عن الحيوان وعن أعلاه وهو القردة والفكر والعقل وهؤلاء لما طرحوا أفكارهم ظهريا وأرجعوا أمر التحريم والتحليل للألفاظ التي يتلاعبون بها نامت غرائزهم وصارت عقولهم طامسة التقليد للعلماء الضالين . والتقليد من شأنه أن يميت القوة العاقلة ويترك الإنسان إلى دركات البهائم وأقربها إلى الإنسان القردة فكانه تعالى يقول إن الذنوب والمعاصي هي التي سلبتهم عقولهم فرجعوا إلى البهائم وصفاتها من عدم التعقل (أولئك لا تعلم بل هم أضل - أولئك هم الغافلون) وهذا التفسير هو المناسب لصبرنا الحاضر ألا ترى أن المسلمين لما كثروا في الجهال من سفار الفقهاء وقالوا لهم اعرفوا العلوم القهية وقصروهم عليها كيف أصبح كثير منهم كالقردة واستبعدهم أهل أوروبا • فباجبا كل العجب ما أرى هذه القصة منطبقة تعلم الانطباق على أمة الاسلام • نحن معاشر المسلمين إلا قليلا منا ضلنا فسل اليهود • ألم يترك كثير من المسلمين العلوم والمعارف وهي مفروضة عليهم • ألم يترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاسيما من حكمهم أهل أوروبا • ألم يكن اقتصارهم في الطهارة والنجاسة على طهارة الثوب والبدن وترك نجاستهما داعيا إلى عدم العناية بالطهارة من الكبرياء والحسد والغل والحقد وما أشبه ذلك • إن اقتصارنا على طوابع العبادات وطرحنا ظهريا طهارة نفوسنا وأخلاقنا دعا إلى تفرق كلتنا وتأخر تجارتنا وسياستنا وزراعنا وصناعاتنا فنحن نظرننا إلى الظواهر كما نظر اليهود إلى ظاهر لفظ الصيد ولم ننبأ بالباطن كما لم يعبؤا هم بالحقائق وأن المداير على حقيقة الصيد فهذه الآية منطبقة علينا تمام الانطباق

﴿ تذكرة للؤلف أيام المجاورة للجامع الأزهر ﴾

لقد كنت أيام المجاورة للجامع الأزهر الشريف قبل أن أتمم التفسير أقرأ هذه الآيات في ظلمات الليالي والنجوم ظاهرة • والأضواء باهرة • وآيات الله في الجوق حافظة • والجلال باهر • والشوق للحكمة والعلم سافر فأقول ياليت شعري ما هي البلدة التي كانت حاضرة البحر وما اسمها وما اسم البحر • وكنت أتعجب من قوله تعالى - واسألهم الخ - وكانت هذه الآراء تأخذ من قلبي كل مأخذ وأبيت مفكرا فيها بشوق ونوق لأمزيد عليهما • هكذا كنت إذا سمعت ذكر الأولين ومبانيهم أجد في النفس شوقا كبيرا إلى معرفة ما بنوا وما تركوا للخلق وكان الله أعلم الأمم أن تبنى موانع لينجبا الخلق فيشتاقوا لمعرفة وبجاراتهم فيها يصنعون وأوصى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأرسل عليهم شارات من التاريخ لعلقة وليكون تشويقا إلى الحاطة الآخرين بما فعل الأولون • فهنا العالم قائم بناؤه على الأشواق والتذكير

﴿ ذكرى المسلمين بهذه القصة وبكاء ابن عباس رضي الله عنهما ﴾

روى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله يقول - أعجبنا الذين يهونون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بمذاب بئيس - فلا أدري ما فعلت القردة الساكنة وجعل بيكي • قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداك

الاسلام قد أنكروا وكبروا ما هم عليه وقالوا - لم تعظون قوما الله مهلكهم - وان لم يقل الله أنجيهم لم يقل هلكتهم فأجبه قولي ورضي به وأمر لي يبردين فكسانهما وقال تحت السكينة . اه
 قول فيا ليت شعري لم بكى ابن عباس . ان ابن عباس بكى لما علم أن الله لا يفرلن سكت عن الشيء
 عن المنكر وغاية الأمر أن الأقوال التي قالوها دلت على أنهم قد عملوا آخر ما يقدرون عليه
 فيا عجب كل العجب . علم ابن عباس ما سيكون من العقاب لهذه الأمة على سكوتها . سكتت الأمة
 الاسلامية عن نهى الجرمين منها . أجرم كثير من المسلمين . أجرموا بالجهل . أجرموا باليهتان والكذب
 والبغض . أجرموا بترك الصناعات والعلوم والمعارف . أجرموا وأجرموا وأجرموا . فماذا حصل . أغار
 الفرنجة عليهم ثم استخدموهم كطبوانات يجرّ صوفها ويشرب لبنها . وهذا مثل ما ذكره الله في قوله
 - كونوا قردة - والقردة طليعة للقيام بتدبير شأنها . فترى الرجل يأخذ القرد في الأسواق فيرقصه وضرب
 له على الطبل وهكذا وهو في جميع أموره تابع لأمر سيده . هكذا الأمم الاسلامية لما ابتليت بترك الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر شاع الجهل وذاع القتل والفسار لأنهم تركوا مواهبهم فأصبحوا للفرجة مسخرين
 وللطاعة خاضعين ولظالمين صاغرين . وقد آن أوان محدهم وبرزت شمس يوم عزهم وسيكون لهذا
 القول وأمثاله من كتاب الاسلام أثر في القلوب الواعية . ووقع في النفوس العالية . وسبقوم في المسلمين
 طائفة تخرجهم من هذه الحال القردية الى حال الانسانية . وقد ابتدأ الترك والأفغان والههم والمصريون
 وغيرهم أن يوقظوا العقول وينهوا النفوس - والله هو الولي الجيد -

(مستقبل اليهود بعد ذنوب آياتهم)

قال تعالى (واذ تأذن ربك) أي أعلم (ليبعثن عليهم) اللام للقسمة أي كتب الله على نفسه لیسلمن
 على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي من يولهم أي يعذبهم بأشد العذاب فكانوا
 يؤذون الجزية للجوس فلما جاء الاسلام ضمه بها عليهم وقد سلب عليهم بختنصر وسنحارب ومالوك الروم
 وهؤلاء هم الذين نفوهم من ديارهم بعد رفع المسيح بنحو سبعين سنة . والمراد من هذا العذاب العذاب
 الدنيوي . ومعلوم أمر اليهود اليوم وقد قامت باذلهم دولة القياصرة في الروس قبل زوالها . وكذلك قام
 الألمان اليوم على بعض اليهود فقتلهم وهم أبناء حوا كانوا شديدي الصبغة لأنفسهم . ثم ختم المقال سبحانه
 بقوله (إن ربك لسريع العقاب) لمن أقام على الكفر (وانه لتفور رحيم) لمن آمن منهم . ولما كان
 اليهود قد حكم عليهم أن يعذبوا من القبول الى يوم القيامة لشدة عصيتهم ذكر الله تفصيل أحوالهم فقال تعالى
 (وقطعناهم في الأرض أمتا) أي وفرقناهم بحيث لا يكاد يخافقهم ولا يكون لهم شوكة (منهم الصالحون)
 الذين آمنوا (ومنهم دون ذلك) ناس منحطون وهم السفلة أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ففعل
 دون ذلك الرفع وهو صفة للموصوف المذنب الذي ذكرناه (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنم والقيم
 والتعذيب والجذب (لعلهم يرجعون) يفتنون فينبون الى الله (تخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف)
 وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من التحريم والتحليل
 والأمر والنهي ولم يصلوا بها (ياخذون عرض هذا الأدنى) هو حال من الضمير في ورثوا والمرض المتاع أي
 حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتجمع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب والمراد ما كانوا
 يأخذونه من الرشا في الأحكام وعلى تحريف الكلم والتعبير بالأدنى بشر بالتخصيس والتحقيق (ويقولون)
 سيفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مستند الى الأخذ أولى الجار والمجرور وهو لنا (وان يأتيهم عرض
 مثله يأخذوه) الواو للحال أي يرجون المنفعة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين (ألم يؤخذ عليهم
 ميثاق الكتاب) أي الميثاق المذكور في الكتاب (ألا يقولوا على الله إلا الحق) أي أخذ عليهم الميثاق في

كتابهم ألا يقولوا على الله إلا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرؤا ما في الكتاب وهو عطف على قوله - أم يؤخذ عليهم - لأنه تقرير كأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (الذين يفتنون) الرشا والحلالم (أفلا يعقلون) أنه كذلك (والذين يمسكون) يمتدحون ويتعلقون (بالكتاب وأقاموا الصلاة) خصها بالذكر لأنها عماد الدين ولأن العبد فيها يتناجى ربه فهي صلة بينه وبين ربه والافالكتاب فيه كل عبادة وأمر ونهي (لما لانضج أجر المحسنين) لما لانضج أجرهم . انتهى الكلام على إحدى الحادتين الخاصتين باليهود وما فرغ عليهما من الحكم وللمواعظ وتحريم الرشوة وأن التوبة الزاهية الكاذبة المصطنعة التي يتبعها الكذابون من جهالة المسلمين لاتفيد ولا تنفع وكيف تنفع التوبة اللظنية والنفس طامحة الى ذنوبها . غارقة في بحار شهواتها . عازمة على اتبعها مصممة على انتهاك حرمتها . ذلك شأن كثير من قضاة المسلمين وحكامهم وأرباب الجاه فيهم وبعض الفقهاء الغافلين النائمين

(الكلام على الحادثة الثانية الخاصة باليهود)

قال تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم) أى قلعهاء ورفعناه فوقهم . وأصل النتق الجذب (كأنه ظلة) سقيفة وهي كل ما ظلك (وظنوا) وتيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجوّ ولأنهم كانوا يوعسون به وذلك لأنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والاليقن عليكم وقلنا لهم (خنوا ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بمجد وحزم على تحمل مشاقه وهو حال من الولو (واذكروا ما فيه) بالعمل به ولا تركوه كالنفسى (لعلكم تتقون) قباح الأعمال وذنابل الأخلاق . وهذا كله تقسم في سورة البقرة . انتهت الحادثة الثانية الخاصة ببني اسرائيل

(ذكر الحادثة الثالثة العامة لجميع نوع الانسان)

هنا فرغ سبحانه من القصص التي ذكرها في هذه السورة وقد تبين فيها ما يسترى الأم من الهلاك اذا عصت الناصحين تحفيقا لما جاء في أولها من هلاك القرى ليلا أو نهارا وأهلها يقرّون بأنهم ظلّمون . فها هو ذا هلاك القرى المتقدم وأن كل أمة تقرر عند الهلاك انها كانت ظالمة . فهنا ذكر سبحانه الحجة العظيمة والآية الكبيرة التي تمّ الأم كلها . ذلك أن الأم جميعها قد نصبت لها الدلائل وقامت لها الحجج وظهرت لها بوارق الحق في آفاق السماء ومناكب الأرض وفي الأفضى انى أجملها في أوائل السورة في قوله تعالى - إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والح - فالجانب السكينة والبدائع الواضحة في هذه العوالم العلوية والسفلية هي العهود والمواثيق التي أخذها الله على الناس أن يؤمنوا بالله وأن يدلوأ في أحكامهم وصدقوا في أقوالهم وأنت لوسرت في شرق الأرض وغربها لوجدت الأم كلها مفرمة بالبحث في الحقائق . عاكفا عظاماؤها على درس هذا الوجود . لافرق في ذلك بين أوروبا والشرق الأقصى والشرق الأدنى وأمريكا . وهذا الاندفاع في الاستطلاع هو للميثاق الذي أخذته عليهم لأنهم ببخسهم يعرفون أن العالم صانعا . ومصدق ذلك أنك ترى الأمتة المصرية بين القرن السابع والعشرين قبل الميلاد والقرن الثاني عشر قبل الميلاد أيضا قد بحثت في جميع الفنون والعلوم والنظام والحكمة وسائر وجوه الأهل الإنسانية . وهكذا الصين في ذلك الوقت فقد كانت الأخيرة تمارس الزراعة والفنون الصناعية وكانت لها تجارة واسعة وسياسة اجتماعية وقوانين ومدارس عامة ويعرفون الفلك والطب والموسيقى والنحت والنقش . هكذا قال وزير معارف الصين . وترى أنه بعد ذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد الى القرن الثالث قبل الميلاد ظهر هناك حكماء يبحثون شرقا وغربا في نظام هذا العالم . فكما كان الفيلسوف الافريقى (اميبوقايس) يقول ان العناصر أربعة كان نظيره في الصين (كنسو) يقول ان العناصر خمسة وأدخل فيها الخشب والمعدن وأخرج الهواء . وبينما كان العلامة

(سقراط) اليوناني يستعمل المحاوراة مع التلاميذ لاستخراج الحقائق كان في الصين الفيلسوف (لاوتسو) و(شوانج تسو) يعلمان الرياضة والطبيعات والمنطق والسياسة والأدب وكذلك (كونفوسوس) الذي كان يعلم قواعد السلوك

ثم انتشرت البوذية في الشرق الأقصى أي بلاد الصين في الوقت الذي ظهرت المسيحية في الشرق الأدنى وفي أوروبا وهو القرن الأول ليلاد . ثم انه بينا كانت الأمم الصينية في القرون الوسطى الى القرن السابع عشر أشبه بأوروبا من حيث ان أتباع كونفوسوس - نواذى فلسفة أشبه بفلسفة أوروبا . إذ ذلك كانت أمة الاسلام هي المنبع الأصلي الذي أتخذ أوروبا من الجهالة وانتشرت آراء ابن رشد من الأندلس الى سائر أوروبا فارقت وذلك في القرن السابع عشر والثامن عشر وما حوطها . فأما الصين فقد تبت الى بعض العلوم الظاهرية كالغلات ونحوها إذ ذلك . فأما الآن فالعالم الانساني كله يريد ان يتجه الى العلا سالكا طريقا معيناً في العلوم والمعارف وهو نتيجة ما كان عند المصريين واليونان والرومان وأهل بيزنطية والعرب

هذا هو التاريخ الجمل للديانات في الأرض والفلسفة وجميع هذا دل على أن الانسان خلق مغرم بالبحث والتشكيك والتفكير لا فرق بين الشرق والغربي والناس جميعا يستند بعضهم من بعض . فهنا يقول الله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) أي أخرج من أصلابهم نسلهم فيبعد أن كانوا في أصلاب الآباء خرجوا الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود (وأشهدهم على أنفسهم) بما ركب فيهم من العقول التي قدما ذكرتنا عنها في مصر وأوروبا والصين والاسلام وأراهم عجائب خلقه وغرائب صنعه التي أجلناها في هذا المقام شرقا وغربا فهذا الشهاد صلوا كأنهم قيل لهم (ألمست بربكم) وكأنهم (قالوا بلى) وذلك بما أظهر لهم من الدلائل التي تضطرهم الى أن يعلموا أنه خالقهم بما ركب فيهم من السقل والفكر والفهم فقالوا بلى (شهدنا) على أنفسنا انك أنت ربنا وهذا مجاز لاحقيقة ومثل هذا في كلام العرب مشهور

ثم اعلم أن أكثر المفسرين فسروا الآية بوجه آخر لأنهم رووا أحاديث في هذا المعنى منها ما روى عنه عليه السلام أنه قال (أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنحمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فترهم بين يديه كالبرص ثم كلمهم قبلا وقال ألمست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) وفي رواية أخرى (انه لما خلق آدم أخذ ميثاقه أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصائبه واستخرج ذريته كالبرص وكتب أرزاقهم وأجالهم ومصائبهم) وهذا القول قد توسع فيه المفسرون وقالوا انه يدل أن هذا السر خرج من صلب آدم ثم خرج بعضه من بعض على الترتيب الذي رأيناه في الدنيا . ثم ركب فيه العقل والفهم وخوطب وأجاب ثم رجع السر من حيث أتى في صلب آدم وكان ذلك إشارة الى عالم آخر كنا فيه . والأحاديث لم تذكر إلا هذه الرموز التي بين فيها أن من كان هناك شغيا فهو شقي هنا وكذلك السعداء . ولتأمل أن علم الأرواح يفيد أن الناس كانوا قبلا في عالم غير هذا وهم هنا على ما كانوا عليه هناك . وسيكونون بعد الآن على ما هم عليه الآن . وهذا يشابه تلك الأحاديث من حيث الاجال ويخالفها من حيث التفصيل - ونفوق كل ذي علم عليم - قال الله تعالى فلنأخذنك كراهة (أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) وفي قراءة بالبناء القوية (أو تقولوا) عطف على أن هؤلاء (انما أشرك آبؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاعتدنا بهم . وكيف يصح التقليد مع قيام البرهان (أفهل كنا بما فعل المبطلون) يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك (وكذلك) أي مثل ذلك التفصيل البليغ (تفصل الآيات) ليتدبرها العباد (ولعلمهم يرجعون) أي عن التقليد وإتباع الباطل . انتهى القسم الثامن

(الْقِسْمُ الثَّاسِعُ)

وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتَيْنَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ *
 وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ
 عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَكُهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ * مِنْ
 يَهْدِي اللَّهُ فَعَدُّ الْمُهْتَدِينَ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا تُنْصِرْهُمُ الْخَالِصُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ
 الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
 بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ النَّافِلُونَ * وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا
 الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَيَمْنُ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ
 يُمْدِدُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي
 مَتِينٌ * أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي
 مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
 أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّسُهَا لَوْفِيهَا إِلَّا هُوَ
 فَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَنَفَسٍ يُسَالُّونَكَ كَأَنَّكَ كَافٍ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
 عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ
 اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْنَزْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ
 لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا
 فَلَمَّا تَشَاحَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا قَرَرَتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَحَوا إِلَهُ رَبَّهُمَا لَنْ آتِيَنَّا صَالِحًا
 لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَمَالَى اللَّهُ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ * ابْشِرْ كُونَ مَا لَا يُخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا
 أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَقْبِضُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ أَمْ

أَنْتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمْنَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَمْ يَأْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ يَأْمُرْ أَنْ يُبْطِشُوا بِهَا أَمْ لَمْ يَأْمُرْ أَنْ
 يُبْصَرُوا بِهَا أَمْ لَمْ يَأْمُرْ أَنْ يُسْمَعُوا بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كَيْدُونَ فَلَا تَنْظُرُونَ *
 إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي تَزَلُّ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا
 يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَتُسْأَلُهُمْ يَتَضَرَّوْنَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ
 يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِنَّمَا
 يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرْغٌ فَاسْتَمِعْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا إِذَا مَسَّهُمْ
 طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي النَّفْسِ ثُمَّ لَا
 يُقْصِرُونَ * وَإِذَا لَمْ تَأْتِيَهُمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِيهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحِي إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا
 بَصَافُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَذِهِ رِجْسٌ مِمَّا قَدَّمْتُمْ لِزَيْنُوبَ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَإِذْ كُنْزُ رَبِّكَ تَفَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُودَ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفُؤَادِ
 وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ *

(التفسير اللفظي)

اعلم أن ما سبق في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام وما مضى في سورة الأعراف التي
 نحن بسندها الآن ملو، من الحكم والمواعظ لاسيا في هذه السورة التي جاء فيها ذكر آدم وإبليس وما تبع
 قصتهما من أحكام لباس والتقوى وأهل الجنة والنار والأمر بالنظر في السموات والأرض وقصص الأنبياء
 وأممهم وكيف أهلكوا بتقصيرهم ونكذبيهم لاسيا أقرب الأمم إلينا وهم اليهود . فهذه السورة جعلت عظة
 واعتبارا بذكر خراب الأمم ودمار أهلها وإهلاكهم متى كذبوا بآيات الله وانصرفوا عنها فلذلك أعقبها ذكر
 بقوله (وإنال عليهم) أفرأ عليهم يا محمد (نبأ) خبر الخبر وهو من أخبار بني اسرائيل سيأتي ذكره أوامية بن
 أبي الصلت من شعراء الجاهلية الذي آمن قلبه وكفر لسانه كما سيأتي تفصيل قصته أوكل منافق من أهل الكتاب
 يعرف صفته عليه السلام ويجحدته أوكل من عرض عليه الهدى فلم يؤمن فوصف الواحد من هؤلاء جميعا بقوله
 (الذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها) أي خرج من الآيات بأن كذبها وابتدعها وراء ظهره (فألقه الشيطان)
 فلقته الشيطان وأدركه وصار قريناه (فكان من القالين) فصار من الضالين الكافرين (ولو شاء لرفناها)
 إلى منازل الأبرار من الملأ (بها) بتلك الآيات (ولكنه أخذ إلى الأرض) مال إلى الدنيا ورغب فيها فان
 الدنيا عبارة عما في الأرض من المدن والضياع والتناع والمعادن والنبات الخ (واتبع هواه) في ابتار الدنيا ولذاتها
 ومقتضى المقابلة أن يقال - ولكنه أخذ إلى الأرض - فخطأه ووضعا مزلة فأتى الله بما هو أبلغ في الخطأ
 فقال (فقله) أي نصفت التي هي مثل في الخسة والدناءة (كمثل الكلب) كصفته في أخس أحواله وهو

(إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) يقال لث الكلب يلهث إذا أدلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند التعب والاعياء . يقول الله انه يلهث دائما سواء أحل عليه بالزجر والعرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات فلا يكون اللهث منها الا اذا حركت . أما الكلب فانه يلهث في الحالين . فهذا مثل ضربه الله لمن آتاه الله حكمة فتركها وعدل عنها واتبع هواه وترك آخرته وآثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهو اللهث . فكأن الكلب يلهث على كل حال سواء أشدنا عليه وهجناء أم تركناه . هكذا من أوتي حكمة وعلمها ولكنه كفر أو جعل العلم وسيلة لجمع حطام الدنيا وابتزاز أموال الناس بالباطل فانه واقع في الجهالة والمترلة والوضيعة سواء أوعظناه أم تركناه . فكأن هذه الحال الوضيعة أصبحت طبيعة له لا تفارقه فان أعطيتاه العلم أول نضله فانه لا يترك حاله التي هو بها متلبس . وقد نرى العالم الذي أغناه الله عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة يعيل الى طلبها فهو يقرؤها ويقررها ويبلغ في تهريرها لاطلبا لمرضاة الله تعالى ولا ثوابه ولكن طلبا لزيادة الرزق الذي هو مستغن عنه بالكفاف فهو يدلع لسانه في تهرير العلوم لأجل الرزق فكأن حاله كحال الكلب يلهث في الحالين . وهذا يتظاهر بالبلاغة ليحصل على ما ليس في حاجة اليه من المال فكأنه يلهث في الحالين حال البؤس وحال الرخاء فأصبح العلم وسيلة لفرض خيس وأصبح العالم في هذه الحال مثله كمثل كلب ألبس ملابس الوزراء وأجلس مع الملك على سرير الملك فلهج عظما منبوزا أو عرفا ملقيا بعتبة الباب فأصرع الى التغطاة ونفذ الوزارة والوزراء والملك والعظماء وأخذ يهشم العظم هشما ويقضمه قضم راجعا الى طبيعته مسرعا الى سلقته . فليس للملك عنده من قيمة ولا يرضى إلا بطبيعة أبناء جلسه هذا تقرير هذا المثل بطريق الاجمال . قال الله تعالى (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني أن المثل الذي ضربناه للذي آتينا بآياتنا فأنسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا . فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وحجدها . فوجه التمثيل أنهم جاءتهم الرسل ليهتدوا فلم يهتدوا وإن تركوا لم يهتدوا فهم ضالون على كل حال كالكلب يلهث على كل حال سواء أحلنا عليه أم تركناه

(مواجهة بين ذكر الكلب في كلام العرب وذكره في هذه الآية)

(قلنا من كتابي مذكرات في أدبيات اللغة العربية)

شبه الانسان الودود بالكلب في حكاية صربية عن بدوي استدعاه أمير فأكرمه فدهسه بما وآه في الصحراء من الفلوالتييس والكلب • قال

أنت كالفلو لا عدمنك دلوا • من كثير العطا قليل الذنوب

أنت كالكلب في حفاظك للود • وكالتيس في قراع الخطوب

وقال بعض الشعراء

جزأتني جزاء الله شرّ جزائه • جزاء الكلاب العاويات وقد فصل

وقال عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الحى منّا • وشذّ بنا قتادة من يلبنا

يقول كلاب الحى صوّت منا وقلنا شوك القوم الذين أماننا فلاقوة لهم على محاربنا . ويقول الشاعر

لو كل كلب عوى ألقته حجرا • لأصبح الصخر مثقالا بدنانر

هذا نوع ما يقوله العرب اذا ذكروا الكلب تشبيها فولّرن بين هذا وبين ما رأيت في قوله تعالى - واتل عليهم نبا الحى - وكيف كان التمثيل ناهجا منهج الحكمة والعلم وتعليم العلماء أن يتفروا عن سفاسف هذه الدنيا وأن يعرفوا قيمة النعمة العلمية . فهل خطر هذا لاهراقي في شعره . ان العالم قد يحجب عن نعمة العلم الذي هو من رحمة الله الواسعة فينتدى الى خسائس الكلاب . فهذه الآية يعرف قدر نفسه وهذه

أسمى درجات البلاغة التي لاخطر لعل فضلا عن بدوى في الصحراء . اهـ

ثم قال تعالى (فاتصص القصص) القصة المذكورة على اليهود وغيرهم يا محمد (لعلهم يتفكرون) تفكروا يؤذى بهم الى الاتعاط (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى ساء هو أى للثل وقوله - مثلا - تميز وقوله - القوم - أى مثل القوم وقوله (وأنتهم كانوا يظلمون) معطوف على قوله - كذبوا - فهو داخل في حيز الصلة أى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم . ولما كان هذا للثل وصفا لخل الضالين أعقبه بأن الضلال والهدى من عند الله فالمتبوعون والضالون بشيئة افقاهتدوا وبشيئة الله ضلوا وهذه الصفات القائمة بهم من كفر وإيمان وهدى وضلال وصلاح وطلاح خلقت لهم على حسب استعدادهم ومقتضى أحوالهم والحكيم الصل من يضع الامور في مواضعها ويجهلها في مواطنها ولا يجيد عن الحقائق وهذا مقتضى التربية والنظام وهذا قوله (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) والناس على هذه الأرض مختلفون الطبائع والفرارز ولكل صفات تخصه وتميزه عن غيره . فمن غلب عليهم الجود والعصيان فهم كنبات الشوك والخنظل وكل ما يؤذى الناس ويألمون منه وأولئك هم أصحاب النار . ومن غلب عليه حب الطاعات والمعارف والعلوم فهم كالأشجار النافعة كالنخل والوزر وأولئك هم أهل الجنة

(الكلام على الأولين)

والى الأولين أشار سبحانه بقوله (واقعد ذرأنا) خلقنا (لهم كثيرا من الجن والانس) وهم المرعوضون عن تدبر آيات الله فكفروا أو عصوا أمر الله (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه (ولهم أعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم أذان لا يسمعون بها) الوعظ (أولئك كالأنعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكير (بل هم أضل) من الأنعام لأن الأنعام لم يخلق فيها العقل فلا تكليف عليها والانسان عاقل مكلف فاذا ترك النظر والتفكير نزل الى درجة البهائم وانحط عن درجته فهو اذن أضل من الأنعام التي تطلب منافعها وتهرب من مضارها وتقوم بالأعمال التي تطلبها غرائرها وهو لم يقم بما يطلبه عقله (أولئك هم الغافلون) الكاسلون في الفعلة . وكيف لا يكونون تامي الفعلة وقد شاركوا البهائم في الغاوب والأبصار والأسماع ولم يمتازوا عنها بالبحث والتفكير حتى يستتجوا أن لها صنعا حكما متصفا بصفات الجلال والجمال التي تدل عليها الأسماء الحسنى وذلك أعقبه بقوله (وله الأسماء الحسنى) الصفات العليا العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها أو الأسماء التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة والحسنى تأنيث الأحسن وحسنا إنما يكون بمجانبتها ولا معنى للحسن في حق الله تعالى إلا ذكره بصفات الكمال واموت للجلال . ورجع الى معنيين عدم افتقاره لغيره وافتقار غيره اليه . فمن تلك المعاني ما هي حسنة بعقائدها كالقدم والبقاء والقدرة والعلم والوحدة ومنها ما هي حسنة بآثارها كانهفان والرحمة والشكر والرحم وقوله (فادعوه بها) أى سموه بتلك الأسماء أو ادعوه لقضاء حوائجكم . وللدعاء شروط كأن يستحضر الداعي عظمة المدعو مع الاخلاص والتعظيم ويعزم للسألة راجيا لاجابة فذلك له تأثير عظيم ثم قال تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسماها) أى يميلون عن الاستقامة كما كان المشركون يقولون الآلات والعزى ومناة لأصنامهم اشتقاقا من الآله والعزى والمناة . وفي هذا دليل أن أسماء الله توفيقية فلا تقول يا سخي أو يا عاقل أو يا طيب مع اننا نقول يا جواد ويا عالم ويا حكيم . وفي الحديث روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر) وفي رواية أخرى من أحصاها . وخير ما في تفسير هذا مائة بعضهم من أطاقتها وأحسن للرعاة لها والمحافظة على ما يقتضيه واجبها وصديق بمجانبتها وعمل بمقتضاها دخل الجنة . فالحفظ يراد به لازمه وهو اللعن ثم التخلق لأن حفظها شئ يسير والاسلام دين جعل الجنة في مقابلة الأخلاق والعلوم والآداب والأعمال . فالتخلق بأسماء الله من القدس والرفعة والعلم الخ يحصل

الصد قريباً من ربه كما في الحديث ﴿تخافوا بأخلاق الله﴾ • وقال الحكماء القصد من الفلسفة هو التخلق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية • وقد ورد في رواية الترمذي هذه الأسماء وهي الله الذي لا إله إلا هو الحي وهي معروفة • وقال الشيخ النووي الحديث لا يدل على حصر أسماء الله في ذلك العدد • وقد قال الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أن لله ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وبالأجمال لا يجوز تسمية الله بما لم ينزل به سلطان ولذلك قال فيمن يلحدون في أسمائه (سيجرون ما كانوا يعملون) في الآخرة تهديد لمن ألحد • وهذا نهاية الكلام في الأولين وهم الذين ذكرنا أنهم كتبوا الشوك والحفظ وهم أصحاب النار ﴿الكلام على الآخرين﴾

وأشار إلى الآخرين وهم الفريق الذي هو كشجر النخل واللوز ونحوهما وهم أهل الجنة بقوله (وعن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) فهو لاء في مقابلة للملحدين • واستدل العلماء بهذه الآية على صحة الاجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله ﴿لنزال من أمتي طائفة على الحق﴾ إلى أن يأتي أمر الله • وروى أنه ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون • وفي البخاري ومسلم عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿لنزال أمتي فائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك﴾

فاظهر كيف جاء في الوحي ما يشهد به العقل • ألا ترى أن الله لما خلق الخلق أعطى كل شئ خلقه ثم هدى فإذا أوحى إلى النحل وإلى النمل وإلى العنكبوت وألهمها أعمالها وسياستها ونظامها لافرق بين ما كان في زمن الطوفان وما بين حيوان مستقبل الزمان • هكذا جاء في هذه الآية والأحاديث أن في أمة اليهود السابقين على الإسلام هداة للصحة العامة • وهكذا أئمتنا الإسلامية لابد أن يظهر فيها هداة ينبغون أجلاء بعد جيل وقرناً بعد قرن لأن الله هو القائم بتدبير خلقه • ومن أجل الهداية التي ألهمها لهداة هذه الأمة في هذا الزمان ومستقبل الزمان النظر في عجائب السموات والأرض واستيعاب جميع العلوم كما هو مقصود كتابنا للقدس • ثم أخذ سبحانه يبين كيف يعمل الفريق الأول وهم المكذبون فقال (والذين كذبوا بآياتنا سندرجهم) سندرجهم إلى الهلاك قليلاً قليلاً • وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) ما يريد بهم ﴿وذلك﴾ أن تتوارث عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهما كما في التي حتى تحقق عليهم كل المذاب (وأمل لهم) واهلهم عطف على • سندرجهم - (إن كيدي متين) إن أخذني شديد وساء كيدا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان كالذي يحصل لمن يأكل من الطعام مأكلاً وطيباً ويكثر الألوان فإن عاقبته المرض والضعف • ولكن أعطى أموالاً كثيرة فاستغرت جميع أوقاته في الفكر والهم والذات فهذان يظنان أن الله قد قربهما منه وهما يشاهدان الأنعام تستلذ بالمرعى فوق لقتنهما وقد كثرت أقرانها في الأرض وهذان لا يسعدان إلا بما يحفظ الصحة ويترك النفس ويرفضها عن السفاف

ولما نسبوا النبي ﷺ إلى الجنون نزل (أولم يتفكروا ما يصاحبهم) محمد ﷺ (من جنه) من جنون • روى أنه ﷺ صعد على الصفا فطعمهم غداً يغذوا يحذرهم بأس الله فقال قائمهم إن صاحبكم لجنون بات بصوت إلى الصباح • يقول الله أولم يتفكروا فيما بينهم في أمر محمد ﷺ ثم نفى عنه الجنون بقوله - ما يصاحبكم من جنه - ويصح أن يقال أولم يتفكروا فيعلموا ما يصاحبهم من جنه (إن هو إلا نذير مبين) موضع إنذاره بحيث لا ينبغي على فطر • إن الناس عادة يصفون من خالفهم وعرف ما لم يعرفوا وأسمعهم ما لم يكونوا يسمعون بأوصاف منكرة على مقدار مخالفتهم في صفاتهم وأحوالهم • فلذلك وصف العرب النبي ﷺ بالجنون فقبل لهم كلامه من جنون تفكروا في أمره وتدبروا في أحواله وانظروا في أنواله فما هو

إلا نذركم بين عاقبة أموركم ويوقظكم على مستقبل أنفسكم وإن شككتكم في أمره ولم تؤمنوا بقوله فانظروا بأنفسكم وتفكروا بعقولكم وتأملوا فيما ذرأ الله في ملكوت السموات والأرض والأشياء التي خلقها والأناس التي نوعها . والهجائب التي أبرزها . وكيف لا تفكروا ولا تتدبرون للموت وينادىكم . والآجال تناجيكم . والدنيا تزجيكم . أرسلنا رسولا منكم فكذبتم . وقلنا أنظروا في ملكنا فأبىتم وتربصتم ونعم وقلنا لا تخافون الفوات ولحوق الممات وضياح البلاد بإهلاك والآفات فلم تعواما قال ولم تزيدوا إلا ضلالا وطغيانا . فبأى حديث بعد هذا البيان تؤمنون . أم بأى وعظ تفتنون . أم أى قول تعقلون . إن أتم إلا قوم ضالون . ومن يضل الله فلا هادى له . لأن استعداده في الضلال أبقاء وهو في الطغيان مغمور وفي عمه البصيرة الذي هو أشد من عي البصر مقبور . فانها لانعى الأبرار ولكنها تسمى القلوب التي في الصدور . وكيف يفلح من أحاطت به النذر من كل صوب قدامى . جاده نبي فلم يع ما يقول . وأعطى السمع والبصر والعقل فلم يتصرف بها في معقول ولا منقول . وقد غشته النذر من بين يديه ومن خلفه وهو مشغول ثم لا يدري أقرب أجله أم بعيد . وإذا كان أمر الآجال مجهولا وأمر الساعة والقيامة العاتية مجهولا فكيف يستقر له قرار أو يكون له اعتبار . إن أمر الساعة مجهول وإيس يظهر أمرها في وقتها إلا الله وانها لعظيمة على أهل السموات والأرض ولاتأتى الا بغتة فقد أخفاها الله كما أخفى الآجال فلم يعلمها الأنبياء والمرسلون . ومن ذا يملك لنفسه منهم نقما أو ضرا . أم من ذا الذي يعلم الغيب من الأنبياء وهم يصابون كما يصاب الناس بالآلام والفجائع ولو أنهم علموا الغيب لاحترسوا لأنفسهم ولتوقوا الشر الذي يعمون فيه ولم يحسبهم سوء يرتكبون فيه . فالأنبياء وسائر الناس سواء في أنهم يجهلون الغيب وهم جميعا مبتلون بالتخبر والشر . لجهل الساعة وجهل الآجال ليت الامتحان . فكيف اذن يذر الناس التفكير في هذه العوالم المشاهدة وفي ملكوت السموات والأرض . ان الناس لهذا التفكير خلقوا بل كل ما جاء في هذه السورة مقدمة لهذه الآيات أى قوله تعالى (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض الخ) هذا ملخص قوله تعالى . أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض . الى قوله (إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وقوله . أولم ينظروا . أى نظر استدلالى للملكوت أى للملك العظيم وقوله (وان عصى) أن مصدرية والتقدير أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض العظيم وفي اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل الموت ونزول العذاب وقوله (فبأى حديث بعده يؤمنون) كأنه قيل لمن أجلهم قد اقرب فما بالهم لا يبادرون للايمان والأعمال الصالحة . وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق . وأى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله (في طغيانهم) أى كفرهم (بمهمون) يترددون (الساعة) هى من الأسهاء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة وألسرعة حسابها ولأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) متى مشتق من أى على وزن فعلان منه لأن معناه أى وقت (مرسها) لرساؤها كالدخل بمعنى الادخال أو وقت لرسائها أى اثباتها والمعنى متى رسيها الله (لا يجعلها لوقتها الا هو) لا يظهر أمرها في وقتها الا هو (تحتل في السموات والأرض) أى ان أهل السموات والأرض أهم كل واحد منهم شأن الساعة وخصي أن يتجلى له علمها يشق عليه خفاؤها ويشق عليه أو تقلت في السموات والأرض لأن أهلها يخافون شداؤها وأحوالها (بغتة) فجأة (يسألونك كأنك حنى) عنها) عالم بها فويل من حنى عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء استحکم عمله به (تقعا ولاضرا) جلب قمع ولادفع ضرر لنفى ادعاء علم الغيب (إلا ماشاء الله) من ذلك فيلهمنى إياه ويوقنى له (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) أى ولو كنت أعلمه خلافت حالى ماى عليه وذلك باستكثار المنافع واجتناب الضرر حتى لا يمسنى سوء (إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ما أنا الا عبد مرسل

(جوهره في تفسير قوله تعالى - أول ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون -)

اعلم أن النظر في ملكوت السموات والأرض إما واجب وجوباً عيانياً . وذلك على كل قادر على النظر وليس ذلك الواجب عيانياً لأجل معرفة الله للإيمان قط . كلا . بل هو واجب لأمرين (الأول) لزيادة المعرفة كما قال تعالى - وقل رب زدني علماً - (الأمر الثاني) الشكر لله تعالى . ومعلوم أن الشكر علم وعمل والعلم يرجع للنظر في هذا العالم فالشكر واجب باجماع علماء الأصول وهو في آيات كثيرة في القرآن فهو واجب بالنص في القرآن وبالاجماع . والنظر في النبات والحیوان وغيرها والفلك والنجم . كل هذا واجب كما قرئناه في أكثر مواضع هذا التفسير . وأما واجب وجوباً كفاً وبذلك هو النظر لزيادة السعادة الدنيوية للأمة الإسلامية . ان الله عز وجل قال - ورحني وسعت كل شيء - وقال - فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون - . ان هذا الكون الذي نسكنه قد ماله الله بالنعم وأباح لنا التزوّد منها وأوجب على الأمة كلها أن تخصص منها جماعة لاستخراج منافعها . وذلك هو المسمى (فرض الكفاية) باجماع العلماء أيضاً . فكما أجمعوا على الشكر أجمعوا على فرض الكفاية كما شرحته في سورة المائدة عند ذكر الفراب وفي البقرة عند قوله تعالى - لا يكلف الله نفساً الا وسعها - وينت هناك اجماع العلماء وتوبيخ الامام الغزالي وتقريره لعلماء الاسلام لجهالتهم ونومهم وانماهم للمسلمين في زمانه فاذا كانت رحمة الله وسعت كل شيء . واذا كان المسلمون كتبتم لهم هذه الرحمة . واذا كانت الصناعات كلها فرض كفاية والصناعات التي بها ارتقاء الثروة من أهمها . فكيف ينال المسلمون عن رقي صناعاتهم . يقول الله - فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة - أنظر كيف كتب الرحمة لأمة محمد ﷺ الذين يؤتون الزكاة وهم المأمورون بالنظر - في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم - . الله أكبر . المسلم يؤتي الزكاة والمسلم ينظر في ملكوت السموات والأرض ثلاثاً يفجأ بالموت وهو غافل وللمسلم هو الذي ينظر ليزداد علماً ويزداد شكراً لله . والمسلمون فرض على جماعة منهم أن يرقوا المسلمين في الصناعات والعلوم . الله أكبر هل قام المسلمون بهذا . هل قبل المسلمون رحمة الله الواسعة . هل اعتدوا المدة للارتقاء كالأمة حولهم ان لم يفوقوهم . كلا والله لا هذا ولاذاك أصبحت كل الأمم علماء الا المسلمين . كل الأمم تعمل جميع أفرادها رجالاً ونساء الا المسلمين . وانما تعملوا جميعاً ليستخرجوا كنوزهم من أرضه (وبعبارة أخرى) يطلبون رحمة من أرضه . أما المسلم فيقول أنا أعطى الزكاة من لئال الموجود ولا أبحث عن غيره وأترك رحمة الله تفسر لغير المسلم . كتب الله الرحمة لنا في الدنيا والآخرة فلم تعرض لها في الدنيا واكتفينا بالآخرة التي لم نعمل لها . سيقول جاهل أنا يجب على أن أخرج الزكاة من المال الذي عندي ولكن لا يجب على أن أسمى لجع اللئال ولا تشييع الصناعات في الاسلام . وهذا القول الذي هو كامن في قلوب صفار العلماء في الاسلام محدود مكتوب بأن ذلك فرض كفاية . وكيف نترك تلك العلوم وتلك الصناعات حتى أصبحنا أذل أمة في هذه الأرض التي نسكنها . أصبحنا غرباء في ديارنا لجهلنا والفرجة لعلهم برحمة ربهم يستخرجونها من أرضنا وذلك لجهلنا وكفرنا بنعمة ربنا وإن كنا مؤمنين به . وبما يحزن المسلم أن يقف مكتوف اليدين عند اعلان هذا الخبر في الجرائد للحرية يوم السبت ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٥ الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٦ وما هو

(التفاني في اصطناع السكر)

وفق أحد علماء الكيمياء في المدة الأخيرة الى اصطناع السكر من (حثالة الخشب) أعمالاً لنبوءة أحد

العلماء الألمانين الذي قال منذ بضع سنين ما يأتي ﴿ سيأتي يوم يأكل فيه قراء الجرائد جرائدهم بعد قراءتها ونحويل أجزائها إلى طعام ﴾ وقد تحققت نبوءة هذا العالم الآن إذ ورد اشعار على المجمع الكيماوي البريطاني من الدكتور (أورماندس) يقول فيه انه ابتكر طريقة جديدة لأجل تحويل حثالة الخشب (الفسارة) الى سكر وذلك بعد معالجتها بالغاز الكوريك . ويقال ان ذلك السكر يفيد جداً كسكر أصناف السكر للطعام وقد جاء هذا الابتكار مخففاً لثورة التهديد التي كنا نتلقاها بأن معين الأطعمة لابد أن ينضب في القريب العاجل وقد ابتدع الكيمييون المختصون بوزارة الزراعة الأميركية وسيلة أخرى لاستخراج السكر من القنرة الصفراء اهـ

هذا هو الذي نشر في الجرائد اليوم . المسلم مأمور بالزكاة في المال ان وجد المال ولكنه من جهة أخرى مأمور بالعلوم والصناعات هذا بإجماع العلماء . وقد قال امام الحرمين وكثير من العلماء ان فرض الزكاة افضل من فرض العين لأن الانسان بقيمه به قد خلص للمسلمين من ذنوب تعهم فمن قام بعمل مثل هذا بأن عم صناعة أو علماً فقد أعطى للمسلمين آلاف آلاف أضعاف ما يبطل الرجل من الزكاة . الزكاة محدودة والصناعات والعلوم لا حدها كما ترى في الاختراع المذكور في هذا المقام . وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ على كل مسلم صدقة قبل أن أرايت ان لم يجد قال يعمل يديه فينتفع نفسه ويستحق قال أرايت ان لم يستطع قال يعين ذا الحاجة للملحوف قال أرايت ان لم يستطع قال يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال أرايت ان لم يفعل قال يسكن عن الشرقاتها صدقة ﴾ أخرجه الشيخان وطهرا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ كل (١) سلا من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس قال تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة قال والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تحسبها الى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة ﴾ انتهى من كتاب تيسير الوصول جامع الأصول هذا كلام رسول الله ﷺ الذي جعل على المسلم صدقة كل يوم على أصغر أعضائه فأكبرها وأولى أشار الى أن الأعمال جميعها صدقات سواء كانت رفعا للأذى أم جلبا للنفعة العامة . فقله ﷺ يعمل ويتصدق إشارة الى أن المسلم يفرغ من راحة الله ولا يقتصر على ما هو موجود . ان أوروبا قطعت خطوات واسعة والمسلمون واقفون بل ناكسون على أعقابهم ونبينا ﷺ ذكرهم بالعمل والعلماء نصوا على ذلك والله يقول - وقل اعملوا فيسرى الله عملكم - وهذا إذا قد نهيت وبيئت وأفصحت وحسبنا الله ونعم الوكيل وعلى كل عالم أن يبين للناس منازل الهم وما يناله في كلام الله وما عرفه من عقله أو من كلام العلماء فهذا زمان يجب فيه الجهر بالحقيقة فان المسلمين في غفلة وستنشق النشاة عن أعينهم قريبا ان شاء الله تعالى

ثم قال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وجعل منها) أي من جنسها لقوله تعالى - جعل لكم من أنفسكم أزواجا - (زوجها) حواء (ليسكن اليها) ليستأنس بها ويطمئن اليها الميثان الشيء الى جنسه (فلما نفثاها) جامعها (جعلت رجلا خفيفا) خف عليها ولم تبق منه مالتق منه الحوامل غالبا من الأذى (فرت به) فاستمرت به وقامت وقعدت (فلما أنفلت) صارت ذات ثقل إذ كبر الولد في بطنها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لتكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجتدة (فلما آتاهما صالحا جعلاه شركاء فيما آتاهما) أي جعل أولادهما لله شركاء. فما آتى أولادهما قسموا عبد العزى وعبد مناف وعبد شمس (تعالى الله عما يشركون) أي شركون مالا يخفى شيئا وهم يخفون) وقد دخل في ذلك أبناء قصي من قريش وهم أربعة عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار فوله

قد جعلت أسماؤهم دالة على الشرك وقوله - وهم يخفون - أي الأصنام (ولا يستطيعون لهم نصرا) أي (١) السلاي كجباري عظام مغرطول أصبع أوائل في اليد والرجل جمع سلاميات اهـ قاموس في مادة السلم

لعبدهم (ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يترتب (وان تدعوهم) أى الأصنام (الى الهدى) أى الى أن
يهدوك (لا يتبعوك) أى لا يجيبوك الى مرادكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أذعوتهم أم أتم صانئون) عن
دعائكم فى أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم (إن الذين تدعون من دون الله) تصدونهم ويسمونهم آلهة
(عباد أمثالكم) أى مخلوقون مخلوكون أمثالكم (فادعوههم) جلب نفع أو دفع ضرر (فليستجيبوا لكم)
فليجيبوا (إن كنتم صادقين) انهم آلهة • ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألم أوجب يمشون بها
أم لهم أيد يمشون بها) البطش الأخذ الشديد فى كل شئ (ألم أعين يمشرون بها أم لهم أذان
يسمعون بها) فلم تصدون ما هو دونكم (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم يكون) أى
بالقوا فيما تصدون عليه من مكر أتم وشركاؤكم (فلانظرون) فلانتهلون فاقى لا بأبلى بكم لوثوق بولاية الله
وحفظه (إن ولي الله) أى الذى يتولى حفظى وينصرنى عليكم هو الله (الذى نزل الكتاب) القرآن واللعنى
كما أبدى بآزال القرآن على كذالك يتولى حفظى وينصرنى (وهو يتولى الصالحين) يتولاهم بنصره وحفظه
فلا تنصروهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم عن أرادهم بسوء أو كادهم بشر • فإذا كانت هذه
عادته فى الصالحين من عبادته فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون
نصركم ولا أنفسهم ينصرون) من تمام التعطيل لعدم مبالاة بهم (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعا وازاهم
ينظرون اليك وهم لا يسمعون) يشبهون الناظرين اليك لأنهم صوّروا بصورة من ينظر الى من يواجهه
وهم لا يسمعون للمرنى (خذ العفو) أى خذ ما عفا لك من أفعال الناس ويسهل ولا تطلب ما يثبت عليهم
والعفو ضد الجهد وكل مجاهد بلا كلفة أى اقبل اليسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك
فتتوه من ذلك العداوة والبغضاء (وأمر بالعرف) المعروف والجميل من الأفعال وكل خسرانة يرتفعها العقل
(وأعرض عن الجاهلين) ولا تكافى السفهاء بتل سفهم ولا تعارهم واحمل عليهم • وفسرها جبريل عليه السلام
بقوله (أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك) • قال جعفر الصادق رضى الله عنه
ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية • وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يكن رسول الله
ﷺ فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق ولا يجزى بالسينة البيئة ولكن يعفو ويصفح • وعنه ﷺ
أنه قال (إن الله يعنى لمكارم الأخلاق وتعلم محاسن الأفعال)

أن رسول الله ﷺ قال ﴿ ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن ﴾ وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ﴿ بالرفع أى فأسلم أنا من شره ﴾ والخطاب في الآية لعموم نوع الإنسان أى ولما يفرغك أيها الإنسان للـ

اعلم أيها السالك أن هذا الحديث وهذه الآية من الأمور السمية التي لم يعرفها الناس بالعقل ولم ترد لهم الا من السمع . فالشيطان لا يطلع الناس الا من سبيل الدين . هذا هو المعروف في سائر البيانات وفي دين الاسلام . ولكن قد كشف العلم اليوم هذه اللعاني واستلثت به الخافل في أوروبا وألفت في مثل هذا الموضوع آلاف آلاف المجلدات في عالم الأرواح الموسوسة والأرواح اللطمة . والغرب بهذا قرار العين . أما المسلمون فهم لا يصلحون عن هذه الحركة الاقبلا وقد أصبحوا يغطبون الأرواح في آلاف المجالس وقد أخبرتهم أن الأرواح الشريرة توسوس للأحياء بما كانت تفعله في الدنيا لأنها في رزخها تفرح بكل ما تشاهد مما يماثل أفعالها فتوسوس لمن على شاكلتها أن يفعل فعلها وهو شر لأن هذا هو الذي يسرّها وقد فعل ذلك انتقاما من ذلك الشخص معاقبة له على ما ارتكب معها من الآم في حياتها الدنيا والأرواح لسلطان لها على النفوس الراقية والقلوب الخفية والعقول الكبيرة للمفكرة . هذا كلام الأرواح وقد ألفت كتابا في هذا الصدد سميت به ﴿ كتاب الأرواح ﴾ وقد أشرت اليه في هذا التفسير من قبل وهذا من أعظم معجزات القرآن . وكيف يوافق الكشف والعلم الحديث ماجا في القرآن الكريم ويكشف الغامض من عجائب هذه العوالم الغائبة عنا وكيف تنطق الأرواح اليوم بنفس ما شرحه نبينا ﷺ وما جاء في القرآن فلتعجب أيها العاقل . ثم أخذ سبحانه يذكر بعض ما ينزع به الشيطان فأفاد أن الكفار كانوا يقتربون على النبي ﷺ آيات أى معجزات باهرة كأن يزيل جبال مكة وينزل عليهم كفا من السماء فإذا أبطأ ما طلبوه قالوا هلا طلبتها من الله فأمر أن يقول لهم - انما أتبع ما يوحى الى من ربي - هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق أبليج . وهذا قوله تعالى (وإذا لم تأتهم بآية) مما اقترحوه (قالوا لولا اجئتنا) هلا طلبتها من الله (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي) لست بمقترح لآيات ان الآيات لا تنزل الا تخويفا وأنا انما أرسلت للتعليم والتبصير فكيف أقترح ما لم يفد الأم السابقة كما اتفق لبي اسرائيل الذين عبدوا الجهل لأن ايمانهم مبنى على مشاهدة المحسوسات والغرائب الخيرة للعقول كقلب عصا موسى حية ولوائهم كانوا مستبصرين متعقلين ما كفروا بعد ايمانهم (هذا) القرآن (بصائر) تبصركم وجوه الحق (من ربيكم) وهدي ورحمة تقوم يؤمنون) به فكيف تعملون عنه الى تلك الخوارق التي لا تقوم بها قائمة الأم فانما أرسلت لأخرج الناس من عالم الخيال الى الحقائق والمعارف الحققة . فالقرآن سبب لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم السبب ولما كان القرآن بصائر للناس أشد يأمرهم بالالتفات اليه فقال (وإذا قرئ) عليكم أيها المؤمنون (القرآن فاستمعوا له) اصغوا له بأنفسكم لتفهوا معانيه وتدبروا مواعظه وحكمه (واستمعوا) عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وأنصت وهذا واجب على ما يأتي من محامل الآيات والأحاديث الشريفة (١) اما على العموم في أى وقت وفي أى موضع في الصلاة أو في الخلطة أو غيرها فيجب على كل مسلم في ذلك كله الاستماع والانصات للقرآن وهذا قول الحسن وأهل الظاهر

(٢) واما في الصلاة وحدها . وجاء في الحديث أنهم كانوا يشكلمون في الصلاة بجواهرهم فأمروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن . وأيضا كان بعضهم يسل على بعض في الصلاة فتمنوا بهذه الآية . وأولها مروى عن أبي هريرة والثاني عن عبد الله بن مسعود

(٣) ولما ترك الجهر بالقراءة خلف الامام فقد كانوا يقرؤن مع قراءته . وأيضاً يقرؤن أصواتهم عند ذكر الجنة والنار . وهذا عن أبي هريرة للأول وعن الكلبي للثاني

(٤) وأما في الخطبة يوم الجمعة . وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء

(٥) وأما في قراءة القرآن وعند الخطبة عند بعضهم

واعلم أن هذه السورة مكتبة ولم تشرع الخطبة إلا في المدينة فما جاء في القول الرابع والخامس من حل الآفة على الخطبة ضعيف . وقد اتفقوا على وجوب الانصات عند سماع الخطبة للحديث الذي رواه الشيخان في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إذا قلت لصاحبك أو إمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لفوت) (هل تجب القراءة خلف الإمام)

(١) تجب القراءة على المأموم سواء أجهز الإمام بالقراءة أم أسر عند عمرو وعثمان وعلى وابن مسعود ومعاذ والأوزاعي والشافعي

(٢) لا يقرأ المأموم سواء أسر الإمام أم جهز عند جابر وأصحاب الظاهر

(٣) يقرأ فبا أسر الإمام في القراءة ولا يقرأ فبا يجهز الإمام فيه عند ابن عمر وهروة والقاسم والزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحق

(٤) لا يقرأ في الحالين وهو لجابر وأصحاب الرأي

هذا ملخص ما جاء في تفسير قوله تعالى - فاستمعوا له وأنصتوا - وأما قوله تعالى (لعلكم ترجون) فمعناه لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما أمركم به . ولما كانت قراءة القرآن نتيجتها تهذيب الأخلاق والعلم ومعرفة الأحكام . وهذه كلها مقدمات لما هو أرقى منها وهو إرتقاء النفس وعروجها الى عالمها وتخلصها من هذا العالم المظلم أردفه بما هو أعلى فقال (ولذكر ربك في نفسك) أى استحضري قلبك عظمة الله جل جلاله في الصلاة وفي قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهاويل وغير ذلك من سائر الأذكار والخطاب للنبي ﷺ ويدخل فيه غيره من أمته لأنه عام لسائر المكلفين وقوله (تضرعا وخيفة) أى متضرعا وخائفا والضرعة الخضوع والاستكانة والذل للغير وقوله (ودون الجهر من القول) يعنى ومتسكما كلاما دون الجهر لأن الاخفاء أدخل في الاخلاص وأقرب الى حسن التفكير وقوله (بالسوء والآصال) أى بأوقات السوء والعشيات لتفضل هذين الوقتين والفتور جمع غدة والآصال جمع أصل وهو ما بين صلاة العصر والمغرب . واعلم أن هذين الوقتين تتجلى فيهما عظمة الله وحكمته وآياته الكبرى ومجائبه المدعنة من اشراق الشمس وبهجة ضيائها ونورها ومجاطها وجلايتها السبعة . وهى الألوان للشفقة المتداخلة للشرقة على المخوقات الأرضية في الغدوات وهى الحال الأولى . ومن اقبال الظلام واشراق الكواكب لئلى لاعادها على آفاق المسكونة وأضوائها المشبكة في الجوق . وذلك يوجب للتأمل عظة والشرح صدر ومعرفة بعظمة الخالق . واعلم أن ما ذكرته لك لا يفتن له أكثر الناس فترى الشمس مشرقة غاربة ذات بهجة في الحالين وهما الشرقان والمغربان بل إن كثيرا من المسلمين وقت الصبح والمصر لا يفكرون في جمال الشمس في اشراقها ولا في غروبها ولا يوجهون أنظارهم الى ما يحيط بهم من جمال الله الذى كسا به هذه القبة الزرقاء وغطى به وجه الصبراء وبدل حالهما كل يوم وكل ليلة فلذلك أعقبه بقوله تعالى (ولانك من النافلين) عن ذكر الله فتنسى العادة عليك لتكرار الشروق والمغرب وأنت ساه لا قد أفسد اعتيادها وإطرادها عليك فكثيرك وتكن مفكرا إذا كرامتكرا بتقلب الظلام والضياء عليك خالق الكائنات ومدير الحركات التى اطردت في سائر الأزمان بتدوير الملا الأعلى من الملائكة لذا كرين لربهم عسى أن تلحق بذلك العالم بعد موتك في جوار ربك (إن الذين عند ربك) مكانة ومنزلة وهم الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) لا يعظمون عنها (ويسبحونه) ويثنيونه عما لا يليق به (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة والتسذل لا يشركون به غيره • روى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول عليك بكرة السجود لله فانك لتسجد

لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة

(لطائف القسم التاسع)

(الطيفة الأولى)

اعلم أن هذه السورة اشتملت على التحلية وعلى التخلية كما أومخناه سابقا فالتخلية غلبت في قصص الأمم الضالة التي أزالها من الوجود ما خلقت به من الظلم والفتك وتقسيف للكيال واللايزان وما أشبه ذلك . فأما التحلية فقد تجلت في مواطن شتى منها وأهمها موطنان ﴿ الأول ﴾ مجاء في أوائلها من ذكر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وقد فسرت هناك فارجع إليها إن شئت ﴿ والموطن الثاني ﴾ مجاء في القسم التاسع فإنه بعد أن ذكر أنه ذرأ لجهنم كثيرا من الجن والإنس لأحلام لهم ولا فكر وجعلهم كالأنعام أخذ يذكر أن له أسماء حسنى . ولا جرم أن الأسماء ذوات مدلولات ومدلولها صفاته سبحانه وتعالى من العلم والقدرة وغيرها وهذه الصفات لها آثار وأثارها ما نشاهد من العالم الجليل الذى نعيش فيه فلذلك أتبعها بعد آيات بقوله - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم - ثم قال - فبأى حديث بعده يؤمنون - فكأن الأسماء لا يراد إلا معناها وأثارها وهذا الإنسان جاء في هذه الأرض لمراسة الآكل حتى يعرف الصفات . وهذه الآثار هي الكون بسائر مظاهره العجيبة وآياته الغريبة . ولذلك ذكر اقتراب الآجال في هذا المقام وأتى بالاستفهام على سبيل التعجب فقال - فبأى حديث بعده يؤمنون - وبأى سبيل يهتدون إذا لم تكن هذه السبيل رائدهم . وإذا لم يمارسوا العلم والحكمة والتغذى بالعلوم فاهى حياتهم وما فضل وجودهم في الدنيا وما قدر بقائهم فيها . ان الآجال قاطعة فليحذر الناس القوات وليدوسوا هذه الدنيا ونظمتها ومجاثمها وغرائبها فان هذه هي الوسيلة لارتقايتهم والطريق لسعادتهم وهي أجنتهم التي بها يلعبون وقواهم التي بها يسبون ومعارجهم التي عليها يمرجون

وان في ذكر الآجال واقتربها كما قلنا لبرة للعتبرين وذكرى للذاكرين . وكيف لا يكون كذلك وأنت تعلم من هذا التفسير وما تقدم فيه أن العلوم كما تكون معارج الأفراد للارتقاء في الدنيا والآخرة تكون معارج الأمم أيضا وأهمها حرم سعادة الحياة . والبرهان على ذلك ما ترى من انقطاع حيل المسلمين وضيقهم واستنكاتهم للجهالة العمياء بهذه العلوم الخبيثة بنا كأنهم ما خلقوا في الوجود وكان أعينهم في غطاء وأساعهم في غشاء . ومن المزن أن يدعى وعظمتهم وصغار العلماء فيهم أن الدين لا ينظر لهذه العلوم إلا لشئرا وذلك من مصائب الزمان والحرمان العام

ومن قرأ العلوم من شلتهم في أوروبا رجع كليل الطرف وهو حسير ودعا بالويل والثبور على الأديان ومروجيها والعبادات ومتبعيها إلا أفاضل منهم وأهل جد وعقل راجع . فأولئك لهم قدم صدق وهم كثير والحمد لله في الاسلام

ولما أشرقت شمس العلوم في أوروبا وأضاء في أنحاء الشرق شعاع منها وأنت إلى مصر أنوارها أيام المغفور له محمد على باشا وخلفائه حسد الأوروبيون المصريين أهل بلادى على نعمة العلوم ونافوا أن يرجع مجد العرب لسابق عهده ويستردوا مجد الخلد ونظروا التلذذ كما كان في عصر النبوة . اقتسوا على مصر فاحتلوا وارتفعوا العلم منها اقتزاعا وأضاعوها . هكذا شأن الفرنجة في بلاد الاسلام قاطبة اليوم . وجعلوا التعليم في مدارسها صورة مجوقة أو قبرا مبيضا أو ببرا مفضنا . وقد درست أنا في مدارس البلاد نحو (٣٠) سنة وأنا أرى التلاميذ يجهلون كثيرا من هذا الوجود بعد أن كان آبائهم أيام محمد على باشا يدرسون كما تدرس أوروبا . ولما أذاخوا في العالم أنهم ردوا إلى بلادنا استقلالها وكان أغلب المعلمين قد درسوا دراسة سطحية انجليزية

كتبت مقالاً للجلدس النواب والشيخ ولعله وزير المعارف وقد نشرته جريدة القطم يوم الخميس ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٤ للموافق ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣٤٢ تحت عنوان (مذكرة التعليم الثانوى بالملكة المصرية) وستراه ان شاء الله فى الجلة الخامس من هذا التفسير . انتهت الطليفة الأولى

(الطليفة الثانية فى قوله تعالى - أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ -)
لقد نظرنا نظرات فى هذا التفسير فيما خلق الله من شئ فلننظر نظرة الآن فيما خلق الله فى هذا العالم ومن أين جاءت الحياة الى الأرض غير ما ذكرناه فيها فتهتم

اعلم أيها القارىء أن العلماء فى هذا العصر اضطربت آراؤهم فى أصل الكائنات الحية . ومتى خلقت . وهل بخلق الحى من غير حى . وقد فقهوا انها كانت قديمة العهد جداً قبل الآن بمائة مليون سنة تقريباً . وأنت تعلم أيها القارىء مما تقدم كيف كانت الأرض دائرة حول الشمس ولها أخوات يسرن معها حولها وبينهم مسافات معلومة مرسومة فيما تقدم أيضاً . والشمس جاذبة لهذه السيارات . وهذه الأرض والسيارات مركبة من معادن وصخور ومواد ملتهبة كالتي تتركب منها الشمس . والشمس وزن سبعائة مرة مجموع الكواكب التي تدور حولها ووزن الأرض ٣٣٤ ألف مرة . وهناك فى السماء عوالم تسمى (السدوم) جمع سدوم أشبه بسحاب غير ظاهر التكوين وله مركز أشد وضوحاً مما حوله . فهذه السدوم تملأ فراغاً وتضع فيه حركات دورية وهي لم تزل فى حال التكوين . فهذا فيريد أن الشمس وما حولها قد كانت على هذه الحال قديماً . وقد وجدوا من هذه السدوم ٦٠ ألفاً . وقد وجدوا حركات ذلك السديم وتكونه شيئاً فشيئاً وهو دوائر حول المركز أشبه بحال سائل فى الاناء كزيت مثلاً أدركناه فإنه ينقسم الى دوائر وحلقات تدور حول المركز كما تدور السيارات حول الشمس . ثم اننا اذا نزلنا جوف الأرض ارتفعت الحرارة درجة بمرتان (سنتجrad) كلما نزلنا نحو ٣٠ متر وفى عمق مائة كيلومتر تبلغ الحرارة ثلاثة آلاف درجة وهي تحوّل أغلب المواد الى نار ملتهبة . ونصف قطر الأرض يبلغ ستة آلاف كيلومتر . وعليه يكون المذهب فى باطنها عظيماً جداً كما تقدم . وهنا يتنمأ الكلام على أصل الحياة

(١) الحى يتكوّن من غير الحى كما تتولد الفيران وتمايين السمك من الطين ودود الجبن منه . وهذا قول العاتة وبعض القدماء

(٢) الحى لا يتولد من الجباد ودود الجبن إنما هو مخلوق فى النور الأول ليكون ذليلاً فهو من نوع الحشرات فقد باض الذباب بيضه ثم صار دوداً ثم يصير ذليلاً . وقد بين العلامة (ريدى) و (سورمدلم) والراهب الايطالى (سبلازاني) فى القرن السابع عشر فساد تكوّن الفيران والدمك من الطين والنود من الجبن خلافاً لقول القدماء

(٣) ان بعض الحيوانات ذات الخلية الواحدة تتولد فى السوائل مثل منغوع الأوراق

(٤) نرى هذا القول وأتكره العلامة (شلس) و (شنان) و (ملن ادولرس)

(٥) للمكروبات وهي الحيوانات الحقيقية جداً التي لا ترى تتكوّن من المواد غير الحية

(٦) ونرى هذا القول العلامة (باستور) و (كوخ) بتجارب لاهل لا كرها

وهذا ثبت أن الحى لا يتولد إلا من حى . فمن أين جاءت الحياة

(١) كانت الحياة قبل الآن والأرض ملتهبة وعدم امكان التولد الدائى الآن لا يمنع وجوده قديماً . وهذا

رأى العلامة (ارنست هيكل)

(٢) أقصد هذا الرأى أن العلماء الباحثين حاولوا بكل الطرق التجريبية أن يحدثوا حياة فلم يفلحوا

فهل حال البحار الأولى إلا حالة من الحالات التي نوعها العلماء بالتجارب

(٣) الحياة لم تأت الآن ولم تأت قديما على هذه الأرض بل أتت على شكل حيوانات دنيئة وصلت الى الأرض محمولة على قطع صغيرة أو كبيرة من كواكب أخرى في وقت أن كان الوسط مناسبا وهو قول (رشتز) (٤) قال (هلمهتز) و (تمسن) و (اوينوس) رأيا قريبا عما تقدمت أن الأنواع الدنيئة كنبور الحيوانات الدنيا تنفصل باستمرار من الكواكب وأن ضوء تلك الكواكب وضوء الشمس هو الذي يطرد تلك الجرائم ويمصها في الفضاء وهي محرومة من الماء ومن الهواء وواقعة تحت برد قارس (٢٢٥) درجة تحت الصفر وهذه المقنونات تصل في كل لحظة الى الأرض وغيرها ونحن لا نراها . هذه الآراء في أصل الحياة وفيها خلق الله من شيء تريك صورة ملوصل اليه علم العلماء وحكمة الحكماء . وفهم العقلاء في هذا الكون . ولما كان قول وما فائدة هذه المباحث وما أغراضها . أقول ان هذه المباحث هي التي أمر الله بها لتنف على حقائق الأشياء فان هذه المباحث قد ألمت لنا السبل فعلمنا أن الحي لا يتولد إلا من الحي - ورأينا كيف خضعت العقول وفهرت النفوس ووقفت الآراء وعجزت عن أصل الكائنات وسر المحلقات . وهذا يفيدنا أن هناك حياة أرقى ومقاما أجلى وعلمنا أعلى وبه فهم قوله تعالى في سورة أخرى - ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - وكما ازدادنا فكريا زنا هدى وبصرة وعلمنا فنعم أن الحياة من عالم أرقى من عالمنا - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

(الطيفئة الثالثة في قوله - يسألوك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يعلمها الا هو -) لقد ذكرنا في هذا التفسير فيها هتتم مقالات كثيرة في الحياة بعد الموت فلا ذكر لك الآن محاب من العلم الحديث لتقف على علم العلماء وحكمة الحكماء فاعلم أيديك الله

(١) أن عالمنا يسمى (وفنهوك) شاهد سنة ١٧٠١ أن حيوانا يبلغ طوله مليمترًا وهو يعيش على الطحلب وعلى السقوف وفي مجارى الأمطار المنزلية لما جففه وأصبح ترابا بقي خمسة أشهر لا أثر للحياة فيه ثم لما غمره بالماء رجع الى الحياة مرة أخرى وأخذ يسي ويتغذى

(٢) وفي سنة ١٧٤٣ شاهد العلامة (بندهام) وغيره نفس هذا الأمر (ذلك) أن الناس يشاهدون بعض حب القمح مصابا بمرض فيكون ضعيفا متغير اللون فلما بحث العلماء هذا الحب وجدوا فيه حبا مجابا مثل العلامة (بندهام) المذكور وتفصيل ذلك أن هناك حيوانات صغيرة جدًا تعيش في سنايل القمح وتبيض فيها وتفسد ويخرج من بيضها علفات تسبح حتى تدخل تلك الحيات ويكون في كل حبة من تلك الحبات من عشرة آلاف الى عشرين ألف حيوان فإذا حصد القمح وجفت الحب جفت هذا الحيوان فيه فاذا أصابه الماء حيت تلك الحيوانات ثانيا وبشت من مرقدتها وطلبت لها نباتا من القمح تعيش فيه ولا تزال هكذا حتى اذا ظهر السبل سمعت تلك الحيوانات وفطت ما فطر آباؤها من قبل

(٣) ولقد اختلف العلماء لما رأوا هذه الجباب وقالوا أدامت هذه الحياة أم هي منقطعة وأعقبها بحث تعجروا وشكوا ورجعوا الى التجارب

(٤) ففي سنة ١٧٧٦ جرب العالم الراهب الايطالى (سبلتراني) في حيوانات تعيش في الماء تجارب كثيرة فانه جففها فانصلبت معالم الحياة فيها انصداما فلما جعلها على هيئة تراب مدة ثلاث سنوات وعرضها للبرد الشديد والأشعة المحرقة وبعد ذلك نقأها بالماء فرجعت لها الحياة

(٥) وأيضا جرب العالم المذكور حبة القمح التي تحتوى على أكثر من عشرة آلاف حيوان كما قلنا لجففها كما تقدم ١٦ مرة وبعد كل تجفيف نقأها بالماء فرجعت لها الحياة

(٦) وقام العلامة (دويير) من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٢ فوضع بعض تلك الحيوانات المتقدمة في وعاء فرغ من الهواء تقرضا تاما مدة أيام ثم عرضها الى درجة ٩٥٠ وأولى درجة ١١٠ ستجبراد مدة دقيقتين

ولما نذاها بالماء رجعت الى الحياة

(٧) ومثله العلامة جفرى سنة ١٨٥٩

(٨) وحذا حنوه العلامة (دافين) جفف دود القمح فصار على شكل تراب أبيض اللون مكون من خيوط بيضاء دقيقة جدا خالية من كل صهونة وبعد أشهر نذاها بالماء فحيث وسبحت مع ان الفودة وهي حية لاتحمل بعض هذا بل تموت . وجفف بعض الحيوانات وحفظها عشر سنوات ولما نذاها حيث مع ان حياتها العادية لاتزيد عن بعض أسابيع

(٩) وعلاقات القمح المتقدمة لاتعيش إلا عشرة أشهر فلما جففت عاشت أربع سنوات ثم حيث لما نزل عليها الماء بل جفنها (دافين) عشر مرات ثم رجعت للحياة كل مرة

(١٠) والعلامة (بيكر) نفى علق القمح بالماء بعد ما جف ٢٨ سنة وهذا من المدهشات من هنا جزم (دافين) و (دوير) بهذه الأبحاث التي استمرت الى سنة ١٨٩٠ أن الحياة انقطعت في هذه الحيوانات انقطاعا تاما . ولكن الصلابة (بوستي) قال الحياة مستمرة . هناك عيقت الجمعية الحيوية الباريسية لجنة مكونة من خمسة علماء تحت رئاسة (بروكا) للشرح الشبه فوضعت هذه اللجنة بعض الدواب الجذبية مجففة في الفراغ الجاف أعني الذي لا بخار ماء فيه مدة ٨٢ يوما متتابة . ثم بعد ذلك عرضت تلك الحيوانات الى حرارة مائة درجة مدة نصف ساعة وبعد ذلك كله رجعت تلك الدواب الى الحياة بعد التنديفة

فتعجب أيها الذي كيف أظهر العلم الحديث أن البعث لا حياة حاصل فعلا وأن حبة القمح فيها آلاف من المخلوقات وأن تلك المخلوقات تموت ثم تعي متى نزل عليها الماء وكأن حبة القمح التي نراها صلبة منحرقة أرضنا التي تعيش عليها وكأن الحيوانات التي فيها هي أنفسنا وأن جفافها ودميها في الفراغ وتعرضها للحرارة تارة والبرودة أخرى وجعلها دقيقا أشبه بما يحصل لأرضنا من التفرق والأحوال المختلفة أو أن حياة تلك العلاقات الكامنة فيها بعد هذه الأحوال العظيمة أشبه بحياتنا بعد موتنا وتعرض أجسامنا الى أحوال مغنية

فيا ليت شعري كيف وصل العلم الحديث الى أن البعث يحصل في هذه الدنيا وكيف تكذب الجمعية الحيوية في باريس من ينكر حياة تلك الحيوانات بعد موتها الذي شاهدوه . وكيف يوافق هذا مئات الآيات القرآنية ألم تر كيف يقول الله تعالى - وأزرننا من السماء ماء مباركا فأنبثنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا لعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج - فانظر كيف جعل خروجنا بعد الموت كحياة الأرض بالنبات بنزول الماء . ولا جرم أن حبة القمح المذكورة اذا نزل عليها الماء يث حيوان منها بعد موته . فتعجب كيف كان ظاهر القرآن يفيد أن حياتنا بعد الموت مشبهة بالنبات فكشف العلم الحديث ان في باطن هذا حياة لحيوان في القمح بعد موته . ان هذا لشيء عجاب

فليعجب المسلمون كيف أصبح العلم الحديث يفسر القرآن تفسيراً تعظيماً بعد أن كان ذلك أمراً قريبا بالمشابهة . ومن هذا فليفهم العقلاء والحكماء معنى قوله تعالى في سورة أخرى - ويسألونك عن الروح - روح الحيوان وروح الانسان وروح كل شيء على وجه الأرض - قل - يا محمد لهم - الروح - ليس من الامور التي يمكنكم معرفتها لأنها ليست من المادة التي أمامكم فليست تخلق من الطين ولا الهواء ولا الماء ولا هي التي تحصل في حال خاصة من أحوال المادة عند تنوعها كما فعل السكاهيون الذين همجروا عن توليدها في المادة فاقطع علم الخلائق عنها حتى أرجعتموها أيها الناس الى عالم غير عالمكم الأرضي وقتلتم لها نأى من كواكب أخرى وكأأنكم قاتلتم انما - من أمر ربى - لا تقطع علمها عنكم فما أتم أولاء همجرت عن علمها وحرمتم في أمرها وهما ذه علومكم همجرت عن معرفتها وحوصلتها الى عالم الغيباء - وما أوتيتم من العلم - بأمر الروح

- إلا قليلا - من ظواهر كالمية والحسن والحركة والاختيار والارادة والحواس الخس . أما ما عدا ذلك من أصل منشأ وخلقتها ومن أين أقبلت فقد أقررت بالهز عنها . وهذه من المعجزات الكبرى لخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ إذ استبان انقطاع العلماء في هذا العالم عن استقصاء خبرها ومعرفة حقيقتها والوقوف على أسرارها بمثل هذه المعارف المبينة على المشاهدة والتجربة فليرتق المسكون ويمتلأ فليتعلم المجتهدون وبهذا فليفهم قوله تعالى أيضا - فاذا سَوَّيْتَهُ وَخَضَعْتَ فِيهِ مِنْ رَوْحِي - وقوله - ثم سَوَّاهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رَوْحِي - فانظر كيف نسب الروح الى نفسه ايذانا بأنها ليست من العالم الأرضي وانما هي من عوالم فوق المادة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

جوهرة مضيئة

(في ملخص هذه السورة)

ان هذه السورة مكملة لسورة الأنعام فصلة لما جاء في آخرها من أن الإيمان الذي لا يقرئ ما كالكفر عند الهلاك بقية فلا يتفجع الناس توهم عند غرغرتهم وعند النوازل المفاجئة كما تقدم شرحه . هذا مما في آخر الأنعام فسورة الأعراف ابتدئ فيها أولا بالحروف (الم ص) وقد قلنا أن هذه الحروف الأربعة مذكرة بملخص السورة . مذكرة بالتوبيخ في قوله تعالى - ألم أنهكما عن تلكا الشجرة - أي التوبيخ على اتباع الهوى الذي اتبعه الانسان وعلى عدم اتباع نصيح الناصحين الأتقاء وصالح نصيح الناصحين الفاضلين الأغنياء وقد أشار لذلك هود عليه السلام بقوله - ناصح أمين - أي بخلاف ابليس فهو غير أمين . ثم أتبع ذلك بالأمر بترك الحرج لما في السورة من النوازل على الأمم وأمتنا مذكرة بذلك معرضة له وأتبعه بزواج أعقبا بأنه جعل لنا معاش في الأرض وأن شكرنا قليل وأتبع ذلك قصة آدم وابليس وختمها بقول ابليس - ولا تجد أكثرهم شاكرين - فهي تبيان للآية قبلها . فاذا كان الناس لا يشكرون النعم فسيبهم أنهم لا يسمعون نصيح الناصحين ويتبعون خطوات نصيح الفاضلين المعلنون عنهم بأكرمهم ابليس الذي تكبر فلم يسجد فنزل عن مرتبته وأراد أن يجر آدم اليها فأغواه فسقط في الذنب . فابليس ضل بالكبرياء وهي القوة الضنية وعصى آدم بالقوة الشهوية . ثم توالى القصص بعدها فقوم عاد بطشوا جبارين وهذه هي القوة الضنية كابليس . وقوم لوط شهوة الفرج . وقوم شعيب في المكياج والميزان وهي شهوة البطن وهذه شهوة آدم وحواء . وقصة موسى أعم مما قبلها . ثم انتهى بقصة الذي آتيناها آياتنا وهي تلخص ماضى كله فإن عجلها أن الانسان يعطى علما فيغتر به فيجره العلم والقرى لله الى استعجالها في معيسته فينزل عن مرتبته وهذا بعينه ما حصل لابليس تنزل عن مرتبته الشريفة الى منزلة وضيعة فصار ملعلا للشر . فهذا الذي يسمى (بلعام بن باعوراء) صار ملعنا للشر وأصبح كيعض الدول الأوروبية الآن تستعمل علمها في دس السائس والحيل السياسية . إذ أرسل النساء (المومسات) الى جيش موسى حتى يضل القوم فينزلوا في الحرب فهذا بعينه ما فعله أهل الغرب في الشرق إذ منهم طوائف يتشربون في أقطار الاسلام يفسدون نساء الأثاب والقضاء ويذيعون الفحش ويشرون الشباب بالفسوق . كل ذلك ليوقعوهم في الفاحشة حتى لا يفتنحوأ أعينهم لأعمالهم . هكذا كان الفرنجة في بلاد الاسلام كافة . وهذه عينها مسألة ابليس الذي لما سقط أخذ يغوي الناس ويغترهم ليكونوا مثله عصاة . فانظر كيف رأيت قصة الذي اسلخ من الإيمان رجعت الى أول السورة من اغواء ابليس الذي غوى بعد أن كان فاضلا وجو غيره الى الجهالة وأن الذي يعطى الخير والنعمة اذا لم يحترس ولم يفهم بعقله يقال له - ألم أنهكما عن تلكا الشجرة الخ - فقشابه ابليس وبلعام

ابن باعوراء في الكرامة أولاً والخلل آخراً وانهما يصبان الاشراك لاغواء الناس . وهذا فيه بيان أن الذي يعطى علماً أو نعمة فانه أيضاً على خطر اذا لم يحترس وهذا يفيدك أن سورة الأفعال والتوبة بعد هذه السورة فيها الفنائم والفزوات وفتوح البلدان وأن هذا الفتوح خير كما كان علم بلعام خيراً . وكما كان علم ابليس خيراً أيضاً ويخاف أن يكون خير المسلمين في فتوح البلدان بحقه شر بالتخاذل وحب الرئاسة فيذلوا بعد عزهم كما ذل بلعام وذل ابليس . ولقد تم ذلك كله فان للمسلمين بعد أن فتحوا البلدان ووصلوا الى قرب باريس لم يبق بينهم وبينها إلا مسيرة ثلاثة أيام وقفوا ثم تخاذلوا وهكذا رجعوا القهقري في أخلاقهم واتبعوا شهواتهم وقام النزاع في الشرق أيضاً بين الأمويين والعباسيين انتهى بفضل الأئمة الاسلامية ووقعنا نحن اليوم في أسوأ الأحوال . ألتست ترى أن ابليس الذي تكبر بدرجة الرفيعة وبلعام الذي نال حظوة عند ربه باسم الله الأعظم قد انحطتا عن سماء عظمتها بكبر الأول وشهوة الثاني فصار كل منهما يفتوى الناس . وهكذا دولنا الاسلامية فتحوا البلدان لتصر الدين كما كان أولاً ابليس وبلعام صالحين ثم تخاذلت الأمم الاسلامية واتبعوا الشهوات فذلوا الأمم الغربية كما سقط ابليس وبلعام . أليس هذا هو قوله ﷺ في حديث البخاري (إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا وزخرفها) أوماني معناه • إذ قال له رجل يا رسول الله أو يأتي الشر من الخبر فكتبت ﷺ حتى تصيب عرقاً وهو يوسى اليه ثم أجابه بما يفيد أن خيرات الدنيا أشبه بالطرر والناس يتلقون هذا الخير كما تتلفح الحيوانات بالعشب والكلاب فيها ما يأكل النافع ومنها ما يأكل الضار فمرض وتموت فأقرأه في البخاري فان حواء مذكورة لك . فعلى هذا يكون فتح البلدان وتزاد اخيرات على المسلمين عقبه السقوط في مهوى الشره والعصيان واتباع القوى الضمنية والشهوية فصار الناس في آخر الزمان تلاميذ ابليس وتلاميذ بلعام بن باعوراء وغيرنا عليك أن ذكر سورة الأفعال والتوبة بعد هذه السورة قد ظهر سره فانهم • وملخص هذا كله أنه قصد نصيحنا نحن فأما ابليس وغيره فذلك أمثال لنا . وذلك الأمثال نضر بها للناس وما يبقلها إلا المألون - فهنا تجلج القوة الشهوية والقوة الضمنية في الأمم الاسلامية وانحطت عن الأمم كما أئذ بالله هذه السورة وانصفت بما انصف به عاد من البطش وما انصف به قوم شيب من تظنيف للمكيال ومن اتباع الشهوات الهيمية كما جاء في قوم لوط . فهذه السورة انذار للمسلمين الذين قد وقفوا في جميع ما ذكر فيها . واني مؤثر أن هذا التفسير سيكون من للذكرات والمنهايات لهذه الأمم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وختمها بقوله - إن الدين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته إلح - أي بخلاف ابليس الذي تكبر فلم يطلع الله فملائكة لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يعاملون ما فضل ابليس من الكبرياء والامتناع عن السجود لأدم الذي هو عدم امتثال لأمر الله فملائكة لا يستكبرون وله يسجدون بخلاف ابليس وتلاميذه من جميع الأمم التي ضلت بالبطش في الأرض أو بالقوة الشهوية وكان حتى هذه الأمم كلها أن يطيعوا ربهم فملائكة ولا يصون كابليس ومن على شاكلته وذلك بعد أن أمر ﷺ بالاستعانة بالله من الشيطان للذكر في أول السورة وبيان أن الدين اتقوا واذكروا متى مسهم طائف من الشيطان فلا يفرهم نصحه كما غر آدم وحواء في أول السورة وكما غر بلعام وأمثاله من جميع الأمم السابقة وبعد أن أمر هو أيضاً أن يذكر ربه بالقدادة والعشي ولا يكون غافلاً فرفع آخر السورة الى أولها ورده عجزها على صدرها وبأن كالحا وجالها ولحمد لله رب العالمين

(عقد منظم من جواهر هذه السورة)

(في الكلام على أن العذاب باتباع الشهوات وترك القوة العقلية أكثره بالهلاك في الدنيا قبل عذاب الآخرة)
لقد اطلعت أيها الذي على ملخص هذه السورة وانها تمثل القوى العقلية كلها . فالشهووات الهيمية والقوى الضمنية يكسبهما ويضطهما العقل والحكمة التي تتبع بهذا القرآن

وها أُلْذا في هذا العقد أين لك أسرا عجبا (ذلك) أن عقاب الأمم يتبدى بالذاب في الدنيا
 ألا تنظر إلى قوم شيب كيف أخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين . ولماذا أخذتهم . أخذتهم لأنهم
 طغفوا المكبال والميزان . وحيث قال وماذا ضرر لطيف المكبال والميزان فتقول . نعم إن القوم إذا فعلوا ذلك
 أصبحوا مفرجين بأعمال الشر وتعادوا فيه . ويستبيح زيد مال عمرو . ويأخذ القوي مال الضعيف تضعف
 الأئمة تموت واذن يكون هلاك الأئمة حتما لازما . ولما وصلت إلى هذا المقام جاءني أحد العلماء واطلع
 على هذا المقال فقال أوضح هذا المقام وأي مناسبة بين المكبال والميزان وبين خراب الأمم . فقلت له قد
 بينت وأوضح . فقال لو أن زيدا اشترى من عمرو قطارا ثمرا أو عنباً أو تينا أو أرداباً قححا وعند الوزن
 أو الكيل زاد في وزنه وكيه رطلا أو قسما . فلماذا حصل . حصل أن مال عمرو اتقل منه جزء يسير إلى مال
 زيد خلسة بدون مقابل . فهل هذا يوجب أن تجلهم الأرض . فقلت له إن الأئمة إذا رسخت فيها هذه
 الأخلاق أصبحت فيها ملكة فيأخذ الناس للمال بالحيلة تارة وبالنصب تارة أخرى وبالسرقة والاكراه تارة
 وهكذا . ولا جرم أن هذا الخلق يقبض الأبدى عن الكسب تموت الأئمة وتذل ويلحقها السار والبوار
 وهذا عذابه يهمل في الدنيا أو لا فالآخرة . ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . قال وما مفرها لهذه الأئمة الإسلامية
 اليوم . قلت إن الأئمة الإسلامية اليوم قد فعلت أكثر ألف مرة مما فعلت تلك الأمم . ولذلك استحقت من
 الله أن يرسل لها المدافع فتأخذها الرجفة كما جاء في أول السورة . وتم من قرية أهلكتها فجاءها بأسنا
 بيانا أوهم قاتلون . فهذه الأئمة الإسلامية اليوم نائمة جاهلة مسترسة منتظرة في كل حين أن يأتي لها
 العذاب من الأمم القوية الناهية للفكرة ليلاً أو نهاراً كما في أول السورة . قال ماذا فعلت الأمم الإسلامية .
 قلت لم تعمل بما جاء في هذه السورة . يقول الله . ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش
 قليلا ما تشكرون . والشكر مستحيل إلا بمعرفة النعمة والمسلمون لم يقرؤا نعم الله التي على هذه الأرض
 فكيف يشكرونها . فقال هذا كلام غامض فأوضحه . فقلت

(مثل أئمة الاسلام اليوم مع الله تعالى)

إنما مثل أئمة الاسلام اليوم مع ربها كمثل عبيد ملك أعطهم حدائق وجنات فيها نخيل وأعاب ورومان
 وتين وفاكهة مما يشحبون وطير مما يشنون . قال ثم ماذا . قلت وأرسل لهم رسولا من عنده ومعه
 مفشور فيه (هذه حدائق لكم وهي ملككم ومن أخذ من حديقة جره قطف عنب أو عناق من تمر أو قبضة
 من تين فاني أخذ منه حديثه وأعطيتا لغيره وربما أهلكته) فلما قرؤا هذا المنشور اتبعوه مدة ثم بعد ذلك
 أخذوا يلعبون ويرعون ويتركون حدائقهم ولا يتولوا إليها الماء ولا يسقونها ويكتفون بماء المطر فقيل لهم
 لماذا تعملون ذلك فيقولون إن الله حرم علينا أن نأخذ مال غيرنا ولم يحرم علينا أن نترك زرعنا ولا أن نمنع
 عنه الماء . فقيل لهم لقد أخطأتم إن من يأخذ من مال غيره معاقب مع وفرة المال عنده وعند غيره
 فيكون من باب أولى إذا تركا معاتمة المال . فلذا كان الله يعاقب قوما عندهم مال على أن يأخذ أحدهم
 من الآخر رطلا بطريق التطفيف فأولى ثم أولى إذا كان كل منهما لأمال عنده إلا قليلا وقد تركا حديقتهما فلم
 ينزلا لها الماء فإن الحسران هنا أعظم وأتم والعذاب يكون أعظم وأعظم لأنهم ضيعوا قناطر وقناطير . فقال
 وهل فعل المسلمون ذلك . قلت نعم . قال ولم ذلك . قلت لأنهم ملكوا أرض الله في فلسطين وسوريا
 ومصر والعراق والهند والصين والسودان وبقية شمال أفريقيا . وفي تلك البقاع أنواع المعادن والمعادن والغلات
 والأرض الخصبة والياه الجارية والكهرباء والخزوة والمناطيس الكامن في المعادن بالاستعداد والنفحة الخزون
 للناس والبتول . وهناك من النعم ما لا يحصى . ترك هذا كله المسلمون وناموا فسألتك بالله أيها الفاضل
 قل لي . هل خلق الله هذه الخازن لنفسه . قال لا . قلت إذن لمن هي . قال لعباده . قلت هؤلاء

هم المسلمون عبادهم وقد سلمهم مفتاح أرضه وقال لهم من ظلم منكم عذبت به في الدنيا والآخرة فرأيناهم جميعاً تركوا عقولهم ومواهبهم وأرضهم وناموا . فقل لي يربك أيهما أشدّ خسارة وضراً . رطل عنب وقطع برّ في التطفيف المذكور في قصة شعيب أم آلاف آلاف من النعم العظيمة من القاحلة والحبّ وغبرها ومن القمح في الأرض . قال بل الأمر هنا أعظم لأن رطل العنب أو قصب البرّ خرج من زيد إلى عمرو والناس عندهم مال أما هنا ففناه أن الآلاف والآلاف قد خسرها الناس . قلت حيثئذ يكون مغزى هذه السورة أن المسلمين إذا تركوا نعم الله التي في الأرض لعاقبهم الأمم وتأخذ منهم أرضهم أو تنهبهم وتبيدهم قال وهل هذا يوافق آراء علماء الاسلام . قلت عجبا . أليس هذا كقوله تعالى - ولا تقاتل لهما أف - فلوله نهى أن يقول لوالديه - أف - فقال العلماء إن الضرب يكون محرّماً من باب أولى فهنا يقال فإذا كان رطل عنب أخذه رجل من آخر في الاسلام ظمناً يوجب ذلك بشكراره وشيوعه عذاب الأئمة في الدنيا فمن باب أولى إذا قعدوا جميعاً عن زرع أرضهم فالتسيران هنا أشدّ . بإسبغ الله كل هذه القصص القرآنية رب فيها خواب الأمم على تقصيرهم في حفظ نظامهم . إذن القرآن يأمرنا بنظام الأئمة . ومن عجب أن يكون أكثر العذاب المذكور في القرآن دينوياً وينبئه الأخروي والوعاظ في الاسلام لا يوفّهون هذا بل هم لا يعلمون . قال فهل نص العلماء على ما تقول . قلت قد أوفّحت في هذا التفسير في غير موضع أن فروض الكفايات متى تركها المسلمون أعموا . وفروض الكفايات لنظام الأئمة وما تحتاجه في معاشها فما قلته الآن داخل في ضمن هذا الموضوع وقد أوفّحت في سورة المائدة عند مسألة الفراغ وابن آدم فارجع إليه إن شئت . فقال الحمد لله الذي بنعمته تمّ الصالحات والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير سورة الأعراف

تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الرابع من كتاب (الجواهر في تفسير القرآن الكريم)
وطيه الجزء الخامس وأوله تفسير سورة الأفعال

❦ الخطأ والصواب ❦

غلينا التصحيح فأتانا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية وهذا جدول بما عثرنا عليه من ذلك

ص	الخطأ	ص	الصواب	ص	الخطأ	ص	الصواب
١٣	فليس	١٣٤	أفليس	١٣	فليكن	٣٣	فلتكن
١٣	حاليه	١٤١	خاليه	٦	لقراءو	٦	لقراءو
١٦	فطر	١٤٨	نظر	٣	كاتبين	٣	كاتبين
١٦	رق	١٥٢	الرق	٢	ان كانت	٢	ان
٢٥	فيها	١٥٢	فيهما	١٤	الغنه	١٤	الغنه
٢٨	وأحييه	١٥٣	وأحيته	١٦	السلحم	١٦	السلحم
٣٣	عخصين	١٥٩	عخصين	٢٤	أعرات	٢٤	أعرات
٣٥	مثال	١٦٢	أمثال	٤	فيعان	٤	فيعان
٣٧	جرحتم	١٦٢	جرحتم	١٣	والوزن	١٣	الوزن
٣٧	هذه	١٦٣	وهذه	٣٢	صغار العلماء	٣٢	بعض صغار العلماء
٣٧	رفا	١٦٣	فا	٣٢	وضعاف شيوخ	٣٢	وبعض شيوخ
٤٠	يبتنعوا	١٦٧	ليبتنعوا	٣	نشكرنا	٣	شكرنا
٤٦	ويؤنيه	١٦٨	ويؤننه	١٦	الطلبه	١٦	(الطلبية) الآله
٦٣	صدرها	١٧٣	مصدرها	٢	بما يناسب الالهية	٢	ما يناسب
٨٩	الفرية	١٧٧	العربية	٩	واني	٩	واني
٩٥	الدكور	١٧٨	الدكور	١٨	من الانسان	١٨	من أن الانسان
٩٥	١٨٤٥	١٨٠	١٨١١	٢٨	من الأوقات	٢٨	في الأوقات
٩٥	القصور	١٨٢	القصور	٥٥	لللادين	٥٥	لللادين
٩٥	الدكور	١٨٦	الدكور	١٢	وزلكم	١٢	وأزلكم
١٠٤	وقد كان	١٨٩	قد كان	١٣	في القول	١٣	في القول
١٠٤	قال ان	١٩٥	وان	٠١	والاشوريين	٠١	والاشوريين
١٠٦	خليقه	٢٠١	خليفة	١١	تحت	١١	تحت
١٠٦	نكافؤنا	٢٠٦	نكافؤنا	١٥	أخلقها الله	١٥	خلقها الله
١٠٧	وعلماء	٢٠٦	وبعض علماء	٣١	القيم	٣١	القيم
١١٤	الارج	٢١٤	الارج	٢٧	ومن ذا	٢٧	من ذا
١٢١	يصدون	٢١٧	يصدون	٣	تبين	٣	تبين
١٢٢	قبعلا	٢٢٥	فيلا	٣	القرص	٣	القرص
١٢٣	خاوصر	٢٢٦	وخاوصر	٣	حاستي السمع والبصر	٣	حاستي السمع والنطق
١٣٢	الباس	٢٢٩	لباس	١٧	مسارع	١٧	مسارع
١٣٤	واذا كان الحرب	٢٣٢	واذا كانت الحرب	١١	طائفة	١١	مطبعة
	داعيا	٢٣٥	داعية	٦	نو	٦	كانوا

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم ﴾

صفحة

- ٢ تقسيم سورة الأنعام وإنها ست مقاصد
- ٣ المقصد الأول من قوله تعالى - الحمد لله الذي خلق - الى قوله - ماتكسبون - وتفسير ذلك لفظيا وتقرير من لا يفكرون في ترتيب هذه المجامع في الآية مع ان التمام بينوا ذلك في الوضوء مثلا
- ٤ مناسبة هذه السورة لما قبلها بأمور مثل أن اختتام المائدة بلك السموات والأرض الخ وكذلك ابتداء سورة الأنعام ومثل خلق الطير من طين في المائدة وخلق الانسان منه في الأنعام وهكذا
- ٥ تشبيه الليل والنهار والعالم بتأثير سود ويض الخ في قصر مشيد
- ٦ إيضاح هذا القصر في التشبيه - شرح ألوان الشمس السبعة التي جعلت سماء واحدا و بيان أن جهل هذه العلوم معناه عدم شكر المسلمين لهم على نعمه التي لا تحصى
- ٧ اعراب هذه الجملة في الآية والفهم الجبري والظلمي والنبأى ولطم للمعوجات والنور يشتق من هذه الظلمات
- ٨ كيف كان غاز الاستصباح إنما يخرج من الفهم بعد تنقته بعملات هائلة - وكيف كان الماس والفهم مادة واحدة وكيف جهل المسلمون هذه النعم فلاذن لاشكر على المجهول
- ٩ الآية الثانية - هو الذي خلقكم من طين الخ - و بيان أن تركيب جسم الانسان من عناصر لا تقبل فانتظمت فكان العقل في الرأس أعلاها وقوة الغضب في القلب أوسطها والقوة الشهوية في أدناها من المعدة والأمعاء الخ
- ١٠ و بيان أن من يفعل ذلك النظام لا يخادع فهو يعلم السر و بيان مجامع القرآن في العلوم الحديثة
- ١١ الأثير يكون حرارة وضو وحركة وكهرباء - وهذه يتقلب بعضها الى بعض والكلام على أحوال المادة الثلاث وأن الماء اذا صار بخارا يكون أكبر حجما ٧٠٠ مرة والاختلاف أكثره في السكيف و بيان أن السموات خلقت قبل الأرض في العلم الحديث كترتيب الآية و بيان أن ظلمة الأرض انما جاءت بعد تسكون قشرتها - و بيان أن قشرة الأرض تبلغ مائة كيلومتر وكل ثلاثين مترا ترتفع الحرارة درجة وأن الطبقات ٢٦ والصخور ستة والكلام على السحب التي كانت تمطر ذهابا وقصبة وبقية للمعادن الجبال أسنان الأرض بنبت من الطبقة الصوانية - والكلام على الكرة الأرضية والكرة النارية بها وأن قشرتها كقشرة البطيخة والبيضة والتفاحة ثم الأرضون التي خلقها الله كلها كأرضنا ويظن أنها ثمانية مليون أرض وهي مختلفة اضطرابا وثباتا
- ١٢ أقصى درجة البرودة ٢٧٣ درجة تحت الصفر والحرارة لاتتم نهايتها وبالقله والكثرة فيها كانت عوامل لامتهى لها - أصل كل شئ النور - قطعة الكربون تحتاج في تفريق كربونها من أكسوجنها الى ١٢٠٠ درجة - ارتقاء الأرواح في عالم النور وسر قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وكيف بان الانسان يسى ليخرج من الظلمات الى النور - وكيف أظهر الكشف الحديث هذا كله الانسان مضى - وهو في هذا الجسد كما جاء في صحيفة الملائان الفرنسية سنة ١٩٢٤ وذلك في تنويم الوسيط الايطالى المشهور (ارنو) - ارتقاء الانسان بعد الموت في درجات الكمال الى أن يكون مع الملائكة النوريين من نفس القرآن - كلام الفخر الرازى في تفسير - والتنازع - استنبهاد على ما تقدم أى ان الانسان يرتقى الى أن يكون مدبرا للكائنات ملحقا بالملائكة - مراتب الأرواح في العلم الحديث مذكورة كما ذكره الرازى واستدل أيضا برؤيا الأحياء للأموات وتصدق الرؤيا

- ١٨ اعتراض على المؤلف وجوابه • وتفصيل الكلام على قوله تعالى - وجعل الظلمات والنور - بذكر سلسلة المخالقات الأرضية من ابتداء كون الأرض كرة نارية الى أن يصل الخلق الى أعلاه
- ١٩ تفصيل طبقات الأرض الستة ثم تسلسل العوالم من الخلية الأولى الى الانسان الى العوالم الأخرى فهي ٣٠ مرتبة • بقية هذه التقسيمات من كون الجنين خلية فسمكة فذبابه فقردا فالإنسان الخ
- ٢١ القسم الثاني - وما تأتئهم من آية من آيات ربهم - الى قوله - وهو الحكيم الخبير - مشكلا
- ٢٥ تفسير هذه الآيات تفصيلا لفظيا وفيه الفصل الأول
- ٢٨ الفصل الثاني في طلب الكفار الآيات عنادا وتفسير ذلك لفظيا
- ٣١ الفصل الثالث في أقواله ﷺ مع التواضعين
- ٣٢ الفصل الرابع في معاملة رسول الله ﷺ للفقراء من المؤمنين وأمر الله له باكرامهم
- ٣٣ الكلام على الفريقين الكافرين والمؤمنين
- ٣٤ الفصل الخامس في ذكر نتيجة ما تقدم في النصول السابقة على سبيل اللف والنشر المرتب
- ٣٥ الفصل السادس في شرح علم لما تقدم كله وهو تفسير - وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلا هو الخ -
- ٣٦ المقام الثاني في قوله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل الخ - وتفسيرها لفظيا
- ٣٨ المقام الثالث من هذا الفصل في قوله تعالى - وهو القاهر فوق عباده الخ -
- المقام الرابع في هذا الفصل نسيان الناس لعهودهم اذا أجيب دعائهم
- ٣٩ المقام الخامس - قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا الخ - المقام السادس - وكذب به قومك الخ -
- ٤٠ تفسير قوله تعالى - وإما ينسئنك الشيطان الخ -
- ٤١ اللطائف الستة وذكرها اجمالا • اللطيفة الأولى أقص عليك أيها الذي نبا ما كنت أزاوله في أول حياتي وأما محاور بالجامع الأزهر الشريف
- ٤٢ اللطيفة الثانية في سؤال قريبه له هل للعالم آخر ثم كيف كان المؤلف بيت ساهرا بجمال وبحس صوت الحزن من نساء قريته رقة في قلبه وحزنا على أنه جاهل بعلم هذه النجوم ومجائنها • واللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا - وكيف ظهر هذا في التنويم المغناطيسي
- ٤٣ اللطيفة الرابعة - كتبهم بكم على نفسه الرحة - وله ماسكن في الليل والنهار - ويان أن العالم كله متحرك ولكن من شدة الاحكام والاتقان يرى ساكنا وهذا ماثير له الآية • اللطيفة الخامسة - وهو القاهر فوق عباده الخ - ويان قهر المرأة والنانة والعبادة والحمامة الخ وأن الناس مسخرون وبجهلون ذلك
- ٤٤ تديس الأشكال في الثلج وفي بيوت النحل والكلام على العناصر المتشابهة والتي لا تشابه بينها فالثانية تكون مركباتها أشد مخالفة لعناصرها من مركبات الأولى لاصولها • ويان اللطيفة السادسة وأن المؤلف كان أليم عطشته بخرج من بين البيوت ويجلس مفكرا في أمر النجوم والأهم والدول • حكاية الانسان والحيوان وذكر أنه رأى ليلة حيوانا مسرعا كتملب لجال بخاطره غراز الحيوان
- ٤٦ الحداة مخاطبتي قاتلة قد سخر لي مافي السموات ومافي الأرض • نظري في الحقول ومهادتي مع فلاح واجابة امرأة وذلك في مسألة الحيوان المسمى (أبازنييه) وكيف كان أصلا للصفعة • وذكر عجائب الحيوان وبناء القردو قطرة على النهر • الكلب وضائفه • كاب البحريني السد على النهر •
- ٤٨ العجبية الرابعة الكلب الذي يسمى الدرواس وكيف يجي كلبا آخر من الفرق بذكاء عجيب
- ٤٩ القرد وتقله في مسألة (أبي فردة) واقط وكيف كشف القرد للسمي (شانيزاه) فتح الأقال بأعجوبة

وكيف أزال الذهب السم الذي كان على الأقراس التي رميت له . شفقة الفرمان والتخليل وكيف أطعمت الفرمان رفيقها الأعمى . ثم الطائر الهندي الذي يبنى بزخرف قصورا وهل للحيوان لغات والكلام على الزنبور وهل للحيوان أرواح باقية كما يظنون . ذكاء الجردان ونظامهما وكيف تربي الأفياء منها الضغفاء وتنشق عليها حتى اذا سمعت أخذت تأكلها . اللطيفة السابعة - وعنده مفاتيح الغيب -

٥٣

الأب غريال الايطالي يقول انه عرف أن للعواصف والسيول قوانين وهناك عالمان قدسورا حركات القلب والرتين والمعدة وسائر أعضاء الجسم والدكتور (بازسكر) الروسي اخترع آلة بها يعرف المجرم من غيره في السجن ويقول ان للبحر (٧٨) خلية وهل هذا علم الغيب الخ . مفاتيح العلوم في هذه السورة تنقسم الى قسمين مفاتيح علوم السموات ومفاتيح العلوم في العالم الأرضي . للمفاتيح الثانية وفيه المفاتيح السارية - ولذا قال ابراهيم - الى قوله تعالى - ما كنتم ترعون - والتفسير اللفظي لهذا المقصد اطالفت هذه الآيات أربعة . اللطيفة الأولى والكلام على الصابئة ونحو ذلك

٥٩

الأم الجرمانية يقولون ان لفظ النور شامة هي ومشتقاتها في اللغات المختلفة . والكلام على الكواكب السبعة عند الصابئين

٦١

مجادلات الخليل ابراهيم عليه السلام مع قومه وكسره الأصنام . وذكر أن الصابئين لا يقرون بأنبياء وحكمة هذه البيانات . والكلام على الروايات التي وضعها الناس في هذا المقام تنويرا للعقول . والكلام على جمهورية أفلاطون وللثقل الذي ضربه . للثقل الأفلاطونية

٦٣

الفصل الخامس في سيدنا محمد ﷺ في غار حراء وكلام (هزري) القريبى فيه . والكلام على قوله تعالى - فبهدهم اقتده - وهؤلاء الأنبياء لهم منزلة فعل المسلمين أن يتفوهوا عملا اقتداء كما أمرنا بذلك في نفس الآية

٦٤

اللطيفة الثالثة - تحسانه قراطيس تبديونها وتخفون كثيرا الخ - ويان أن ما حصل من اليهود حصل من المسلمين تصميرا وقصورا قد أحرقوا الكتب وكرهوا العلوم شرقا وغربا فسلط عليهم جنكيزخان شرقا وملوك الأسبان غربا فازالوا دولهم كما أزيلت دولة اليهود أيام النبوة . وهكذا جهل الترك الخ ثم ذكر محاورات دلت بين المؤلف وصديق له يعالطه في ذلك . والكلام على جمهورية أفلاطون المؤلفة قبل المسيح بأربعة قرون

٦٩

كيف قصر الملحون ونبح الفريسيون في القرون الأخيرة وفلاصفهم الأقدمون تلاميذ علماء الاسلام بالاندلس كاهم به معترفون . العلامة (سديو) الفرنسي يكذب كثيرا من علماء الفرنجة في دعواهم كشف بعض العلوم

٧٥

عجبتان (الأولى) منظار للبحث في القمر (الثانية) خريطة السموات . قطرة من بحر من ملكوت السموات والأرض الذي أراه الله لابراهيم عليه السلام . والكلام على الكوكب والقمر والشمس المذكورات في هذه القصة وتقسيم الكواكب الى ثوابت وسيارات . ويان صور الثوابت وانها (٤٨) صورة وتصلها تفصيلا تاما

٧٩

أنواع النجوم ونجوم مضاعفة ومزدوجة والقنوت والسمام والمجرة والكلام على أن الشمس مركز العالم السيارات وأوصافها والكلام على عطارد والزهراء والأرض ومحيطها وأعلى جبالها الخ وأوصاف للمريخ وحجمه وقمره والمشتري وحجمه وصورته الشمسية مرسومة وأقماره التسعة التي كشف بعضها قريبا

٧٢

وزحل والكلام على أوصافه وأقماره العشرة ورسم صورته الشمسية وحلقاته ظاهرة وتبتون وأوصافه

- وأقماره الأربعة . وهناك سيارات صغيرة . والكلام على ذوات الأذنان ولها يزيد عن (٨٠٠) وربما سيزيد في المستقبل عن ملايين ومنها (هالي) تدور في (٧٦) سنة دورة وأخرى في (٣) سنين تقريبا وأخرى (٣٠) قرنا دورة واحدة وأخرى لارتجيب البتة
- ٧٥ صورة شكل ذات ذنب ترجع بعد (٣٠) قرنا هـ المجرة الجوّية والشهب هـ الكلام على القمر وأبعاده وأوصافه هـ الكلام على الشمس وأوصافها هـ نسبة ضوء القمر إلى ضوء الشمس وإلى ضوء السماء الزايع
- ٧٧ مشابهة تلك النسب الضوئية في الشمس والكواكب إلى اختلاف عقول الناس في العلم والحكمة
- ٧٨ آراء صفراء العلماء وجميع العامة في أئمة الاسلام هـ ان النظر سطحي كنظر البهائم والجهلاء والنسج (اللطيفة الرابعة) - ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت ولللائكة بأسطو أيديهم الخ - ملخص ما نقل عن الأرواح في حال الموت في الجنيات النفسية هـ للتصد اثاثا - إن الله فائق الحب والنوى -
- ٨٠ بيان اخراج الحي من الميت وكيف كانت هناك حيوانات تتصاعد مع الأبخرة الخ
- ٨٢ تفسير قوله تعالى - فائق الاصباح الخ - وموازنة كلام العلامة (سقراط) بما في هذا المقام وذكر خمس لطائف عجائب النور وغرائبه وأن النور والصوت والحرارة والكهرباء ما هي إلا حركات في الجوّ
- ٨٣ حواسنا عليها قليل لانعرف ما بعد اللون البنفسجي هـ أهمال الضوء لإدارة العالم الأرضي
- ٨٤ التبادل بين الحيوان والنبات
- ٨٥ زيادة إيضاح هـ كيف يتكوّن الحيوان فالعظام من المعادن والعضلات من التروجين الخ ورقة شجرة فيها ألف ألف فصحة هـ الجنود ومجائنها وانها تخرب الأبنية
- ٨٦ (لطيفة في قوله تعالى - فائق الاصباح) - وبيان أن أهل الأنظار الثلجية يرون شفا جبالا بهيجا وذلك الأضواء تتلأأ على الثلج فيحدث ضوء بهيج واشراق بديع يسر الناظرين
- (اللطيفة الثالثة - وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها الخ)
- ٨٧ إبعاد الكواكب قد بلغ بعد بعضها عنا ٢٠ ألف سنة نورية والكلام على أبعاد الكواكب وهي ٢٠ بعدها (٧٦) ألف ألف كوكب وأن هناك سديم يبعد عنا (٥٦) ألف ألف سنة نورية
- ٨٨ (اللطيفة الرابعة - هو الذي أنزل من السماء ماء -) الكلام على الثلج وهناك يحصل أنواع من المناظر العجيبة المنعكسة عن الثلج هـ الثلج المسهل للسير وهو في بلاد لا بونيا وسيبيريا والمسكوف
- ٨٩ اختفاء النبات في الثلج ثم ظهوره بعد الثوبان بشكل عجيب هـ ألوان ماء البحر هـ يظهر في البحر بين المدارين أنوار كآثار الكواكب هـ المياه للعديتيهي كبريقية وغازية وحديدية الخ
- ٩٠ - أنظروا إلى ثمره اذا أثمر وينعه - وبيان أن هذا أصل عظيم لعلم النبات والكسأ والتويع واختلافها كل ذلك يتنوع على حسب تنوع النبات
- ٩١ عجائب البرز فهو يكون برزة ويزيد في رأس الخشخاش (٣٣) ألف برزة وبيان اختلاف العلماء في كيفية تقسيم النبات وتوبيخ المؤلف أئمة الاسلام لنومها عن هذه العلوم التي أمر بها الله هنا فقل - أنظروا إلى ثمره اذا أثمر وينعه - ورسم الزهرة بالتصوير الشمسي
- ٩٣ أشكال هندسية مرسومة بالتصوير الشمسي تبين صور الطلع أي الحبوب الدقيقة
- ٩٣ المقصد الرابع - وجعلوا لله شركاء - إلى قوله - إنه لا يفلح الظالمون - التفسير القفطي لهذه الآيات
- ١٠٣ لطائف ستة (اللطيفة الأولى والخامسة) في قوله - وكلهم الموتى - وفي قوله - يامعشر الجن والإنس - عجائب القرآن ومجراته في هذا الزمان

- ١٠٤ مناجاة الأرواح
- ١٠٥ ﴿اللطيفة الثانية﴾ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا شياطين الانس والجن الخ
- ١٠٦ ان ما كشف من الكواكب وغيرها عدة مستقبلا بعد الموت لتفرح به أرواحنا هناك
- ١٠٦ ﴿اللطيفة الثالثة﴾ وان تطع أكثر من في الأرض يضلك الخ وبيان أن بني آدم مسوقون برؤسائهم في الدين والدنيا ولو كانوا محطتين وان للمذاهب الاسلامية تتبع بالتواتر
- ١٠٨ الكلام على قوله تعالى - وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها - وقوله تعالى - ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدهم مبوءاء - وبيان أن بعض مشايخ الطرق وبعض العلماء والأعراف في الاسلام يكونون آفات الأمم الاسلامية الخ . المقصد الخامس - وجعلوا لله مما ذرأ من الخرب - الى - يعدلون -
- ١٠٩ تفسير هذه الآيات
- ١١٠ الكلام على الزرع والشجر للمسوط على الأرض كالقرع أو على العريش كالعنب وغير للمسوط كالنخل ومجائب النبات وأن أغلبه ما يرى بالمنظار كالطحلب والنفورات فهي أشجار وجنات . بقية تفسير الآيات وهو قوله - والنخل والزرع الخ - والكلام على الابل والبقر والغنم والكلام على ثمانية الأزواج ذكر ما حرم على اليهود والكلام على قوله تعالى - وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا الخ -
- ١١٥ عجائب النخلة ولم كان عليها ليف فهو كالمثدر
- ١١٦ حديثي مع فلاح مصري ذكرني النواد . وذلك في زهرة اللقطن وعود الترة والفاحة الخ . ولم كان للانسان معدة واحدة وللبقر والجاموس مثلا أربع معدات . وبيان ذلك بالرسم ومنها
- ١٢٠ المقصد الخامس - قل تعالى أنزل ما حرم ربكم عليكم - الى - وانه لغفور رحيم - وتفسير هذه الآيات
- ١٢٣ عجيبة من عجائب القرآن في هذه الآيات وهي - هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة الخ -
- ١٢٤ أهلك فردينا دوابا لاسلمى الأندلس ولا يزال المسلمون غافلين ولكن قد نبه بعضهم . بيان عموم القرآن
- ١٢٦ اعتراض على المؤلف وجوابه بما في الحديث الشريف ورأى المفسر أن سبب ذلك المسلمين جهلهم والجهل جاء من رؤساء الدين فهم لم يفهموا الشعب أن الدين يشمل سائر العلوم
- ١٢٧ بيان ما في أحاديث الصحيحين في تفسير - بعض آيات ربك - كالخسف والجدال وطلوع الشمس من مغربها
- ١٢٩ تفسير سورة الأعراف وتقسيمها الى تسعة أقسام
- ١٣٠ مقدمة تبين ارتباط سورة الأعراف بما قبلها وانها شارحة لما في آخر سورة الأنعام
- ١٣١ بيان موازنة أول سورة الأعراف بأوائل السور الماضية كلها وأن هذه انذار يفضى الى حرج . القرآن ونهر النيل فاذا لم تكن سدود للنيل لا ينتفع المصري به للزرع هكذا القرآن واستمتع الله نفسه من القصة ليعلمنا فهم القرآن وفهم الحياة كلها
- ١٣٣ ﴿للمصد الأول﴾ قوله تعالى - المص - الى قوله - تشكرون - والتفسير اللفظي لهذا المقصد
- ١٣٤ كيف يقول المسلمون اليوم - إنا ظالمون - حين يرون العذاب محيطا بهم مصداقا لهذه الآية
- ١٣٥ الوزن الحق يوم القيامة مشاهد نظيره في الدنيا فمن قرأ العلوم الفلكية والكيميائية فهم وزن الله والذين لا يعلمون ضربت لهم الأمثال في الأحاديث المذكورة
- ١٣٦ ﴿للمصد الثاني﴾ - ولقد خلقناكم - الى قوله - نخرجون -
- ١٣٧ (التفسير اللفظي) . حجج ابايس وانها مسطرة
- ١٣٨ أعل الأرض الآن في الشرق والغرب لهم حجج في ذنوبهم وفي سياساتهم كحجج ابايس السفطائية

- ١٣٩ تفصيل الخداع لأنفس الناس في الأرض
- ١٤١ ﴿المقصود الثالث﴾ - يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا - الى قوله - تقوم يؤمنون -
- ١٤٢ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٤٤ ههنا ذكر الله نتائج الأصول الثلاثة في هذه القصة وهي اللباس والاغواء والحجة للداحنة
- ١٤٥ الكلام على الأكل والشرب واللباس والاسراف في ذلك وأن المسلمين لما أسرفوا سخط الله عليهم الأم
- ١٤٦ اسراف بعض ملوك الاسلام في عصرنا
- ١٤٧ بيان ما حرم الله في تفسير الآيات السابقة والاستمرار في تفسير الآيات المذكورة
- ١٥٠ ﴿لطيفة في قوله تعالى - يابني آدم الخ -﴾ وتبيان أن علم الصحة واجب معرفته كالوضوء وما أشبه ذلك
- ١٥١ نبذة صالحة في علم الصحة لوقاية أجسامنا من الأمراض
- ١٥١ خواص الحرير والقطن والجلد وبيان لما لكل من الزبدة والبقول المختلفة
- ١٥٢ فوائد عامة في الملابس ولما لكل والزبدة والبقول
- ١٥٣ الخضرة - اتوابل - الأغذية الخ
- ١٥٤ تنقية الماء ﴿وطرته ثلاث﴾ نوى الشمس - الترشيح وأدوات الرشح - اغلاء الماء
- ١٥٥ فوائد محمية - وبيان أن أسباب قتل المرض ﴿ثلاثة﴾ اما بالباشرة - واما بواسطة الماء - واما بواسطة الحشرات - وبيان مرض البول الدموي (البهارسيا) ومرض الضف العام (الانكستوما)
- ١٥٦ الحشرات ﴿قسمان﴾ ضار ونافع
- ١٥٧ الصراير واحداثها السرطان - منظومة تمتع في شروط الصحة
- ١٥٨ بقية المنظومة وأمام الكلام على الحشرات الضارة والنافعة وأن الله تكفل بالضارة وأرشدنا الى أن تكفل بالنافعة لنا
- ١٥٩ ﴿المقصود الرابع﴾ - هل يظفرون إلا قلوبه - الى قوله - تقوم يشكرون - وتفسيره اللفظي
- ١٦١ بقية التفسير اللفظي والكلام على لفظ (يوم) في عاوم البابليين والاشوريين وتقهر الاعتدالين عندهم
- ١٦٢ الكلام على عشر لطائف والوزن والميزان
- ١٦٣ تنفس الأرض - ﴿اللطيفة الرابعة﴾ - يابني آدم قد أنزلنا الخ - وأيضا قوله - وكلوا واشربوا -
- ١٦٤ حكاية العالم الصيني لما قابل المؤلف - رأى المفسر - عجائب الجذور الأرضية
- ١٦٥ - يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يورى سواكم الخ - ذكرى أيام الشباب وطلب العلم وصلاة المؤلف ليلا وصيامه نهارا وهو يطلب حقيقة هذا العالم في الحقول - وكيف دهش المؤلف إذ رأى أن ما كان يفكر فيه في بلاد الفلاحين بلا علم هو نفسه الذي ارتقت به أوروبا وأمريكا وتجب هو كيف كان المسلمون محرومين من نفس دينهم الذي هو نفس تلك العلوم - جلد الحيوان وريشه وقطن الانسان - وكيف كان هذا أعظم حكمة
- ١٦٧ بيان معنى قوله تعالى - ولقد سكتناكم في الأرض - وكيف كانت دلائل وجود الأرواح في الأجساد هي الحركات والحس ودلائل مبدع الكون لا تنهاى
- ١٦٨ الكلام على الهيكل الانساني اجالا وتشبيهه بالآلات البخارية - مائرا ط كونك صحيح الجسم وسعيدا نوع الله لنا الأغذية لأجل تنوع أعضائنا
- ١٦٩ مناقضات الصحة - ﴿الطباقي﴾ وهو المعروف بالدخان مضاره العديدة وعواقبه الوخيمة - ويلحق

- بالسنان الأفيون والحشيش والكافور وأمثاله . (اللطيفة الخامسة قوله تعالى - كابدأ كمعودون -)
 ١٧١ الخطأ في املاء ديكس بعد موته مصداق للقرآن . (اللطيفة السادسة والسابعة والثامنة) في أن
 عجب الناس عن لقائهم العالية من استعذابهم الخ
 ١٧٢ كلام الأرواح . (اللطيفة التاسعة في أصحاب الأعراف)
 ١٧٣ - إن ربكم الله الذي خلق السموات الخ - ومطابقة العلم الحديث للحديث النبوي الشريف
 (عجيبة في قوله تعالى - وهو الذي يرسل الرياح بشرا -) وكيف تهب الرياح في قارة آسيا وقارة استراليا
 وصيف كل منهما شتاء للآخرى فيهب الريح من القارة الباردة زمن شتائها الى الحارة زمن صيفها
 في وقت واحد وينعكس الحال بعد ستة أشهر . فسبحان مدبر الكون ومبدعه
 ١٧٥ ان أهل العلم في أرضنا يعملون الاشتراك في المصالح لجميع أهل الأرض ولكنهم عند العمل يجمعون
 لنقص الانسانية . والأمة الاسلامية هي خير الأمم في المستقبل اذا تملت كالأمة وعلمتهم الانتفاع العام
 لأنهم رعاة العالمين بالبركات عن نبينا ﷺ . وقد ألب المفسر كتاب (أبن الانسان) لهذا المعنى
 وترتبه الأوروبيون . وذكر خطبة (طاغور الهندي) في هذا المعنى والقرآن يوافق
 ١٧٨ سر - المص - ومر - ألم - في - ورتي البقرة وآل عمران وسرها هنا . وهذا هو السر الذي ظهر
 في هذا الزمان
 ١٧٩ (القسم الثاني من السورة - لقد أرسلنا نوحا - الى قوله - عمن -) والتفسير اللفظي لهذا القسم
 ١٨١ (القسم الثالث والرابع من سورة الأعراف) من قوله - والى عاد - الى قوله - الناهمين -
 ١٨٢ الكلام على العماليق وعاد ونمود وارم ودولة المدايين والسكندان والاشوريين والمعنيين باليمن وآراء
 المرحوم صديقنا الفاضل (كمال بك) إذ كشف أن لغة العرب هي فرع من لغة قسما المصريين
 كشف الأم العربية القديمة في هذه الأيام . كشف علماء ألمانيا والانجليز والفرنسيين وكشفهم
 مدينة ظفار باليمن ومدينة معين وسد العرم ومدينة مأرب
 ١٨٤ عدد القروش نحو ألفين نشرت في أوروبا بعد أخذها بالفوتوغراف من بلاد اليمن والمسلمون تأثمون
 ١٨٥ التفسير اللفظي لهذه الآيات . مقصود القصة في هذا الزمان
 ١٨٧ اعتراض على المؤلف وجوابه وأن القرآن للتلذذ بالصدق أولى باعتراف الحكمة وأن هذا هو أسلوب
 لله تعالى في أول هذه السورة
 ١٨٩ الأطباء وبعض رجال الدين ورجال السياسة
 ١٩٠ (القسم الخامس - ولوطا إذ قال - الى قوله - عاقبة المجرمين -) والتفسير اللفظي لهذا القسم
 (القسم السادس - والى مدين - الى قوله - قوم كافرين -) والتفسير اللفظي
 ١٩٢ تطبيق ماجاء في قصة مدين وقوم لوط وعاد ونمود على حال المسلمين اليوم فان قلب الحقائق في بلاد
 الشرق واستغلالهم بظل الأم العربية يشبه قصة هؤلاء القوم
 ١٩٤ بيان أن هذا القسم درس عام على ما تقدم وأن المسلمين اليوم ليسوا في أمان كما جاء في الآية لجهلهم
 بهذا الوجود وما أبدع الله فيه من عجائب
 ١٩٥ تفسير بعض ألفاظ هذا القسم
 ١٩٩ (القسم الثامن) - ثم بعثنا من بعدهم موسى - الى قوله - ولعلمهم يرجعون -
 ٢٠٠ بيان أن هذه الآيات دالة على المجلس الثاني (البرلمان) عند المصريين

- ٢٥٤ هذا نص مافي التوراة في مسألة اليد والعصا والصفاد الخ . وبقية التفسير اللفظي للقسم الثاني
- ٢٥٥ المصائب التي صبت على المسلمين بالأندلس أشبه بما وقع لفرعون وقومه وكلاهما لم يزدجوزال ملكهما والأم التي اعتبرت نصرت مثل دولة (بولونيا) واليونان والبلغار والسرب والجبل الاسود و بلاد روسيا والترك حديثا
- ٢٥٧ بتفرق العقائد في الأمة المصرية القديمة قهرهم قبيز ملك الفرس هكذا تفرق المسلمون خل بعضهم الل
- ٢٥٨ نسخة أنواع من معاصي بني اسرائيل . و بيان نصر الله للخلصين كما نصر موسى
- ٢٥٩ تفسير قوله تعالى - وقال موسى لأخيه هارون الخ -
- ٢١٠ ملخص الوصايا التي تلقاها سيدنا موسى عليه السلام من ربه على الجبل منقولة من التوراة
- ٢١١ تفسير قوله تعالى - سأصرف عن آياتي الخ - . ماجاء في التوراة من أخذ الأتواح
- ٢١٢ اتخاذ الجبل لعبادته وأن صوته كصوت السيارات اليوم
- ٢١٣ (المبحث السادس) قوله تعالى - واختار موسى قومه سبعين رجلا - وتفسير ألقاه
- ٢١٤ بيان سمة رحمة الله لكل شئ وإن أكثر ما ترى من الآلام إنما يوجه لترقية الهمم وتكميل الأجسام والقول كالجوع بحث على الطعام وكذلك لأجل الاقلاع عن المعصية والظلم
- ٢١٥ (المبحث السابع) - فأكتبها للذين يتقون - . وايضا مقام الرحمة . لم خلق الانسان وهو في آلام وذنوب وظلمات وما فادته من الوجود
- ٢١٦ ايضاح هذا المقام وأن الناس في هذه الأرض كأطفال في مدارس يتعلمون ثم يرقون بعد الموت على مقدار استعدادهم
- ٢١٧ تنبيه الناس في الأرض بالتلاميذ في مدرسة (روضة الأطفال) وذكر قول اللورد (أوليفرودج) أن الناس في الأرض بالنسبة للعوالم الروحية كالنمل بالنسبة لنا
- ٢١٨ الناس يرقون في الدنيا خمس درجات حسبية بالحواس وخمسا أخرى بالمدارس أو بحوادث الدهر
- ٢٢٠ كيف نعتقد أن الله رحيم وهو بعد بنا . هل صانع العالم أرحم من الوالدين ومادلبه
- ٢٢٠ بيان الحجاب للضروب بين الناس وبين فهم الرحمة . وأن الفقر والألم والحسد كل ذلك حجاب بيننا وبين النعم المحيطة بنا
- ٢٢١ ان قصة آدم وإبليس كلها بيان لعدم الشكر على الرحمة بالنعم العاتية . الحكاء في الأمم أشبه بحاستي السمع والبصر . شكر عبيد العسا الخ
- ٢٢٢ هل الموت ألم . ذكر كلام الغزالي أن ألم الموت يرجع إلى فرق المألوف . وذكر حوادث تدل على أنه ليس هناك ألم جمعي
- ٢٢٣ شاب وخطيبته متحابان والموت يترص أحدهما والطبيب ينصحهما . وكيف اضطرب الشاب أولا ثم كيف اطمان لموت آخر . لا أثر للفرع عند الموت و بيان المؤلف أن ذلك هو المناسب لرحته تعالى ورأفته والعذاب يرجع للاخلاق والحشرات والذنوب
- ٢٢٥ هذه الحوادث هي المفسرة لقوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شئ - . و بيان أن النمل قوا بل تسهل خروج القرية من فيالجها أي شراقتها . وذكر سبع حوادث كانت العظيقات الجراحية فيها سببا في شفاء امراض أخرى كالاعمي الذي داوى الطبيب النمل في محه فشفي دعاء اليه بصره . أو كالذي عفى فلما رعى أنه بضربة شفي بصره حالا

٢٢٧ بيان أن هذا هو الذي يفيد اليقين وهو الذي أمر به التحليل والتحليل . وأن البرد يقتل الحشرات والتلج يمنع ضرر البرد والشمس تزيل التلج . كل ذلك رحمة واسعة . وبيان أن الناس لو عاشوا أمدا طويلا لكان ذلك خطأ لوجهن . شهود المناظر الهيبة في محاسن الطبيعة . وأن الناس د ومشهود والأقولون هم الحكماء والأنبياء والآخرون هم علماء الفنون الخاصة كاللغة والهندسة فهـ كأنهم يمثلون في مسرح وأولئك يشهدون المناظر وهم الأبرار الذين هم في عليين

٢٣٠ بدائع سورة الأعراف . وأن الإيمان (قيمان) في هذه السورة . قسم لا يثبت له بخوارق العاد وقسم ثابت دائم بالمعارف . وتفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا . وقوله - واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحرايح - . وبيان حال المؤلف أيام المجاورة بالجامع الأز وهو يشوق الى معرفة هذه القرية

٢٣٣ لم يكن ابن عباس عند هذه الآية . قد أحس بما يفتاب أمثنا الآن . مستقبل اليهود بعد ذنوب آبا أخذهم الرشوة وقد نهوا عنها . تمام تفسير هذه الآيات - وإن تقنا الجبل فوقهم الح - . (ذكر الحادثة الثالثة العاتية لجميع الانسان) . وأن العلم عند أهل الصين وأوروپا للإسلام في أزمان عتة مصداق للآية فهو حجة على الناس . وبيان العناصر عند الفيلسوف المعنى وعند الفيلسو اليوناني في زمن واحد . تمة تفسير - وإذ أخذ ربك من بنى آدم - والأحاديث الواردة في ذلك

٢٣٦ (القسم التاسع) - وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا - الى آخر السورة والتفسير اللفظي لهذه الآيا تقرير حال العالم اذ أشبه الكلب بالاعطاط الى طلب الدنيا . موازنة بين ذكر الكلب في كلام العر وذكره في هذه الآية وأن الأديب لا يقدر أن يضرب مثلا به كما ضربه القرآن

٢٣٩ تفسير - فاقصص القصص الح - والكلام على أسماء الله الحسنى وبقية تفسير هذه الآيات

٢٤١ هذا ملخص تفسير قوله تعالى - أولم ينظروا الح - وأنه شكر وتوحيد وفروض كفايات

٢٤٣ هل اخراج الزكاة من المال يقتضي عن البحث في استتاره والغريبون يستخرجون السكر من حشا الخشب . حديث على كل مسلم صدقة . وأيضا على كل عضو صدقة كل يوم

٢٤٤ تفسير قوله تعالى - وإن تدعوهم الى الهدى الح -

٢٤٦ الانصات عند سماع القرآن . وهل تجب القراءة خلف الامام وللذاهب في ذلك

٢٤٨ عجائب السموات غير ما تقدم . هل يتكون الحى من غير الحى

٢٤٩ مقاله علماء العصر الحاضر في الحياة من أين جاءت . (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - يسألونك عن الساعة - . آلاف الحيوانات في حبة القمح تحوت ثم تحيا

٢٥١ ملخص سورة الأعراف وأن - للمص - تتضمن معناها

٢٥٢ اخبار النبي ﷺ بما حصل للإسلام الآن وهو ملخص سورة الأعراف

٢٥٣ مثل أمة الاسلام اليوم مع ربها كمثل عبيد لك

